قاضی بیضاوی

كتاب التفسير للقاضي البيضاوي

اسماء القراء السبعة ورواتهم

نافع	ابن كثير	ابو عمرو	عاصم	ابن عامر
قالون ورش	بزي قنبل	دوري سوسي	حفص ابو بكر شعبة	هشام ابن ذكوان

حمزة	كسائي	
خلاد خلف	ابو الحارث حفص دوري	قد يعبّر عن عاصم وحمزة والكسائي بالكوفيين

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين السلطان الغازي محمود خان ابن السلطان السلطان مصطفى خان خادم الحرمين الشريفين وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتلى اكرمه الله تعالى بالرضى الحسنى حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين عفي عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة
من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من
فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم
حسب ما عن لهم من مصالحهم ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف
قناع الانغلاق عن ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب
تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق ولطايف الدقايق ليتجلى لهم خفايا الملك
والملكوت وخبايا القدس والجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد
الاحكام واوضاعها من نصوص الايات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا
فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع
رأسه واطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فايض الجود
ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه
وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم
علينا وعليهم تسليما كثيرا فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا
علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع واساسها
لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها
وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث
نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء

التابعين

التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطايف
رايعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب
عن وجوه القراات المشهورة المعزية الى الايمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية
عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي فيه يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن
الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع
فيما اردته والاتيان لما قصدته ناويا ان اوسمه بعد ان اتممه بانوار التنزيل
واسرار التاويل فها انا الان اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير
ومعطي كل مسؤول **سورة فاتحة الكتاب** وتسمى ام القران لانها
مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله ومنشاه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه
من الثناء على الله تبارك وتعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة
معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع
على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة
الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراتها فيها
والشافية والشفاء لقوله صلى الله عليه وسلم هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها
سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس
ذلك اي انعمت عليهم اية دون البسملة وظاهر هذا الكلام ليس مرادا لان قوله انعمت
عليهم ليس باية باتفاق وانما المراد انعمت عليهم مع قوله صراط الذين اية لانه قد اضيف
اليه صراطا فاستغنى به عن ذكرها وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة
حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى
ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص وقيل الكلمات فيها مثنات بالرحمن الرحيم
اياك واياك والصراط صراط وقيل لان اهل السماء يصلون بها كاهل الارض وقيل
لانها تشتمل على ذكر العبودية والربوبية وقيل لانها تنبيه على صفات قد دنت عز وجل
وصفات رحمته سبحانه وتعالى **بسم الله الرحمن الرحيم** من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة
وفقهاؤهما ابن مبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها
ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده
وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها
ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع ايات
اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلهما اختلف في انها
اية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى والوفاق على اثباتها

في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتب امين والبا متعلقة بمحذوف وفي تقديم
بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له
وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدئ لزيادة اضمار
فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله بسم الله مجراها وقوله اياك نعبد واياك
نستعين لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه
تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل الة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به
شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه
بسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده
الى اخر السورة مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل
من فضله وانما كسرت الباء ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم
الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين
لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال
وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان
يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي
وسميت ومجئ سمي كهدى لغة فيه قال الشاعر ٭ والله اسماك سمى مباركا ٭ اثرك الله
به ايثاركا ٭ والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له
من السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوض عنها همزة الوصل
ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره من كلامهم ومن
لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير
المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار
ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشئ فهو المسمى
لكن لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تبارك وتعالى سبح اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ
لانه كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة
له عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر ٭ الى الحول ثم اسم السلام
عليكما ٭ وان اريد به الصفة كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام
الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال
باسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق فيما ذكر بين
اليمين واليمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وقد طولت
الباء عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك

قيل

قيل يا الله بالقطع لانه مختص بالمعبود بالحق والاله في اصله يقع على كل معبود ثم غلب على
المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأ
له وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته تعالى او من الهت الى فلان اذا سكنت اليه
لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه
والهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا
اولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان
اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه وقيل اله
كاعاء واشاح ويرده الجمع على الهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها
ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع عن كل شئ وعما لا يليق
به ويشهد له قول الشاعر ٭ كحلفة من ابي رباح ٭ ويسمعها لاهه الكبار ٭ وقيل علم للذات المخصوصة
لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق
عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن
فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره
وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه وامتناع الوصف به
وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر اخر حقيقي او غيره غير
معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد
ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق كون احد اللفظين
مشاركا للاخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل
اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح
ما قبله او انضم سنة عادة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به
صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر ٭ الا لا بارك الله في سهيل ٭ اذا ما الله بارك
في الرجال ٭ الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم
من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه
الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي
هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء
تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار
الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر
ورحيم الاخرة لانه يخص بالمؤمن وعلى الثاني يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا
لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم الرحمن

رباح بفتح الراء والباء اسم رجل

والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه هو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او يزيح انفة الخسة او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي يحصل بها الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤوس الاي والاظهر انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله تعالى ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره **الحمد لله** الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال الشاعر: افادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا. فهو اعم منهما من وجه واخص من وجه آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره هو الله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو وقيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة **رب العالمين** الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به

قوله افادتكم النعماء استشهاد معنوي على ان الشكر يطلق على افعال الموارد الثلاثة وبيان ذلك انه جعلها بازاء النعمة فاعطاها منفعتها عليها وكل ما هو جزاء للنعمة عرفا يطلق عليه الشكر لغة ومن لم يتنبه لذلك زعم ان المقصود مجرد التمثيل بجميع شعب الشكر الا ان الاستشهاد على ان لفظ الشكر يطلق عليها فانه غير مذكور هنا ... تشريف

كالخاتم

كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمع بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تبارك وتعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها **الرحمن الرحيم** كرره للتعليل على ما سنذكره **مالك يوم الدين** قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف يشاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرأ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما للتعظيم او لتفرده تبارك وتعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق منه به بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده وهو قوله تعالى اياك نعبد فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه

مالك يوم الدين

تنبيه على التفضل

مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمن الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين ‌ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ‌ ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اى يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص والترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في الائه والاستدلال بصنايعه على عظم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وقوله تعالى وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ وقول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد	ونام الخلي ولم ترقد
وبات وبانت له ليلة	كليلة ذي العاير الارمد
وذلك من نباء جاءني	وخبرته عن ابي الاسود

وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من اليا والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقد قرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اى مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع والتذلل لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة

في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركاتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رض معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة قد صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الاي وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقد قرئ بكسر النون فيهما وهو لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى اليا اذا لم ينضم ما بعدها ‌ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ‌ بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال تبارك وتعالى كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على ارادة التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف عن قلوبهم السراير

وبرهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء
واياه عنى بقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او
حصول المراتب المترتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك
لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك
والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل
بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه وكانه يسترط السابلة ولذلك سمي
لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت
الزاء ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرا ابن كثير وابن قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة
بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق
في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق وقيل ملة الاسلام صراط
الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من
حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو
الطريق المشهود عليه بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له
فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل
الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ
وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذ
بها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى
كما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي و
اخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه
واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن
والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الفاضلة وتزيين البدن
بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط
منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الابدين والمراد
هنا القسم الاخير وما يكون وصلة من ذلك القسم الاخر فان ما عدا ذلك
يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من
الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب ومن الضلال او صفة
له مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين
السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تأويلين اجراء الموصول مجرى

الذين انعمت عليهم

النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني
لامر على الرجل الكريم مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف
ما له ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير
نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان
فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس لارادة الانتقام فاذا اسند
الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه ناب مناب
الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب
عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب
وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق
السوي عمدا او خطا وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل
المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى
لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب
عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليهم من وفق للجمع بين معرفة
الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل
بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم
ضال جاهل لقوله تعالى وماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة
على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب
وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني
على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال
امينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القران وفاقا ولكن يسن ختم السورة به
لقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبرئيل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم
على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده
يقوله الامام ويجهر به في الجهر به لما روي عن وايل بن حجر انه عليه السلام كان اذا قرأ
ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقول والمشهور عنه
انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه السلام
اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق
تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل في التوراة والانجيل والفرقان
مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي

اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال
ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لن تقرا
حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم ان القوم
يبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله
رب العالمين فيسمعه الله عز وجل فيرفع عنهم العذاب بذلك اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف
التي ركب منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع
والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن عباس انه عليه السلام
قال من قرا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف
ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف
مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا
وهي مركبة صدرت بها ليكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة
مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم يلها العوامل موقوفة خالية من الاعراب
لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة له اذ لم تناسب مبنى الاصل ولذلك
قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها
لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا
لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم
فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما
يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز وان النطق باسماء
الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب
خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب
الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف
المعجم ان يعد الالف فيها حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف
مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهو ما يضعف الاعتماد على مخرجه
ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي
المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك
اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها قولك خمس على نصره ومن المطبقة
التي هي الصاد والطاء والضاد والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة

وهي

قوله أصيلال فقال انه بدل من النون اصله اصيلان تصغير أصلان جمع اصيل كبعران في جمع بعير والاصيل الوقت
بعد العصر الى المغرب وجمعه اصل واصال واصائل وجمعوه على أصلان ايضا ثم صغر فيها الجمع المذكور فقالوا اصيلان
ثم أبدلوا من النون لاما فقالوا اصيلال — سعدي زاده

وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين
الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي
سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل
ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه
واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها
اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط
وزراط والفاء في جدف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى
صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما
يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد و
الطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والظاء والشين والزاء والفاء والواو نصفها
الاقل ومما يدغم فيهما وهي ثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف
والراء والسين والنون واللام لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي
لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاء والسين والفاء نصفها ولما
كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل
والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر
ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد التي تجمعها اليوم
تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف
المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية
ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة
ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور لانها توجد
في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحروف
بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع
سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو
وفي الافعال كقل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات
لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلاث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة
ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على
ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور
ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير
التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف

في التنزيل

او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعاراً بانها كلمات
معروفة التركيب فلو لم يكن وحياً من الله تعالى لم يتساقط مقدرتهم دون معارضتها
واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي
مع العربي ولم يكن القران باسره بياناً وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة
فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما
ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان
القران نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال
لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله
قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي
فقالت قاف كما روي عن ابن عباس رض انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه
ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر
الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القران منزل من الله بلسان
جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية
متمسكاً بما روي انه صلى الله عليه وسلم لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه
وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري
بايها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على
ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب
تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دلالة على الحروف المبسوطة
مقسماً بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله ومادة خطابه هذا وان القول
بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب وذلك لان التسمية بثلثة اسماء
فصاعداً مستنكرة عندهم وتؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تأخر الجزء عن
الكل من حيث ان الاسم يتأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول ان هذه الالفاظ لم يعهد مزيدة
للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور
ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة
في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء
ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة
لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظاً ومعنى ولحساب
الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجباً من جهلهم وجعلها

قوله واستدل عليه اي على كون الالفاظ التي افتتحت السورة بها اسماً للسور قوله مفهمة على صيغة المفعول من باب الافعال اي معلومة المراد منها بحسب العلم بالوضع فكان الواضع انهما المعنى المراد منها

قوله ويجوز ذلك في سائر الفواتح كما قيل الر انا الله ارى وفي المر انا الله اعلم وارى

مقسماً بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة
اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسماً واحداً على طريقة بعلبك واما اذا نثرت نثر
اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر و
طائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو
مقدم من حيث ذاته وهو مؤخر باعتبار كونه اسماً فلا دور والوجه الاول اقرب
الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في علم
من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران
ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان علياً رض
كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق
وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها
جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى
وقيل انها سر استأثر الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة
ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها
افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القران او السور
كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم
على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حروف القسم ويتأتى
الاعراب لفظاً والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية
ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلاً ان شاء الله تعالى وان ابقيتها
على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او
الخبر كما مر وان جعلتها مقسماً بها يكون كل كلمة منها منصوباً او مجروراً على اللغتين
في الله لافعلن فتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات
او اصواتاً منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات
المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها
وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين فاما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص
وطه وطسم ويس آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا
توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف
من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من
المرسل الى المرسل اليه صار متباعداً وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه

اي السورة افتتحت هذه الفواتح ايقاظاً للمتحدى بالقران وتنبيهاً له على ان القران معجز فيه قطع النظر عن حال مبلغه من حيث انه مؤلف مما ينظمون منه كلامهم مع انهم عجزوا عن معارضته او بيان ما بدايته

روي عن ابي بكر رض انه قال في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القران اوائل السور وعن عثمان وابن مسعود رض انهما قالا الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر وعن علي رض في كل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف الهجاء

خبره او صفته والذي هو اولى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله
تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به
المفعول للمبالغة وقيل فعال بمعنى المفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل
ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة للجيش لا ريب فيه
معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في
كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الآية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق
المزيح وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا
عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب
فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي
والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس
واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع
ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب
الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر
كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل
الضلالة كما قال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا
لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون والمنتفعون
بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال
هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر
الآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة
فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه
من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد منه والمتقي اسم
فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن
يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي من العذاب المخلد
بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل
ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في
الشرع وهو المعني بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما

يشتغل

يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى
اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله تعالى هدى للمتقين على الاوجه الثلثة واعلم
ان الآية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن او السورة
او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل
ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات
الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم مبتدأ محذوف
وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى
من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضها ولازمة
للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم
كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب
كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف
كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير
لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب
الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم
او يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفته
والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك
لم يتخلل العاطفة بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون
منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت
بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب عنه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى
للمتقين بما يقدر له مبتدأ هو جملة رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله
او يستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه
لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن
معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث
الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان
كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة
ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف
وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف
بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى للمتقين باعتبار
الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون

بالغيب اما موصولة بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك
ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر
مما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس
الحسنات من الايمان والصلوة والصدقات فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات
البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي الا ترى الى قوله تعالى
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة
قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح وتخصيص الايمان بالغيب واقامة الصلوة
وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح
منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء و
خبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن
التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدَّق من التكذيب والمخالفة وتعديته
بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا
امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما
في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام كالتوحيد والنبوة
والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند
جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن
اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج و
خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق
وحده انه تعالى اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه
مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه
العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل
وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان
مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه هو المقصود ام لا بد من اقتران الاقرار
للتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر
وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة
كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض
والخمصة التي تليه الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس

ولا

والتحلية ... شيخ زاده

... المناسبة بين المعنى المنقول والمنقول ... شيخ زاده

مفعول ثاني

١٠

ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم
الاخر واحواله وهو المراد به في الاية اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول
به وان جعلته حالا على تقدير متلبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى
انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن لما روي ان ابن مسعود قال والذي
لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب
والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على
الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للالة ويقيمون الصلوة
اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه
او يواظبون عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة
قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها
كان كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون
من غير فتور ولا توان قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر
وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت
والركوع والتسبيح والسجود والاول لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه
التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن
وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى الا المصلون الذين هم
عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض
الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو
على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى
حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في
المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا
تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة
الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء
بالحيوان والانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام
لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه
تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق
الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارأيتم

تعليل لوجه ...

وهو معطوف على اسند

ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم
والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة
وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك
الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه
لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفذه اخوان ولو استقريت الالفاظ
وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا
الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه
والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به
والمحافظة على رؤس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه
ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم الله تعالى به من النعم الظاهرة والباطنة
ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما
خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون
بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين
امنوا عن الشرك وعن الانكار وهؤلاء مقابلوهم وكانت الايتان تفصيلا للمتقين
وهو قول ابن عباس او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين
امنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط
في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث
الصابح فالغانم فالايب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة و
الاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير
السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم
وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة
تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق
المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان
يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى
الرسل فيلقيه عليهم والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر
عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا
للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن

اي تمسك اصحابنا لشمول الرزق الحرام بالدليل النقلي والعقلي

لم يسمعوا

لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التورية والانجيل
وغيرهما من الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني
تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه
على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش وبالاخرة هم يوقنون اي يوقنون
ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم
الدنيا او غيره في دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض
لمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الاخرة غير مطابق ولا صادر
عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك
لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والاخرة تانيث الاخر صفة
الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤمنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء
لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذ
اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل
احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم
خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون بالغيب الى اخر الاية والا فاستيناف
لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين
بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم
حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة
وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان
ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل
تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم
امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ
الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى
للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي
فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله
تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة واولئك
هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات
يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم عن غيرهم ووسط العاطف

لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك
هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهايم شئ واحد فكانت الجملة الثانية
مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة
ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك
والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتح له وجوه الظفر وهذا التركيب
وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف
المفلحون للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة
او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم
تامل كيف نبه سبحانه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله كل احد من وجوه شتى
بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبث به الوعيدية
في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون
في الفلاح ويلزم عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له اصلا
ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي
اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة والمردة الذين لا ينفعهم
الهدى ولا تغني عنهم الايات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف
في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى
سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم
في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح و
لزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك
اعملت عمله الفرعي نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه
وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كانت مرفوعا بالخبرية وهي باقية مقتضية
للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع
مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها
تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة وتذكر
في معرض الشك مثل ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا
مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال المبرد
قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه
وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به

ناس

وهي حروف تشابه الفعل لفظا واستعمالا ومعنى اما لفظا فمن جهة في عدد الحروف فانها كالفعل مركبة من ثلثة احرف فصاعدا وفي بنائها على الفتح كالماضي واستعمالا فمن حيث انها لا تستعمل الا داخلة على الاسم كما ان الافعال كذلك واما معنى فلانها يعطي معاني الافعال من التحقيق والتشبيه والاستدراك والتمني والترجي
شيخ زاده

مثال لقوله وتصدر بها الاجوبة قوله وقال موسى يا فرعون مثال لقوله وتذكر في معرض الشك

ناس باعيانهم كابي جهل وابي لهب والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا
كل من صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المصرين بما اسند اليه وهو سواء عليهم والكفر
لغة ستر النعمة واصل الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر قال
الله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم
بالضرورة مجئ الرسول به صلى الله عليه وسلم وانما عد لبس الغيار وشد الزنار
ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول لا يجترئ عليها ظاهرا
لا لانها كفر في نفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القران بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه
سابقا مخبرا عنه واجيب عنه بان مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث
المتعلق كما في العلم سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان
وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه
قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى
انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه ان اريد به تمام ما
وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع
فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا وقوله يوم
ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل ههنا
عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى
الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف
النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار
التخويف اريد به التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع
في القلب واشد تاثيرا في النفس ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم
كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ أانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف
الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحرك لا يقلب الفا ولانه يؤدي
الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الالف بينهما محققتين وبتوسيطها
والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن
قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل
لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم
والاية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه وتعالى اخبر عنهم بانهم
لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم كفار الايمان

لا يسند عليه الاخبار الملتبس بلفظ الماضي سبق وقوع النسبة على وقت الاخبار
شيخ

متعلق بارادة مطلق الحدث فانها على التوسع والتجوز لا بارادة اللفظ فانه لا يجوز

لان حقيقة التجدد انما تستفاد من الفعل المستعمل في معناه الحقيقي دون المعنى المصدري التضمني

بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث
ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع
الشئ وعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعل هو او العبد باختياره
وفايدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ
ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول
اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم و
على ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم
سمي به الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ اخره نظرا الى
انه اخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل
على الشئ كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث
في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات
بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث
لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم عليها
وابصارهم لا تجتلي لها الايات المنصوبة لهم في الانفس والافاق كما تجتليها اعين
المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على
الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم لما وفرتها باشياء ضرب حجاب
بينه وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع
في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال
في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا
قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى
واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى
بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله وذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم
وردت الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة
فيه وذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك
في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان
المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهايم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن
او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت
به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر

لكن

لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب
الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم
سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه
سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي
الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم لقوله تعالى
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب السادس ان ذلك في الاخرة وانما اخبر
عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها
الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما
يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم
كقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وللوفاق
على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص
فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة
جعل المانع لها من فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل
على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن
من اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير
مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد
يطلق مجازا على قوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الاية
العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق
ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من
التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار المجرور عند الاخفش
ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم
غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسها اليه والمعنى وختم على ابصارهم
بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة
بالكسر مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة ولهم عذاب
عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى
تقول اعذب عن الشئ ونكل عنه اذا امسك عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش

بضم الغين غشاوة والرفع في اخره غشاوة وبالفتح يعني بفتح الغين والنصب في اخره غشاوة

ويردعه ولذلك سمي نفاخا وفراثا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن
نكالا اى عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب
الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض
الصغير وكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه
اذا قيس لسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في
الاية ان على ابصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو غشاوة التعامي
عن ايات الله ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى ومن
النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ لما افتتح سبحانه كتابه العزيز بشرح
حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت
فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا
لفته راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله تعالى لانهم موهوا
الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم
وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان
المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة المصرين
والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في
لوقه وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا
يطلعن على الاناس الامنينا شاذ وهو اسم جمع كرجال اذ لم يثبت فعال في ابنية
الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او انس لانهم ظاهرون مبصرون
ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة
اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا
ومن موصولة يراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على
النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها
على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات
تختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص
الايمان بالله تعالى وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان
وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون
فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا
يهودا وكانوا يؤمنون بالله تعالى واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم

التشبيه

التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات
وغيرها ويرون المؤمنين انهم امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم
في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم
لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان
بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى
المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللراي والمذهب مجازا والمراد
باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
لانه اخر الاوقات المحدودة وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا
اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل
لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين
ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على
معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيد وابه لانه جوابه والاية تدل
على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه
بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية
في الثاني فلا تنهض حجة عليهم يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا والخدع ان
توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب
اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من
باب اخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق
والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله تعالى ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه
خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف
او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول
فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنعهم
مع الله تعالى مع اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم من اجراء احكام
المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا
لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم
مجاراة لهم مثل صنيعهم صورة صنع المخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون
لانه بيان ليقول او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة
فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة
معارض ومبار استصحب ذلك ويعضده قراءة من قرا يخدعون فكان غرضهم

يعني وما امنوا فانهم صرحوا بشان الفعل
وبينوا انه محقق صادر عنهم شريف

في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد **وما يخدعون الا انفسهم** قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو وما يخادعون والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ يخدعون من خدّع ويخدّعون بمعنى يختدعون ويُخدعون ويُخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط احتياجها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا يأمره ويشير اليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم **وما يشعرون** لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مأوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا** المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مأوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونه سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما يداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله تعالى لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد **ولهم عذاب اليم** اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة

قوله

قولهم جد جده **بما كانوا يكذبون** قراءة عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذّبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذّب الذي هو للمبالغة او للتكثير مثل بيّن الشيء وموّتت البهائم او من كذّب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به **واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض** عطف على يكذبون او على يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعدهم من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن لمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين **قالوا انما نحن مصلحون** جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح فان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد حصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا **الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي هي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون **واذا قيل لهم آمنوا** من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي

والهرج بسكون الراء وقوع الناس في فتنة واختلاط والمرج بفتح الراء الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب وانما يسكن مع الهرج للازدواج عصام

وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن الناس في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه فلذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي تقدمت بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر فاما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف اردّ هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق وسيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي وقال مرحبا يا ابن عم رسول الله وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء المصادفة

يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه ألقيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوا مع الكفار انما نحن مستهزؤن تأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وتهزأ به ناقته اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استأنف ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال

او يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ويمدهم في طغيانهم
يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض
اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملى لهم
ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره
قالوا لما منعهم الله تعالى الطاعة التي منحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم
وسد عليهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد
قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم في طغيانهم
اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم
لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد
الى الشيطان اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي او كان اصله يمد لهم
بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي ينتبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت
اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه والتقدير يمدهم
استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان
ولقيان تجاوز الحد في العتو العصيان والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء
عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية والعمه في البصيرة والعمى
في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال
اعمى الهدى بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان
وان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا
وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر
واخذه بايع ولذلك عدت الكلمات من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في
يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا
زعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيذرا كما اشترى
المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم
اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة
التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت
تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله
تمثيلا لخسارتهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش
له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على راس المال

ولذلك

ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها
بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا
مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح
وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل
الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالة بطل استعدادهم واختل عقلهم
ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين
ايسين عن الربح فاقدين الاصل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا
لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه
اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا
ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل
في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم
للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا بما فيه غرابة ولذلك
حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان
وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون ولله المثل الاعلى والمعنى
حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله
وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز
ذلك ولم يجز وضع القائم مقام القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل
الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم
تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد
والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك
جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا
بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم
اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين
او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله
وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا
نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله اي النار حول
المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان يكون مسندة الى ما والتانيث
لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة
نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام

حول لا تنيدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه
للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها
او استيناف اجيب به اعتراض سايل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال
مستوقد انطفات ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير
على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز
وامن الالتباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان
الاطفا حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك
عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال
ذهب السلطان بماله اذا اخذه وامسكه وما اخذه وامسكه فلا مرسل له و
لذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب
الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقا ما يسمى نورا والغرض
ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكد بقوله وتركهم
في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية
وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يترااى فيها شبحان وترك في الاصل
بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن بمعنى صير فجرى مجرى افعال القلوب
كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر وتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة
من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم
ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى
نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب
السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل
المطروح المتروك وكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدى
فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية
الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم
من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة
على الهدى المجبول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما امن ومن صح له احوال الارادة
فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق الله عليه من نور الارادة او مثل
لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة
المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره و
انطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها

اللحم الذي تاكله السباع يقال تركهم جزرا بالتحريك اذا قتلهم وصيرهم لحما للسباع

يعني التوضيح والتقرير يستفاد من تشبيه المعقول بالمحسوس وتصويره بصورة الامر المشاهد

صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم
ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم
كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عن
الشي الذي اريده واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل
لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام
على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف
له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثمة ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه
صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا
وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي و
في الحروب نعامة فتخا تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين
على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها
والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة
ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب
على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر
اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه
ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هوا يسمع الصوت
بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم
البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه
او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام
يتاخرون والى حيث ابتدوا منه كيف يرجعون والفا للدلالة على ان اتصافهم
بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء
عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم
واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير
شك جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا
فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله
او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما
سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب
فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ واسحم وان
صادق الرعد صيب وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر

شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق اخذ بآفاق السماء كلها فان
كل أفق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا و
سماء أمدّ به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل
المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق
اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة
الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به
وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها
بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب
والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا احدتها الريح
من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع فكلاهما
مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في آذانهم
الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن
معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص
عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى
والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع
مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة من
الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة
والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو
شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته
الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو
ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف فيقال صقع الديك
وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد
او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة
حذر الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض
عن شتم اللئيم تكرما والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله خلق
الموت ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط
بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع و
الحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم
استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد

من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما
لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك
جاءت منصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا
تنبيها على ان المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد
تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل
معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف
فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين
واتباع الياء لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم
قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق و
خفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما
نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك
اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول
وقول ابي تمام يصف نفسه هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه
امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل
ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم
حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى
قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف
الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب
عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب
كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على
انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء اللازم
وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه
والتنبيه على ان تأثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئته تعالى وان
وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته وقوله ان الله على كل شيء قدير
كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء
اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء
اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله

وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير الله خالق
كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد
وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم
التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء
وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة
الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشا لم يفعل
والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قل ما يوصف به غير البارى
واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على
مقدار ما يقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال
بقائه مقدور وان مقدور العبد مقدور الله لانه شيء وكل شيء مقدور
والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان يشبه كيفية منتزعة
من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها
كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود
في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل عليه من اسفار الحكمة
والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره
بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف
وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو
ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان
قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه
في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار
وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة
النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم او بافشاء
حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب
بنورهم وفي الثاني باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب
فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد
في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا من نكايات المؤمنين وما
يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق حذر
الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار و

اي ولا عتبار المبالغة والعموم في مفهوم القدير حيث فسر بانه الفعال لكل ما شاءه موافقا للوجه الذي شاء كونه عليه

تحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق
خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطا يسيرة
ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك بهم وقيل شبه الايمان والقران
وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب
الذي به حيوة الارض وما ارتبكت بها من شبه المبطلين واعترضت دونها
من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما
فيها من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من
يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو
معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه
او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم
وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم
عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى
جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها
الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة
التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد
فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل
الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها
وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى
به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو
اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة
الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة
الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف
فانهما كمثلين واعطى حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا
له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا
عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القران
لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله عباده من حيث انها امور
عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون
حقيق بان ينادى له بالاكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث
لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى

فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلتين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هو الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيم الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق

الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كروية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدي من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق او للتبيين

ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة كما فى قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله اندادا** متعلق باعبدوا على انه نهى معطوف عليه او نفى منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع فى قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها فى انها موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له اندادا او بالذى جعل ان استانف به على انه نهى وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى ان من حفكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغى ان لا يشرك به والند المثل المساوى قال جرير اتيما تجعلون الى ندا وما تيم لذى حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل فى الذات كما خص المساوى للمماثل فى القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه فى ذاته وصفاته ولا انها تخالفه فى افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل • اربا واحدا ام الف رب • ادين اذا تقسمت الامور • تركت اللات والعزى جميعا • كذلك يفعل الرجل البصير • **وانتم تعلمون** حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطرح اى وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأى فلو تأملتم ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوى وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم **واعلم** ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهى عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضى وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه تعالى خالقهم وخالق

الواو للحال

جواب لما

اسام

اسام

اى كون مفعول يعلمون منويا

بمعنى التشابه لا الحقيقى

عطف على قوله اعبدوا ... على قوله بلعل وهذا الاحتمال مشروط بان استانف بداى بقوله الذى جعل لكم الارض – س –

... قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الى قوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون

اصولهم

اصولهم وما يحتاجون اليه فى معاشهم من المطلة والمظلة والمطاعم والمشارب والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التى لا يقدر عليها غيره شهدت على وحدانيته رتب عليها النهى عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسبق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية البدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلية والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا **وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة** لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران المعجز بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطيق وافحام من طولب بمعارضته من مصاقع خطباء العرب مع كثرتهم وافراطهم فى المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة وكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القران المترجمة التى اقلها ثلث ايات وهى ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التى هى الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة فى المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب فى الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤر التى هى البقية والقطعة من الشىء والحكمة فى تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارى وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القران

مفعول

متعلق بمحذوف مجرور على انه صفة لريب ومن للتبعيض او لابتداء الغاية وما موصولة او نكرة موصوفة والعائد محذوف على التقدير اى نزلناه وهو القران – ق –

بقوله فلا تجعلوا لله اندادا

جمع مصقع

اى رفعا لذكر العبد وتعظيما لشانه فقال تعالى ناه النبى تنويه اى تنفيع وتوجيه نوها اذا رفعته ونوهت باسمه اذا رفعت بذكره والتعريف بالاضافة قد يكون لتعظيم شان المضاف كما فى قولك عبد للخليفة عندى وقد يكون لتعظيم شان المضاف اليه كما فى قولك عبدى حضر وقد يكون لتعظيم غيرهما كما فى قوله عند السلطان عبدى

متفرقة

جامعة

انفرادها

عطف على محيطة

اى الواو فى السورة

كما فى منقولة من سور البلد

خطأً تاماً وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم حسن ذلك عنده
وابتهج به الى غيرها من الفوائد من مثله صفة سورة اى بسورة كائنة
من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اى
بسورة مماثلة للقران فى البلاغة وحسن النظم او ومن للابتداء اى
بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم
العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله
فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدى ولان الكلام فيه لا فى المنزل عليه
فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان
يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ فى التحدى من ان يقال لهم ليأت
بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز فى نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولان
رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه
قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل
من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة
او الناصر او الامام لانه يحضر النوادى ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب
للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول فى سبيل الله شهيد
لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان
من الشئ ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا
اى خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اى
فى الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه واستعمل فى كل تجاوز حد
الى حد وتخطى امر الى آخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين اى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين
وقال امية يا نفس ما لك من دون الله من واق اى اذا تجاوزت وقاية
الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة
من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر
على ان يأتى بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان
ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن
اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او آلهة
وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدى الله

على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهى دونه ليعينوكم وفى امرهم
ان يستظهروا بالجماد فى معارضة القران غاية التبكيت والتهكم وقيل من دون
الله اى من دون اوليائه يعنى فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان
ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد لصحة ما اتضح فساده وبان
اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل
عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن
دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين فى قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا
مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه
وهم ما كانوا عالمين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى
وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء به
وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم فى
معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق
به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل
الذى يعم الاتيان به وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا
للمكنى عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية
بان التى للشك والحال يقتضى اذا التى للوجوب فان القائل سبحانه وتعالى
لم يكن شاكا فى عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء كالداخل
على المجموع تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التأمل لم يكن
محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة
بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على
المجموع وكأنه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا فى نفى
المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل فى احدى الروايتين
وفى الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود
بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه
وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمى
به كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم
وان اريد المصدر فعلى حذف المضاف اى وقودها احتراق الناس والحجارة
جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التى نحتوها وقرنوا
بها انفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والانتفاع بها والاستدفاع المضار

بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا
بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون
زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونهما ويغترون بهما
وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل
حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل
شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت يتقد به كل نار
وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك
النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزل
بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح
تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت
للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد
بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا من الضمير الذي
في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين ما يدل
على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع
في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض
اقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم
على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المهج
والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء
لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر
والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة
مخافة أن يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة
معدة لهم الان وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات
عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من امن بالقرآن ووصف ثوابه
على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية في ان يشفع
الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي
لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف
عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه و
اذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن امن به استحق الثواب وذلك
يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما أمر الرسول او عالم كل عصر او كل

احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما
لشأنهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنئوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على بناء المفعول
عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور
في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده
من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني
عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي
تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من ال
لام بظهر الغيب تأتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على
تأويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما
اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين
الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل
الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه
دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه
ولا ما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور
باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره
ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجرة المظللة لالتفاف اغصانها للمبالغة
كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني في غربي مقتلة من النواضح
تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة
المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سمي بذلك لانه ستر في الدنيا
ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس
وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون
وفي كل واحدة منها مراتب درجات متفاوتة على تفاوت الاعمال والعمال
واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح
لا لذاته فانه لا يكاد النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما
يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر
عليه حتى يموت وهو مؤمن من قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن

علك واشبه ذلك ولعله سبحانه وتعالى وتقدس انه لم يقيد ههنا استغنا
بها تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت
الاشجار النابتة على شواطيها وعن مسروق ان انهار الجنة تجري من غير اخدود
واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد
والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بالفتح
والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب
للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري
اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة
رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف
او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل
ثمار الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول
به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وتقدير الكلام ومعناه
كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ
من الجنات وابتداؤه منها بابتداءه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب
الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا لما تقدم
كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك
مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة
منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه
فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك
ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس
ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطبائع مائلة الى المألوف
متنفرة عن غيره وتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد
ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما
حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها
مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف
او كما روي انه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل
الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها
مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته
على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم

الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه
البليغ في الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول
راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من
قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني
والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو
مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا
الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار
والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للاية محملا اخر وهو ان مستلذات
اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة
بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابهها
تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى
ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر
من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان
التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان
فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل واذا العذارى
بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد
على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة
ومطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال
للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة
المطعوم هو التغذي ودفع ضر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع
وهو مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك
نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل
الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها
وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في
الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد
وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام
كان التقييد بالتابيد في قوله تعالى خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام
كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع
للاعم منه واستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور ولما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة بالكيفية معرضة للاستحالة المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاربة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم

وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله تعالى يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنيهما الموضوع لهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع الشيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية يزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيدة اللغو الضائع فان القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيره فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب الله المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وما ديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي من ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا في الاحتمالين ما روي ان رجلا

بمسى خرّ على طنب فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه
يحتمل ما يجاوز الشوك فى الالم كالخرور وما زاد عليها فى القلة كنخبة النملة لقوله
عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة
فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف يفصل ما اجمل
ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وقال سيبويه
اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب اى هو ذاهب لا محالة
وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها
حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفى تصدير الجملتين به
احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير فى انه
للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذى لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة
والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق
محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا
فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا
على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد
الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان تكون ما استفهامية وذا بمعنى الذى
وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اى شئ
منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن فى جوابه الرفع على الاول
والنصب على الثانى ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى
الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التى هى مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثانى قبله
وكلا المعنيين غير متصور اتصاف البارى تعالى به ولذلك اختلف فى معنى ارادته
فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن
المعاصى بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه
يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الاخر وتخصيصه
بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهى اعم من الاختيار فانه ميل
مع تفضيل وفى هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال
كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا
جواب ماذا اى اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار
بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه

حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده ضلال
وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلتين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم
فان المهتدين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادى
الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهتدين
باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا وكثير اذا شدوا وقال
ان الكرام كثير فى البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل
به الا الفاسقين اى الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين
هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق
الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق فى الشرع
الخارج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابى
وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها
غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف
هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام
هو فى درجة التغابى او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه
بالتصديق الذى هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل
والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتى المؤمن والكافر
لمشاركته كل واحد منهما فى بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على
صفة الفسق يدل على انه الذى اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال به
وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم
عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت به ضلالتهم
فانكروه واستهزؤا به وقرى يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع
الذين ينقضون عهد الله صفة الفاسقين للذم وتقرير للفسق والنقض فسخ التركيب واصله فى طاقات الحبل واستعماله فى ابطال العهد
من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالاخر
فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا
الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل فى ثبات الوصلة بين المتعاهدين
كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على
انه اسد فى شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووصفه لما من شانه

ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع
بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل
وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده و وجوب وجوده وصدق
رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على
الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم
يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع
ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين
ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد
ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاستحكام
والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام
والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض
بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة
لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة
بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر
ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله تعالى وبين العبد المقصودة
بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو
وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول
به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال
شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه
بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض
بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه
اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص
ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها
والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد
بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه
انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان
صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد
عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون

انكار حال الكفر

وادفق

وادفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء
المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع
علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون
وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا
ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما
عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم
يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او
للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او
تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه
فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم
اليه ترجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة
علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى
لما قدر ان احياهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان بداء الخلق ليس باهون
عليه من اعادته او مع القبيلتين فانه سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد
والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم
النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع
تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد
الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي
الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة
مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع
حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما
لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد
الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم
بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية
ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا
مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل
كالعقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على
ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله

يحيي الارض بعد موتها وقال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس واذا وصف به البارى تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم
والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاول استعارة
وقرئ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القران هو الذي خلق لكم ما
في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مترتبة على الاولى فانها خلقهم احياء
قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم
ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط
او بغير وسط وامر دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات
الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض
من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع
اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان
كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة
السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني ثم استوى
الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده
قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه
على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص
الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها
والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات
العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض
لقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر
قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على
خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان يستأنف بدحاها مقدرا لنصب
الارض فعلا اخر دل عليه أأنتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر
امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسواهن عدلهن وخلقهن
مصونة عن العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام
لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا
سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا
تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزائد مع

انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه
تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط
الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب
الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور
الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت
وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف يجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية
بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره
قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات وقد
برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة
واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب
الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات
يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على
جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو
اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه تعالى خلق
ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم
وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت
حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد
واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة
ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق ادم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان
امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية
وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك
وجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا
للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير
المتصرفة لما ذكرنا واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى
تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله
في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القران
كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى
هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد و
الملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مألك

من الملائكة وهي الرسالة لانهم وسايط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كا
الرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة
بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال
مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى
هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة
مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق
في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر
من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية
على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم
المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه
تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة
فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض
خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون
بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به
آدم عليه السلام لانه كان خليفة في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة
الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى
الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط
ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى
ان الانبياء عليهم السلام لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل الله اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه
بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا صلوات الله عليه ليلة
المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما
من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من
هذا ويعطي ذلك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون
من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن
ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تأويل من يخلف
او خلفا يخلف وفائدة قوله تعالى هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان

المجعول

عطف على الخبر

المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار
فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد
ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف
لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل
المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها
واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره و
ليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان
يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره
يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او تلق من اللوح او استنباط
عما في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك
والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع
والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب من فم القربة
ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى
من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك
اتحسن الى اعدائك وانا الصديق القديم والمعنى استخلف عصاة ونحن
معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو
متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم
علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية
تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة
ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك
القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة
العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا
عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة
على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب
يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف
واليه اشار اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله

عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا
ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار
بحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا
لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك
نطهر نفوسنا من الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك
عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة
بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم ادم
الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر
الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا
ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وادم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه
من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه
السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها ادم
فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم او من الادمة بمعنى الالفة تعسف
كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس
والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن
من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى
سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا
في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد
في الاية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من
حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه خلقه من اجزاء مختلفة
وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات و
المحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء
وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها
ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا
اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه و
عوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال
عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به
الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره
لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض

مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه
على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة
والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف
ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى
كل واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم
او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به
لكنه لازم مقالتهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق
اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان
سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل
الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل
عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران
ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما
للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام
به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح
التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه
السلام سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي
لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة
بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان
لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك
جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان
قال يا ادم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذ
فها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم
غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة
عليه فانه تعالى وتقدس لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما
ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم
على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يتبين لهم وقيل ما تبدون
قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون استبطانهم انهم احقاء

بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس
من المعصية والهمزة للانكار دخلت على حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير
ان هذه الايات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه
شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح
اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء
تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا
له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان ذلك الوضع ممن
كان قبل ادم فيكون من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم
والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل
الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا
الا له مقام معلوم وان ادم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل
لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وان الله تعالى يعلم
الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم لما انباهم
باسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا
عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف
الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه
على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة
عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه
سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طاطا ر
اسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي
فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه
او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات
كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني
وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى
ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا
فيه من عظيم قدرته وباهر اياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه
كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران
والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي

وهو التواضع لادم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد
بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين
بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم كما سبق فسجدوا الا ابليس
ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه
او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء
امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب
ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى او صار منهم
باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل منه والافضل
لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير
منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام
كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والاية تدل ان ادم افضل من الملائكة
المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله
امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان
من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس
روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه
لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة وكان مغمورا
بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن كانوا ايضا مامورين مع الملائكة لكنه
استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل
لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في سجدوا
راجع الى القبيلتين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس
وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس
معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف
الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة و
الفسقة من الانس والجن يشملهما فكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن
عباس فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله
الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة
خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة انه عليه السلام قال خلقت
الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار فانه كالتمثيل لما ذكرت فان
المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان

محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا اصارت مهذبة
مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال
تتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب و
اوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الاية استقباح
الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك
الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على
الكفر فهو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا
وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري رحمه الله وقلنا يا ادم
اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار
ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما
اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب
لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان
كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لادم
وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا
وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث
شئتما اى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة و
العذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغة تعليق
النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه
ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية و
ميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي
حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة
ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم
فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة
هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين
من غير قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ
بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان
عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه

في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة
فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان زل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله
قوله تعالى هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن
الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريقة
الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك
رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع
ان يدخل للوسوسة ابتلاء لادم وحوا وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت
به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله فاخرجهما مما كانا
فيه اي من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لادم وحوا لقوله تعالى
اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما
وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة
او من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير
والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض
مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين
يريد به وقت الموت او القيامة فتلقى ادم من ربه كلمات استقبلها
بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات
على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك
وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت
وعن ابن عباس رضي قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم
تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى
قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم
وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة
فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي
الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على
ان لا يعود اليه واكتفى بذكر ادم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي
ذكر النساء في اكثر القران والسنن انه هو التواب اي الرجاع على عباده

بالمغفرة أو الذي يكثر إعانتهم على التوبة وأصل التوبة الرجوع فإذا وصف
بها العبد كان رجوعا عن المعصية وإذا وصف به الباري تعالى أريد بها الرجوع
عن العقوبة إلى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين
وعد للتائب بالإحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتأكيد
أو لاختلاف المقصود فإن الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية يتعادون
فيها ولا يخلدون والثاني أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى
نجا ومن ضله هلك والتنبيه على أن مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين الأمرين
وحدها كافية للحازم أن يعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما
ولكنه نسي ولم نجد له عزما وأن كل واحد منهما كفى به نكالا لمن أراد أن يذكر
وقيل الأول من الجنة إلى سماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض وهو كما ترى وجميعا
حال في اللفظ تأكيد في المعنى كأنه قيل اهبطوا أنتم أجمعون ولذلك لا يستدعي
اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا فإما يأتينكم مني
هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني
مع جوابه جواب الشرط الأول وما مزيدة أكدت به إن ولذلك حسن تأكيد
الفعل بالنون وإن لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى إن يأتينكم مني هدى بإنزال
وإرسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وإنما جيء بحرف الشك وإتيان الهدى كائن
لا محالة لأنه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لأنه أراد بالثاني
أعم من الأول وهو ما أتى به الرسل واقتضاه العقل أي فمن تبع ما أتاه مراعيا
فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من أن يحل بهم مكروه ولا هم
يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى
عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه وقرئ هدي على لغة
هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع إلى آخره قسيم له كأنه قال ومن لم يتبع
بل كفروا بالله وكذبوا بآياته أو كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون
الفعلان متوجهين إلى الجار والمجرور والآية في الأصل العلامة الظاهرة ويقال
للمصنوعات من حيث إنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة
من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من أي لأنها تبين أيا من أي
أو من أوى إليه وأصلها أية أو أوية كتمرة فأبدلت عينها ألفا على غير قياس أو أيية
أو أوية كرمكة فأعلت أو آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات

مع سكونها الفاسد كانت بالإدغام على غير القياس

نخع العين نزاها، قراش أتنى، بالفتح بين همزتين، بالهمزة من القول

المنزلة أو ما يعمها والمعقولة تنبيه وقد تمسك الحشوية بهذه القصة على عدم
عصمة الأنبياء عليهم السلام من وجوه الأول أن آدم عليه السلام كان نبيا وارتكب
المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني أنه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون
لقوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين والثالث أنه تعالى أسند إليه العصيان والغي
وقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع أنه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب
والندم عليه والخامس اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله تعالى إياه بقوله وإن
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس
أنه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الأول أنه لم يكن نبيا حينئذ
والمدعي مطالب بالبيان والثاني أن النهي للتنزيه وإنما سمي ظالما وخاسرا لأنه
ظلم نفسه وخسر حظه بترك الأولى له فأما إسناد الغي والعصيان إليه فسيأتي
الجواب عنه في موضعه إن شاء الله تعالى وإنما أمر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى
عليه ما جرى معاتبة له على ترك الأولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث
أنه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ
عن أسباب النسيان ولعله وإن حط عن الأمة لم يحط عن الأنبياء لعظم
قدرهم كما قال عليه السلام أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل
أو أدى فعله إلى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة
كتناول السم على الجهل بشأنه لا يقال إنه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما و
قاسمهما الآيتان لأنه ليس فيهما ما يدل على أن تناوله حين ما قاله إبليس
فلعل مقاله أورث فيه ميلا طبيعيا ثم إنه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله
تعالى إلى أن نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع أنه عليه السلام
أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه فإنه ظن أن النهي للتنزيه أو الإشارة
على عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الإشارة إلى
النوع كما روي أنه عليه السلام أخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان
على ذكور أمتي حل لإناثها وإنما جرى عليه ما جرى تعظيما لشأن الخطيئة
ليجتنبها أولاده وفيها دلالة على أن الجنة مخلوقة وأنها في جهة عالية وأن
التوبة مقبولة وأن متبع الهدى مأمون العاقبة وأن عذاب النار دائم
والكافر فيه مخلد وأن غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون
واعلم أنه تعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد
النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فإنها من حيث إنها حوادث محكمة تدل على محدث

أجاب عن الوجه الرابع بقوله وإنما أمر إلخ

منهي عنه

بدليل قوله تعالى فتاب عليه

والغي ضد الرشد فيكون بمعنى الضلال والبعد والعدول عن الصراط المستقيم

عا
الظاهر أنه معطوف على خبر لعل من حيث المعنى كأنه قيل ولعل ماجرى عليه من المعاتبة وانتزاع اللباس والإهباط من الجنة إلى دار الكد والعناء بطريق المؤاخذة وقيل قوله أو أدى معطوف على قوله عوتب

حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت
في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يدارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز
يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله واحواله
وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء
خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده
في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من امن بمحمد عليه السلام وما انزل عليه
فقال يا بني اسرائيل اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك
ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب
عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرايل
بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائين بقلب اللام نونا اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان
الانسان غيور وحسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله
الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة
على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم على ابائهم من الانجاء من فرعون والغرق
ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عليه السلام وقرئ اذكروا
والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب
من لا يحرك الياء المكسورة ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعات
اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد
ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان
والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم
وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة
ومن الله تعالى حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد
بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما
روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض
وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق
المستقيم اوف بالكرامة والنعيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما
مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعات
اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في سورة المائدة قوله

تعالى واخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف
بالتشديد للمبالغة واياي فارهبون فيما تاتون وتذرون وخصوصا
في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم
من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل
ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة
للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي
ان لا يخاف احدا الا الله تعالى وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد
للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد
المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت
فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة
والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات
الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحد منها
حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم
في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما
وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك
عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان تكونوا اول من
امن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين
بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل
لا يكون كل واحد منكم اول كافر به كقوله كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن
التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة
على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر
من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه
او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل
فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أوّل من آل فقلبت همزته واوا وادغمت
ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع
لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت
عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم
وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها
عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه واياي فاتقون

بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على
ما هو كالمبادى لما فى الاية الثانية فصلت بالرهبة التى هى مقدمة التقوى
ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التى هى مبدأ السلوك
والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذى هو منتهاه و
لا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه
جعل الشئ مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعون
وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل
الذى يكتبونه فى خلله او تذكرونه فى تاويله وتكتمون الحق جزم داخل
تحت حكم النهى كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال
بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان
الواو للجمع اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه فى مصحف ابن
مسعود وتكتمون اى وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح
اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون
كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
يعنى صلوة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع
الاسلام بعدما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها
والزكوة من زكى الزرع اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر
فى النفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث
والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اى فى جماعاتهم فان صلوة
الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس
وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع و
الانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدى لا تذل الضعيف
علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر تقرير
مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول
كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة الاقارب
وبر فى معاملة الاجانب وتنسون انفسكم تتركونها من البر كالمنسيات
وعن ابن عباس انها نزلت فى احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه
باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعون كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون
وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اى تتلون التورية

وفيها

وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون
قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته
والعقل فى الاصل الحبس سمى به ادراك الانسان لانه يحبسه عما يقبح ويعقله
على ما يحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على
من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل
الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى من العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته
والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم
فيقيم به لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما
لا يوجب الاخلال بالاخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل
بما قبله كانهم لما امروا بما يشق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض
عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج
توكلا على الله او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة
وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها لانها جامعة لانواع
العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما
والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية
بالقلب والمجاهدة للشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين
وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب روى
وانها اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم
شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة
لثقيلة شاقة لقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على
الخاشعين اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة
والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون
لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده
انه فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق
عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن
انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم يثقل عليهم ثقلها على غيرهم
فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها
ويستلذ بسبب متاعبها ومن ثمة قال عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلوة

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتأكيد وتذكير التفضيل
الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها
واخل بحقوقها وانى فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اى عالمي
زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا فى زمن موسى وبعده قبل ان
يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين
واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اى
ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزى نفس عن نفس شيئا لا تقضى عنها
شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ
من اجزأ عنه اذا اغنى عنه وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا
مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها
محذوف تقديره لا تجزى فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه
فحذف عنه الجار واجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او مال اصابوا
ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس الثانية العاصية
او من الاولى وكأنه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل
فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره
والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزى عنه او بغيره
وهو ان يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله
الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية
سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون من
عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق
النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد او الاناسى والنصرة اخص من
المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي
الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث
الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت
اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من ال فرعون تفصيل
لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف
جبرئيل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره
اهيل وخص بالاضافة الى اولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب
لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه

فتو

تفرعن الرجل اذا عتى وكان اسم فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل اسمه
وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من
اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل
السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة
الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة
حال من الضمير في نجيناكم او من ال فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد
منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك
لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى
في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر
الله تعالى شيئا وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلك الى صنيعهم ونعمة
ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده
تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به
الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه
لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد
من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره
ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه
وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا
بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك
كانت اثنى عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا ال فرعون اراد به
فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روى
ان الحسن كان يقول اللهم صل على ال محمد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر
اتباعه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق
البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا
روى انه عليه امر موسى عليه السلام ان يسرى ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم
فرعون وجنوده فصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب
بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنى عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا
يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيه كوى فتراءوا وتسامعوا
حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وراه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده
فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به

على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق
موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع
عن امة محمد صلى الله عليه وسلم ان ما تواتر من معجزاته امور عظيمة مثل القران
(متعلق بمعزل)
والتحدي به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر
(مبتدأ هذه الواقعة)
تقريره واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك
فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة
وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع
(اي عن المدة المضروبة)
وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعد
موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من
بعده من بعد موسى او مضيه وانتم ظالمون باشراككم
ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من
(بعد عبادة العجل)
بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه و
اذ اتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه
كتابا وحجة يفرق وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين الحق والباطل
في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحرام والحلال
او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به
يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في
الايات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم
(الذين عبدوا العجل)
العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا
من التفاوت ومميزا بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل
(اي بعض اجزاء كل واحد منكم عن البعض الاخر)
التركيب لخلوص الشيء عن غيره واما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض
(خلاص)
من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او
فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات
كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان
يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي
(اي جزءه يعني ولده)
ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لامر الله فارسل
الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة

(عطف على قوله فاعزموا)

(كان موسى عليه السلام لما قال لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم قالوا فاي شيء نصنع قال فتوبوا قالوا كيف نتوب قال فاقتلوا انفسكم)

الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة فكانت القتلى
سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند
بارئكم من حيث انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية
فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى لهم تقديره
ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف محذوف ان جعلته خطابا
من الله لهم على طريق الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم
وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة
حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان
من لم يعرف حق منعمه حقيق بان تسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك
التركيب انه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها
من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر
قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع
من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر
كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين
اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة الاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي
اعطاك التوراة وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد
والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته
رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان
يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمن في الاخرة ولافراد من الانبياء
في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل
جنود سمعوا حسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم
تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب
الصاعقة وقيل البعث لانه قد يكون من اغماء او نوم لقوله تعالى ثم بعثناهم
(عطف على نعمة البعث)
لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة
وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه
وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل
عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل
بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا

من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم فيها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم قرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطائي كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسئ وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه تعالى يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار بطلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره للمبالغة في تقبيح امرهم والاشعار بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلث اعين تسيل كل عين في جدول الى

سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او حجرا اهبطه ادم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه لموسى مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبرئيل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه اذا نزل بعصاه فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس وقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة كلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من اس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضربت فانفجرت كما مر في قوله تعالى فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريدون ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت منه ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة

مما تنبت الارض الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن
للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير
وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض
من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه
فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ وقثائها بالضم وهو لغة فيه قال اي الله
او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا
واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في
الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد وقرئ ادنا من الدناءة
بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم
الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال
هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم و
المصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما
صرفه لسكون وسطه او على تأويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف
ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب فان لكم ما سألتم وضربت
عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة لمن ضربت
عليهم او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران
النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف
مخافة ان تضاعف جزيتهم وباؤوا بغضب من الله رجعوا به او
صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل
به واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة
والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها
ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار
العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقران واية الرجم والتي
فيها نعت محمد عليه السلام من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا
وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون
به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما
اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم
العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين

فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات
اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما
لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم
حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت
الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر او تقدم للاختصار
ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرة فيها خطوط من سواد وبلق كانه
في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها
وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين امنوا
بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد عليه السلام المخلصين منهم والمنافقين
وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا
يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب
سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر
اولاد يعقوب والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني
للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في
قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين
قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل
هم عبدة الكواكب وقيل عبدة الملائكة وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا
خرج وقرأ نافع بالياء وحده اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال
لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا
بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن من هؤلاء الكفرة ايمانا
خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي
وعدلهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف
الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن
مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم والفاء
لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من جهة
انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل
بالتورية ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى

لما جاءهم بالتوراة وراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها
فامر جبرائيل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول
ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه
ولا تنسوه وتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون
لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة
ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم
توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل
الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عليه السلام يدعوكم الى الحق
ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي
او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع
غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع
بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد
الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين
اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت
اليهود اذا عظمت يوم السبت فاصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة
فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك
انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت
لم يبق في البحر حوت الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت
فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت
فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين
صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت
صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار
يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة
التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر
الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا
عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها
لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت
قصتهم في الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما
تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم

في محل النصب على انه حال من الضمير في اعتدوا اي كائنين منكم ومن للتبعيض

عبر عنهم بكلمة ما ومقتضى الظاهر ان يقال لمن بين يديها ومن خلفها تحقيرا لهم في مقام العظمة والكبرياء

وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال
موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله
تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله
بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال و
ترك المسارعة وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم
الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا
هزوا مكان هزء او اهله او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء
استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون
وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون
من الجاهلين لان الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به
على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه
اي حق الكلام ان يقال اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس
غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى
ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض
ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو
القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة
عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي بين ما
ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى
متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان
المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم
ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة
بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت
بالنص والحق جوازهما ويؤيد الراي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه
السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله
عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما
تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قولك امرتك الخير فافعل
ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع

الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه

قوله وعود هذه الكنايات الواقعة في السؤالات نحو ما هي وما لونها

الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفى
اسناده الى اللون وهى صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل
صفر اشديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد
وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلى منه وتلك ركابى
هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته
او لان سواد الابل يعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى
لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اى تعجبهم والسرور اصله لذة
فى القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هى تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله
ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اى ان البقر الموصوف بالتعوين
والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر
والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها فى الشين على التذكير و
التانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير
ومتشابه ومتشابهة ومشبه ومتشبهة وانا ان شاء الله لمهتدون
الى المراد ذبحها او الى القاتل وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر
الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد
ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية
على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث اى لم تذلل للكراب
وسقى الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة
لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية
وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان
اى حيث هو وتسقى من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها
من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا اخلص له لا شية فيها لا لون
فيها يخالف لون جلدها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية
اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الان جئت بالحق اى بحقيقة وصف
البقرة وحققتها لنا وقرئ الان بالمد على الاستفهام والان بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير
فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم

يصح اللام على ان يكون لا لنفى الجنس والخبر محذوف
اى لا ذلول ثمة

وكثرة

وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روى ان
شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعتكها
لابنى حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه
حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد من
افعال المقاربة فوضع لدنو الخبر حصولا واذا دخل عليه النفى قيل معناه الاثبات
مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافى قوله وما كادوا
يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما كادوا ان يفعلوا
حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجا الى الفعل
واذ قتلتم نفسا خطاب للجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها
اختصمتم فى شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح
كل قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت
لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج
لانها حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية
فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس
والتذكير على تاويل الشخص او القتيل ببعضها اى بعض كان وقيل باصغريها
وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيى
الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيى والخطاب مع من حضر حيوة
القتيل او نزول الاية ويريكم اياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون
لكى يكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها
او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه
من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة
على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالى
بثمنه كما روى عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر فى الحقيقة هو
الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه
الساعى فى اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التى هى القوة
الشهوية حين زال عنها شرة الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة
المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من قبائحها بحيث يصل
اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين
العقل والوهم من التدارئ والتنازع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة

العجب بالفتح اصل الذنب وهو اساس البدن

عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوة عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في القسوة او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وينفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما امر الله به وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امر الله والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرئ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالياء افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان اخبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق وان رسولكم هو المبشر به بالتورية واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا

قوله وقرأ ان اي المواضع الثلثة وهي قوله وان من الحجارة وان منها لما يشقق وان منها لما يهبط فعلى هذا يكون اللام فارقة بين ان المخففة من الثقيلة وبين ان النافيه

حب

العامل في تطمعون نصب نعت محذوف تقديره اتطمعون ان قلوبهم كالحجارة او اشد قسوة فانهم ... ان يؤمنوا لكم

للتصلب في اليهودية ومنعا لهم من ابداء ما وجد وافي كتابهم فينافقون المؤمنين والاستفهام على الاول توبيخ وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين واللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتاب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من مني اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيدي ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به غرضا من اغراض الدنيا فانه وان جل قليل

اشارة الى ان ... ان الكافرون

بالنسبة الى ما استوجبوه من العذاب الدائم فويل لهم مما كسبت
ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد الرشى
وقالوا لن تمسنا النار المس ايصال الشيء بالبشرة بحيث تتاثر
الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا
اياما معدودة محصورة قليلة روى ان بعضهم قالوا نعذب
بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة
الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند
الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرئ ابن كثير وحفص باظهار
الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط
مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف عهده وفيه دليل على
ان الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام
معادلة للهمزة الاستفهام وبمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير
للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتوبيخ
بلى اثبات لما نفوه من مس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على
وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي من
كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد يقال فيما
يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب
استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب
اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة احواله
حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شأن
الكافر لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط
الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب
ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب
ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير
بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها
مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال ثم كان عاقبة الذين
اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيئته
وخطيّاته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار
ملازموها في الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها

واحاطت به خطيئته اي سدت عليه مسالك النجاة وهو ان يموت على الشرك فاولئك الذين يخلدون ومن شرط وكسب في موضع الجزم واحاطت عطف عليه وجواب الشرط الفا في اولئك وجد الفا على في كسبت وخطيئته لقوله الضمير الى لفظ من وجمع اولئك لعوده الى معناه
محشي

خالدون

خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود
صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على
ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على
الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون
الا الله اخبار في معنى النهي كقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو
ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه
ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل
تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار
وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع
وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون
بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون
او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين
ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون
كأن الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه حسنا
للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا
بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه
تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يريد بهما ما فرض
عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع
الموجودين منهم في عهد الرسول او من قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق
ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل
النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء
والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم
على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضكم بعضا بالقتل والاجلاء
من الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا
ولانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم
من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في

في الحقيقة ولا تسفكون فوايا يمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه جلاؤه الحقيقي
ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون تاكيد كقولك
اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على
اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد
لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره
على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذي
فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند
اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكي عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة
او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة
صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تُقَتِّلون على التكثير تظاهرون عليهم
بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر
التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين
وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى
تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج
فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء
اهلها واذا اسر واحد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه
ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالوعظ
والارشاد مع تضييعكم انفسكم كقوله اَتَأمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ
اَنْفُسَكُمْ وقرئ حمزة اَسْرى جمع اسير كجرحى وجريح واسارى جمعه كسكرى
وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم
اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما
اعتراض والضمير للشان او مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه
تخرجون يعني الفداء من المصدر واخراجهم تاكيدا او بيان افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما
جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة
وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيي
منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب

قال في الكشف انتم مبتدأ وهؤلاء نداء اي يا هؤلاء وهؤلاء
بمعنى اللذين وتقتلون انفسكم صلة هؤلاء وهؤلاء مع صلته
في موضع خبر انتم

لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله
سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون
على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون بالياء على ان
الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اثروا الحيوة
الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا و
التعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعها عنهم ولقد اتينا
موسى الكتاب اي التوراة وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا
على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه
به اذا اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب واتينا عيسى ابن مريم البينات
المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات
او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من
النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل
اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ ايدناه بروح القدس
بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبرائيل وقيل
روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله
ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم يضمه الاصلاب والارحام الطوامث
او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرئ ابن كثير القدس
بالاسكان في جميع القران افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم
بما لا تحبه يقال هَوِيَ بالكسر هَوًى اذا احب وهَوَى بالفتح هُوِيًّا بالضم
سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك
بهذا او تعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر
استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى
والفاء للسببية او التفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر
بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان
الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حولَ قتل
محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا
غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا يفقهه مستعار
من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غُلُف جمع غلاف فخفف بمعنى انها اوعية
العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره

بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن
من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها المرتاب قبول
ما تقولونه الحلل فيه بل لان الله تعالى خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم
او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا
ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما زائدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم
ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله
يعنى القران مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب
لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يستنصرون على المشركين
ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المنعوت فى التوراة او يفتحون عليهم
ويعرفون ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار
بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا
به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اى عليهم
واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا بكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان
تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئس ما
اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شئ مميزة لفاعل بئس المستكن
واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا
انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص
بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا
للفضل ان ينزل الله لان ينزل او حسدوه على ان ينزل الله وقرئ
ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف من فضله يعنى الوحى على من يشاء
(اى شيئا من فضله ومن زائدة عند الاخفش)
من عباده على من اختاره للرسالة فباؤا بغضب على غضب
للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد
قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف
عذاب العاصى فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعم
الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اى بالتوراة و
يكفرون بما وراءه حال من الضمير فى قالوا ووراء فى الاصل مصدر
جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى
المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو

قوله للفضل يعنى ان المخصوص بالذم وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله لكن لا خفاء فى انه اجنبى بالنسبة الى فعل الذى وصفه به تمييز الفاعل والقول بان المعنى على ذم ما باعوا به انفسهم وهو الكفر حسدا اعجم سعد الدين

الحق الضمير لما وراءه والمراد به القران مصدقا لما معهم حال مؤكدة
تتضمن رد مقالتهم فانهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها قل فلم
تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل
الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه
فعل ابائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع وحده انبياء الله بالهمز
فى كل القران ولقد جاءكم موسى بالبينات يعنى الايات التسع المذكورة
فى قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ثم اتخذتم العجل اى
الها من بعده بعد مجئ موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال
بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بايات الله او اعتراض بمعنى
وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل
علينا او التنبيه على طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى لا لتكرير
القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اى قلنا لهم خذوا ما امرتم به فى
التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا
امرك واشربوا فى قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته
لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفى
قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون فى بطونهم نارا بكفرهم
بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب
منه فتمكن فى قلوبهم ما سول لهم السامرى قل بئسما يامركم به ايمانكم
اى بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره
من قبائحهم المعدودة فى الايات الثلث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين
تقرير للقدح فى دعواهم الايمان بالتوراة وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما
امركم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئس
ما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغى ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن
الايمان بها لا يامركم به فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة
عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
ونصبها على الحال من الدار من دون الناس من سائرهم او المسلمين
واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من
اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال على كرم

لانها لا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه بالتمنى

الله وجهه لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين
الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جا حبيب على فاقة
لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن
يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقران وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان
الة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة و
القدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا
لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب بل هو ان يقول ليت كذا وان كان
بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص
كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي والله
عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس
لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بمعقله
الجاري مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها
وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى
فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة
فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع
فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم
بانهم صايرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة
الاول عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه اريد
بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم
وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف
سنة حكاية لودادهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة
لقوله تعالى يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب
ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه
من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر يوضحه
واصل سنة سنوة كقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة كقولهم سانهته
وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير
بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن
صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبرئيل

قال في الكشف اختلف الناس في الوقف في هذه الاية فوقف
قوم على قوله حيوة ثم ابتداء من الذين اشركوا تقديره ومن الذين
اشركوا قوم يود احدهم فحذف قوم وهو مبتدا ويود احدهم
صفة له ومن الذين اشركوا خبر متقدم ووقف على قوله اشركوا
والتقدير ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا
فان قيل المشركون دخلوا تحت الناس قلنا تخصيصهم بالذكر
لشدة عنادهم على طريقة ذكر جبرئيل وميكائيل بعد ذكر الملائكة

عليه

عليه السلام فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت
المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبرئيل وقال
ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر
رضي الله عنه مدراس اليهود يوما فسالهم عن جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع
محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب
والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره
وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من
الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو لله ثم رجع فوجد جبرئيل عليه السلام قد
سبقه بالوحي فقال صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبرئيل
ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراة حمزة والكسائي
وجبريل بكسر الرا وحذف الهمزة قراة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراة عاصم برواية
ابي بكر وجبريل كقنديل قراة الباقين واربع في الشواذ جبرال وجبرييل وجبرئل
ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول
لجبريل والثاني للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه
وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحي
ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جا على حكاية كلام الله كانه
قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره وتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا
لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر
انه جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف
او اكفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا
مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه
فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او
فهو عدو لي وانا عدو له كما قال من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة
الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره
تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافراد الملكين
بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء
في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فقد عادى
الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت

فيهما او وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل ميكئيل وميكال ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اى المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل فى نوع من المعاصى دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل فى ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره كفروا بالايات وكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا واعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعنى التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالايات وقيل ما مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القران وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعنى ان علمهم به راسخ ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالايتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة امنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطى حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التى تقرأها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اى عهده وتتلو حكاية حال ماضية كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون

الناس

الناس وفشا ذلك فى عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن يعلمون الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه يسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان فى تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه فى الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط فى التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر من النبى والولى واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه فى الاصل لما خفى سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغايره الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوى البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفى معطوف على وما كفر تكذيب لليهود فى هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير فى انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا يكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثانى ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا ويتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه

اى من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا
باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعل
وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف
ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل
غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع فى الدارين
وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اى اليهود لمن اشتراه اى
استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء
علقت علموا عن العمل ما له فى الآخرة من خلاق نصيب ولبئس
ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون
يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب
والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمى العقل الغريزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل
او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم
يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم امنوا بالرسول والكتاب واتقوا
بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير
جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف
الفعل وركب الباقى جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف
المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشئ
من الثواب خير وقيل لو للتمنى ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة
وانما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون
اى ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين امنوا
لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعى حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون
يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا اى راقبنا وتان بنا فيما
نلقنا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى
الرعى او شبه بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بها وهى راعنا فنهى المؤمنون
عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا
او انتظرنا من انظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اى امهلنا لنحفظ وقرئ
راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اى قولا ذا رعن نسبة الى
الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا
واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا اسماع قبول

لاكسماع

لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه
وللكافرين عذاب اليم يعنى الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود
يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشئ
مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما ومن للتبيين كما فى قوله تعالى لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول
يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحى
والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شئ منه وبالعلم والنصرة
ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه
ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شئ وليس لاحد عليه حق والله
ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض
عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ
من اية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد عليه
السلام يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ فى اللغة ازالة
الصورة عن الشئ واثباتها فى غيره كنسخ الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل
لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الاية بيان
انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها
عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن
عامر ننسخ من انسخ اى نامرك او جبرئيل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير
وابو عمرو ننساها اى نؤخرها من النسأ وقرئ ننسها اى ننسى احدا اياها
وتنسها اى انت وتنسها على البناء المفعول وننسكها باظهار المفعولين نأت
بخير منها او مثلها اى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب او مثلها فى الثواب
وقرئ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شئ قدير فيقدر
على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير والاية دلت على جواز النسخ
اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وتاخير الانزال وذلك لان
الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من
الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش
فان النافع فى عصر قد يضر فى غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل
اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتى به بدله والسنة ليست

حب

ويجوز نسخ الحكم لا الى بدل كما نسخت ايه تقديم الصدقة لا الى بدل
ونسخ منه قوم عن فابقوا لنا ما نسخ ... انه وجوابه ان الاية ... بيانا لا اللفظ
لنا انه ... ولا حكم لكن اسقاط ... قد يكون خيرا ... محصول

كذلك والكل ضعيف اذ يكون عدم الحكم اولا ثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره
والسنة مما اوتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك فى اللفظ
والمعتزلة على حدوث القران فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب
بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القايم بالذات القديم الم تعلم
الخطاب للنبى عليه السلام والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه
اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموت والارض يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شئ قدير او
على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من
ولى ولا نصير وانما هو الذى يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم
والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد
يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما
سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة فى الم تعلم اى الم تعلموا انه
مالك الامور قادر على الاشيا كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون
وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام او منقطعة
والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت فى اهل الكتاب
حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السما وقيل فى المشركين لما قالوا
لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر
بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات
وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع فى الكفر
بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدى بكم
الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل
ود كثير من اهل الكتاب يعنى احبارهم لو يردونكم ان يردونكم
فان لو تنوب عن ان فى المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم [يا معشر المؤمنين] وهو حال من ضمير
المخاطبين من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين
حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اى تمنوا
ذلك من عند انفسهم وتشهيهم [نصب على المصدر ان يحسدونكم حسدا] لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسد
اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق
بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التوراة فاعفوا واصفحوا العفو
ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتى الله بامره الذى

وذلك ان قريشا قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا ارض مكة فنهوا ان يقترحوا عليه الايات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا ارنا الله جهرة وذلك ان السؤال بعد قيام البراهين كفر ولذا قال ومن يتبدل الكفر الاية

هو

هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بنى النضير وعن ابن
عباس رضى الله عنهما انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق
ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجا
الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او
صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اى ثوابه ان
الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ باليا فيكون وعيدا
وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولى الفريقين
كما فى قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع
هايد كعايد وعود وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى
تلك امانيهم اشارة الى الامانى المذكورة وهى ان لا ينزل على المؤمنين
خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما فى الاية على
حذف المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية
افعولة من التمنى كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم
بدخول الجنة ان كنتم صادقين فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه
غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله
اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن فى عمله فله اجره
الذى وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة
جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفا فيها لتضمنها
معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون
من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فى الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شئ و
قالت النصارى ليست اليهود على شئ اى امر يصح ويعتد به
نزلت لما قدم وفد نجران رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود
فتناظروا وتقاولوا على ذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب
للجنس اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك
قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم
على المكابرة والتشبه بالجهل فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين

بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصد واذ لك وانما قصد كل فريق ابطال دين الآخر من اصله
والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم
بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما
يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار
ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل
مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا
اهله او في المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد
الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرا
بها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلو
ها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا
ان يجترئوا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين
ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون
وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل
معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوز ابو حنيفة
ومنع مالك وفرق الشافعي رض بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا
خزي قتل او سبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم
بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي
له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعهم ان يصلوا في
المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي
اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها
فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان اي فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل
فيه ان الله واسع عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن
عمر رض ع انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة
فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطأ
المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه
للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت
اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات
الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر
بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة

الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم
لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له
ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى
انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح
كل له قانتون منقادون لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه وكل ما كان
بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من
حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون
على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه اي كل
ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية
فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة
اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد
باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض
مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته
وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد
المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على
الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء
لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموقع من الصنع الذي هو تركيب الصورة
بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع
مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا
اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله تعالى وقضى ربك
او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة
الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون
من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل
تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف
وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون
باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بنصب
النون واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا
يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب
الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى

الولادة فاعتقد وا ذلك تقليداً ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقاً حسماً لمادة
الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل
الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك
رسوله او تأتينا اية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان
ما اتاهم ايات الله استهانة به وعناداً كذلك قال الذين من قبلهم من
الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى
والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الايات لقوم يوقنون اي
يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا تعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة
الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتواً
وعناداً انا ارسلناك بالحق ملتبساً مؤيداً به بشيرا ونذيرا فلا
عليك ان اصروا او كابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا
بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب ولا تسأل على انه نهي للرسول صلى الله
عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكافر كانها لفظاعتها
لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال
والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى
تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم
فانهم اذا لم يرضوا منه حتى تتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل
ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليماً للجواب ان هدى الله
هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون
اليه ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم الزايغة والملة ما شرع الله تعالى لعباده
على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى رأي يتبع الشهوة
بعد الذي جاءك من العلم اي من الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك
من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين
اتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته
بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة
والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك
يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف
والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل و
لا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام
بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به
الكلام معهم مبالغة في النصح وايذاناً بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل
التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل
العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر
رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت
بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان
المسلمين والمسلمات الى اخر الايتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك
هم الوارثون كما فسرت بها فتلقى ادم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه
وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله
معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الايات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه
دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد امنا ليرى هل يجيبه
وقرأ ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله
وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما
دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت ناصب
اذ كانه قيل ماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله
ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام
وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي
له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده
نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف
اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب ساكرمك والذرية نسل
الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثانية ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى
التفريق او فعولة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر
وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على
انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله و
عهده والظالم لا يصلح للامامة وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه

دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة
وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت
اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه
اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ
مثابات لانه مثابة كل احد وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله لقوله حرما
امنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج
يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر
عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على
ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر
الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج
او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر رض
وقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب
الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه
السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي رح في وجوبهما قولان وقيل
مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب
الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي
واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا
الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان
يكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس
وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين
عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد
واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا امنا ذا
امن لقوله في عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم وارزق
اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الآخر بدل من امن من
اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى
وارزق من كفر قاس ابراهيم عم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان
الرزق نعمة دنيوية يعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين

اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب كشاف

او مبتدأ تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب
التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به
الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الجئه
اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته من النعم وقليلا نصب على المصدر
او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره
وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر
الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف
لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير
المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس
صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه
قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة
الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع
فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه
ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها واسمعيل
كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا
يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا وتقبل اي يقولان ربنا
وقد قرئ به والجملة حال فيهما انك انت السميع لدعائنا العليم
بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه
او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في
الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما
وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك
اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة
ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما
ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال
الكلي على الله فانه مما يشوش امر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا
وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون من للتبيين
كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف
والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا

من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا على فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القران والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز يعني غبن رأيه والم رأسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت ليعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله

موديه الى المعرفة الداعية الى الاسلام روى انه دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هي التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يوصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي ووصى هو ايضا بنيه بها وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه نظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهودا ويشسوخور وزبولون وذوني وفتوني واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء من اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب

لقوله عم عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس هذا بقية ابائي وقرئ ابيك
على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبيّن اصواتنا بكين وفدّيننا بالابينا
او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك لقوله
بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف
لتعذر العطف على المجرور والتأكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون
حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة
قد خلت يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي
بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله
والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم
واتباعهم كما قال عم لا تاتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسئلون
عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا
كونوا هودا او نصارى الضمير الغايب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى
مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابراهيم اي بل نكون
ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئت بالرفع اي ملته ملتنا
او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق
حال من المضاف او المضاف اليه لقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون
اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان
آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا القرآن قدم ذكره لانه اول
بالاضافة الينا وسبب للايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابراهيم
لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا
منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد
يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق
وما اوتي موسى وعيسى التوراة والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ
لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع
فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين
من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود

فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف
اليه بين ونحن له اي الله مسلمون مذعنون مخلصون فان
آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت لقوله
تعالى فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام
وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق تهدي الى الحق
مثل طريقكم فان وحدة المقصود لا يابى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله
جزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل
مقحم كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي وعليه ويشهد له قراءة من
قرأ بما آمنتم به اي بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي
ان اعرضوا عن الايمان او عما يقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة
والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله
تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم وهو
السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم
وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم
ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي
فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ
او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة
لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ
الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه
المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر
مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم عليه السلام
ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له
عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك
يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او
البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا
بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل أتحاجوننا أتجادلوننا
في الله في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب
قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم
لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا

ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكون منا باعمالنا كانه الزمهم على كل
مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من
يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة
والتحلى بالاخلاص وكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله فى اعطائها فلنا ايضا
اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم
ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن
عامر وحمزة والكسائى بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة فى اتحاجوننا بمعنى
اى الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء قل
ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا واحتج بقوله وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهؤلاء
المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده
من الله يعنى شهادة الله لابراهيم بالحنفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية
والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا
هذه وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة
فى كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما فى قوله براءة من الله وما الله بغافل
عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة فى
التحذير والزجر عما استحكم فى الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل
الخطاب فيما سبق لهم وفى الاية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة
فى الاول الانبياء وفى الثانى اسلاف اليهود والنصارى سيقول
السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد
والاعراض عن النظر يريد به المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود و
المشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما
ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التى كانوا عليها يعنى بيت المقدس
والقبلة فى الاصل الحال التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا
للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به
مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه واما العبرة
بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

وهو

وهو ما تقتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة
اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين
الى صراط مستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبلة جعلناكم امة وسطا
اى خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم المكان الذى يستوى
اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط
وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق
على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء
التى يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه
باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا علة للجعل اى لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل
عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل
فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض
عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى
ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيسألهم الله تعالى بينة التبليغ
وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق
على لسان نبيه الصادق صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد
بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام
كالرقيب المهيمن على امته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم
يكون الرسول عليه السلام شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التى
كنت عليها اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه السلام كان
يصلى اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة
لقول ابن عباس رض كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى
ان اصل امرك ان يستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس
الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن به
الناس ونعلم من يتبعك فى الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه
او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله
وعلى الاول معناه ما رددناك الى التى كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام

ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى
غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي
الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله
والمؤمنون لكنه اسنده الى نفسه لانهم خواصه او ليتميز الثابت عن المتزلزل
لقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه
ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما
في من من معنى الاستفهام او مفعول الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع
الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون ان هي النافية واللام بمعنى الا والضمير
لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة
او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين
هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان
الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة
او صلاتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات
يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم
فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم رؤف وهو ابلغ محافظة
على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون
بالقصر قد نرى ربما نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك
في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع في
روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم عليه السلام
واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل
على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من
استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها
ترضاها تحبها تتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته
فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل
الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور
اي منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام
المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر
المسجد دون الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد

يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه
السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة
في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني
سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال
والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره خص الرسول عليه السلام بالخطاب تعظيما له وايجابا
لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصا للامة على
المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة تفصيلا لتضمن
كتبهم انه صلى الله عليه وسلم يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه
وما الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين وقرئ ابن عامر
وحمزة والكسائي بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية
برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك
جواب القسم المضمر والقسم وجوابه سد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا
قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع
قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبتت على قبلتنا لكنا نرجو ان
يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت
لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض
فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما
لا ترجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت
اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي
ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن
الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم
وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور
الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه
الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام
عليه وقيل للعلم او القران او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول
اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رض
انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم

اي يعلمون ان الحق اجمالا وتفصيلا اما اجمالا فيعلمهم الحاضر
واما تفصيلا فلتضمن الى اخره

قوله قبلتهم جواب ما يقال كيف قال قبلتهم ولهم قبلتان
لان اليهود يستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس
شرح

به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن امن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما بتحقيق الامر وانه بحيث لا يشك ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة والتنوين بدل الاضافة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ لكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات بكم جميعا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومتفرقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا في اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي اهل كل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما بينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد

اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة لقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا لقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي كرم الله وجهه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول فيكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكيا قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله يعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل

اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل
اليهم الوجع والآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح
جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه
جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص
الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم
اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء
بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم
عنه ويريهم ان رحمته لا يفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة
وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال
والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي رض الخوف
خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم
فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي
فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه
بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله
وانا اليه راجعون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن يتأتى منه
البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام
كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان
بل وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم
الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه
ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوة من
ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها
للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه
وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث
استرجعوا وسلموا لقضاء الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين
بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن
حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على

قصد

قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف
بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا
مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما
لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة انما الخلاف في وجوبه فعن
احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رض لقوله فلا جناح عليه فانه يفهم
منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب
فلا يدفعه وعن ابي حنيفة رض انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي
رض انه ركن لقوله عليه السلام فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع
خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض الله عليه من حج
او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه
صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل
لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله
يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة
لا يخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات
كالآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى وما يهدي
الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في
الكتاب في التوراة اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي
الذين يتأتى منهم اللعن من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان
وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما
بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم
ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا
التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعن الله
ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ
والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى
كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو وتلعنهم
الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما
لشأنها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن لا يخفف عنهم العذاب ولا هم

ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة
والهكم اله واحد خطاب عام اى المستحق منكم العبادة واحد لا شريك
له يصح ان يعبد او يسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان
يتوهم ان فى الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم
كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه
اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله
الهكم او لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا
فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان فى خلق السموت والارض
وانما جمع السموت وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة
بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله
جعل الليل والنهار خلفة والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس اى
بنفعهم او بالذى ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص
الفلك لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجايبه وكذلك قدمه على ذكر المطر
والسحاب لان منشأهما البحر فى غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة
وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين
وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان
والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيى به الارض من بعد
موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل
بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات فى الارض او على احيا فان
الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف
الرياح فى مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائى على الافراد والسحاب
المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضى
احدهما حتى يأتى امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه فى الجو بمشية الله واشتقاقه
من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها
وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام قال ويل لمن قرأ هذه الاية
فمج بها اى لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته
من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد
كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا
ان لا يتحرك السموت او بعضها كالارض وان يتحرك بعكس حركاتها وبحيث

قوله فى مهابها من الجنوب والشمال والدبور والصبا

والكلام المجمل الخ

فى عدم الاول

نصير

وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض
اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوى اجزائها فلا بد لها من موجد قادر
حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن
معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارا
دتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما
لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافى وان اختلفت لزم التمانع والتطارد
كما اشار اليه بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفى الاية تنبيه على
شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعون
لقوله اذ تبرء الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى
يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اى
يسوون بينه وبينهم فى المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير
لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد الى الله
ارادة طاعته والاعتنا بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه
واستعماله فى الطاعة وصونه عن المعاصى والذين امنوا اشد حبا لله
لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة
تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن الهتهم الى الله تعالى عند الشدايد
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا
ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذا
عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضى لتحققه كقوله ونادى
اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا سد مسد مفعولى يرى وجواب
لو محذوف اى لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب
لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير
ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا ينفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع
ولا يضر غيره وقرئ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم اى ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر
اذ يرون على البنا للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد
العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرء الذين اتبعوا من
الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اى اذ تبرء المتبوعون من الاتباع وقرئ

بالعكس اي تبرّء الاتباع من الرؤسا وراوا العذاب اي رائين له والواو للحال و
قد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرّأ
او راوا والحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع و
الاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به
الشجر وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا
كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت
لنا كرة الى الدنيا فنتبرء منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان
من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون
فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع
الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرّموا
على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر
محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا
يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا
خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرّموا الحلال وتحلّلوا
الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة
وهو ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها
وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك
سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء
بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم
على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشا ما انكره العقل
واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل
وفحشا باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشا ما يجاوز الحد في
القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات
وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن
مستندا الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب
الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب

عنهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى
ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ما وجدناهم عليه نزلت
في المشركين امروا باتباع القران وسائر ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا
الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم
وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو
كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال
او العطف والهمزة للرد والتعجيب وجواب لو محذوف اي لو كان اباؤهم
جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو
دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين
اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس
بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق
بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره او مثل داعي
الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل البهائم الذي ينعق
والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم
ولا يتاملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع
الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم
في اتباع على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم
ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم
وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع
الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم
لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما
عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال
واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فان
عبادتكم لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه
وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والانس
والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم
عليكم الميتة اكلها او الانتفاع وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها

ما ابين من حي وكسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثناء الشرع والحرمة المضافة
الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ
والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر
اجزائه كالتابع له وما اهل لغير الله اى يرفع به الصوت عند ذبحه للصنم
والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة
ان يرفع الصوت بالتكبير اذا روئ سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان
كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر اخر وقرا عاصم وابو عمرو
وحمزة بكسر النون ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد
بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول
احمد رض عنه فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم
بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت
المراد قصر الحرمة مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل
انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم يضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل
الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك
ما ياكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار
لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة
مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اى لا ياكلون يوم القيمة الا النار
ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا
في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه
عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم
ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مولم اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة لكتمان الحق للمطامع
والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس
بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة بمعنى شيء مرفوعة بالابتداء وتخصيصها
كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة
وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اى
ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان
وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم
ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التوراة واختلفوا بمعنى

اختلفوا

حزب

تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اى حرفوا
ما فيها واما الى القران واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر اساطير
الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب
فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه
الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر
ما بينه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اى ليس البر مقصورا بامر
القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة
وحفص البر بالنصب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة
والكتاب والنبيين اى ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من امن او ولكن
ذا البر من امن ويؤيده قراءة البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس
او القران وقرا نافع وابن عامر لكن بالتخفيف ورفع البر واتى المال على
حبه اى على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اى الصدقة افضل ان
تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر
والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم
ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم كما قال عليه السلام
اثنتان صدقة وصلة صدقتك على المسلمين صدقة وعلى ذي رحمك صدقة
وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دائم السكون
كالمسكين لدائم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل
كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف فيه والسائلين
الذين الجاتهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه
وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب
لعتقها واقام الصلوة المفروضة واتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود
منه ومن قوله اتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها
والثاني اداها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات
او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة
والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والصابرين في الباساء
والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن
الازهري الباساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين الباس

تخشى الفقر وتأمل الغنى صح

قوله يرعف فيه اى يأتي وينجع

وقت مجاهدة العدو أولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق
وطلب البر وأولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى
جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها
وتشعبها منحصرة في ثلثة اشيا صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب
النفس وقد اشير الى الاول بقوله من امن الى والنبيين والى الثاني بقوله واتى
المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله اقام الصلوة الى اخرها ولذلك وصف
المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته
للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الاية
فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين
من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد
والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وامرهم ان يتكافؤوا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل
على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم
وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء
كان عبده او عبد غيره لما روى علي رض ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول
صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروي انه قال من السنة ان لا يقتل
مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رض كانا لا يقتلان الحر بالعبد
بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له
دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في
القران واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ
الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين
الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البنا للفاعل والقصاص
بالنصب وكذا كل فعل جاء في القران فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء
من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام
في الاسقاط للقصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف
اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب
قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي
الى الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه

يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له
ويعطف فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع
او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف
والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على
ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر بادائها على مطلق العفو وللشافعي
في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من
ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده
وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا
عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قبل بعد
العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل
لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص
حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده و
عرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة
عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين
ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا
اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه
اضمار وعلى الثاني فيه تخصيص وقيل المراد به الحيوة الاخروية فان القاتل
اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا
خبرين للحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا من الضمير المستكن
فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة او في القران حياة
للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتامل في
حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون
في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن
القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر
اماراته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رض ان مولى له
اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير
هو المال الكثير وعن عائشة رض ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك
فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا
وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين

مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر
الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها
وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات
الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء
الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا
لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها
تدل على تقدم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه
بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين
والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم
بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين
مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد
ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم
الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه الذي خان وخالف الشرع ان الله
سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم
من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر موص
جنفا ميلا بالخطأ في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين
الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل
باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر
المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم
من لدن ادم وفيه توكيد وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم
في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات
فانها معظم ما تشتهيه النفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر
الشهوة التي هي مبداها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او
الاخلال باداية لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد
معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها
ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه
والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء
وثلاثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم

او بكما كتب نخ

على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب
على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عشرين كفارة
لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا
يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر في
اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض
او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها
وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب
واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى
المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر
او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك
اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ
نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين
وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون
بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه
من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه
ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيوقونه على اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه
من فيعل وتفيعل بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو
الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية
فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم
فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له
وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون
في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع
الخير او منهما او من التاخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة
وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه
ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان
مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان
او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام شهر رمضان
وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف
او بدل من ايام معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض

اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علماً ومنع من الصرف للعلمية والالف
والنون كما منع داية في ابن داية علماً للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه السلام
من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم
فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض القلوب فيه او لوقوعه ايام رمض
الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذى انزل فيه القران
اى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا
ثم نزل منجماً الى الارض او انزل في شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام
وعن النبى صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت
التوراة لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين والموصول
بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن
معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم
فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القران
اى انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدى الى الحق
ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر
فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافراً فليصم فيه والاصل فمن شهد
فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف
وحذف الجار ونصب الضمير الثانى على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال
الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اى صلاتها فيكون
ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصاً له لان
المسافر والمريض ممن شاهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم
نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اى
يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون
علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اى وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد
بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص
لتكملوا العدة الى اخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر
بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم
تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوف على
علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان

الذنوب نخ

من اللوح المحفوظ الى ليلة القدر

شهر رمضان

بعد الشهر

يعطف

يعطف على اليسر اى ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفؤا والمعنى بالتكبير
تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل
التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اى الذى هداكم اليه وعن
عاصم لتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اى
فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه
على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابياً قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب
دعوة الداعى اذا دعانى تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة فليستجيبوا لى
اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم وليؤمنوا بى
امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد
وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم
الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه
بهذه الاية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم
على اعمالهم تاكيداً له وحثاً عليه ثم بين احكام الصوم فقال احل لكم ليلة
الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم
الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا وان عمر رض باشر بعد
العشاء فندم واتى النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال و
اعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى تصبح منها
صائماً والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح
بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا
لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس
لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر
عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل
والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى
اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباساً او لان كلاً منهما
يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان
ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه
وعفا عنكم ومحى عنكم اثره فالان باشروهن لما نسخ عنكم التحريم

الضجيع المضاجع فالنواتى دعوا و ...

وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقران والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة
كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح
من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة
وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير
وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق
وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض
بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة
الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى
انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون
ياكلون ويشربون حتى يتبين لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان
وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باجتهادهم في ذلك ثم صرح
بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز
تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان
اخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد
بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطئ وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج
الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف
يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطئ يحرم فيه و
يفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي
الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل
لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى عنه كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى
وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله
فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون مخالفة
الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا ياكل بعضكم
مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال
وتدلوا بها الى الحكام عطف على النهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء
اي ولا تلقوا حكمتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من

غبش الليل نخ

اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين
بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي
ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة من ارض ولم تكن له بينة
فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عليه
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض
الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام
انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له
على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من النار
يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة ابن غنم وقالا ما بال
الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود
كما بدأ قل هي مواقيت للناس والحج فانهم سالوه من الحكمة في اختلاف
حال القمر وتبدل امره فامره الله تعالى بان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك
بان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة
يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت
جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة
امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت
الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقى وقرا نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت
الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون و
يخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر
وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا
عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج
ذكره للاستطراد او انهم لما سألوه عما لا يعنيه ولا يتعلق بعلم النبوة
وتركوا السؤال عما يعنيه ويتعلق بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما
سألوه تنبيها على ان الالائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم
بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب
البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن
البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس
في العدول بر وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه

ولا اعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا
في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين
وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ
والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين
وعلى قصده ويؤيد الاول ما روى ان المشركين صدوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة
ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم
او الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد
والمفاجاة به من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب
المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم
في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو
يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني
فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد
فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي
يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم
النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال
وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم
فانهم الذين هتكوا حرمته وقرئ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم
فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو اسد كذلك جزاء
الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوه فان انتهوا عن القتال
والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان
فيه نصيب فان انتهوا من الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موقع
الحكم او سمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم من الظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى
للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون

عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان
يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذلك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به
والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها
يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا
عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار
ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم
ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك و
لا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او
بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلا
ككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام
وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك
وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو
في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن
معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك
والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك
وقيل معناه لا تجعلوها اخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف
المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله
يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك
لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرا واقيموا الحج
والعمرة لله وما روى جابر رض انه قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا
قال لعمر رض اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت
لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان
يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك
يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة
اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي
او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره
اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك

والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا حصر
العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه السلام
من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله
عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي فاشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني
فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر
او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي
تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح
عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم
امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى
يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ
محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه
حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء
وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي
جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن
كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة
وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك
بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن
عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او
تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع فاذا
امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج
فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره
وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم
بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع
فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم
نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام
في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في
اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه
ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم
الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني

وهو

وهو مذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك
عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس
الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب
لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما
كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة
فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال
بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند
ابي حنيفة لانه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك
منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من
كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان كان على اقل فهو مقيم بالحرم او في
حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك
واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا
ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج
اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال
وذو القعدة وتسع من ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة رضه
وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت
اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره
العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه
وانما سمي شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع
على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن
عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب
اليه الشافعي رضه وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او
فلا فحش في الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب
المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي
الثلث على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت
منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب
بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ
ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف

خير وفي الاخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار
بالعفو والمغفرة وقول علي رض الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة
الحور وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن رحه الحسنة في الدنيا العلم والعبادة
وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية
الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما
لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطاياهم
اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمى الدعا كسبا لانه من الاعمال
والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار
لمحة او يوشك ان يقيم الله القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات
واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه
ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق
فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم النفر والذي بعده اي
فمن نفر في ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقيل طلوع الفجر عنده فلا
اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه ومن تاخر في النفر
حتى رمي اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة رحه يجوز تقديم رميه
على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية
فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير
او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر
بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم لبقائكم واعلموا انكم
اليه تحشرون للجزاء بعد الاحيا واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن
الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة
تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول
اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده
من ادعاء المحبة واظهار الايمان او يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة
ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام
ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه
موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين
والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد
الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر

حلو

حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام وقيل في
المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار
واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما
فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زرعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله
ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه
واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية
على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه و
الزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب
وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد وجواب قسم
مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ
للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها يبذلها في الجهاد او
يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضا
وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه
ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم
فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤف
بالعباد وحيث ارشدهم الى مثل هذا الشرى وكلفهم بالجهاد فعرضهم
لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم
بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام
فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف
الاجزاء عن التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ
منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله
واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام
بكليتكم ولا تخالطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا
السبت وحرموا الابل والبانها او في شرايع الله كلها بالايمان بالانبيا والكتب
جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا
بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق و
التفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول
في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج الشاهدة على انه الحق

فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق هل
ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جا بعده الا ان يأتيهم الله اى
يأتيهم امره وبأسه كقوله او يأتيهم امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه
فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة
كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض
وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء العذاب منه كان افظع لان الشر
اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير
والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الاتون على الحقيقة ببأسه وقرئ
بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع
الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على
الملائكة والى الله ترجع الامور قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم
على انه من الرجع وقرئ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من
الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم اتيناهم
من اية بينة معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة على الحق والصواب
على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية
او الرفع بالابتدا على حذف العائد من الخبر واية مميزها ومن للفصل ومن
يبدل نعمة الله اى اياته فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب
الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته
من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما
عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد
العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين
كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم
حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى
اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قرأة زين على البناء للفاعل وكل من
الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهيمية والاشيا
الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا يريد فقراء المؤمنين
كبلال وعمار وصهيب اى يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا
واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية مبتدأة منهم

والذين

والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين
او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا
منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين امنوا ليدل على انهم
متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين
بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى
كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين ادم وادريس او نوح
او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح عليهما
السلام فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اى اختلفوا فبعث
الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد
الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور
في القران باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس
ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم
وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا
بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اى الله او النبي المبعوث او كتابه
فيما اختلفوا فيه اى في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم
وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اى الكتاب
المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف
سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا
بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا
فيه اى للحق الذي اختلفوا فيه من اختلف فيه من الحق بيان لما
اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
خاطب به النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء
الايات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الانكار ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع
ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي
مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستيناف
وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول
الرسول والذين امنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث

نقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية كقولك
مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتأخره الا ان نصر الله
قريب استيناف على ارادة القول اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم
من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى
واللذات ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رض
ان عمرو بن الجموح الانصارى كان غنيا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا
ينفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين
والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب
ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان فى سؤال عمرو
فان لم يكن مذكورا فى الاية واقتصر فى بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم
من خير وما تفعلوا من خير فى معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اى
ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الاية ما ينافيه فرض
الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه
طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح
على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه
لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو
مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو
جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضى بها الى الردى وانما ذكر
عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم
وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان
لم تعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روى انه عليه السلام بعث
عبد الله بن جحش بن عمته على سرية فى جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد
عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين
واستاقوا العير وفيها تجارة الطايف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه
من جمادى الاخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف
ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى
تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن

عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو اول غنيمة فى الاسلام
والسائلون هم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية
قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل قتال
فيه كبير اى ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع
دلالة الاية على حرمة القتال فى الشهر الحرام مطلقا فان قتالا فيه نكرة فى حيز
مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله اى الاسلام او ما
يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اى بالله والمسجد الحرام
على ارادة المضاف اى وصد عن المسجد الحرام كقول ابى داود اكل امرئ
تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان
عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف
على الصلة ولا على الهاء فى به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار
واخراج اهله منه اى اهل المسجد وهم النبى والمؤمنون اكبر عند الله
مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر على الاشياء الاربعة المعدودة
من كبائر قريش وافعل من يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة
اشد من القتل اى ما يرتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من
قتل الحضرمى ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار
عن دوام عداوة الكفار لهم فانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم
وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا
وفيه استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بى
فلا تبق على وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها
فى احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعى رض والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ
حبطت بالفتح وهو لغة فيه فى الدنيا لبطلان ما يحيلوه وفوات
ما للاسلام من الفوايد الدنيوية والاخرة بسقوط الثواب واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا
نزلت ايضا فى السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر و
الذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله كرر الموصول لتعظيم
الهجرة والجهاد كانهما مستقلان فى تحقيق الرجا اولئك يرجون

قوله على الموصول وليس المراد من الموصول والصلة
ههنا الاصطلاحى بل المراد المتعلق والمتعلق به

رحمة الله ثوابه انيب لهم رجا اشعارا بان العمل غير موجب وللقاطع في الدلالة
سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم
باجزال الثواب والاجر يسئلونك عن الخمر والميسر روى انه نزل بمكة
قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها
ثم عمر ومعاذا في نفر من الصحابة رض قالوا افتنا يا رسول الله فانها مذهبة للعقل
فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعى عبد الرحمن بن عوف ناسا
منهم فشربوا وسكروا فأمّ احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعى عتبان بن مالك سعيد بن ابي
وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد شعرا فيه هجاء الانصار
فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكى الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال عمر
اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون
فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي به عصير العنب
والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجره وهو حرام
مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع التمر والزبيب اذا
طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر
كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسرا او سلب يساره والمعنى يسألونك
عن تعاطيهم قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى
الانتكاب عن الامور وارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء و
منافع للناس من كسب المال والالتذاذ والطرب ومصادقة الفتيان
وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفر المروة وتقوية الطبيعة واثمهما
اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما
ولذلك قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم
الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسئلونك ماذا ينفقون قيل
سائله عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق
قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق
ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذ العفو مني تستديمي مودتي و
لا تنطقي في سورتي حين اغضب وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
ببيضة من ذهب اصابها في بعض الغنائم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى
كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتي

احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ
ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما بين ان العفو
اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة المصدر
محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على
تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا
والاخرة في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون
عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى
لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم و
الاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم وذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من
مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في
الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله
يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح
اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله
اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم
مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم بما
يقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات
يعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون
ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه
عليه السلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته
عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال
بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة
اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عباد الله واماؤه و
لو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير و
لا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا
وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك تعليل للنهي عن مواصلتهم

نزلت في خنساء وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان قال حذيفة
يا خنساء قد ذكرت في الملأ الاعلى على سوادك ودمامتك
فاعتقها وتزوجها

وترغيب فى مواصلة المؤمنين ولو اعجبكم اولئك اشارة الى المذكورين
من المشركين والمشركات يدعون الى النار اى الكفر المؤدى الى النار فلا
يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعوا اى اولياءه يعنى المؤمنين حذف
المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم الى الجنة والمغفرة اى
الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله
وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون
لكى يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من قبل الخير
ومخالفة الهوى ويسئلونك عن المحيض روى ان الجاهلية لم يساكنوا مع
الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوسى واستمر ذلك الى ان سئل ابو الدحداح
فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجئ والمبيت ولعله سبحانه
اعاد ذكر يسئلونك بغير واو ثلثا ثم بها ثلثا لان الثلث الاول كانت فى
اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل
هو اذى اى الحيض مستقذر موذى من يقربه فاعتزلوا النساء
فى المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا
مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو
الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن
ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا
بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو
ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائى
وعاصم فى رواية ابن عباس يطهرن اى يتطهرن بمعنى تغتسلن والتزاما
قوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضى تاخير جواز الاتيان عن
الغسل وقال ابو حنيفة رحمه ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل
من حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم به وحلله لكم ان الله يحب
التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش
والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى نساؤكم حرث لكم
مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من النطف بالبذور
فأتوا حرثكم اى فاتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله
فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اى جهة شئتم روى ان
اليهود كانوا يقولون من جامع امرأة من دبرها فى قبلها كان ولدها احول

فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم
الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطئ واتقوا الله بالاجتناب
عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر
المؤمنين الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلى الله
عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا
الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت فى
الصديق رض لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة او فى عبد الله
بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته
والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشئ وللمعرض
للامر ومعنى الاية على الاول (اى على اللغة الاولى) لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير
فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا
حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك
وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض
ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله
عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى (اى على اللغة الثانى) ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبذلوه
بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان
تبروا علة النهى اى انهاكم ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان
الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح
ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله
باللغو فى ايمانكم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين
ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا
والله وبلى والله لمجرد التوكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم
بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال
ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما
اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور
حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد
تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لا يجامعوهن
والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى

بهن تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلا يطالب بفئ ولا طلاق ولذلك قال الشافعى رض لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤا رجعوا فى اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولى اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التى هى كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم منه وقال ابو حنيفة رحمه الله يلحق اربعة اشهر فما دونها وحكمه ان المولى ان فاء فى المدة بالوطئ ان قدر او بالوعد ان عجز صح الفئ ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا نطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقرأ لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان تمتثل الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اى يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعى الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله ابو حنيفة رحمه الله لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان فى قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسكها بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر وكان الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن من الولد والحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول فى ذلك

قوله ان يكفر يعنى يجب عليه كفارة اليمين عند اكثر اهل العلم وقال ابراهيم وقتاده لا كفارة عليه لان الله تعالى وعد المغفرة وذلك عند الاكثرين فى اسقاط العقوبة لا فى الكفارة

ولعل الحكم نعم

ان

ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه نفى تقييد الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافى الايمان وان المؤمن لا يجترى عليه ولا ينبغى له ان يفعل وبعولتهن اى ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التى تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالخؤولة والعمومة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اى واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل فى ذلك اى فى زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف اى ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا فى الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم فى انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن فى غرض الازواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اى التطليق الرجعى اثنتان لما روى انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقيب تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا اى من الصدقات روى ان جميلة اخت عبد الله بن ابى بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شئ والله لا اعيبه فى دين ولا فى خلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل انه

خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة
المشهورة الا ان يخافا اى الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف
بالظن الا يقيما حدود الله ترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية
وقرئ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير
بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بناء الخطاب فان خفتم ايها الحكام
ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل
فى اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة فى اعطائه تلك حدود
الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تعتدوها بالمخالفة
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهى بالوعيد
مبالغة فى التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة
وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله
عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها طلاقها فى غير باس فحرام عليها رائحة
الجنة وما روى انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها
وازيدها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان
المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء
واختلف فى انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا
احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضى
ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة
باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله
الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر
الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها
بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح
زوجا غيره حتى تتزوج زوجا غيره والنكاح يستند الى كل منهما
كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور
على انه لا بد من الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى
وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين
ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك
فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد

مستفادا من لفظ الزوج والحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق
والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر
وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثانى فلا جناح عليهما ان
يتراجعا ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان
ظنا ان يقيما حدود الله ان كان فى ظنهما انهما يقيمان ما حده الله
وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب
الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان تقوم زيد لان ان الناصبة
للتوقع وهو ينافى العلم وتلك حدود الله اى الاحكام المذكورة يبينها
لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن اى اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال
لعمر الانسان وللموت الذى ينتهى قالت كل حى مستكمل مدة العمر مود اذا
انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقد يقال للدنو منه على الاتساع
وهو المراد فى الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير
ضرار او خلوهن حتى تنقضى عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم فى بعض
صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة
الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول
العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة
او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى
الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك
فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا
بالاعراض عنها والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد فى الامر انما انت
هازئ كانه نهى عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج
ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن
جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم
التى من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القران والسنة افردهما بالذكر
اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله

بكل شى عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اى انقضت عدتهن وعن الشافعى دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين
فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روى انها
نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول
بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه
لم يكن لعضل الولى معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب
توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضى العدة
ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقيل انه جواب قوله واذا طلقتم النساء وقيل
الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا
وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضها فلم يخرج اذا تراضوا بينهم
اى الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف
بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر
محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج
من غير كفؤ غير منهى ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تاويل
القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون
تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله يا ايها النبى
اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يو
عظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ به والمنتفع
ذلكم اى العمل بمقتضى ما ذكر ازكى انفع لكم واطهر من دنس الاثام والله
يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات
يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب
فيخص بما اذا لم يرتضع الصبى الا من امه او لم يوجد له ظير او عجز الوالد عن الاستيجار
والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل تختص بهن اذ الكلام فيهن حولين
كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة
بيان للمتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن
فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان
اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه
وعلى المولود له اى الذى يولد له يعنى الوالد فان الولد يولد له وينسب

وانما قال كاملين لان العرب قد يسمى بعض الحول حولا وبعض الشهر شهرا
كما قال الله تعالى الحج اشهر معلومات وانما هو شهران وبعض الثالث قيل المراد
من الاية بيان الرضاع الذى تثبت به الحرمة ما يكون فى الحولين لا تحرم ما يكون
بعد الحولين قال قتادة فرض الله على الوالدات ارضاع حولين كاملين ثم انزل
التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة

يجر

اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة
عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف فى استيجار الام فجوزه
الشافعى ومنعه ابو حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف
حسب ما يراه الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل
لايجاب المؤن وتقييده بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه
وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده
تفصيل له وتقريب يعنى لا يكلف كل منهما الاخر ما ليس فى وسعه ولا يضار
بسبب الولد وقرئ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا
عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل
او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر
والباء من صلته اى لا يضر الوالد بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له
وقرئ ولا يضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف
على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف
لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق
فلا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك
عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل
معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى اى تمان المرضعة من ماله
اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين
يوافق مذهب الشافعى اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل
واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابى حنيفة وقيل
عصابته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق
والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اى فصالا
صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشورة
والمشاورة والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح
عليهما فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذارا من ان
يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
اى تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها
اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه
فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع

قوله انجح الله اى قضى

الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاه
لقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله
وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة
سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه
ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى
والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال
والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا اي وازواج الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون منكم بفتح الياء اي يستوفون
اجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك
لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت
عشرا ويشهد له قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل
المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك في غالب الامر يتحرك
لثلثة اشهر ان كان ذكرا او لاربعة اشهر ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين
وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها
وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي
والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف
المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن
ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا
فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة
او المسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر
ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي (من اختيار الازواج) لا ينكره الشرع ومفهومه
انهن لو فعلن ما ينكر فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله
بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من
خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة
ومجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر
لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة
بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب

[Margin: [illegible]]

[Margin: يعني قال عشرا بلا تاء وان اراد بالعشر الايام اعتبارا بالليالي وقوله ان لبثتم الا يوما يدل على ان المراد بعشر الايام]

[Margin: كما قاله]

[Margin: من الكحل والزينة والخضاب]

المرأة

المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة
او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في
قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن و
لا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن
لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي
فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطي لانه يسر
ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة
بالسر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا
ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة
او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف
لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة
تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة
الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة
في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح (اي على عقد النكاح) وقيل معناه لا تقطعوا عقدة
النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب (اي في العدة) اجله حتى ينتهي ما كتب
من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز
فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية
من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل
من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن
اي تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او
وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول
والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على
المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت
ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمي لها فلها نصف
المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب
على الجملة في الاخيرين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن
والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده
قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة والمقتر

[Margin: لان من شرط استثناء المنقطع ان يكون من غير جنس المستثنى منه وههنا المستثنى منه قوله لا تواعدوهن سرا والمستثنى التعريض عنه فكان المستثنى من جنس المستثنى منه]

الضيق على حال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري
طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي
درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف
مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها
الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا
وهو مقدم على المفهوم وقرأ حمزة والكسائي وحفص وابن ذكوان بفتح
الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع و
المروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك على المحسنين
الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع
وسماهم محسنين قبل الفعل للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم
اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم
قسيمها وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير
لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة
يحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع
وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان هنا
ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي
الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا
وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه
ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك
اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي رحمه وان تعفوا اقرب
للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى
الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم
يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد
النصف فاذا لم يسترده فقد عفى عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة
وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا
الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما
تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات
بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد

والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي
الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم
الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا
وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر
لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوة عليهم فكانت افضل لقوله عليه
السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتي الليل والنهار والواقعة
في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد و
وتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة
رضي الله عنها انه عليه السلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة
من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص
وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه
وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم
من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال
جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال
المسابقة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة رح لا يصلي حال المشي
والمسابقة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله
صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من
الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية
او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها بالنصب
ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون
منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليكم وصية او الزم
الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا
الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير وصية الذين يتوفون
منكم او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليكم وصية
او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون
ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى التمتيع غير
اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال
من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا

قبل ان ينقضي ولا زواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول
الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما
في التلاوة فهو متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن
والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة رحمه الله فان خرجن
عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن
كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل
على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة
بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن
خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف
حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة
منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق
بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب
والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد
والتكرير للتاكيد او لتكرر القضية كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق
والعدد يبين الله لكم اياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام
ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها وتستعملون
العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ
وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا
من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا
هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره
او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله
ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون
وقيل سبعون وقيل متألفون جمع الف وآلف كقاعد وقعود والواو
للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اى قال لهم موتوا
فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله
ومشيته وقيل فاداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا
ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت
اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين

روى ان عمر بن الخطاب خرج الى الشام فلما بلغ سرغ بلغه ان الوبا
قد وقع بالشام فاخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع
بارض فانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فرجع عمر

على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله
لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم
حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه
كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في
سبيل الله لما بين ان الفرار من الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع
امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا
ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من
وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء
وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي
يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب
النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل
الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة وقرأ عاصم
بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى
ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير يضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب
اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد سبعمائة واضعافا
جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة
معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله
يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته
فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرئ نافع والكسائي والبزي وابو
بكر بالصاد ومثله في الاعراف في قوله في الخلق بسطة واليه ترجعون فيجازيكم
على حسب ما قدمتم الم تر الى الملأ من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون
للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اى من
بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل
ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر
امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اى
ابعثه لنا مقدرين للقتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف
لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى
وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم وادخل هل على فعل
التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم

بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من
ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث
من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من
العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على
بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة
واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة و
ثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك
الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم
عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم
فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا من اين له ذلك
ويستأهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال
انا احق بالملك منه وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا
ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين
ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد
يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده
بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم
لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه
اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط
فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة امور السياسة وجسامة البدن ليكون اعظم
خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم و
قد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى
مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل
يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسب وغيره وقال لهم
نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم
ان اية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال
يرجع اليه ويخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله
ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد صندوق
التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين

اراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها

فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة
او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عم
اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه
من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن
فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل
النصر وقيل صور الانبياء من ادم الى محمد عليه الصلوة والسلام وقيل التابوت
هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار
بعد ان لم يكن وبقية مما ترك ال موسى وال هرون رضاض الالواح
وعصى موسى وثيابه وعمامة هرون والهما ابناؤهما او انفسهما والال
مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل
رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع
انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض
جالوت الى ان ملك طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا
بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك
لاية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عليه السلام
وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل
بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله
صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة
وسألوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم
معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي
او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا
ذاقه مأكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم
ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي الا من اغترف غرفة
بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها
كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى
الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا
منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط
وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ

بالرفع حملاً على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا
ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً وقيل ثلثة الاف وقيل الف روى ان من اقتصر على
الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته و
لم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الاخرة فلما جاوزه هو والذين
امنوا اى القليل الذين لم يخالفوه قالوا اى بعضهم لبعض لا طاقة لنا
اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم
ملاقوا الله اى قال الخلص منهم الذين يتقنون لقاء الله وتوقعوا ثوابه
او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين
ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذاراً في التخلف وتخذيلاً
للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام والخبرية ومن مبنية
او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فاوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا
رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا
لجالوت وجنوده اى ظهروا ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا
صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا الى الله
بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولاً افراغ الصبر في قلوبهم الذي
هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو
المرتب عليها غالباً فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين
بنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى في
عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيراً يرعى
الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء
قد كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته
ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته واتاه الله الملك اى ملك
بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه
مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين
ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف
بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض ولفسدت الارض بشومهم
وقرئ نافع هنا وفي الحج دفاع الله تلك ايات الله اشارة الى ما قص

يعني الذين شربوا وخالفوا امر الله وكانوا في شك ونفاق

قوله تعالى وقتل داود جالوت وان اردنا تحقيق المقال قلنا كان الشرع هو النبي والقلب هو طالوت الملك والنفس هو جالوت الجبار والعقل هو داود

من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل
داود جالوت نتلوها عليك بالحق اى بالوجه المطابق الذي لا يشك
فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها
من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها
في السورة او المعلومة للرسول صلى الله عليه وسلم او جماعة الرسل واللام
للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست
لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى عم وقيل موسى ومحمد
عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمداً صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله
وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه
ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب
متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة
والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية
الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني
عن التعيين وقيل ابراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب
وقيل ادريس عم لقوله تعالى ورفعناه مكاناً علياً وقيل اولوا العزم من
الرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس
خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته
سبب تفضيله لانها ايات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره
ولو شاء الله هدى الناس جميعاً ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد
الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين
وتضليل بعضهم بعضاً ولكن اختلفوا فمنهم من امن بتوفيقه التزام
دين الانبياء تفضلاً ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء
الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق
من يشاء فضلاً ويخذل من يشاء عدلاً والاية دليل على ان الانبياء متفاوتة
الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن
فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خيراً كان او شراً
ايماناً او كفراً يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت
عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة

بالتبيين نخ

لكن التعيين بالفضل والحكم لا يكون الا باعتبار قطعي

من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع
فيه فتحصلون ما تنفقونه او يفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم
او يسامحونكم به ولا شفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى يتكلوا على شفعاء
يشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير
جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكوة هم الذين
ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع
الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا لقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا
بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكوة الله لا اله الا هو مبتداء وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة
لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للاخبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد
الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه
عن القوة والامكان القيوم الدايم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول
من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم
النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة و
ليس بنايم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات
الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم
السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه
وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤف الحيوة قاصرا
في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما
في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية
والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا
فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه احد يساويه او يدانيه يستقل
بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبة
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس
لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة
او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير
لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء

ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه
على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته
وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد لقوله
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز من علمه
او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك
سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع
والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي
كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج و
هو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب
الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده لا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج
حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر
الى المفعول وهو العلي اي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم
المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل
الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحياة
واجب الوجوب لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القايم بنفسه المقيم لغيره
منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه
ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش
الشديد الذي لا يشفع له الا من اذن له العالم وحده بالاشيا كلها جليها
وحقيرها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصلح ان يملك
ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم
لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم اية في القران اية الكرسي
من قراها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة
وقال من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت
ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله
على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه
في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين
الرشد من الغي تميز الايمان عن الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل
على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة

مسرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلباً للفوز
بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا
في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصارياً كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم
قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا واختصموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان
او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان
قلبت عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد
استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من
الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح والرأي القويم
لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع
بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا
محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في انه يؤمن يخرجهم بهدايته
وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه
المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر
او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما استيناف مبين او مقرر للولاية
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات
من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من
النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات
او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن
الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا يأبى تعلق
قدرته وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد
وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم الم تر الى
الذي حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه
الله الملك لان آتاه الله الملك اي ابطره ايتاء الملك فاورثه الكبر والعتو
فحاج لذلك فحمل على المحاجة او حاج لاجله شكراً له على طريقة العكس كقولك
عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من
منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج
او بدل من ان آتاه الله الملك على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت يخلق الحياة

ملك الدنيا اربعة رجال اثنان مؤمنان سليمان وذو القرنين واثنان كافران نمرود وشداد بن عاد

والموت

والموت في الاجساد وقرئ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو
عن القتل والقتل وقرئ نافع انا بالالف قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس
من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته
الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعاً للمشاغبة وهو
في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي مقدور واته التي يعجز عن الاتيان
بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر على ان يفعل كل جنس
يفعله الله تعالى فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد
الحلول وقيل لما كسر ابراهيم عم الاصنام سجنه اياماً ثم اخرجه ليحرقه فقال
من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتاً وقرئ
فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محاجة الاحتجاج
او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره
او رأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه
لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية
وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او كالذي مر وقيل
انه من كلام ابراهيم عم ذكره جواباً لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي
فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرحيا او الخضر او كافر بالبعث
ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل
القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرها واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي
خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي
هذه الله بعد موتها اعترافاً بالقصور عن طريق معرفة الاحياء او استعظاماً
لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمناً واستبعاداً ان كان كافراً وانى في موضع
نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام
فالبثه ميتاً مائة عام او اماته فلبث ميتاً مائة عام ثم بعثه بالاحياء
قال كم لبثت القائل هو الله تعالى وساغ ان يكلمه وان كان كافراً لانه
امن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوماً
او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل
الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوماً ثم التفت فرأى بقية منها فقال
او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك

وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء
اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن
من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازي وانما افرد الضمير
لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه
عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء
في الوصل وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما
في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء ولا علف كما حفظنا الطعام والشراب
من التغير والاول اوفق لما بعده ولنجعلك اية للناس
اي فعلنا ذلك لنجعلك اية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه
فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن
الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث
قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات
الذي تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او كيف نرفع بعضها
الى بعض وتركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي
انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله
الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين
له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء
قدير قال اعلم ان الله على كل شي قدير فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه يفسره او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي
قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت
واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سأل ذلك ليصير
علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد
الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل
الى تقرير اخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة
اخرى قال اولم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحياة
قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس في الايمان ليجيب بما اجاب به فيعلم
السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى امنت ولكن سألت
لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال
قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم

من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحياة الابدية انما يتأتى باماتة
حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة التي المشهور بها
الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة
الى الهوى الموسوم بهما الحمامة وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص
الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن
اليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب
بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير
جيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد
وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه فصرهن من التصرية وهي
الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن
على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرأ ابو بكر جزؤا بضم الزاي
حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات
مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها
ويمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل
ذلك فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن
وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل على القوى
البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات
متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم
ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان
يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم
ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله
ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل كمثل حبة اي مثل
نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت
من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى
انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل سنبلة فيها مائة حبة
وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي
المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب
حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله يتفاوت الاعمال في مقادير الثواب

والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر
انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا
منا ولا اذى نزلت في عثمان رض فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها
واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رض فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة
الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان
يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن
والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل
لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوه قول معروف رد جميل ومغفرة
وتجاوز عن سائل الحاح او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان
يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح
الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء
حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين امنوا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي
ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر كابطال
المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضاء الله تعالى ولا ثواب الاخرة او مماثلين
الذي ينفقون رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او حال ورئاء نصب على
المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء فمثله اي فمثل
المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه
وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون
على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير
للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله وان الذي حانت
بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه
تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن
ان يجتنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله
وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق
الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها
كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدءا من اصل انفسهم وفيه
تنبيه على حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل

الشقيق نخ صح

جنة

جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان
شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرا ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح و
قرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت
اكلها ثمرتها وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين
مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد
في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا
فان لم يصبها وابل فطل فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها
لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى
ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة
على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل
والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود
احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري
من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر
الاشجار تغليبا لهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها
على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه
الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال
او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر
وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار
فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او يكون باعتبار المعنى والاعصار
ريح عاصف ينعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل
حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة و
الاسف اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها ووجدها محبطة بحال من هذا
شانه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت
ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا
كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون
يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده
ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب
والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه

حملت في سنة من الربيع ما يحمل غيرها في سنتين شرح

ولا تقصد والردى منه اى من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت
فيه اكثر وقرئ لا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل
تيمموا ويجوز ان يتعلق منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه ولستم
باخذيه اى وحالكم انكم لا تاخذونه فى حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا
فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا
اى تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس رض كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يأمركم
به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر فى
الانفاق والوعد فى الاصل شايع فى الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون
بضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب يسمى
البخيل فاحشا وقيل المعاصى والله يعدكم مغفرة منه اى يعدكم
فى الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم فى الدنيا
وفى الاخرة والله واسع اى واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاق
يوتى الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام
بالمفعول الثانى ومن يؤت الحكمة بنا للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب
بالكسر ومن يؤته الله فقد اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثير اذ لا خير كذا
وما يذكر وما يتعظ بما قص من الايات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر
لما اودع الله فى قلبه من العلم بالقوة الا اولوا الالباب ذووا العقول
الخالصة عن شوايب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من
نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية فى حق او باطل او نذرتم من نذر
بشرط او غير شرط فى طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما
للظالمين الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها او يمنعون الصدقات
ولا يفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان
تبدوا الصدقات فنعما هى اى فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائى بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون
بكسر النون وسكون العين ويروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين
وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اى تعطوها مع الاخفاء
فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال فان ابداء
الفرض لغيره افضل لنفى التهمة عن ابن عباس رض صدقة السر فى التطوع تفضل

علانيتها

علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة
وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرئ ابن عامر وعاصم فى
رواية حفص اى والله يكفر او الاخفاء وقرئ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى
رواية ابن عباس ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او
اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اى ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائى
مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات
والله بما تعملون خبير ترغيب فى الاسرار ليس عليك هداهم
اى لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على
الطاعة والنهى عن القبايح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله
يهدى من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيته وانما يخص
بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم
فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم
غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اى وليس
نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفى فى
معنى النهى وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة
فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف للمنفق استجابة لقوله عليه السلام
اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روى ان ناسا من المسلمين كانت لهم
اصهار ورضاع فى اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان
ينفقوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى
الكافر وانتم لا تظلمون اى لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء
متعلق بمحذوف اى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء او
صدقاتكم للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله احصرهم الجهاد
لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا فى الارض ذهابا فيها للكسب
وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعماية من فقراء المهاجرين يسكنون
صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم فى التعلم والعبادة وكانوا يخرجون
فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل
بحالهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف من
تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال

الرثاثة البال وخبال رثاثة النفس

والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد لا يسألون الناس الحافا
الحاحا وهو ان يلازم المسؤل حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني
من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا
وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره والنصبه على
المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان
الله به ترغيب في الانفاق وخصوصا على هولاء الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال
بالخير نزلت في ابى بكر رض تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل
وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رض لم يملك
الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم
علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر ان الذين ينفقون
والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك
جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربوا اى الاخذون له
وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شايع في المطعومات
وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او
في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة
للتفخيم على لغة من يفخم وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون
اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان الا
قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط
الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كضرب العشواء من المس
اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك
قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم
بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله تعالى ازبى في بطونهم ما اكلوه من الربوا
فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب
بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح
فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس
للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من

اعطى

اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين
فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله
البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته
النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر
كالنهى عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهى فله ما سلف تقدم
اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة
وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأى سيبويه اذ الظرف غير معتمد على
ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان من قبول الموعظة و
صدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى
تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل
فيه ويربى الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه
عليه السلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربى مهرة وعنه عليه السلام
ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرتضى ولا يحب محبته للتوابين
كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين
امنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحات
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من ات ولا هم يحزنون على
فايت يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا
واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم
فان دليله امتثال ما امرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش
فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب
من الله ورسوله اى فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم بها وقرئ
حمزة وعاصم في رواية ابن عباس رض فاذنوا اى فاعلموا بها غيركم من الاذن
وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان
يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفئ الى امر الله كالباغى ولا يقتضى كفره
روى انها لما نزلت قال ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله وان
تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ
الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا

فليس لهم رؤس اموالهم وهو شديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة اي وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظرة على الخبر اي فالمستحق ناظرة بمعنى منتظرة او صاحب نظرة على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرئ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رض انها اخر اية نزل بها جبرئيل عليه السلام وقال ضعها في رأس مائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين يوما وقيل احدى وثمانين يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعت يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او اخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون موضع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلم وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار فقيه دين حتى يجئ مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا ياب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتبة الوثايق او لا ياب ان ينتفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء تاكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي

عن الامتناع عنها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا اولا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص مما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان فليشهدوا فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدم التهمة ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقص عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينا تكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسام عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان

لا ترتابوا واقرب من ان تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود
ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس
عليكم جناح ان لا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة
تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان
تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان و
نصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة
حاضرة كقول بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا
ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا
اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الاية
للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها و
نسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ
ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير
في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا
الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان
وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة
لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه
المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلث
لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة
تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي
مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق
به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط
السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه
من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان
مقام التوثيق بالكتب في السفر الذي هو مظنة اعوازه والجمهور على اعتبار
القبض فيه غير مالك وقرئ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما
جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن
بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته
عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لايتمانه
عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذيتمن بادغام

الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلب عن الهمزة في حكمها فلا يدغم وليتق الله ربه
في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او
المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه
اي ياثم قلبه او قلبه ياثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترف
فيه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله
اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر
ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم
تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه ليترتب المغفرة
والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على منكري الحساب
كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء
تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم
ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم
بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقوله متى
تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء في اللام لحن
اذ الراء لا تدغم الا في مثلها والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة
امن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه
والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل امن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول
فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل
مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ
او يكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان
وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القران او الجنس
والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل
الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق
وقرئ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل للكل وقرئ لا يفرقون حملا على
معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي
كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق
بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك

ربنا اغفر لنا غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت
وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما يسعه
قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها و
يتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف
بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت
من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير
والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وينجذب
اليه وكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا
او اخطانا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط
وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب
كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي الذنوب
لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن لم عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه
رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه
ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان ربنا
ولا تحمل علينا اصرا عبأ ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به
التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين
من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة
لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين
صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد
والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من
التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما
لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى
مفعول الثاني واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا
ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت
مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى
ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه السلام لما
دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة فعلت وعنه عليه السلام انزل الله
ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان تخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما
بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الايتين

من اخر

استندام الرجل الامر اذا انى به وانتظر سماحه

من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة
البقرة وقال ينبغي السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة
التي يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها
حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة ال عمران مدنية وايها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور
وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها
اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان
لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام
وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرئ ابو بكر بسكونها
والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال
ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي
ال عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم
نزل عليك الكتاب القران نجوما بالحق بالعدل او بالصدق
في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو موضع الحال مصدقا
لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى
وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل
تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهي ليس من
ابنية العرب وقرئ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع
القران ونافع وحمزه بين اللفظين الا قالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين
من قبل تنزيل القران هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون
بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس
الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة
ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق به الحق والباطل او الزبور او
القران وكرر ذكره بما هو نعت له تمديحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث
انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا وتميز بانه معجز يفرق به بين الحق والباطل
او المعجزات ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم
عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب

وهنا بحث وهو ان الم الله فانه ليس بيد نقل الكسر من همزة الله بل حذف همزة الله في الدرج والتقى ساكنان ففتح الميم محافظة على التفخيم

ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح و
الكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات
النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض
ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر
عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى
الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله
هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة وهو
كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين
وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو
اولا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة
الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان
وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزلت السورة
من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي
انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت
عن الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد
على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية واحدة واخر متشابهات
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر
فيها فضل العلماء او يزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم
المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج
معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب
احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ واخر جمع
اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته
لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن اخر من
فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون
ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة
طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم
بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يؤولوه على ما يشتهونه ويحتمل
ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب والاول
يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل

من ابتغاء فتنة الناس وابتغاء التاويل على ما يشتهونه صح

علم

91

عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا
الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص
الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد
يقولون امنا به استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان
جعلته مبتدا كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر
الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة
الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال
الاية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير
الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو ابا
بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره
في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين
وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل
لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء
اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد
اذ هديتنا الى الحق او الى الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ
في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة
تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب
تزلفنا اي تقربنا
انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من
الله فانه متفضل بما ينعم به على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع
الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم و
ما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة
فانها المقصد والمال ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه و
للاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب
بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدليل منفصل كما هو مشروط
بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به و
وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولا
دهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه
اولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها .

كدأب آل فرعون منصل بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اوليك او
توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء
كدأبهم فى الكفر والعذاب وهو مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فنقل الى
معنى الشان والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف
كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير
حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل
للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون
الى جهنم اى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه
عليه السلام جمعهم بعد بدر فى سوق بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل
بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت
انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح
خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائى بالياء
فيهما على ان الامر بان يحكى لهم ما اخبر به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد
تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه
لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين
فى فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين
وكان قريب الف او مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك
كان بعد ما قللهم فى اعينهم حين اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا
فى اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنين المشركين مثلى المؤمنين وكانوا
ثلثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم الله به فى قوله فان يكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قرأة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ
بهما على البناء للمفعول اى يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على
البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأى
العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره
كما ايد اهل بدر ان فى ذلك اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم
العدة على الكثير شاكى السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل
وقوع الامر على ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم لعبرة لاولى
الابصار اى لعظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس

حب الشهوات اى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم
انهمكوا فى محبتها حتى احبوا شهواتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى
لانه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى
السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى او لانه من اسباب التعيش
وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية فى معرض الذم وفرق الجبائى بين
المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات
والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملؤ مسك ثور واختلفوا
فى انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة
مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا
اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اى المرجع وهو تحريض
على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية
قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات
الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير وترفع جنات
على هو جنات ويؤيده قرأة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما
يستقذر من النساء ورضوان من الله قرأ عاصم فى رواية ابى بكر
فى جميع القران بضم الراء وهما لغتان والله بصير بالعباد اى باعمالهم
فيثيب المحسن ويعاقب المسئ او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم
جنات وقد نبه بهذه الاية على نعم فادناها متاع الحيوة الدنيا واعلاها
رضوان الله كقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين
يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفى ترتيب السؤال
على مجرد الايمان دليل على انه كاف فى استحقاق المغفرة او الاستعداد لها
الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله
تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل و
حبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق

واما فعلى وهو القنوت الذى هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في
سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها
وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير
الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ
اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى
السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بيّن وحدانيته
بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة بالاقرار
واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف
بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه
على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس
كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اى
تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف
للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير وقرئ
القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر المحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد
ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى عليه قوله
العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على
العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روى في فضلها انه عليه السلام
قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله تعالى ان لعبدى هذا عندى عهدا و
انا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة وهى دليل على فضل علم اصول الدين
وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة
للاولى اى لا دين مرضى عند الله تعالى سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع
بالشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ الكسائى بالفتح على انه
بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال
ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثانى
واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناها
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب
الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص
بالعرب ونفاه اخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا

على انه حال من المعطوف عليه دون المعطوف لوجود اللبس

فانهم

في امر عيسى عليه السلام الا من بعد ما جاءهم العلم اى بعد ما علموا حقيقة الامر
او تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة
لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب
وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل
اسلمت وجهى لله اخلصت نفسى وجملتى له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم
الذى قامت به الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف
الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطفا على التاء وحسن
للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب
لهم كمشركى العرب ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم
ونظيره قوله تعالى فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا
فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا
فانما عليك البلاغ اى فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت
والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم
بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم
رضوا به وقصدوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد
سبق مثله في سورة البقرة وقرئ حمزة ويقاتلون الذين ومنع سيبويه ادخال
الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى
الابتداء بخلاف فيهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب اى التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض
او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم
بينهم الداعى محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القران او التورية لما روى
انه عليه السلام دخل مدراسهم فقال نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين
انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية
فانها بيننا بينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول
فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول
ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب
وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ

لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ
والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم
الا اياما قلائل او ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام
ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه
استعظام لما يحيق بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات روي
ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس
الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت
وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله
لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلوص منها وهم لا يظلمون
الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من ياء
ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف
وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء
ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه
تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء من تشاء
وتسترد فالملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة
ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او
في الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك
على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض
اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان
الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة
اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا
سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها
ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان به مصباحا في جوف
بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها
انياب الكلاب ثم ضرب الثانية وقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم
ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة
على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم

انه

انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق
فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في
النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من
الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على
معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك
قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج دخول في مضيق وايلاج
الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج
الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها وانشاء الحيوان
من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرئ
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم
بعضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من
دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة
عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله
في شيء اي من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعادين
لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب
الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل
معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرئ يعقوب تقية منع عن موالاتهم
ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا في وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ
جائز كما قال عيسى عم كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى
الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو
تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب
يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان
تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموت وما في الارض فيعلم سركم
وعلانيتكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما
نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه كانه قال باسرها فلا تجسروا
على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان

بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اى يتمنى كل نفس يوم تجد صحايف
اعمالهم او جزاء اعمالهم من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله
امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير فى عملت او خبر لما عملت من سوء
وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرى ودت
وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كاين
واوفق للقراة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتاكيد والتذكير
والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رافة بهم ومراعاة
لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته وتخشى عذابه قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعونى المحبة ميل النفس الى الشى لكمال ادركه فيه
بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل ما يراه
كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك
يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة
وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم
بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك
بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن يتحبب اليه
بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه
وقيل نزلت فى وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل فى اقوام
زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا القولهم
تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضى
والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم
ولا يثنى عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر وانه
من هذه الحيثية ينفى محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى
ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين بالرسالة والخصايص
الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة
الرسول وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها
وبه استدل على فضلهم على الملايكة وال ابراهيم واسمعيل واسحق واولادهما
وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وال عمران موسى وهرون ابنا عمران
ابن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب او عيسى وامه مريم ابنة عمران ان ماثان

ابن اسماذار بن ابى يوذ بن زرب بابل بن سالبان بن يوحنا ابن اوشيا بن اموز
بن ميشكن بن حاز قا ابن احاذ بن يوفام بن عزريا ابن يورام بن سافط بن اشيا
راجعيم ابن سليمان بن داود ابن ايشى ابن عويد بن سلمون بن باعز ابن نحشون ابن
عمياد بن رام بن حضروم ابن فارض بن يهودا ابن يعقوب وكان بين العمرانين
الف وثمان مائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الالين او منهما
ومن نوح اى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض
فى الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء
ابدلت الهمزة ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال
الناس واعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة
عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى
فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى
وكانت لعمران ابن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هارون فظن ان المراد زوجة
ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع اخت مريم
وكان يحيى وعيسى ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هى
فى ظل شجرة اذ رات طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان
لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون
من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا فى عهدهم
فى الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته
لا اشغله بشىء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل منى ما نذرته
انك انت السميع العليم لقولى ونيتى فلما وضعتها قالت رب
انى وضعتها انثى الضمير لما فى بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب
انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على
تاويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت
ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اى
بالشىء الذى وضعت وهو استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا
لها بشانها وقرى ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها
تسلية لنفسها اى ولعل الله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرى وضعت
على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اى
وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون

من كلام امراة عمران

من قولها وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني
سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك
لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان
مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة
واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم
المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود
يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه
ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان
الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر
مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام
الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة
لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت
دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان
بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي
خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه
اقلامهم فطفى قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا
على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى
وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا
مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة و
الكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عباس على ان الفاعل
هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون
ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت
لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها
وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما
وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان
يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من
اين لك هذا الرزق الاتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز
الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو
من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكا

رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير
تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها و
ان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رض اهدت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق
فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان
الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة
سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته
وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه
في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة
مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما
وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز
ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال رب هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه
المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته
الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبرائيل وحده
وقرئ حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب
اي قائما في الصلاة ويصلي صفة قائم او خبر او حال اخر او حال عن الضمير
في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرأ حمزة وابن عامر بالكسر
على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرئ حمزة والكسائي يبشرك ويحيى
اسم عجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا
بكلمة اي بكلمة كائنة من الله لانه لم يوجد الا بقوله كن من الله اي بعيسى
سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه المبدعيات التي هي عالم الامر
او بكتاب سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه
ويفوقهم وفي الشرف وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا
مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان
فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا
منهم او كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون
لي غلام استبعاد من حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما
عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له
تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون سنة وامراتي عاقر

الا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اى يفعل ما يشاء من العجايب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لى اية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثنا منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا فى ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا اى ارهاصا لنبوة عيسى عم فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثانى هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين امرت بالصلوة فى الجماعة بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك فى شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعى مع الراكعين للايذان بان من ليس فى صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى امن

امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله تعالى وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اى ما ذكرنا من القصص من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التى كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقى ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ليعلموا او يقولون ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا فى كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او [illegible] من العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الاسماء نظمت فى سلكها ولا ينافى تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذى يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها فى الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره وتذكير الضمير للمعنى والوجاهة فى الدنيا النبوة وفى الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته فى الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس فى المهد وكهلا اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمى به ما يمهد للصبى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد كهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذى فى يكلم قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر تعجب او استبعاد عادى او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبرئيل

لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القران بعضه
ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان
وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهو
قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين
النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون
اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى
مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه
بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة
فاتقوا الله في المخالفة واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار
اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية
بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال
القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي
ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة
ونظيره قوله عليه الصلوة والسلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس
عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال
من انصاري الى الله ملتجيا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق
الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في
نصري وقيل الى هاهنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حواري
الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص
الوانهن سمي به اصحاب عيسى عم لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا
ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون
الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه امنا بالله واشهد
بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا
امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين
بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد صلى الله عليه
وسلم فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود
بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من
قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة

لم يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم
مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله
او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى انى متوفيك اى مستوفى
اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت
مالى او متوفيك نائما اذ روى انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن
العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه
ذهب النصارى ورافعك الى الى محل كرامتى ومقر ملائكتى ومطهرك
من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يغلبونهم بالحجة فى غالب الامر او بالسيف
متبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم
ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الى مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به
وغلب المخاطب على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين
فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والاخرة وما لهم من
ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير
للحكم وتفصيل له وقرئ حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير
لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره
نتلوه عليك وقوله من الايات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه
حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره
نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه
يريد به القران وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ان شانه الغريب
كشان ادم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له شبه وهو
انه خلق بلا اب كما خلق ادم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما
للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اى
انشأه بشرا كقوله تعالى ثم انشأناه خلقا اخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه و
يجوز ان يكون ثم لتراخى الخبر لا لتراخى المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق
من ربك خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق وقيل الحق مبتدأ من ربك خبره اى
الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم
على طريق التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى
فيه فى عيسى من بعد ما جاءك من العلم اى من البينات الموجبة

للعلم فقل تعالوا هلموا بالراى والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا
ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى كل يدع منا ومنكم نفسه واعزة اهله
والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر
بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا
والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار
فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى
المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى
فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم والله ما
باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا
فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم
يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه
لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا
له الجزية الفى حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذى
نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى
نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل
من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اى ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو
القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره فى شان
عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه
لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان يدخل المبتدأ وما من اله الا الله
صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم
وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه فى القدرة التامة
والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية فان تولوا فان عليم بالمفسدين
وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحجج والاعراض
عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل والى
فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد
نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف
فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها ان لا نعبد الا الله اى نوحده
بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له

اسقفهم اى اسقف نجران

اضطرم التهب

استأصل الله اى قلعهم من اصلهم

في استحقاق العبادة ولا نراه اهلاً لان نعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا
من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما
احدثوا من التحليل والتحريم لان كلاً منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي ابن حاتم ما كنا نعبدهم
يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم
قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا
مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون
بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه
القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولاً احوال
عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم و
يزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز
ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك
طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وساير
الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني
عنهم اعرض وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون
في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت
اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت
بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم
قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليها افلا
تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم
فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم
التي غفلوا عنها وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة
للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم
مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم
تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء
بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله اانتم على الاستفهام للتعجب
من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرئ نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد
والهمزة والبزي بقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم

لا تعلمون

لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح
بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقايد الزايغة
مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام
وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح
ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان
اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا
النبي والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي
بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي
المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية
ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود
وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم وما يضلون الا امثالهم وما يشعرون
وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله
بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم و
انتم تشهدون انها ايات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتاب
او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل
بالتحريف وابراز الباطل في صورته او في التقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون
بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق بالباطل كقوله كلابس ثوبي
زور وتكتمون الحق نبوة محمد ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمون
وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا
وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا اخره لعلهم
يرجعون واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل بها
ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب ابن الاشرف ومالك ابن الصيف قالا لاصحابهما
لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول
النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون
وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار و
يقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد
في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا
عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان

على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم. قل ان الهدى هدى الله. يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته عليه. ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم. متعلق بمحذوف
اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا
اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه
الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله
ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدى بطائل او خبر ان على ان
هدى الله بدل عن الهدى وقرئ ابن كثير ان يؤتى على الاستفهام للتقريع
يؤيد الوجه الاول اى لان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون
من كلام الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل
ما اوتيتم. او يحاجوكم عند ربكم. عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين
وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير
احد لانه فى معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم. قل ان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو
الفضل العظيم رد وابطال لما زعموا بالحجة الواضحة. ومن اهل الكتاب
من ان تامنه بقنطار يؤده اليك. كعبد الله ابن سلام استودعه
قرشى الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداه اليه. ومنهم من ان تامنه بدينار
لا يؤده اليك. كفنحاص ابن عازورا استودعه قرشى اخر دينارا فجحده
وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى
القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرئ حمزة وابو بكر ويؤده اليك
ولا يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روى
عن هشام والباقون باشباع الكسرة. الا ما دمت عليه قائما. الا مدة
دوامك قائما على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى والترافع واقامة
البينة. ذلك. اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده. بانهم
قالوا بسبب قولهم. ليس علينا فى الاميين سبيل. اى ليس علينا
فى شان من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم. ويقولون
على الله الكذب. بادعائهم ذلك. وهم يعلمون. انهم كاذبون وذلك
لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم فى التورية حرمة وقيل عامل
اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث
تركتم دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال

عنده كذب اعداء الله ما من شئ فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة
فانها مؤداة الى البر والفاجر. بلى. اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل
من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة
التى سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب عن الراجع
من الجزاء اليه واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء
الواجبات والاجتناب عن المناهى. ان الذين يشترون. يستبدلون
بعهد الله. بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم
وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه. ثمنا قليلا. متاع الدنيا
اولئك لا خلاق لهم فى الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشئ
اصلا وان الملائكة يسئلونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله و
اياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله. ولا ينظر اليهم يوم القيمة
فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات
نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه. ولا يزكيهم. ولا يثنى
عليهم. ولهم عذاب اليم. على ما فعلوه وقيل انها نزلت فى احبار حرفوا التورية
وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على
ذلك رشوة وقيل نزلت فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها
بما لم يشترها به وقيل فى ترافع كان بين اشعث ابن قيس ويهودى فى بئر او ارض
وتوجه الحلف على اليهودى. وان منهم لفريقا. يعنى المحرفين ككعب ومالك
وحيى. يلوون السنتهم بالكتاب. يفتلونها بقراءته فيميلونها عن
المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو
المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها. لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب. الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون
وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين. ويقولون هو من عند
الله وما هو من عند الله. تاكيد لقوله ما هو من الكتاب وتشنيع عليهم
وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اى ليس هو نازلا من عنده وهذا
لا يقتضى ان لا يكون فعل العبد فعل الله. ويقولون على الله الكذب وهم
يعلمون. تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه. ما كان لبشر
ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا
لى من دون الله. تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظى

والسيد النجراني قالوا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك فقال معاذ الله ان نعبد
غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل
قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال
لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن
كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة
الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب
كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرّسون
من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون
القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس و
لا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة
وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي
في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه
ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان
يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة
ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال وقرئ ابو عمرو على اصله برواية
الدوري باختلاس الضم ايأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل
لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون
لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و
حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه
انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق
الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبيا
على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل وسماهم
نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب
والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية و
قرئ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء

رسول مصدق اخذ الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي
آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم
على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع
آتيناكم بالنون والالف جميعا قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري
اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر
او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين
وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى
بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون
المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة
متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون
وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو
وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم
وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر
واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل
وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين او
مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليهم واليه
يرجعون وقرئ حفص بالياء على ان الضمير قل آمنا بالله وما انزل
علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول صلى الله
وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقران كما هو منزل عليهم بتوسط
تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن
نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما تعدى بالى لانه ينتهي الى
الرسل تعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل
لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب
ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ
غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين اي الواقعين في الخسران والمعنى
ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال

الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو
كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل
الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحايد
عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له
وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى
الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين
دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي
القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر
موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم و
بمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون
عن الهدى مايوسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون
او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق
بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة
الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين
تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان
لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل
توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم
على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس
بالتخفيف وقيل بالتشديد بالاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد
الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقران او كفروا بمحمد بعد
ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد
عن الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقران او كفروا بمحمد بعد ما
امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا
ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع
اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون
الا اذا اشفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم

وابرازا لحالهم في صورة الايسين من الرحمة او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم
وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون
على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم
ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل
الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ
بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى
كانه قيل فلن تقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف
على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا
ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان
للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين
في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان
من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب
ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي
هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا
مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن
في طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول
الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح
او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه
فقال هذا في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة
فقال زيد انما اردت ان اتصدق فقال عليه السلام ان الله تعالى قبلها منك
وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الاية
تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان
من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء من اي شيء محبوب
او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام
اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر
نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى
لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل و
البانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان
ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز

للنبي عليه السلام ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو نسخ بما ابتداء
من قبل ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم
لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعي
عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر الايتان بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة
على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على
من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول موافقة ابراهيم بتحليله لحوم
الابل والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم
وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه
عليه السلام لما قالهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته
فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول
التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما الزمهم الحجة
فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق
بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق
فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام
التي هي في الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم
الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها
لابراهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب
في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط و
تعريض لشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة
وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل
للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة كالنبيط والنميط وامر راتب
وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من
بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة وروي انه عليه السلام سئل عن اول بيت
وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون
سنة وقيل اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش
وقيل هو اول بيت بناه ادم عم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في
موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان
يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات

وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد به اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير
والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف
وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه
ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان
ضواري السباع يخالط الصيود في الحرم ولا يتعرض لها وان كل جبار قصده
بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم
مبتدأ محذوف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من ايات بدل البعض من
الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها
فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر
اثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ اية بينة على
التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن
من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية
او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من
دخله او فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة
وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء و
قرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر
والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم
القيمة امنا وعند ابي حنيفة رح من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض
له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على
الوجه المخصوص وقرئ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج البيت
بالكسر وهي لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص
له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو
يؤيد قول الشافعي رح انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد
اجرة من ينوب عنه وقال مالك رح انها بالبدن فيجب على من قدر بالمشي والكسب
في الطريق وقال ابو حنيفة رح انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج
وكل ما اتي الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين
وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه
السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج بهذه
الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده

على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم حكمه او لا وتخصيصه فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله تعالى روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اى باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم يؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اى باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال وانتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تالفهم

واجتماعهم

واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا الله وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدى الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين

بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة
في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة و
تطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم
برسوله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين
على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار
فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث
ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفعة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب
والجانبة واصله شفو قلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل
ذلك التبيين يبين الله لكم اياته دلايله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم
على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط
لا يشترك جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها
والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب
على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم ليدل
على انه واجب وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة
تامرون كقوله كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ والدعاء
الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم
المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل من
خير الناس فقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم
للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا حسب ما يؤمر به والنهي
عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب
ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما
وجوب الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود
والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحكام الاخرة على ما عرفت
من بعد ما جاءهم البينات الايات والحجج للحق الموجبة للاتفاق عليه
والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله
عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران

ومن اخطا فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا
وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم
في معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور
بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة
واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك
فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة
القول لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب
كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع
الكفار كفروا بعد ما اقروا حين اشهدهم على انفسهم او ما تمكنوا من الايمان
بالنظر في الدلايل والايات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي
رحمة الله يعني نعيم الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على
ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله
وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه
حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف
للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك ايات الله
الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق
لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اي يستحيل الظلم منه لانه لا يحق
عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق
كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور
فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى
ولم يدل على انقطاع طرا كقوله تعالى وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا او كنتم في علم الله
او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير
امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن
به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به
وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه
الاية على ان الاجماع حجة لانها يقتضي كونها امرين بكل معروف ناهين عن كل

منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك
ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم
مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون
المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد
لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم
الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون
احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفي اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر
ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز
والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم
النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك
حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة
هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا
وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال
اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله
او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين
وباؤوا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم
المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب
الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة
والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل
بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله
فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر
وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل
بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون
بالفروع (كالصوم والصلوة والزكوة) ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من
اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة
العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء
الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنهم بالتلاوة في ساعات
الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل

الكتاب

الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة
فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون
بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون
عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم
الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك
من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله
واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع
ولن ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته
الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرئ حمزة وحفص والكسائي فلن يكفروه
بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى
مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء
فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون
مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون
رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد
والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت
وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا
انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن
سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته
ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك
لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح
وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين
بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم
اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة
وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه
لا يحذف الا في الشعر، ولكن من يبصر جفونك يعشق، يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة
الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار من

اوله وما كنت ممن يدخل العشق قلبه

من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي من كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كلها وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما لكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسد وا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين لان المجد في الامر المتدرب بالاتقا والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع لضمة الضاد وقرئ

ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخل علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه الصلوة والسلام رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كأني ادخلت يدي في درع فاولتها المدينة فان رأيتم ان يقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة فاصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام خرج من زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلث مائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسوله والظاهر انه ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما

يفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اى فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على
غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض
ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل فسمى بدرا وانتم اذلة
حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال
وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله فى الثبات لعلكم تشكرون ما انعم
عليكم بتقواكم من نصرة او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع
الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من
اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة
فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم
ذلك وانما جئ بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة
العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة الاف
ثم صاروا خمسة وقرئ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى
ايجاب لما بعد لن اى بل يكفيهم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما
وتقوية لقلوبهما فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اى المشركون من
فورهم من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير
للسرعة ثم اطلق للحال التى لا ريث فيها ولا تراخى والمعنى ان يأتوكم فى الحال يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملائكة فى حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين
معلمين من التسويم الذى هو اظهار سيماء الشئ لقوله صلى الله عليه وسلم لاصحابه
تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرئ
ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل
امدادكم الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به و
لتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد
وهو تنبيه على انه لا حاجة فى نصرهم الى مدد وان ما امدهم ووعدهم به بشارة
لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى اسباب اكثر وحث على ان
لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذى لا يغالب فى اقضيته الحكيم الذى
ينصر ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا
من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد
والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر اخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين

واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن
فى القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعى الامال
ليس لك من الامر شئ اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف
على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب
عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شئ وانما انت عبد
مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شئ باضمار
باضمار ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شئ او ليس
لك من امرهم شئ او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اى ليس لك
من امرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فتسر بهم او يعذبهم فتشفى منهم روى
ان عتبة ابن ابى وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم على
وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم
ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد
استحقوا العذاب بظلمهم ولله ما فى السموات وما فى الارض خلقا
وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح فى نفى
وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له والله غفور
رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا
الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص
بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربى الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى
يستغرق بالشئ الطفيف مال المديون وقرئ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح
واتقوا النار التى اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى افعالهم
وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة و
ترغيبا فى الطاعة ولعل وعسى فى امثال ذلك عزة دليل التوصل الى ما جعل
خيرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق
به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا
واو وجنة عرضها السموات والارض اى عرضها كعرضهما وذكر العرض
للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس
كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين

هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حال الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مواخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون اشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول المغفرة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلتين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل اية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة

تخطاه تجاوزه يقال تخطى رقاب الناس

والمخصوص

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس فضلكم مثل فضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين اي الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القران ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن عباس عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وانما يصيب المؤمن فيه من الصلاح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثال ذلك ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء

موجودًا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسًا منكم بالشهادة يريد شهداء أحد أو
يتخذ منكم شهداء معدّلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدايد والله
لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون أو الكافرين وهو اعتراض
فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجًا
لهم وابتلاءً للمؤمنين وليمحص الله الذين امنوا ليطهرهم ويصفيهم من
الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم
والمحق نقص الشئ قليلًا قليلًا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم
ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا
ولم يجاهد بعضكم وفيه دليل على انه فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه
توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت
النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع
على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم
تمنون الموت اى الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب
للذين لم يشهدوا بدرًا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشهدًا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من
قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه
وانتم تنظرون اى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قبل من
اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا
عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلت بالموت او القتل افان مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار على ارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم
عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكًا
به وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببًا لانقلابهم
على اعقابهم بعد وفاته روى انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن
عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه
وسلم فقال قد قتلت محمدًا وصرخ صارخ الا ان محمدًا قد قتل فانكفأ الناس و
جعل رسول الله عليه السلام يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه
حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا

امانًا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيًا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم
ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب
محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال
اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل
فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا بارتداده بل يضر
نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس
واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيته تعالى او
باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلًا مسمى في علمه تعالى
وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال
والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ و
تأخير الاجل كتابًا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابًا مؤجلًا صفة له
او موقتًا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض
لمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم و
اخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز
المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة
نؤته منها اى من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله
فلم يشغلهم شئ عن الجهاد وكأين اصله اى دخلت الكاف عليها وصار
بمعنى كم والنون تنوين اثبتت في الخط على غير قياس وقرئ ابن كثير وكائن
ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار
كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفًا كما ابدلت
من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء
عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة
وقرئ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون
او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد
وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر
فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما
اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين
وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة

او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهو تعريض لما اصابهم عند
الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم والله يحب الصابرين فسينصرهم
ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اى وما كان قولهم مع ثباتهم
وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف
انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب
التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون
اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة
وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله
يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجاء الى الله تعالى النصر والغنيمة
والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن
اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين
كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين
للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل
ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل
عام في مطاوعة الكفار والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم
ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين
فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب
ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام
ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا
عليهم ليستاصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرئ ابن عامر والكسائي
ويعقوب بالضم على الاصل اى ضم العين من الرعب على الاصل في كل القران
بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم ما لم ينزل به سلطانا اى الهة
ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب
بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة
لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اى مثواهم
فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله
وعده اى وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف

الرماة

الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف
حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا
ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص
من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون
فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه
اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله وعصيتم
من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب
اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة
ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم
عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن
ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة
والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها
سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق
بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض
يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد
ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله
من يكر فله الجنة في اخراكم من ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم
الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر
المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا
تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على
ما فاتكم منه من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة وقيل
الضمير في فاثابكم للرسول اى واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم
بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر و
لا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم
بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى
اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف
يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب

على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اى النعاس وقرا حمزة والكسائى بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم فى الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اى لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شئ هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شئ او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ قل ان الامر كله لله اى الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرئ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اى فى انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شئ كما وعد محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان راى ابن ابى وغيره ما قتلنا ههنا ما غلبنا ولما قتل من قتل منا فى هذه المعركة قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها فى سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمتحن ما فى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل ذلك ليبتلى او عطف على محذوف اى لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما فى قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد

وتنبيه على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعنى ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب فى انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب لمخالفة النبى صلى الله عليه وسلم وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصى يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعنى المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب او المذهب اذا ضربوا فى الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزا جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها فى ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيى ويميت رد لقولهم اى هو المؤثر فى الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم اى متم فى سبيله وقرئ نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزا ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك فى سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم يموتوا وقرئ حفص بالياء ولئن متم او قتلتم على اى وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذى توجهتم اليه وبذلتم

مهجبكم لو جمعوا اي غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرئ حمزة
ونافع والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما
مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على
جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيئ
الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا
عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم
فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان
يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة
للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل
على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت
على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل على الله ولا تشاور
فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان
ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان
يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من
بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على
المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب
خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا
ان لا ناصر سواه وامنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون
في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل
اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي ان
قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا
نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم
الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلايع فغنم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلايع فنزلت
فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ
نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول
والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت
بما غل يوم القيمة يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما

احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت
وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون
كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله
فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم
ولا يزاد عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة فمن باء رجع
بسخط من الله بسبب المعاصي وماواه جهنم وبئس المصير
الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك
المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت
في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم
باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على
المؤمنين انعم على من امن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة
عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه
او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا
مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة
مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه السلام من اشرف قبايل
العرب وبطونهم يتلوا عليهم اياته القران بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا
الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطبايع وسوء العقايد والاعمال
ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القران والسنة وان كانوا من قبل
لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام الفارقة والمعنى ان الشان كانوا
من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم
مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق
من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرف المضاف الى
اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال
انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا
وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم
من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة
او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي باختياركم الفداء يوم بدر ان
الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيبكم ويصيب
منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين

يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها
من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنين والمنافقون
فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة
او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم
وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه
قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع
العدو ويكسر فيه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى
قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو
نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة
بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم
تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ السنتهم قلوبهم بالايمان واضافة
القول للافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق
وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات
الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين
نافقوا او جر بدلا من الضمير من بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن
بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم
وقعدوا حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا
في القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقرئ هشام وما قتّلوا بتشديد التاء
قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين
انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه
فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان
القتال يكون سببا للموت والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد
وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد
وقرئ هشام بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين
قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند
القرينة وقرأ ابن عامر قتّلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي

بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى
منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من
فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله تعالى
والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا
بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي
الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل
من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال من تركوا
خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها
خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل
المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه
ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون
عليها الاية وما روى ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في
اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة
في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم
القيمة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان
وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد
لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون
كرره للتاكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول
بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل
زيادة عليه كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم
وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرئ
الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على
ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب
على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم
بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان
المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا
وبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا

بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية
اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر
والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس
يعني الركب الذي استقبلهم من عبد قيس او نعيم ابن مسعود الاشجعي واطلق
عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد او
لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا
محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما
كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له
ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير
من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله
ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال اتوكم
في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا
فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في
سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن
للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى
انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازدادوا ايمانا واظهروا
حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص
ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى
يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة
من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر
الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على
انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك
ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من
الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة فانهم
لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة
وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين
بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة
الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو

بالحفظ

بالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل
وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم
الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما
بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة
الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف
اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان
واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني
وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان
الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم
ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله
انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في
الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله
ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل على
تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية
حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم في الكفر
لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان
عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا
ولهم عذاب اليم تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق
من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم
خير لانفسهم خطاب للرسول او لكل من يحسب والذين مفعول وانما
نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب
عن المفعولين لقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على
تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم
او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان
حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان
مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة
والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له

الطول ليزغي كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استئناف بما هو علة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وبكسر الاول ولا يحسبن باليا على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وقرئ حمزة والكسائي حتى يميز هاوفي الانفال بضم اليا وفتح الميم وكسر اليا وتشديدها والباقون بفتح اليا وكسر الميم وسكون اليا وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر او ايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فامنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حتى الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراات فيه ما سبق ومن قرئ بالتا قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ باليا ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق

وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما يعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتا على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله روي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص ابن عازورا ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحايف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او استهزاء بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب باليا وضمها وفتح التا وقتلهم بالرفع ويقول باليا ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات وذكره هاهنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب ابن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب ابن يهود ان الله عهد الينا امرنا في التوراة واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار

بان لا تؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو
ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها
بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان
الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من
قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب
والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما
اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم
وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا على
قتله فان كذبوك فقد كذبت رسل من قبلك جاؤا بالبينات
والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر
جمع زبور وهو الكتاب المقصود على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب
في عرف القران ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين
في عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرئ ابن
عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس
ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت
بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون
اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة
يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور
ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران
فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب
بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه
منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما
الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها
بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة
فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون
اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من الافات
وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض
والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين

اشركوا

اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين
اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا
للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة
امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات
الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم
في الاصل ثبات الرأي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت
اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس
ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابي عمرو وعاصم في رواية
ابن عباس بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله
ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم
فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم
الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه واشتروا به
اخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واغراضها فبئس ما يشترون
يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم
بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل
العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول صلى
الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون
والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون
بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء
بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي
فائزين بالنجاة منه وقرئ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها
في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا تحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا
مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم
بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله
ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام
سأل اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد
صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا
بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون

بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة ولله
ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شئ قدير فيقدر
على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان فى خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب لدلايل واضحة
على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصة
عن شوايب الحس والوهم كما سبق فى سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة
فى هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه
فانه اما ان يكون فى ذات الشئ كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر
بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبى
صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم اى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين
ومضطجعين وعنه صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر
وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام
لعمران ابن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى
جنب تومى ايماء وهو حجة للشافعى رض فى ان المريض يصلى مضطجعا على جنبه الايمن
مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون فى خلق السموات والارض
استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر
لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق
على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا
اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول
وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اى يتفكرون
قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق
من السموات والارض او اليهما لانهما فى معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا
من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبتداء لوجود الانسان
وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية
والسعادة السرمدية فى جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق
الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام
ما يقتضيه وفائدة الفاء هى الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات
والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته

فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الضمان فقد ادرك والمراد به
تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار
بان العذاب الروحانى افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين
ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخال النار و
انقطاع النصرة عنهم فى الخلاص منها ولا يلزم من نفى النصرة نفى الشفاعة لان النصرة
بقهره ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان اوقع على المسمع وحذف
المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغات ليست فى ايقاعه على نفس
المسموع وفى تنكير المنادى واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به
الرسول وقيل القران والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها
معنى الانتهاء والاختصاص ان امنوا بربكم فامنا اى بان امنوا فامتثلنا
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا
صغايرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكباير وتوفنا مع
الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين فى زمرتهم وفيه تنبيه على
انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع
بر او بار كارباب واصحاب ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اى
ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال
ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء
عاقبة او قصور فى امتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان تعلق على المحذوف
تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة
رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف
الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعى وعن ابن عباس رض الميعاد البعث بعد
الموت وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال المطالب
وعلو شانها وفى الاثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف
فاستجاب لهم ربهم اى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه
وباللام انى لا اضيع عمل عامل منكم اى بانى لا اضيع وقرئ بالكسر
على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض
لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال
والاتحاد او للاجتماع والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة بين بها شركة
النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى ان ام سلمة رض قالت يا رسول الله

انى اسمع الله بذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى اخره تفصيل لاعمال العباد وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا فى الجهاد وقرئ حمزه والكسائى بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثانى افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد بن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اى اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه لقوله تعالى ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل للتغلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا يغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روى ان بعض المؤمنين يرون المشركين فى رخاء (الرخاء واسع الحال) ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما ترى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتداء محذوف اى ذلك التغلب متاع قليل لقصر مدته وفى جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا فى الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد اى ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنى والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزولا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت فى ابن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج (عظيم) نصرانى وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعده فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء يا ايها الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدايد وصابروا وغالبوا اعداء الله فى الصبر على شدايد الحرب واعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلوة وعنه من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل (لا ينفك) عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبرى عما سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبايح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المرتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العبادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ال عمران اعطى بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه من قرأ السورة التى يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى يحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم بنى ادم اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى ادم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات

كثيرة والمعنى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة يقتضي ان يكن
اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها
من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة توجب
(عطف على القدرة)
طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزلته
وبني جنسه مادلت عليه الايات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف
مبتدأ تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به
اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت
التاء الثانية في السين وقرئ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام
بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله
اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرئ حمزة بالجر عطفا
على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ
محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه
سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام
الرحم معلقة بالعرش الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله
كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا واتوا اليتامى اموالهم اذا بلغوا و
اليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة
اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتايم ثم
قلب فقيل يتامى او على انه جمع يتمى كاسرى لانه من باب الافات ثم جمع يتمى
(نقال)
على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار و
الكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وروده في الاية اما للبلغ على الاصل
او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول
بلوغهم قبل ان يزول هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم
صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال واتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول
ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ
طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله
ونعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا
تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال
اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم
وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبديل ولا تاكلوا اموالهم

(في الهامش: ح اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي التقوى عن قطع ما يجب عليهم وصله وفي لفظ التمهيد لطف وتدقيق وهو ان جعل تقوى العام لتمهيد التقوى الخاص هذا المراد بالعام الخاص كما قال صاحب الكشاف)

الى اموالكم ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا
بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل
بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا
وهو مصدر رحاب حوبا كقال قولا وقالا وان خفتم الا تقسطوا في
اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى
النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذا كان الرجل يجد يتيمة
ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر
على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها
فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه
لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما
عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعة
عنهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا
فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما
اعبر عنهن بما ذهابا الى الصفة واجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن
ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي
ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة
هي ثنتان ثنتان وثلاث ثلاث واربع اربع غير منصرف للعدل والصفة
فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها
(اي تكون في الاصل صفات)
معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها
الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه
ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة
ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت
باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين
هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع
وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة
او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج
والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك
اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى ان لا تعولوا
اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول

(في الهامش: وهو اختيار صاحب الكشاف على ما ذكر في سورة فاطر هنا ايضا)

الفريضة لميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا اكثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع واتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي اتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف الاموال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للايات المتقدمة والمتاخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امراته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي

قوله مقام مصدريهما اي مقام هناء ومراء
قوله او وصف بهما المصدر اي فكلوه اكلا هنيئا مريئا

يقومون وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما تحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان انستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الاية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء وكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاق دفع اموالهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يتميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان فظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب

مالك خلو فالابي حنيفة وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم و
لا تتجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة
مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب
على انه مصدر مؤكد لقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب
او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث
لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روى ان اوس بن صامت الانصاري
خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة
وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال
ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث
الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا و
لم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي
ابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة
اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه
فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب
للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل
عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا
ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم
ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض
عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم
على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر
القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم
بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا
للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش
الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم
الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث
على الترحم وان يحب لاولاد غيرهم ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال

اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية
بعد ما امرهم بها مراعاة للمبداء والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم
ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب
او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة
وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان
يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان
الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما
ياكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن
ابي بردة انه عليه السلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم
نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون
نارا وقرئ ابن عامر وابن عباس عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا
يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير
فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يامركم ويعهد
في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين
اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص
الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان
التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى
للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا
ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات فوق اثنتين
خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك
المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي
وان كانت المولودة واحدة وقرئ نافع بالرفع على كان التامة واختلف
في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين
لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر
مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما
الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله
فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت
الثلث مع اخيها فبالحري ان يستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما

من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اي
ولابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص
على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيد السدس
مما ترك ان كان له للميت ولد ذكرا او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع
الانثى بالفريضة وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له
ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك انما ذكر حصة الام
ولم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم
علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها
حيث معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله
ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب
وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه
يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن
ابن عباس انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد
بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات
قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص
اخذا بالظاهر وقرئ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي
قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدم من قسمة
المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين
وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب
متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي
متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها
الجميع والدين انما يكون على الندور وقرئ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح
الصاد اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون
من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله
به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان
ارفع منه درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثكم
منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم
ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله
مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله

كان عليما بالمصالح والرتب حليما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك
ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن
اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان
او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن
الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن
مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق
الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا
في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي
الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث
اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره
وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له و
المراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث
ويورث او اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء
للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبرا وحال
وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى
الكلال قال الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست
بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى
ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امراة عطف على رجل وله اي
وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ
او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعيد بن مالك وله اخ او اخت
من الام وانه ذكر في اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق
باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها
فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء
في الثلث سوي بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء لمحض
الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون
مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى
بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد
المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال عن
فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء

للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عباس عن عاصم وصية من الله مصدر
مؤكد أو منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده أن قرئ غير مضار وصية
بالإضافة أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة أو وصيته منه
بالأولاد بالإسراف في الوصية والإقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره
حليم لا يعاجل بعقوبته تلك إشارة إلى الأحكام التي تقدمت في أمر اليتامى
والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز
مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد
الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون
وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك
خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا وإلا لوجب إبراز الضمير لأنهما جرتا على
غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم أي يفعلنها يقال أتى
الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها إذا فعلها (أي أصابها) والفاحشة الزنا لزيادة قبحها
وشناعتها فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن
أربعة من رجال المؤمنين (الخطاب للحكام) يشهد عليهن فإن شهدوا فأمسكوهن في
البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفا
هن الموت يستوفي أرواحهن الموت أو يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان
ذلك عقوبتهن في أوائل الإسلام فنسخ بالحد ويحتمل أن يكون المراد به التوصية
بإمساكهن بعد أن يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض (أي الإمساك في البيوت)
للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني أو يجعل الله لهن سبيلا
كتعيين الحد المخلص عن الحبس أو النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها
منكم يعني الزاني والزانية وقرأ ابن كثير واللذانّ بتشديد النون وتمكين
مد الألف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع
وقيل بالتعيير والجلد فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما
الإيذاء أو أعرضوا عنهما بالإغماض والستر إن الله كان توابا رحيما
علة الأمر بالإعراض وترك المذمة وقيل هذه الآية سابقة على الأولى نزولا
وكان عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الأولى في السحاقات وهذه
في اللواطين والزانية والزاني في الزناة إنما التوبة على الله أي إن قبول

التوبة

التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته للذين
يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فإن ارتكاب الذنب
سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته
ثم يتوبون من قريب من زمان قريب أي قبل حضور الموت لقوله
تعالى حتى إذا حضر أحدهم الموت وقوله عليه السلام إن الله يقبل توبة
عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لأن أمد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع
الدنيا قليل أو قبل أن يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم
الرجوع ومن للتبعيض أي يتوبون في أي جزء من الزمان القريب الذي
هو ما قبل أن ينزل بهم سلطان الموت أو يزين السوء فأولئك يتوب
الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله إنما التوبة
على الله وكان الله عليما فهو يعلم بإخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم
لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى
إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون
وهم كفار سوى بين من سوف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة
والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد
بها في تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل
المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات
المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم وبالذين يموتون الكفار أولئك
أعتدنا لهم عذابا أليما تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان أن العذاب
أعد لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل
أصله أعددنا فأبدلت الدال الأولى تاء يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم
أن ترثوا النساء كرها كان الرجل إذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على
امرأته وقال أنا أحق بها ثم إن شاء تزوجها بصداقها الأول وإن شاء زوجها
غيره وأخذ صداقها وإن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا
عن ذلك وقيل لا يحل لكم أن تأخذوهن على سبيل الإرث فتتزوجوهن
كارهات لذلك أو مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم
في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على أن
ترثوا ولا لتأكيد النفي أي ولا تمنعوهن من التزويج وأصل العضل التضييق

يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء
من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله
كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة
كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له
تقديره لا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن
لعلة الا ان ياتين بفاحشة وقرئ ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة هنا وفي
الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن
بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن
فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن
لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو
بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل
علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج
تطليق امراة وتزويج اخرى واتيتم احداهن اي احدى الزوجات
جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تاخذوا
منه شيئا اي من القنطار اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام
انكار وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين واثمين ويحتمل النصب على العلة كما في
قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم قيل
كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء
منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب
الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا
بالظلم وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد
المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم
ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو عقد النكاح الصحيح وحق الصحبة والممازجة او ما اوثق
الله عليهم في شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او
ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها اباؤكم
وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول
من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف

استثناء

استثناء من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل يستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم
الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل اباءكم الا ما قد
سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد
سلف فانه لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة
للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا
عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل منه مقتيا وساء
سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس
المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر
الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده
في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدتك وان علت وبناتكم
تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات
من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا
ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات
الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة
اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل
الذي در عليه اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
واستثنى اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح
فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم
وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر
اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات
المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب
ولد المراة من اخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى
مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة
للفظ وحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان
من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك
بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند

جمهور الاود باء الظهر اذا جعلتها للاتصال كقوله اذا حاولت في اسد فجورا
فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات
بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة فطلقها
قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب
عامة العلماء غير انه روي عن علي رضه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول
الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية
العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او
بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان يجروها مجراهم
لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضه انه جعله شرطا و
الامهات والربائب متناولا للقريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم
معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بزنا كالوطي بشبهة او ملك
يمين وعند ابي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم
بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل
ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين
من اصلابكم احتراز من المتبنين لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين
في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح
فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة من النكاح فهي محرمة في ملك اليمين
ولذلك قال عثمان وعلي رضه حرمتهما اية واحلتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله
او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان اية التحليل
مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب
الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن
ما سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات
من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرئ
الكسائي بكسر الصاد في جميع القران غير هذا الحرف لانهن احصن فروجهن
الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج
كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا
سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي
صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله
وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة

لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الاية والحديث
حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم
تحريم هؤلاء كتابا وقرئ وكتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم
وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب
الله وقرئ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت
ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في
معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع من المراة وعمتها وخالتها ان
تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم
ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن

اي تنكحوا بالصداق او تشتروا بالثمن

في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه
قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل مما وراء ذلكم
بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه
والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم من السفح وهو صب المني فانه
الغرض فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما
استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فاتوهن اجورهن مهورهن
فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة من الله حال من الاجور بمعنى مفروضة
او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى
او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت
الاية في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عليه السلام
اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه
النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم
سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمراة وتمتيعها بما يعطى وجوزها
ابن عباس رضه ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما
فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله
الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب
بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات
او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فمن ما ملكت
ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات فظاهر الاية حجة

للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومبلغ نكاح الامة الكتابية مطلقاً واوّل ابو حنيفة رح طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطئ وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضاً على التقييد وجوّز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذراً من مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فربّ امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا افضل الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم على الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من ادم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقاً لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد انفسهن حتى يحتج به الحنفية واتوهن اجورهن اى ادّوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدّى اليه وقال مالك المهر للامة ذهاباً الى الظاهر بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج وقرئ ابو بكر وحمزة والكسائى بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زناً فعليهن نصف ما على المحصنات يعنى الحرائر من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط اخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبيّن لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفى عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وان يبيّن مفعول يريد واللام زيدت لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد اردت

لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبيّن مفعول له اى يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم اى يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمبالغة و يريد الذين يتبعون الشهوات يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الايتمار لها واما المتعاطي لما سوّغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخت ان تميلوا عن الحق ميلاً بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيماً بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة و خلق الانسان ضعيفاً لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رض ثماني ايات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءاً يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة عن تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراض المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي يتحل بها تناول مال الغير لانها اغلب وارفق لذوى المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقاً وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله تعالى و بالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرئ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اى الا ان يكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روى ان عمرو ابن العاص تاوّل التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدى الى قتلها او باقتراف

مايذللها وتؤديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انها سبب قوامها استبقاءهم ريثما يستكمل النفوس ويستوفي فضايلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كباير الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم يغفر لكم صغايركم ونمحها عنكم واختلف في الكباير والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكباير الى سبع مائة اقرب منها سبع وقيل اراد بها ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها والى ما تحتها فاكبر الكباير الشرك واصغر الصغاير حديث النفس وبينهما وسايط يصدق عليه الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرئ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور

الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضاء بما قسم الله له وانه يشتهي لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك من الرجال اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفصيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا مثله من خزائنه التي لا تنفد وهي يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله ما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او لكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربين لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او لكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد نكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله

كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء
يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال
بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال
العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة
والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد
والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق
وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن
الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال عليه السلام
لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير
فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات
للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس
والمال وعنه عليه السلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها
اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم
بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد
والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة و
القيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة
فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق
الله او طاعته وهو التعفف على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن
فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت
اللحاف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن
واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شاين والامور الثلثة مترتبة ينبغي
ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء
والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب
كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على
من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق
بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه فان
خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما
لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به

لقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صايم فابعثوا حكما من
اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما [وهو الرجال والصلحاء]
لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح [عدلا]
من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح
وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب
للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب
لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن
الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا
اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين
اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين
وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق
كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح
وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان
من اصلح نيته فيما تحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر
والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا
وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى
وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى
الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين
وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد [تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي الجوار والقربى]
او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق
حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق
الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب
والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة
وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر
او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من
كان مختالا متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت [لعله الضعيف]
اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون الناس
بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين

قوله وجار له حقان وفي عدم ذكره لحق الجوار وحق الغير القرابة اشارة الى ان حق القرابة انما يعتبر بالاسلام

او مبتداء خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون بالبخل به
وقرئ حمزة والكسائى هنا وفى الحديد بالبخل بفتح الطرفين وهى لغة ويكتمون
ما اتيهم الله من فضله الغنى والعلم اخفاء الكل ملامة واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو
كافر لنعمة الله ومن كان كافر النعمة فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء
والاية نزلت فى طائفة من اليهود كان يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا
اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم
والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون
او الكافرين وانما شاركهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو
الانفاق لا على ما ينبغى من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء فى القبح و
استجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن
الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق
مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان
له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك
وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد
ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن
بهم الشيطان فى النار وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا
مما رزقهم الله اى وما الذين عليهم او اى تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق
فى سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ على
خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم
بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه
ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا
والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال
ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب اصغر شئ كالذرة وهى النملة
الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفى ذكره
ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان يكن
مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث
وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرئ ابن كثير ونافع حسنة
بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرئ ابن كثير وابن عامر

ويعقوب يضعّفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من
عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد فى مقابلة العمل اجرا عظيما
عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف اى فكيف
حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد
يعنى نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل فى الظرف
مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك على
يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء اشارة الى الكفرة
المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا
الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اى يود الذين
جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة فى ذلك الوقت ان
يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم
والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان
جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى بهم الارض
وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم
فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ نافع وابن عامر
تسّوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء فى السين وحمزة والكسائى
تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اى
لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون
فى صلوتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعى نفرا من الصحابة
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب
فتقدم احدهم ليصلى بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد
بالصلوة مواضعها وهى المساجد وليس منه المراد نهى السكران عن
قربان الصلوة وانما المراد النهى عن الافراط فى الشرب والسكر من السكر
وهو النبيذ وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد
بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا
عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب

اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر
الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا
الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له
تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل
على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين
فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رض وقال ابو حنيفة رض لا
يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا
غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز
عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم
مرضى مرضا يخاف من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه
عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط
فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط الموضع المطمئن من الارض
او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي
على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرئ حمزة والكسائي ههنا
وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء
فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع منه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان
المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية في غالب الامر مرض او
سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر
اسبابه الذي يحدث بالذات او بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل
حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او
محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض
طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزاه
وقال اصحابنا لا بد ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم
من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي انه عليه السلام
تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم
الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص
لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي

بالى لتضمن معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان
المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها
به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ياخذون
الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل
سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما
يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا
يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال
الاضافي بالاتصال الاماني من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا
فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي
ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف يحرفون الكلم عن
مواضعه اي ومن الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه
التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او باولونها على ما يشتهون
فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة
بتخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع
غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب
الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك
لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه
فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك
ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا
راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت
مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون
من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية
ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم
هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم
واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه
موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى
بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو
الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل
التشكي للمهم يصيبه او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنون يا ايها الذين

اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس
وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها
على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى وراءها في الدنيا او في الآخرة واصل
الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة
ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان تغير وجوها فنسلب
و واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت
منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال
ان المراد بالوجوه الرؤسا او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار
عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية
الى الضلال او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ
كما اخزينا به اصحاب السبت او نمسخهم مسخا مثل مسخهم او نلعنهم على لسانك
كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات
او للوجوه ان اريد به الوجها وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان
المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في
الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن
منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه
مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا به
ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلوده عذابه ولان
الذنب لا ينمحي اثره عنه فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما
دون ذلك ما دون الشرك صغيرا او كبيرا لمن يشاء تفضلا
عليه واحسانا والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك
لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد
بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم
فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها
فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك
وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما
ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين
سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق
الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله

والجناوة

والجناوة وقيل ناس من اليهود جاءوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار
كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناه من زكى نفسه
واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون
تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وذكى
المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا
ولا تظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى
ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر
كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده و
كفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين
آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى
فيما يدعوا اليه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في حيي ابن اخطب وكعب بن الاشرف
في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا
لآلهتنا حتى يطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد
من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت
يطلق لكل باطل من معبود وغيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم
هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا
وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له
نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب من الملك
ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت
اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي
لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة
في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم يبخلوا بالنقير وهم ملوك
فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا
نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو
والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا
على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله واصحابه

اوالعرب اوالناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم
وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذايل وكان بينهما تلازما وتجاذبا
على ما اتاهم الله من فضله بمعنى النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز او جعل
النبي الموعود منهم فقد اتينا ال ابراهيم الذين انهم اسلاف محمد وابناء
عمه الكتاب والحكمة النبوة واتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان
ياتيه الله مثل ما اتاهم فمنهم من اليهود من امن به بمحمد او بما ذكر من
حديث ال ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل
معناه فمن ال ابرهيم من امن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره
فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون
بها اى انهم لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين
كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على
صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود
احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اى ليدوم لهم ذوقه
وقيل يخلق لهم مكانه جلد اخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة
لا لالته او رالكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما
يعاقب على وفقه والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار
ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين
بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا
فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة
الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقوله شمس شامس وليل
اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة
بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال
لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح فدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سئله العباس
ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله ان يرده اليه فامر
عليا رض بان يرد ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي

بان

بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
اى وان لم تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم
او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم
به اى نعم شيئا يعظكم او نعم الشيء الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة
بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور
من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا
باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين
في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر
الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما
داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى
اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولو
الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد
ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على
طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول
بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس
وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب
بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس
ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان
الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليها على وجه
القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب
ذلك ذلك اى الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن
تاويلا من تاويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل
اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله
عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال تحاكم الى
عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض
بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى

اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال
هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرئيل عليه السلام
ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب ابن
الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه
او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل
عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم
ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله تعالى
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا
ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
وهو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه
غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موقع الحال فكيف يكون
حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله تعالى بما
قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك ثم جاؤك حين
يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض
يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا
بذلك الا الفضل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك
وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا
ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم
الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب
من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن
قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في
انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا
بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة
فيه بالترغيب والترهيب وذلك يقتضي شفقة الانبياء وتعليق الظرف
ببليغا على معنى في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم
الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في
طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي

[margin:] ... الظروف بالم تتسعوا في غيره كما في خبر ان ... على العامل المعنوي اذا كان ظرفا معه ان ... لاجله فائدة جليلة جائزة وذلك لانه لو اخر ... عن تعلمه بليغا لوجب تعلقه به ولما قدمه احتمل ... به كما قال المعلوم ونقلقه بعله على الوجهين

لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان
ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ومن لم يرض بحكمه لم يقبل
رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو
خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص و
استغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما
عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار
التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب
لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة
وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه
فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله
لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد
حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر
لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاكّ في ضيق من امره
ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا
كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها
كما قتل بنوا اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا
او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرئ
ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم
الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرأ عاصم
وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة
بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا ناس قليل المخلصون لما بين
ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن
اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين
وقرئ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة
لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد
لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والاية

ايضاً مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في خاطب ابن
ابي بلتعة خاصم زبيراً في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم
ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير
ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسل الى جارك واذا لاتيناهم من
لدنا اجراً عظيما جواب لسوال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت
فقال واذن لو ثبتوا لاتيناهم لان اذن جواب وجزاء ولهديناهم صراطا
مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب
قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها
موافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدراً من النبيين والصديقين و
الشهداء والصالحين بيان للذين حال منه او من ضميره قسمهم اربعة
اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم
وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل
ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى
بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء
واخبروا عنها على ما هي عليه ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد
في اظهار الحق حتى بذلوا مهجتهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم
في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان يقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء
اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان
والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريباً
وهم الانبياء اولا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والاخرون
اما ان يكونوا عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء
في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون
وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال
ولم يجمع لانه فقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم
رفيقاً روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد
تغير وجهه ونحل جسمه فساله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك
اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة
فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة

كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابداً فنزلت ذلك
اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية وموافقة المنعم عليهم او الى فضل
هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفة من الله خبره او الفضل
خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاع
وبمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم
تيقظوا واستعدوا للاعداء او الحذر والحذر كالاثر وقيل ما يحذر به
كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات
متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبيةً اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع
ايضاً على ثبين جبراً لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة
واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة
الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن
الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين والمنافقين
والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطاء بمعنى ابطاء وهو
لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط بن ابي ناساً يوم احد من بطا منقولاً من بطوء
كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية
جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في
ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم
مصيبة كقتل وهزيمة قال المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا حاضراً فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من
الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم
اللام اعادة للضمير على معنى من كان لم يكن بينكم وبينه مودة
اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا
عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة
بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل
في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبط من المنافقين وضعفة المسلمين تضريباً وحسداً
كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فيفوزوا بما فاز
يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل
ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظاً ومعنىً وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير
الشان وهو محذوف وقرئ ابن كثير وحفص وعاصم ورويس عن يعقوب

نكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اى يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اى الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هولاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى تعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اى وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اى وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله تعالى يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم على الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعلنا من لدنك وليا واجعلنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم ثم استعمل حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا اجرى على غير من هو عليه كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه

الذين

الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اى عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اى وكخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقرئ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ او اينما متصل بلا يظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الاية اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشومك

كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها قل كل
من عند الله أي يبسط ويقبض حسب إرادته فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فإنهم لو فهموه
وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل من عند الله أو حديثا ما كبهائم لا أفهام لهم أو
حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيه فيعلموا أن القابض والباسط هو الله
ما أصابك من حسنة من نعمة فمن الله أي تفضلا منه فإن كل ما
يفعله الإنسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك
قال عليه السلام ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى قيل ولا أنت قال ولا أنا
وما أصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لأنها السبب فيها
لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى قل كل من عند الله فإن الكل منه إيجادا
وإيصالا غير أن الحسنة إحسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت
عائشة رض ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى
انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر والآيتان كما ترى لا حجة
فيهما لنا وللمعتزلة وأرسلناك للناس رسولا حال قصد بها التأكيد
إن علق الجار بالفعل والتعميم إن علق بها أي رسولا للناس جميعا كقوله
وما أرسلناك إلا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا
من في زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات
من يطع الرسول فقد أطاع الله لأنه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي
أنه عليه السلام قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال
المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما أرسلناك عليهم
حفيظا تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها إنما عليك البلاغ وعلينا
الحساب وهو حال عن الكاف ويقولون إذا أمرتهم بأمر طاعة
أي أمرنا طاعة أو منا طاعة وأصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة
على الثبات فإذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم
غير الذي تقول زورت خلاف ما قلت لها أو ما قالت لك من
القبول وضمان الطاعة والتبييت إما من البيتوتة لأن الأمور تدبر بالليل
أو من بيت الشعر أو من البيت المبني لأنه يسوى ويدبر وقرأ أبو عمرو وحمزة
بيت طائفة لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم

للمجازاة أو جملة ما يوحى إليك لتطلع على أسرارهم فأعرض عنهم قلل
المبالاة بهم أو تجاف عنهم وتوكل على الله في الأمور كلها سيما في شأنهم
وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم أفلا يتدبرون
القرآن يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه وأصل التدبر النظر في
أدبار الشيء ولو كان من عند غير الله أي ولو كان من كلام البشر كما
زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت
النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته و
بعضه يسهل ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض
وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء
لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على أن اختلاف
ما سبق من الأحكام ليس للتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم
والمصالح وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف مما يوجب الأمن أو الخوف
أذاعوا به أفشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أخبرهم الرسول بما أوحي إليه من وعد بالظفر
أو تخويف من الكفرة أذاعوا به لعدم حزمهم فكانت إذاعتهم مفسدة والباء
مزيدة أو لتضمين الإذاعة معنى التحدث ولو ردوه لو ردوا ذلك الخبر
إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم إلى رأيه ورأي كبار أصحابه البصراء
بالأمور أو الأمراء لعلمه يعلمه على أي وجه يذكر الذين يستنبطونه
منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم وقيل كانوا يسمعون
أراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه إلى
الرسول وإلى أولي الأمر منهم حتى يسمعوه منهم ويعرفوا أنه هل يذاع لعلم
ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يستخرجون
علمه من جهتهم وأصل الاستنباط إخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر أول
ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بإرسال الرسول وإنزال
الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال إلا قليلا إلا
قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به إلى الحق والصواب
وعصمة عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
أو إلا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله إن تثبطوا وتركوك
وحدك لا تكلف إلا نفسك إلا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم

وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روى
انه عليه السلام دعى الناس فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت
فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرى لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون
على بناء الفاعل اى لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك
لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك فى شانهم الا التحريض
عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا يعنى قريشا وقد فعل بان القى فى
قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا
تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة
راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضررا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله و
منها الدعاء لمسلم قال عليه السلام من دعى لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له
وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة
والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما
يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها فى القدر وكان الله على
كل شئ مقيتا مقتدرا من اقات على الشئ اذا قدر قال وذى ضغن كففت
الضغن عنه وكنت على مساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت
فانه يقوى البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او
ردوها الجمهور على انه فى السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن
منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته
وهى النهاية واما برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله السلام عليك
فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة الله
وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ما قال الله تعالى
وتلا الاية فقال انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه
اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل
او للترديد بين ان يحيى المسلم ببعض التحية وبين ان يحيى بتمامها وهذا الوجوب
على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد فى الخطبة وقراءة القران وفى الحمام
وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية فى الاصل مصدر حياك الله على الاخبار
ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام وقيل المراد

بالتحية

حزب

بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعى رحمه الله
ان الله كان على كل شئ حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله
لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى يوم
القيمة اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه
او فى يوم القيمة ولا الدال هو اعراض والقيام والقيمة كالطلاب والطلبة
وهى قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه فى اليوم او الجمع فهو
حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان
يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص
وهو على الله محال فما لكم فى المنافقين فما لكم تفرقتم فى المنافقين
فئتين اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا استأذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتنواء المدينة فلما
خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون
فى اسلامهم وقيل نزلت فى المتخلفين يوم احد او فى قوم هاجروا ثم رجعوا
معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام
وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما وفى المنافقين
حال من فئتين اى متفرقين فيهم او من الضمير اى فما لكم تفترقون ومعنى الافتراق
مستفاد من فئتين وقرئ حمزة والكسائى باشمام الصاد الزاى والله
اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم الى النار
واصل الركس رد الشئ مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله
ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى
الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون
سواء فتكونون معهم سواء فى الضلال وهو عطف على تكفرون ولو
نصب جواب التمنى لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى
سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هى لله و
رسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن
الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم كساير الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
اى جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم

الا الذين يصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربيكم والقوم هم
خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال
ابن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل
ماله وقيل بنو بكر ابن زيد مناة اوجاؤكم عطف على الصلة اي او الذين
جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المأمور باخذهم وقتلهم
من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين
او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم
كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ
بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف
حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرةً صدورهم
وحصراتٍ او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت
صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين
والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن
ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان
قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا
عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم
السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
فما اذن لكم في اخذه وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم و
يأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا
الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة
دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها
اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم
العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث
ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض و
اولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل
والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث
اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل
مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له
اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطا او لا يقتله لعلة الا للخطا او على انه

صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي
والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه
القصد الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا تقصد
به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف
وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن
ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم و
لم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي
فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء
ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار واللؤم في العبيد والرقبة عبر بها عن
النسمة كما عبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة
ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث
لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان
لم يكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا
عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عليه السلام
كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها
الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او
الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة
مؤمنة اي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم
ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم
ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى
اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل
او اهل الذمة فحكمه حكم المسلمين في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا
كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها
ولا ما يتوصل اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه اي فالواجب عليه
صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله
عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف
اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما
بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه

جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا اليما
لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد
التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله واني
لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة
وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني
النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه
ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود
المكث الطويل فان الدلايل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم
يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو
فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائي
فتثبتوا في الموضعين هنا وفي الحجرات من التثبت ولا تقولوا لمن القى اليكم
السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير
الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا
وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان
تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد
وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت
فعند الله مغانم كثيرة يغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم
من قبل اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت
بها دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم
بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين
في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء
وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرء مسلم وتكريره تاكيد
لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا
عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى
الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال
لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت
وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله
وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطي

وان خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين
في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع
صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن
عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين
او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها اولي الضرر فقال
ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه
الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال
لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في
سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن
الجهاد من غير علة وفايدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد
رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم
وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي من الاستواء والقاعدون
على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة
او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي
درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة
الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في
زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين
اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له
لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما
درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منهما بدل من اجرا ويجوز
ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته سواطا واجرا على الحال
عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما
كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا
فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني
ما جعل لهم في الاخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم من الجنة وقيل القاعدون الاول
هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم
وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والاخرون من جاهد نفسه
وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان
الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين

توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله توفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم اي في شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منه وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد صلوات الله وسلامه عليهما الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق

واظهار

واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله ولحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والاية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عائشة رض اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت الصلوة واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة رح لقول عمر رض صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة رض اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الاية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الاية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطه باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنة على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك

فاجعلهم طائفتين فليقم احداهما معك يصلون وتقوم الاخرى تجاه العدو....
وليأخذوا اسلحتهم اى المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر
الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعنى المصلين فليكونوا اى
غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعنى النبى ومن يصلى معه فغلب المخاطبون
على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة
فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلى مرتين بكل طائفة مرة كما فعل
صلى الله عليه وسلم ببطن النخل ان اريد به ان يصلى بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين
فكيفيته ان يصلى بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا
الى وجه العدو وتاتى الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا
صلاتهم ويسلم بهم كما فعله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلى
بالاولى ركعة ثم يذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتى الاخرى فيصلى معه ركعة
ويتم صلاته ثم يعود الى وجه العدو وتاتى الاولى فيؤدى الركعة الثانية بغير
قراءة ويتم صلاتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر الذى يتحصن بها
الغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوؤا
الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم
فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة فى صلاتكم فيشدون
عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم
ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم
فى وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر
بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ
الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد
للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم ليتقوى قلوبهم وليعلموا ان
الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا فى
الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله تعالى فاذا قضيتم
الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة
واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا
مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف
فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة

ان

ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات
لا يجوز اخراجها عن اوقاتها فى شئ من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر
الصلوة وانها واجبة الاداء حالة المسايفة والاضطراب فى المعركة وتعليل
الامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلى المحارب حتى
يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا فى ابتغاء القوم فى طلب الكفار
بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من
الله ما لا يرجون الزام لهم وتوبيخ على التوانى فيه بان ضرر القتال دائر
بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين
واستحقاق الثواب ما لا يرجون عدوهم فينبغى ان يكونوا ارغب
منهم فى الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا
لان تكونوا تألمون وتكون قوله فانهم يألمون علة للنهى عن الوهن
لاجله والاية نزلت فى بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم و
ضمائركم حكيما فيما يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق
لتحكم بين الناس نزلت فى طعمة ابن ابيرق من بنى ظفر سرق درعا
من جاره قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتشر من خرق فيه
وخباها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم
توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى
انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس
من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه
ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم يفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل بما اراك الله بما عرفك واوحى
به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل و
لا تكن للخائنين اى لاجلهم والذب عنهم خصيما للبرآء واستغفر
الله فيما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره و
لا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال
خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها
والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه فى الاثم حين شهدوا
على برائته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا فى الخيانة
مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب

حايطا بها ليسرق اهله فسقط الحايط عليه فقتله يستخفون من الناس
يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله وهو احق
بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا
ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما
لا يرضى من القول من رمى البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور
وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شئ ها انتم هؤلاء مبتدأ
وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا
او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من
يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوء
قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد
بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم
يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا
عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها
وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب
خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما او ما كان عن عمد ثم يرم به
بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحّد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا و
اثما مبينا بسبب رمى البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى
بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك
ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي لهمت طائفة منهم من بنى
ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا
وليس القصد فيه الى نفى همهم بل الى نفى تأثيره فيه وما يضلون الا انفسهم
لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شئ
فان الله عصمك وما خطر ببالك لان اعتماد منك على ظاهر الامر لا ميلا
في الحكم ومن شئ في موضع النصب على المصدر اى شيئا من الضرر وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور
او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل
اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجويهم من متناجيهم
لقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة

او معروف على حذف المضاف اى الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى
ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره
العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وساير ما
فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل
ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام
على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان
الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة
اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل
خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على
حقارة ما فات في جنبه من اغراض الدنيا وقرأ حمزة وابو عمرو يؤتيه بالياء
ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق
غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف
على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل
نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلى بينه وبين ما اختار
ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت
مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد
الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد
منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر
واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها
او لم يضم واذا اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك
اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام
فيه في مرصاد الافهام الى مبادى الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة
وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك
في الذنوب الا انى لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من
دونه وليا ولم اوقع المعاصى جراءة وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله
هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالى عند الله فنزلت ومن يشرك
بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة
وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى

لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ونحوها لان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كاللات ومناة والعزى ولما ذكر فان يسمن فانثى شديد الازم ليس له ضروس فانه عني الفراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة والمارد والمريد الذي لا تعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افضع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستوجب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله وهي عبادة عما كانت العرب تفعل بالبحاير والسوايب واشارة الى تحريم كل

ما احل

ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولامرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقاء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهايم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال باما نيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني

اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا
يجز به عاجلا او آجلا لما روى انه لما نزل قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا
يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاواء قال
اى شدت
بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا
ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب
ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن وليس
من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل
ومن للبيان او من الصالحات اى كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن
حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به
دونه فيه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء
من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان يزاد عقاب العاصي لان
المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرئ ابن
كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون الجنة هنا وفي غافر ومريم بضم اليا وفتح
الخا والباقون بفتح اليا وضم الخا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه
لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود
وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية
وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم
الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان الى
دين الاسلام وهو حال عن المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم
خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما
اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال
فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد
خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من
الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها
للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روى
ان ابراهيم عم بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال
الازمة الشديدة والقحط
خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد
اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء

موضع يقرب طايف

من الناس

من الناس فلما اخبروه ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها
فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم عم فاشتم رائحة الخبز فقال
من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليل الله عز وجل
فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
يختار منها ما يشاء ومن يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته
على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله
بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها
وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان
عيينة بن حصين اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة
النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة
فقال عليه السلام كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه
فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله
او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله
والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين
باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استئناف معترض
لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به
اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض
على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور
في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف
الموصول على ما قبله اى يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى
ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النسا كما يقول كلمتك
اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ
ييامى على ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اى
فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن
ان تنكحوهن فان اوليا اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون
مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف
وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان
العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى
النسا والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النسا وان تقوموا

لليتامى بالقسط ايضاً عطف عليه اى ويفتيكم او ما يتلى فى ان تقوموا وهذا
اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلاً فالوجه نصبها عطف
على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اى يامركم ان
تقوموا وهو خطاب للائمة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام
بالنصفة فى شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما
وعد لمن اثر الخير فى ذلك وان امراة خافت من بعلها توقعت منه
لما ظهر لها من المخايل وامراة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا
عنها وترفعاً عن صحبتها كراهة لها ومنعاً لحقوقها او اعراضا وان يقل
مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا ان
يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرئ
الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب
صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما فى القراءة
الاولى والمفعول بينهما او محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح
والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان
لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو
اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم
تجانسهما والاول للترغيب فى المصالحة والثانى لتمهيد العذر فى المماكسة
ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المراة
تسمح بالاعراض عنها والتقصير فى حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم
بحقها على ما ينبغى اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا فى العشرة
وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون
من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه
اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذى هو فى الحقيقة جواب
الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه
قسمى فيما املك فلا تاخذنى فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحرى
ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على
المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة

التى ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كانت
له امراتان يميل مع احدهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مايل وان تصلحوا
ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله
كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ
وان يتفارقا اى وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما
عن الاخر ببدل او سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا
حكيما مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه ولله ما فى السموت وما
فى الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب
للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص
واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان
تكون ان مفسرة لان التوصية بمعنى القول وان تكفروا فان لله
ما فى السموت وما فى الارض على ارادة القول اى وقلنا لهم
ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما
لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك
بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا فى ذاته حمد
او لم يحمد ولله ما فى السموت وما فى الارض ذكره ثلاثا للدلالة
على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض
عليها من الوجود وانواع الخصايص والكمالات على كونه حميدا وكفى
بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما
وما بينهما تقرير لذلك ان يشا يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول
شاء محذوف دل عليه الجواب ويات باخرين ويوجد قوما اخرين
مكانكم او خلقا اخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام
والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه و
قدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان
تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد
ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا

والآخرة فما له يطلب أخسّهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو ليطلب الأشرف منهما فإن من جاهد خالصاً لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء أو فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده لقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وكان الله سميعاً بصيراً عارفاً بالأغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان أو حال ولو على أنفسكم ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقرّوا عليها لأن الشهادة بيان الحق سواء كان عليه أو على غيره أو الوالدين والأقربين ولو على والديكم وأقاربكم إن يكن أي المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له غنياً أو فقيراً فلا تمتنعوا عن إقامة الشهادة أو لا تجوزوا فيها ميلاً أو ترحماً فالله أولى بهما بالغنيّ والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحاً لما شرعها وهو علة الجواب أقيمت مقامه والضمير في بهما راجع إلى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا إليه لأن الواحد ويشهد عليه أنه قرئ فالله أولى بهم فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا لأن تعدلوا عن الحق أو كراهة أن تعدلوا من العدل وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي وإن تلووا بإسكان اللام وبعدها واوان الأولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وإن تلوا بمعنى وإن وليتم إقامة الشهادة أو تعرضوا عن أدائها فإن الله كان بما تعملون خبيراً فيجازيكم عليه يا أيها الذين خطاب للمسلمين أو المنافقين أو لمؤمني أهل الكتاب إذ روي أن ابن سلام وأصحابه قالوا يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل اثبتوا على الإيمان بذلك وداوموا عليه أو آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم أو آمنوا إيماناً يعم الكتب والرسل فإن الإيمان بالبعض كلا إيمان والكتاب الأول القرآن والثاني الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي أنزل بفتح النون والهمزة والزاي والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أي ومن يكفر

بشيء من ذلك فقد ضل ضلالاً بعيداً عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه إن الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده إليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلى الله عليه وسلم أو قوماً تكرر منهم الارتداد ثم أصرّوا على الكفر وازدادوا تمادياً في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً إذ يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان فإن قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا أنهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في أمثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريداً ليغفر لهم بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً يدل على أن الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالإصرار على النفاق وإفساد الأمر على المؤمنين ووضع بشر مكان أنذر تهكماً بهم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين في محل النصب أو الرفع على الذم بمعنى أريد الذين أو هم الذين أيبتغون عندهم العزة أيتعززون بموالاتهم فإن العزة لله جميعاً لا يتعزز إلا من أعزه وقد كتب العزة لأوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالإضافة إليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرأ عاصم نزل والقائم مقام فاعله أن إذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى أنه إذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من يجالسه هازئاً معانداً غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها إنكم إذاً مثلهم في الإثم لأنكم قادرون على الإعراض عنهم والإنكار عليهم أو الكفر إن رضيتم بذلك أو لأن الذين تقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار كانوا منافقين ويدل عليه إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً يعني القاعدين والمقعود معهم وإذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وإفراد مثلهم لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لإضافته إلى مبني كقوله مثل ما أنكم تنطقون الذين

الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة وبه احتج اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعّم وناعم او للمقابلة فان المرائي يُري من يرائيه عمله وهو يُريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دُبّة وتارة في دُبّة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له

فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنوا اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكرة او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى عليه السلام وقوله كتب الله لكم او مما علماه من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهداه من صنيعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قال شكوى بثه وحزنه الى الله تعالى لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلون فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى عم سار بعده بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرون

لا يرون طريقا فيكون تحريمه مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن
قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم
لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم
بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل
فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر
ان موسى وهارون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة
في درجاتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه ومات هارون وموسى بعده
بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب
ويوشع **فلا تأس على القوم الفاسقين** خاطب به موسى لما ندم
على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم **واتل عليهم نبأ ابني
آدم** قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر
فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل
تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل
ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال
كتبنا على بني اسرائيل **بالحق** صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق
او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين
اذ قربا قربانا ظرف لنبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما
نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او غيرها كما ان
الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل
تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب
ارداء قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا **فتقبل من
احدهما ولم يتقبل من الآخر** لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه
وقصد الى اخس ما عنده **قال لاقتلنك** توعده بالقتل لفرط الحسد له
على تقبل قربانه ولذلك قال **قال انما يتقبل الله من المتقين**
في جوابه اي انما اوتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه
اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به
صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان
الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق **لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا**
بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل

حزب

كان

كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع
لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن
عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن
هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد
النفي بالباء **اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار و
ذلك جزاء الظالمين** تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى
انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك
يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى
باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع الحال
اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته
بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون
لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم
عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة **فطوعت له نفسه قتل اخيه**
فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه
فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته
وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله **فقتله فاصبح من
الخاسرين** دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قتل هابيل
وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد
الاعظم **فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سوءة اخيه** روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به
اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما
الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب
وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوءة
اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى **قال يا ويلتى** كلمة جزع
وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك
والويل والويلة الهلكة **اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري
سوءة اخي** لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف
على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت
وقرئ بالسكون فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا **فاصبح**

من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او
اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرّأ ابويه منه اذ روي انه لما
قتله اسودّ جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال
بل قتلته ولذلك اسودّ جسدك وتبرّأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة
لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني
اسرائيل بسببه قضينا عليهم والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه
استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جرّاك فعلته اي من ان جررته اي جنيته
ثم اتّسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء
الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل
نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك
وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء
وسنّ القتل وجرّأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب
غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب
الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس
واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد
جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض
لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك
الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد
كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا
اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم
المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به
ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر
ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة
او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا
ان يقتّلوا اي من غير صلب قصاصا ان افردوا القتل او يصلّبوا اي
يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب
او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم

من

من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا
او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع
ان اقتصروا على الاخافة وفسّر ابو حنيفة رض النفي بالحبس والآية على
هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل
قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذلّ وفضيحة ولهم في الآخرة
عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى
فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط
بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها
بعد القدرة لا يسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين
لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه
والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي
الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه
الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله تعالى والفوز بكرامته
ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا و
مثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم
القيامة واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت
ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه
مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في مثله
بمعنى مع ما تقبّل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل
للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم
تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار
وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج
وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير
فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء
للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي
سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا

الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كان
من حرز والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع
دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت
الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود
ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت
قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم تمام العضو ولذلك ذهب
الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتى
بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان
على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم
فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره
بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان
الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة اما القطع فلا يسقط
بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض الخطاب للنبي او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن
يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة اتيانا على ترتيب
ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا
يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنيع الذين
يقعون في الكفر سريعا في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا
امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة
بقالوا لا بامنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف
على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر محذوف اي هم سماعون
والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين
خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في الكذب اما مزيدة للتاكيد
او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول
محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم
اخرين لم ياتوك اي لجمع اخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك
تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون
كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب
لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم اخرين يحرفون

الكلم من بعد مواضعه اي يميلون عن مواضعه التي وضعه الله فيها
اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير
مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه
او استيناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر المحذوف اي هم يحرفون
وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف
فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا
اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنا بشريفة وكانا
محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسئلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا
وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم
وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم
الطور وانجاكم واغرق ال فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه
هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته
ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما
عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك
له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة
لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الاخرة
عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استانف
بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد
اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت
البركة وقرئ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب في المواضع الثلاثة
بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر
فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان
الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي والاصح وجوبه اذا كان
المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منه والاية
ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم
فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك

من الناس وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله به
إن الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك
وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به
والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم
ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون
عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها
بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة
المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك
ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك
داخل في حكم التعجب وما أولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه
اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه إنا أنزلنا التوراة فيها هدى
يهدي الى الحق ونور يكشف ما اشتبه من الاحكام يحكم بها النبيون
يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما
لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين أسلموا صفة اجريت على
النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل
عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بأنزل او بيحكم اي
يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون و
والأحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف
على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان
يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين
وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى
منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان
يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير
ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا
هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به منكرا له فأولئك
هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم
بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وفسقهم بالخروج عنه و
ظلمهم بالحكم على خلافه ويجوز ان يكون كل واحد من الصفات الثلاث
باعتبار حال انضمت اليه الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل

هذه

هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون
في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التوراة
أن النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين
بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن
رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى
وكأنه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة
تقعان على الجمل كالقول او مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة
بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن
مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله
بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال
مبينة للمعنى وقرأ نافع والاذن بالاذن وفي اذنيه باسكان الذال حيث وقع
والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرأه الكسائي ايضا بالرفع
ووافقه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل
فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو
فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني
يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي
يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما أنزل الله
من القصاص وغيره فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم
اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه
والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل
بالباء مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل
وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال
ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله
وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول لهما
عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم أهل الإنجيل بما
أنزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف
اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله
امرتك بان قم اي وأمرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به

والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى
عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب
العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق
اى القران مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة واللام
الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب
يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول
اى هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ فى كل عصر
فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل الله اليك ولا تتبع اهواءهم
عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع و
لتضمنه معنى لا تنحرف اوحال من فاعله اى لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك
لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهى الطريقة الى الماء شبه
بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين و
منهاجا وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير
متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول
لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام
لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما اتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة
لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها
مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون فى العمل فاستبقوا
الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق و
التقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق
ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم
بما انزل الله عطف على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم او على
الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا
ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما
انزل الله اليك اى ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم
بدل الاشتمال اى احذر فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك
روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا

يا محمد

يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا
وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك
ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا
عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم يعنى ذنب التولى عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على
ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه
دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض
النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون
فى الكفر المعتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذى هو الميل
والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى
وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ
برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى
الصلة فى قوله اهذا الذى بعث الله رسولا واستضعف ذلك فى
غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حكما كحكام الجاهلية بحكم
بحسب شهوتهم وقرئ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية
تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اى عندهم
واللام للبيان كما فى قوله هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون
فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم
فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة
الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهى اى فانهم متفقون
على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجماعهم على مضادتكم
ومن يتولهم منكم فانه منهم اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا
التشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تترائى ناراهما او لانهم
الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدى القوم الظالمين
اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم
فترى الذين فى قلوبهم مرض يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون
فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا

حزب

دايرة ويعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دايرة من الدوايرة من الزمان
بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار روى ان عبادة بن الصامت
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم
واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال بن ابي
اني رجل اخاف الدواير لا ابرأ من ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان ياتي
بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده
بقطع اصلهم شافة اليهود من القتل والاجلاء والامر باظهار اسرار المنافقين
وقتلهم فيصبحوا اي هؤلاء المنافقين على ما اسروا في انفسهم
نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما
اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قراة عاصم
وحمزة والكسائي على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراة بن كثير ونافع وابن عامر
مرفوعا بغير واو وعلى انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب
قراة ابي عمرو ويعقوب عطفا ان ياتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى الله
ان ياتي بالفتح ويقول الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى
مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان ياتي بالفتح ويقول
المؤمنون فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله
جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال
المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان
المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم و
جهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا
بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك
ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم
فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط
اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها
الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه قراه على الاصل نافع وابن عامر
وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكاينات التي اخبر الله
عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبا باليمن واستولى
على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

منعدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول
وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبا وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي
ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله
الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة ابن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه
وفي عهد ابي بكر سبع افزارة قوم عيينة ابن حصن ٢ وغطفان قوم
قرة ابن سلمة ٣ وبنو سليم قوم الفجاة بن عبد ياليل ٤ وبنو يربوع قوم مالك
ابن نويرة ٥ وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبية زوجة مسيلمة ٦ وكندة
قوم الاشعث بن قيس ٧ وبنو بكر بن وايل بالبحرين قوم الحطم ابن زيد وكفى الله
امرهم على يده وفي امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام
فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم من اهل اليمن لما روى انه
عليه السلام اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه
عليه السلام سيل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه
وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة
وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف
ياتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم
في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز
عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل
لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو
والتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة
اعزة على الكافرين شداد متغالبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ
بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم
او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون
بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال
بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون
في جيش المسلمين خايفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم
فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك

اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء بمنه وبتوفيقه
له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله و
رسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق
بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله
وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه و رفعه
على المدح وهم راكعون متخشعون فى صلوتهم و زكاتهم وقيل هو حال
مخصوصة بيؤتون اى يؤتون الزكوة فى حال ركوعهم فى الصلوة حرصا على
الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت فى على رض حين سئله سائل وهو راكع
فى صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين بان المراد
بالولى المتولى للامور والمستحق للتصرف فيها والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع
على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جئ بلفظ الجمع لترغيب
الناس فى مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل
فى الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع يسمى زكاة ومن يتولى الله
ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم
الغالبون اى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر
تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله
هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم
وتعريضا بمن يوالى غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون
لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء
نزلت فى رفاعة ابن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان
رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم
هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير
بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم
ابو عمرو والكسائى ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين
خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهى عن
موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب
كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهى ان كنتم

مؤمنين لان الايمان حقا يقتضى ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده
ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اى
اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة
روى ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول
الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير
شرره فى البيت فاحترق واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان
السفه يؤدى الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل
تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم
اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم
فاسقون عطف على ان امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة
اى ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه
او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اى
وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة
والتقدير هل تنقمون منا الا ان امنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار
فعل دل عليه هل تنقمون اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء
والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال
يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمن يؤمن به فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا
حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من
ذلك اى من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله
والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة
قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله و
غضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف
مضاف اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه او
خبر محذوف اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط
عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة
وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل
كلا المسخين فى اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مسخت شبانهم قردة

ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ عبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله وقرأ حمزة وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون بفتح الباء ونصب التاء اولئك اى الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اى من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون بئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود

يد الله مغلولة اى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله، جاد الحمى بسط اليدين بوابل، شكرت نداءه تلاعه ووهاده، ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغللون اسارى في الدنيا ومسحبين الى النار في الاخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اى هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا تتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اى للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها و

لم يواخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم وجعلناهم داخلين فيها
وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجبّ ما قبله وان جل
وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني
ساير الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل عليهم او
القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم
بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع
او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط
على الارض بيّن بذلك ان ما كفّ عنهم لشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض
ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم
امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي
بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوء عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق
والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خايف مكروها وان
لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت
شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة
فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها لقوله فكانما قتل
الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سوا في الشناعة واستجلاب العقاب
وقرئ نافع وبن عامر وابو بكر رسالته بالجمع وكسر التا والله يعصمك من
الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره
ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي
صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ
رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس
فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل اليه ولعل المراد
بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار
الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به
ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما

انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان لحكمه
فان الكتب الالهية باسرها امرة بالايمان لمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة
له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين
فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم
لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة عنهم لك ان الذين امنوا والذين
هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة و
الصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان
والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون
كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا
في شقاق وهو كاعتراض دلّ به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم
وميلهم عن الاديان كلها تاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان
غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما
وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك
راض والراي مختلف فان راض خبر انت والا لقال راضون ولا يجوز عطفه
على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان
الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان وقد جوزه الكوفي بنا على ان
رفع خبر ان ليس بها بل مما كان قبلها فلا يلزم اجتماع العاملين ولا اختلاف
رافعين ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين
هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل والصابئون
منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من امن بالله واليوم
الاخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اي من
امن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئون وهو
الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة
الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا
لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم
وليبينوا امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما
يخالف هواهم من الشرايع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا

يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول
منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جئ بيقتلون
موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل
وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الاى
وحسبوا ان لا تكون فتنة اى وحسب بنوا اسرائيل ان لا يصيبهم
بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرئ ابو عمرو وحمزة والكسائى و
يعقوب ان لا يكون بالرفع على ان ان هى المخففة من الثقيلة واصله انه لا يكون
وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم
وان وان بما فى حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل
والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب
الله عليهم اى ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى
وقرئ بالضم فيهما على ان الله تعالى عماهم وصماهم اى رماهم بالعمى والصمم
وهو قليل واللغة الشايعة اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل
والواو علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اى العمى والصم
كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله
ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا
الله ربى وربكم اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم
انه من يشرك بالله فى عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال
فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم
فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين
من انصار اى وما لهم من احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا
على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام
عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى
وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اى احد ثلاثة وهو حكاية
عما قالته النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق
قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما
فى الوجودات واجب مستحق العبادة من حيث انه مبتدأ جميع الموجودات

استقطعه وجده قطعا اى شديدا منه

والكلبية ان تسمع الرجل ... ما يقول ... منه

الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق
وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم
عذاب اليم اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من
النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان
العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه اى الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال
الزايغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير
والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى
هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه
الله بايات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها
حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق ادم من
غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كساير النساء اللاتى يلازمن
الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان الطعام ويفتقران اليه
افتقار الحيوانات بين اولا اقصى حالهما من الكمالات ودل على انه لا يوجب
لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر فى
الربوبية ويقتضى ان يكون من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم تعجب
ممن يدعى الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر
كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن
استماع الحق وتامله وثم للتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للايات
عجيب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما
لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعنى عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك
الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصايب وما
ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفى
القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل
المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم
من تحرى النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقايد فيجازى
عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى
دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية

أو تضعوه فتزعموا أنه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة و
لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني أسلافهم وأئمتهم الذين
ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم وأضلوا كثيرا ممن
شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد
السبيل الذي هو الإسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الأول
إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني إشارة إلى ضلالهم عن ما جاء به
الشرع لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى
ابن مريم أي لعنهم الله في الزبور والإنجيل على لسانهما وقيل أهل أيلة لما اعتدوا
في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة وأصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى
ولعنهم فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون أي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم
واعتدائهم ما حرم الله عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه أي
لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر
أرادوا فعله وتهيؤوا له أو لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الأمر وانتهى
عنه إذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد
بالقسم ترى كثيرا منهم من أهل الكتاب يتولون الذين كفروا
يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أي لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه
يوم القيمة أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون
هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب أو علة
الذم والمخصوص محذوف أي لبئس شيئا ذلك لأنه كسبهم السخط والخلود
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وإن كانت الآية في المنافقين
فالمراد نبينا وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء إذ الإيمان يمنع
ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم أو متمردون
في نفاقهم لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود و
الذين أشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع
الهوى وركونهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب
الأنبياء ومعاداتهم ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين
قالوا إنا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا

وكثرة

وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل وإليه أشار بقوله ذلك بأن منهم قسيسين
ورهبانا وأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق إذا فهموه أو يتواضعون
ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على أن التواضع والإقبال على العلم والعمل
والإعراض عن الشهوات محمودة وإن كانت في كافر وإذا سمعوا ما أنزل
إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو
بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم تأبيهم
عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة أو جعلت
أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها مما عرفوا من الحق من الأولى
للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا أو للتبعيض فإنه بعض الحق والمعنى
أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا
بذلك أو بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بأنه حق
أو بنبوته أو من أمته الذين هم شهداء على الأمم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن
بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
استفهام إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام الداعي وهو الطمع في
الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم أو جواب سائل قال لم آمنتم و
لا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل أي أي شيء حصل لنا
غير مؤمنين بالله أي بوحدانيته فإنهم كانوا مثلثين أو بكتابه ورسله فإن
الإيمان بهما إيمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن
أو خبر محذوف والواو للحال أي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الأولى
مقيدا بها أو نؤمن فأثابهم الله بما قالوا أي عن اعتقاد من قولك هذا قول
فلان أي معتقده جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين الذين أحسنوا النظر والعمل أو الذين اعتادوا الإحسان
في الأمور والآيات الأربع روي أنها نزلت في النجاشي وأصحابه بعث إليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين
معه وأحضر الرهبان والقسيسين فأمر جعفرا أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة
مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين أو سبعين رجلا من قومه
وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا
وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم
عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لأن القصد إلى بيان حال

الكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها
الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اى ما طاب ولذ منه
كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض
الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله تعالى بجعل الحلال
حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به
ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم
ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت
عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على
الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا
ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا
وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي
النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا اى كلوا ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول
كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة
بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول او العائد المحذوف
او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن
لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله
وبلى والله واليه ذهب الشافعي رض وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك وانه
لم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رض وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه
مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم
الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم
او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ حمزة والكسائي وابن عياش
عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل
بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اى الفعلة التي تذهب اثمه
وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو
عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين وراى غيرها

خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت بالذي هو خير اطعام عشرة مساكين
من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو
مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة
مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط
ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم
بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع اهل
كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم
عطف على طعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل
ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة
او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم
وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم
كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي رض ع
فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث
مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اى واحدا منها فصيام
ثلاثة ايام فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة رح فيه
التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليس بحجة عندنا اذ لم تثبت
كتابا ولم يرو سنة ذلك اى المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم
اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها
لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها
اذا حنثتم كذلك اى مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام
شريعته لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل
هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر
والميسر والانصاب اى الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام
سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده
لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او المضاف محذوف كانه قال انما
تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه
فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي
تفلحون بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان
صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل

الشيطان تنبيهاً على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن
عينهما وجعله سبباً يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد
الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن
الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيهاً على
انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في
الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة
من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث
انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام
مرتباً على ما تقدم من انواع الصوارف فقال فهل انتم منتهون ايذاناً بان
الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله
واطيعوا الرسول فيما امر به فاحذروا عما نهينا عنه او مخالفتهما
فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا
الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم انفسكم ليس
على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم
لقوله اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا على
الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا
بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا
الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول
الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت
ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات
الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين
الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة
(ماضي حال الاستقبال)
اشارة الى ما قال عليه السلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبداء
والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقياً من العقاب
والشبهات تحرزاً للنفس عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات صوناً لها عن الخسة
وتهذيباً لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء
وفيه ان من فعل ذلك صار محسناً ومن صار محسناً صار لله محبوباً يا ايها
الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم

نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم
بحيث يتمكنون من صيدها اخذاً بايديهم وطعناً برماحهم وهم محرمون والتقليل
والتحقير في شيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء
ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه
ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب
منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد
وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد
ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك
جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه
واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي
محرمون جمع حرام كرداح ورُدُح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة
للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفاً ويؤيده قوله عليه السلام
خمس يقتلون في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور
وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ
واختلف في هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح
الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم
متعمداً ذاكراً لاحرامه عالماً بانه حرام عليه قبل ما يقتله والاكثر على ان ذكره
ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطي واحد في ايجاب الضمان
بل لقوله فمن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن
لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل
ما قتل من النعم برفع الجزاء ومثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه
او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما
بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون
صفته وقرئ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول او اقحام مثل كما في
قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وقرئ مثل ما قتل
بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل
وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي
حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن الهدي تخير بين ان يهدي
ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاماً فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر

اوصا عاماً غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ تخيير بين
الطعام والصوم واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة
جزاء ويحتمل ان يكون حالا من الضمير في خبره او منه اذا اضفته ورفعته بخبر
مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة و
الهيئة لهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام
هديا حال من الهاء في به او من جزاء ان نون لتخصصه بالصفة او بدل عن
مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان
اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرام والتصدق به ثمة وقال
ابو حنيفة رض يذبح بالحرم ويتصدق به حيث يشاء او كفارة عطف
على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف
بيان او بدل او خبر محذوف اي هي طعام وقرئ نافع وابن عام كفارة طعام
بالاضافة للتبيين وكقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي رض او ان يكفر
باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين
مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام
كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين
وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما
تميز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او
الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء ما قبته بهتكه لحرمة الاحرام او الثقل
الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا
الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه
المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه و
ليس فيه ما نافع الكفارة على العايد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز
ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه
مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور
ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة رض لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما
يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد
وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي
ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيها
او الصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه

مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم يصطاد
دوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام
يدوم واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة
البيت الحرام عطف بيان على صبرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه
جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب
انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف
ويربح فيه التجارة ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم
وقرئ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في
فعله ونصبه على المصدر او على الحال والشهر الحرام والهدي
والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه
الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة
الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ليعلموا ان
الله يعلم ما في السموت وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع
المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع
وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة
بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور
رحيم وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن
اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في
ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذرا
في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب
وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي
المساواة عند الله بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها
رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان
العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير
من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي
الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر واثروا الطيب وان
قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت
في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين
يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم

وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها
صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان
تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال
وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه اشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه
فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع شيء على ان اصله شيّء كهيّن او شيء
كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع
صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها
اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة ابن مالك اكل عام
فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت
نعم لوجب ولو وجب لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استيناف
اي عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم
لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله عنه
انه عليه السلام قال كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه
مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين انا فقال في النار
وقال اخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير
للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من
قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة
الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث
لم يأتمروا بما سألوا جحودا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا
وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت
الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها
فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة و
يجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان
ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر
واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى
وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع و وضع ولذلك تعدى الى مفعول
واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله
الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال
من الحرام والمبيح من المحرم او الامر من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم

من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعه حب الرياسة وتقليد الاباء ان يعترفوا به
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما
وجدنا عليه اباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم
سواه اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال
والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم
ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك
لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك
نصب انفسهم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته
كما قال عليه السلام من رأى منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده
فان لم يستطع فبقلبه والاية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة
ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم
يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي
لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ
لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره
الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين
وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اي
فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد او الوصية واضافتها الى
الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر
احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين
الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون
فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف
المضاف ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان
او اخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله
منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض
اي سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما
تقفونهما وتصبرونهما صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله
او اخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان

تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كأنه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين
فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس
وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلاة فيقسمان بالله
ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه
وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل
بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى
ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم
شهادة الله اي الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة
ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه
وروي عنه بغيره كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمنا
وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان
عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما
كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين
استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق
على البناء للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما
ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره
آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر
عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اي من الاولين الذين استحق
عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه
اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما
اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق
انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم
ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين
من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان
كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق
ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف
آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف
الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين
الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته

او لتغيير

او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي بن بدي خرجا الى الشام
للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو ابن عاص بن العاصي
وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدوّن ما معه في صحيفة وطرحها
في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه
واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصابت
اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم
بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه لكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا
ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام
عمرو بن العاص والمطلب بن ابي رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص
العدد لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد
ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما تحملوها من غير تحريف
وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على
المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير
لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة
والله لا يهدي القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم
قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق
جنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا
بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم
جمعه او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي
اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا
السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال المؤودة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا
لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم
ما نعلم مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي
عنهم ورد الامر الى علمهم بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او
لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام
قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب
على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع

وَاِذْ قَالَ اللّٰهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ بدل
من يوم يجمع وهو على طريقة نادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ
بسؤال الرسل على اجابتهم وتعديد ما ظهر عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وسموهم
سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب باضمار اذكر اِذْ اَيَّدْتُكَ قويتك
وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ ايدتك بِرُوحِ الْقُدُسِ بجبريل عليه
السلام او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حياة ابدية وتطهر من الاثام
ويؤيده قوله تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا اي كائنا في المهد وكهلا
والمعنى يكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية
بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل
ان اكتهل وَاِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْاِنْجِيلَ وَ
اِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِاِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِاِذْنِي
وَتُبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ بِاِذْنِي وَاِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِاِذْنِي سبق
تفسيره في سورة ال عمران وقرئ نافع ويعقوب طايرا ويحتمل الافراد والجمع
كالباقر وَاِذْ كَفَفْتُ بَنِي اِسْرَائِيلَ عَنْكَ يعني اليهود حين هموا بقتله اِذْ
جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ظرف لكففت فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ اِنْ هٰذَا اِلَّا
سِحْرٌ مُبِينٌ اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرئ حمزة والكسائي الا ساحر
فالاشارة الى عيسى عليه السلام وَاِذْ اَوْحَيْتُ اِلَى الْحَوَارِيِّينَ اي امرتهم على السنة
رسلي اَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي يجوز ان يكون ان مصدرية وان يكون مفسرة
قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِاَنَّنَا مُسْلِمُونَ مخلصون اِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص
مع قولهم هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ اَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ لم يكن
بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة
والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يستطيع ربك اي هل يجيبك
واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرئ الكسائي تستطيع ربك
اي سؤال ربك والمعنى هل تسئله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان
عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم
اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة قَالَ اتَّقُوا اللّٰهَ من امثال هذا السؤال اِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعائكم الايمان
قَالُوا نُرِيدُ اَنْ نَاكُلَ مِنْهَا تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا

بالاكل منها وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته
وَنَعْلَمَ اَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا وَنَكُونَ
عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون
السامعين للخبر قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك
وانهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللّٰهُمَّ رَبَّنَا اَنْزِلْ عَلَيْنَا
مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه
وقيل العيد السرور العائد ولذلك يسمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب
الامر لِاَوَّلِنَا وَآخِرِنَا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا
روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا
واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وَآيَةً عطف على عيدا
مِنْكَ صفة لها اي اية كائنة منك على كمال قدرتك وصحة نبوتي وَارْزُقْنَا
المائدة او الشكر عليها وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ خير من يرزق لانه خالق الرزق
ومعطيه بلا عوض قَالَ اللّٰهُ اِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ اجابة الى سؤالكم وقرئ
نافع ابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَاِنِّي اُعَذِّبُهُ
عَذَابًا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لَا اُعَذِّبُهُ الضمير
للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر اَحَدًا مِنَ
الْعَالَمِينَ اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير
ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم
ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني
من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ
وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني
عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون
يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه
الله بقدرته كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا
يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله
فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم
عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء

والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون
في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم
اوحى الله الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء
والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثون رجلا وقيل لما
وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد
ان هذا مثل ضرب الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا
(استغفروا خ)
عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى
هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم
عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع
عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى
ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له
ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا و
اذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله
صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه
على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانما
عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق
(كانه خ)
العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني
وامي الهين من دون الله متوصلين بنا الى الله تعالى قال سبحانك اي
انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي
(موصلين خ)
بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد
علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في
نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك
للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير
للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به
تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي
وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح
المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله
مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول

القول ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا يقول
اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة يحكى بعده الا ان يؤول
القول بالامر وكان مثل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله و
كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا
ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني
بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا
والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فمنعت من اردت
عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل و
انزال الايات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان
تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض
على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم
عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي
لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم
فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى
الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان قال الله
هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرئ نافع يوم بالنصب
على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى
هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح
لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق
في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز
العظيم بيان للنفع لله ملك السموات والارض وما فيهن
وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح
وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن اتباعا لهم غير اولي
العقل في غاية القصور عن الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم
وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها
فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر
حسنات

ويمحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلاث وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض
اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد
ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي
مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها
وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق
بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى
التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان
بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان
المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها
لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية
ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم
الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق
بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون
بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد
عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم
يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان
والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع
الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون
بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه
فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف
ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين
الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق
لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن
ياتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به
لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر
عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم

انتم

انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم
ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها
ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد
والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من
الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض
متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في
السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان
او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت
الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا
بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له
وليس متعلق المصدر لان صلته لا يتقدمه ويعلم ما تكسبون من
خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر
من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من
آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما
يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا
كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا
معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما
اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره
ولذلك رتب عليه الفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن
اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا و
الآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من
قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي
سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم
قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم
فيها مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع
التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل
مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب
وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر فيها

مدداراً مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فما شوا في الخصب
والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم
شيأ وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا اخرين بدلا منهم والمعنى
انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده
قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق
فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم
ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده
بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقولك وانا لمسنا السماء لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا
انزل عليه ملك هلا انزل عليه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم
وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث
عاينوه كما اقترحوا الحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم
لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب
وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل
عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا
قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة
دحية الكلبي فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما راهم
كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو
جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون
ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام ولبسنا بالتشديد للمبالغة و
لقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
فاحاط بهم الذين كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال
استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين
كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله
قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك
قيل معناه واباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في اثار الهالكين قل لمن

ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير
لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره
كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم
الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال
الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف
وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين
الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل
من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه
في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو
وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم
او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون
والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل
باتباع الحواس والوهم والانهماك على التقليد واغفال النظر ادى بهم الى
الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على الله ما سكن
في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او
تحرك واكتفى باحد الضدين عن الاخر وهو السميع لكل مسموع العليم
لكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم
وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ
الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى
الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت
معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي
ابتدأتها وجره على الصفة لله بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ
بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق
وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس
الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات
والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على ان الثاني من
اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى
يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي

سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز
عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة
اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط
معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف
عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرئ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر
عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف
او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين
اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا
كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة
وغنى فهو على كل شئ قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر
غيره على دفعه لقوله تعالى فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده
تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره
الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شئ اكبر شهادة نزل حين
قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك
عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشئ يقع على كل
موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة
ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد
هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شئ شهادة واوحي الي هذا
القران لانذركم به اي بالقران واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة
ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وساير من بلغه
من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم
القيمة وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم
وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى
تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما
هو اله واحد اي بل اشهد انه لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون
يعني الاصنام الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله
بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين
خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون
لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا

كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كان كذبوا
القران والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما
وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح
الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب
بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي الهتكم
التي جعلتموها شركاء لله وقرئ يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم
تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ
ولعله يحال بينهم وبين الهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء
ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن
فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون
ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه
كذب اولانهم قصدوا به الخلاص وقرئ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء
وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان
الاسم ان قالوا والتانيث للخبر لقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب
والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع
من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود
وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف
كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف
يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون
لكم وقرئ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم
ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو
القران والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم
اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فقالوا للنضر ما يقول
فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير
الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا
فقال ابو جهل كلا وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما
يستر الشئ ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يمنع
من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة وان يروا كل اية لا يؤمنوا
بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك

اى بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل لا عمل والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان يكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة واسطارة او اسطار جمع سطر واصل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القران او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعريض لرسول الله وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرى وقفوا على البنا للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين استيناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود تركتنى او لم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم التمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفا وقرى ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبايح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو ردوا اى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصى وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوا فى الدنيا ان هى الا حياتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال او التوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار

مؤكد

مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجئ قالوا يا حسرتنا اى تعالى فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها فى الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او فى الساعة يعنى فى شانها والايمان وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم اصار الاثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها الا لعب ولهو يلهى الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقة وهو جواب لقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا وللدار الاخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرى ابن عامر ولدار الاخرة افلا تعقلون اى الامرين خير وقرى نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتا على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما فى قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والها فى انه للشان وقرى ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك فى الحقيقة وقرى نافع والكسائى لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولكنهم يجحدون ايات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والبا لتضمين الجحود معنى التكذيب روى ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا الصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قولهم لا يكذبونك ليس بنفى تكذيبهم مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات ولقد جاءك من نبإ المرسلين اى من قصصهم وما كابدوا

من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان
بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء
فتاتيهم باية منفذا ينفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم اية او مصعدا تصعد
به الى السماء فتنزل منها اية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان
يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن والجواب الشرط الثاني محذوف وتقديره
فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه
لو قدر ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم و
لو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى
لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيته فلا تتهالك عليه والمعتزلة
اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجية ولكن لم يفعل لخروجه
عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في
مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون
انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء
كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان
ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اي
اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من الايات المتكاثرة لعدم اعتدادهم
بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية يضطرهم
الى الايمان كجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل
مندوحة عن غيره وقرئ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من
دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه
في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على
المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها
والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون
كالدليل على انه قادر على ان ينزل اية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا
في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم
من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القران فانه قد دون فيه
ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن زائدة وشيء في موضع المصدر
لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ

ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها
من بعض كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين
كذبوا باياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على ربوبيته وكمال
علمه وعظم قدرته سماعا تتاثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات
خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد
ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشاء الله يضلله من يشاء
الله اضلاله يخذله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشا يجعله على
صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام
تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك
تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون
لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم في الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل
معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرئ
نافع ارايتكم وارايتم وارايت وشبهها اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة
التي بعد الراء والكسائي يحذفها اصلا والباقون يحققون وحمزة اذا وقف
وافق نافعا ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة
وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم
صادقين ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون
بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص
فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان
يتفضل عليكم ولا يشاء في الاخرة وتنسون ما تشركون وتتركون
الهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول انه القادر على كشف الضر دون غيره
او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك
اي قبلك ومن زائدة فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم
بالباساء بالشدة والفقر والضراء الضر والافات وهما صيغتا
تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم
فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك
الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف
لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي

زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا
فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء
والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما
انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ ابن عامر فتحنا بالتشديد
في جميع القران ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا
اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم و
القيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون ايسون
فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره
دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان
هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم
واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم
من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه
المذكورات انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة من جهة
المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير
باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد
الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله
بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل
ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ
منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين
بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم
فمن امن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم
من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كفروا بايتنا يمسهم
العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى
بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق
والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه
ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول
ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه

ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ من دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي
هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل
يستوي الاعمى والبصير مثال للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي
المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون
فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص
عنه وانذر به الضمير لما يوحى الذين يخافون ان يحشروا الى
ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا
مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان
المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعد ما امره بانذار غير المتقين
ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي
انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب
وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين
قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر
ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رض ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة
والعشي الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر وقرئ ابن عامر بالغدوة هنا
وفي الكهف يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين
فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا
بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل
ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو امنوا وليس
عليك اعتبار بواطنهم وخلوصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم
باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم
اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم
اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابك بهمك ايمانهم بحيث
تطرد المؤمنين طمعا فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون
من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب
وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف

احوال الناس فی امور الدنیا فتنا ای ابتلینا بعضهم ببعض فی امر الدین فقدمنا
هؤلاء الضعفا علی اشراف قریش بالسبق الی الایمان لیقولوا اهؤلاء
من الله علیهم من بیننا ای اهؤلاء من انعم الله علیهم بالهدایة والتوفیق
لما یسعدهم دوننا ونحن الاکابر والرؤساء وهم المساکین والضعفا وهو
انکار لان یخص هؤلاء من بینهم باصابة الحق والسبق الی الخیر کقولهم لو کان
خیرا ما سبقونا الیه واللام للعاقبة او للتعلیل علی ان فتنا متضمن معنی
خذلنا الیس الله باعلم بالشاکرین بمن یقع منهم الایمان والشکر فیوفقه
وبمن لا یقع منه فیخذله واذا جاءك الذین یؤمنون بایاتنا فقل سلام
علیکم کتب ربکم علی نفسه الرحمة الذین یؤمنون هم الذین یدعون
ربهم وصفهم بالایمان بالقران واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة علی العبادة
وامره ان یبدا بالتسلیم او تبلیغ سلام الله الیهم ویبشرهم بسعة رحمته وفضله
بعد النهی عن طردهم ایذانا بانهم الجامعون لفضیلتی العلم والعمل ومن کان کذلك
ینبغی ان یقرب ولا یطرد ویعز ولا یذل ویبشر من الله بالسلامة فی الدنیا و
الرحمة فی الاخرة وقیل ان قوما جاؤا الی النبی صلی الله علیه وسلم فقالوا انا
اصبنا ذنوبا عظاما فلم یرد علیهم شیئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل
منکم سوءا استیناف بتفسیر الرحمة وقرئ نافع وابن عامر وعاصم و
یعقوب بالفتح علی البدل منها بجهالة فی موضع الحال ای من عمل ذنبا جاهلا
بحقیقة ما یتبعه من المضار والمفاسد کعمر فیما اشار الیه او متلبسا بفعل
الجهالة فان ارتکاب ما یؤدی الی الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم
تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم علی ان
لا یعود الیه فانه غفور رحیم فمن فتح الاول غیر نافع علی اضمار
مبتدا او خبر ای فامره او فله غفرانه وکذلك ومثل ذلك التفصیل
الواضح نفصل الایات ایات القران فی صفة المطیعین والمجرمین
المصرین منهم والاوابین ولتستبین سبیل المجرمین قراه نافع
بالتاء ونصب السبیل علی معنی ولتستوضح یا محمد سبیلهم فتعامل
کلا منهم بما یحق له فصلنا هذا التفصیل وابن کثیر وابن عامر وابو عمرو
ویعقوب وحفص عن عاصم برفعه علی معنی ولتتبین سبیلهم والباقون
بالیاء والرفع علی تذکیر السبیل فانه یذکر ویؤنث ویجوز ان یعطف
علی علة مقدرة ای نفصل الایات لیظهر الحق ولتستبین قل انی

نهیت صرفت وزجرت بما نصب لی من الادلة وانزل علی فی امر التوحید ان
اعبد الذین تدعون من دون الله عن عبادة ما تدعون من دون الله
او ما تدعونها الهة ای تسمونها قل لا اتبع اهواءکم تاکید لقطع اطماعهم
واشارة الی الموجب للنهی وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبیان
لمبدا ضلالهم وان ما هم علیه هوی ولیس بهدی وتنبیه لمن تحری الحق علی ان
یتبع الحجة ولا یقلد قد ضللت اذا ای ان اتبعت اهواءکم فقد ضللت
وما انا من المهتدین ای فی شیء من الهدی حتی اکون من عدادهم وفیه تعریض
بانهم کذلك قل انی علی بینة تنبیه علی ما یجب اتباعه بعدما بین
ما لا یجوز اتباعه والبینة الدلالة الواضحة التی تفصل الحق من الباطل وقیل
المراد بها القران والوحی او الحجج العقلیة او ما یعمها من ربی من معرفته وانه
لا معبود سواه ویجوز ان یکون صفة لبینة وکذبتم به الضمیر لربی
ای کذبتم به حیث اشرکتم به غیره او للبینة باعتبار المعنی ما عندی ما
تستعجلون به یعنی العذاب الذی استعجلوه بقوله فامطر علینا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب الیم ان الحکم الا لله فی تعجیل العذاب وتاخیره
یقص الحق ای القضاء الحق او یصنع الحق ویدبره من قولهم قضی الدرع
اذا صنعها فیما یقضی من تعجیل وتاخیر واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل
الحکم المنع فکانه منع الباطل وقرئ ابن کثیر ونافع وعاصم یقص من قص الاثر
او قص الخبر وهو خیر الفاصلین القاضین قل لو ان عندی
ای فی قدرتی ومکنتی ما تستعجلون به من العذاب لقضی الامر بینی
وبینکم لاهلکتکم عاجلا غضبا لربی وانقطع ما بینی وبینکم والله اعلم
بالظالمین فی معنی الاستدراك کانه قال ولکن الامر الی الله وهو اعلم بمن ینبغی
ان یؤخذ وبمن ینبغی ان یمهل منهم وعنده مفاتح الغیب خزائنه جمع
مفتح بفتح المیم وهو المخزن او ما یتوصل به الی المغیبات مستعار من المفاتح الذی
هو جمع مفتح بالکسر وهو المفتاح ویؤیده ان قرئ مفاتیح والمعنی انه المتوصل
الی المغیبات المحیط علمه بها لا یعلمها الا هو فیعلم اوقاتها وما فی تعجیلها
وتاخیرها فیظهرها علی ما اقتضته حکمته وتعلقت به مشیئته وفیه دلیل علی
انه تعالی یعلم الاشیا قبل وقوعها ویعلم ما فی البر والبحر عطف للاخبار
عن تعلق علمه بالمشاهدات علی الاخبار عن اختصاص العلم بالمغیبات به وما
تسقط من ورقة الا یعلمها مبالغة فی احاطة علمه بالجزئیات ولا حبة

في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله
الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين
علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة
او رفعا على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل
ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال
الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار
كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم
يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى
ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم
ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم
ملقون كالجيف بالليل وكاسبون الاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على احوالكم
يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب
الاثام بالنهار ليقضي الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم
ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق
عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة يحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون
والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله يكتب عليه ويعرض على رؤس الاشهاد
كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره
لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت
توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة وهم
لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون
ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم
الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على
المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين
يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من
ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة
لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم
ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف
والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا
واسرارا وقرأ ابو بكر هنا وفي الاعراف خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه

لنكونن

لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا وقرأ
الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله يدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله
ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل كرب
غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد
وانما وضع تشركون موضع لا تعبدون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله
فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من
فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم
كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم و
من تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم شيعا يخلطكم فرقا متحزبين
على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست
نفضت لها يدي ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا
انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون
وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقران وهو الحق الواقع
لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم
فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبا
خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع
وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الاخرة واذا رايت
الذين يخوضون في اياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها
فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
ذكر الضمير على معنى الايات لانها القران واما ينسينك الشيطان بان
يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد
فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين
اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب و
الاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون
وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم
من شيء مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم ولكن ذكرى
ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح و
يظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى
ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان

منها تزاد في الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم
ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا ينثلم
بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقران لم نستطع
ان نجلس بالمسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
اى بنوا امر دينهم على التشهى وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا واجلا
كعبادة الصنم وتحريم البحاير والسوايب او اتخذوا دينهم الذين كلفوه لعبا ولهوا
حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب
والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله
ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف
عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث و
ذكر به اى بالقران ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى
الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان
فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك
اى حرام ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب
وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى
وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها
لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين
ابسلوا بما كسبوا اى سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقايدهم
الزايغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد
وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم
بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا
ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد
اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين
كالذي ذهبت به مردة الجن الى المهامة استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب
وقرى حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى
مشبهين بالذي استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذي استهوته
في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى
رفقة يدعونه الى الهدى اى يهدونه الطريق المستقيم او الى الطريق
المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ايتنا يقولون له ايتنا

قل ان

قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال
وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله و
اللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زايدة
وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة
الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا الصلوة روى
ان عبد الرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر
الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي
كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي
خلق السموات والارض بالحق قائما بالحكمة ويوم يقول كن
فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول
كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق
نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الهاء في
واتقوه او بالمحذوف دل عليه بالحق وقوله بالحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون
على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون
الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها
وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير
كالفذلكة للاية واذ قال ابرهيم لابيه ازر هو عطف بيان لابيه
وفي كتب التاريخ ان اسمه تارخ وقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل
العلم تارخ وازر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل
على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر
وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف
المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد
ازر ثم قال اتتخذ اصناما الهة تفسيرا وتقريرا او يدل عليه انه قرئ
ازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم
على النداء وهو يدل على انه علم انى اراك وقومك في ضلال عن الحق مبين
ظاهر الضلالة وكذلك نرى ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو
حكاية حال ماضية وقرى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية
ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجايبها وبدايعها والملكوت

اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اى ليستدل وليكون
او فعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى
تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان
اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم
ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه
والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان
المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه
النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل
اى غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب
بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية فلما راى القمر
بازغا مبتدأ بالطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى
ربى لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه فى
درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر
ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى
الشمس بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب
عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما
افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى
محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها
ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال انى وجهت وجهى للذى
فطر السموت والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول
دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذى
يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه
فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله فى وحدانيته وقرئ نافع وابن عامر بتخفيف
النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به اى
لا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء
ربى شيئا ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن الهتهم
وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربى كل شئ علما كانه علة الاستثناء اى
احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها افلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم

ولا يتعلق

ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان
يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور
العاجز والقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل
باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاى الفريقين احق بالامن
اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية
نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او
من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الاية
لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس
ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم
وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق
الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه
من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجونى اليه
حجتنا اتيناها ابراهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياه على قومه متعلق
بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اى اتيناها ابراهيم حجة على
قومه نرفع درجات من نشاء فى العلم والحكمة وقرئ الكوفيون ويعقوب
بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه
واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلا
منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم
من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم
اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم
فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الاية والتى بعدها والمذكورون
فى الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب ايوب ابن
اموص من اسباط عيص ابن اسحاق ويوسف وموسى وهارون
وكذلك نجزى المحسنين اى ونجزى المحسنين جزاء مثل ما جزينا
ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى
وهو ابن مريم وفى ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس
قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن فى الاية الاولى
وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى كل من الصالحين الكاملين

في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسماعيل واليسع هو
اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي
ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا
شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو
ابن هاران ابن اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل
على فضلهم على من عداهم من الخلق ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم عطف
على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض اباءهم وذرياتهم
واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على هدينا
او فضلنا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا
اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء
من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي لو اشرك
هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون
لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم
الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه
الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة هؤلاء
يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين
وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي
او كل من امن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد
الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء و
هاء سكت
المراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف
فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه
دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها
في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف
وتحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة والكسائي واشبعها ابن عامر برواية ابن
ذكوان على انها كناية المصدر ويكسرها بغير اشباع برواية هشام قل
لا اسئلكم عليه اي على التبليغ او القران اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسئل
من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امروا بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ
او القران او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما
قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد

اذ قالوا

اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك
من عظايم رحمته وجلايل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين
جسروا على هذه المقالة والقايلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال
القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به
موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور يجعلونه قراطيس
تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرا بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا
وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتورية وذمهم على تجزيتها
بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي
ان مالك ابن الصيف قال لما اغضبه الرسول صلى الله عليه وسلم انشدك
بالذي انزل التورية على موسى هل تجد ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين
وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذايعة
عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم
وعلمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى اباءكم الذين كانوا اعلم منكم
ونظيره ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل
الخطاب لمن امن من قريش قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم
اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون
على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام
الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال
من مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا
كتاب انزلناه مبارك كثير الفايدة والنفع مصدق الذي بين
يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على
ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام
القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى وحجهم ومجتمعهم
واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت
وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب ومن حولها
اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم
على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة ولا يزال
الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما

ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق
عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء
كعبد الله بن سعد ابن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه
خلقا اخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق
الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن
كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال
ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل
هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي
ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه
والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ اخرجوا
انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا
عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد وقت
الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية تجزون عذاب الهون
اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته
وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك
له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون
فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء
فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما اثرتموه من الدنيا او عن
الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف
للتانيث ككسالى وقرئ فرادى كرخال وفراد كثلاث وفردى
كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم
عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى
اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا
اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في
الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا
ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم
فيكم شركاء اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد

تقطع

تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل
للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل اتساعا والمعنى وقع التقطع
بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل
لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به
وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان
لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به
الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات
ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت
من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب
فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي المميت هو الذي
يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح
شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو
الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصباح وقرئ
بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجعل الليل سكنا
يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استئناسا
به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه
في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف
عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر
في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا
على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئا بالرفع
على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا على ادوار مختلفة يحسب بها
الاوقات ويكونان على الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان
(ويكونان علما للحسبان خ)
بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك
اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير
العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما
والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم
لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها
اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو
افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الايات

بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم
من نفس واحدة هو آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم
استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او
موضع استقرار واستيداع وقرئ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على اسم فاعل
والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون
الاستيداع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون
لان امرها ظاهر وذكر مع تخليق بني ادم يفقهون لان انشاهم من نفس واحدة
وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر
وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا
على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار
القدرة في انبات الانواع المفتنة بماء واحد كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات وهذا خضرا شيئا خضر
وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المنشعب نخرج منه من الخضر حبا
متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل
نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر
قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق
جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذيب وزوبان وبفتحها على
انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة
قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها وزيادة النعمة
فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء
اي ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب
لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نباتا او نصب على
الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه
حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في
الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك
وقرئ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار
ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به
وينعه والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في
الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ

بالضم

بالضم وهو لغة فيه ويانع ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون اي لايات
على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع
المفتنة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها
ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد
يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله
شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم
جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله
او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع و
الشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء
والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ
الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم
حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق
كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على
شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له
افتعلوا وافتروا له وقرئ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي وزوروا
بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا
ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم
سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات
والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت
الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه
ورفعه على الخبر والمبتدا محذوف او على الابتدا وخبره انى يكون له ولد
اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد
وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء
وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص
الى الاول وفي الاية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته
السموات والارضون وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبراة عنها
لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول
من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث

ان الولد كفوا الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوق ولا يكافيه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شئ وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح ماربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهى حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى في الاية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوله قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفى لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا يدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق وتبصرها فمن ابصر اى فمن ابصر الحق وامن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمى عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله وسلم وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعانى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال وليقولوا درست اى وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعليم وقرئ ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الايات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن

اى عفون ودرس اى درس محمد ودارسات اى قديمات او ذات درس كقوله تعالى عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقران وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما يوحى اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى ارائهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم ما يكف عنهم و لو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع ولو جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم باموره ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى ولا تذكروا الهتهم التى يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله و بما يجب ان يذكر به وقرئ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روى انه كان عليه السلام يطعن في الهتهم فقالوا لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعى لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب الايات واستحقار ما راوا منها لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وهو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شئ منها بقدرتى وارادتى وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها ان الاية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اى لا يدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفى المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرئ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم

بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجئ الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل
للمشركين اذ قرئ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعركم انها اذا جاءتهم
فيكون انكارا لهم على خلقهم اى وما يشعركم ان قلوبهم حينئذ لم يكن مطبوعة كما كانت
عند نزول القران وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم عطف على
لا يؤمنون اى وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه و
ابصارهم فلا يبصرون فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اى بما انزل من الآيات
اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ندعوهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين
وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة ويقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا
كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا
جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة
بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على
الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم
القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اى لا يؤمنون
في حال الا حال مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة
ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد
ايمانهم على ما لا يشعرون وكذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل
يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا
في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل
نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه
شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي
جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض
يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس
الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا
مفعول له او مصدر في موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه
اى ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير
للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون
وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا
ان جعل علة او متعلق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة

لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون
او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه
لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام افغير
الله ابتغي حكما على ارادة القول اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني
وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه
وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذى انزل اليكم
الكتاب اى القران المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط
والالتباس وفيه تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة
الاعجاز على ان القران حق منزل من عند الله بعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم
مع انه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان
اكثرهم يعلمون ومن لا يعلم فهو متمكن بادنى تأمل وقيل المراد مؤمنو اهل الكتاب
وقرئ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين
في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج
كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب
لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه
وتمت كلمت ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا
في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز
والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو
اصدق او اعدل او لا احدا يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة
على ان المراد بها القران فيكون ضمانا لها من الله تعالى بالحفظ لقوله وانا له
لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها او يبدل احكامها وقرئ الكوفيون
ويعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به او القران وهو السميع لما يقولون
العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اى
اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة
يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب
الامر لا يأمر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم
كانوا على الحق او جهالاتهم وآراءهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم
وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد

وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء
وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين اى اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل
النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية
مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل
اى يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه
اى اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل
في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه
بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع
المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله
على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم باياته مؤمنين
فان الايمان بها يقتضى استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا
تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واى غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم
عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرئ
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل لكم على البناء للمفعول ونافع ويعقوب
وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم
فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم
الحلال قراءة الكوفيين بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم
بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين
بالمتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه
ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ
الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون
يكتسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم
متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال
مالك والشافعى بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر
اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما
ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به
والضمير لها ويجوز ان يكون للاكل الذى دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين
ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم

بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة
وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة
الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان
الشرط بلفظ الماضى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى
به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات
يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرئ نافع ويعقوب
ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله
ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل
لمن بقى على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين
للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة وابى جهل وقيل في عمر او عمار
وابى جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اى كما
جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها
على تقديم المفعول الثانى او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا
اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة
ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس
والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون
ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله
يعنى كفار قريش لما روى ان ابا جهل قال زاحمنا بنى عبد مناف حتى اذا صرنا
كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه الا ان ياتينا
وحى كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالته استيناف للرد عليهم
بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هى بفضائل نفسانية يخص بها من يشاء
من عباده فيجتبى لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذى فيه يضعها
وقرئ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا
صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره
من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء
على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان
يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل
النفس قابلة للحق مهيئة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار
عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له

وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن
دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرئ ابن كثير ضيقا
بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح
وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن
يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على
ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عليه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا
عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرئ ابن
كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق
صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل
العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة
الى البيان الذي جاء به القران او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان
صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته
مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة لقوله وهو الحق مصدقا
او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون
فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه
عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف
الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام
عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم
مواليهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها
فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول
والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرئ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء
يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي
من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم
استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم
ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على
الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم
وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف
واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا

الذي

الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع
الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات
مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة
ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى
الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم
ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى
بعضا فيغويهم اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا
يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل
منكم الرسل من الانس خاصة ولكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك و
نظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب
وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل
الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون
عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا
جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر
واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطا رأيهم فانهم اغتروا
بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتى كان
عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام
للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال
الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك
القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة
من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك
مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون
لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب
مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون
فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرئ ابن عامر بالتاء
على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي

وفيه تنبيه على ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد
وتأسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اى ما به اليكم حاجة ان
يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق
كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما
عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة
وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية
تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم
وجهتكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ ابو بكر عن عاصم
مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم
انى عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد
بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله
بالامر على ما يفضى به اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتى منه الا الشر كالمأمور
الذى لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة
الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا يكون له العاقبة الحسنى التى خلق
الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية
فالنصب بتعلمون اى فسوف تعرفون الذى يكون له العاقبة وفيه مع
الانذار انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق
وقرئ حمزة والكسائى يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى انه
لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر
فائدة وجعلوا اى مشركوا العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث
والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما
كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى
شركائهم روى انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه
الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم وينفقون على سدنتها و
يذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما
لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفى قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم
فانهم اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شئ ثم رجحوه عليه بان جعلوا
الازكى له وفى قولهم بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به
وقرئ الكسائى بالضم فى الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا

كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين
فى قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحرهم
لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرئ ابن عامر زين
على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل
اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله
فزججتها بمزجة زج القلوص ابى مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم
ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء و
ليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام
او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين
وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون
ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون
افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم
انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير
والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى ضيق لا يطعمها الا من نشاء
يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام
حرمت ظهورها يعنى البحائر والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون
اسم الله عليها فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون
على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله
والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار
متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله
وقالوا ما فى بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث
ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث
فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى
رواية ابى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء وخالفهم هو وابن كثير فى ميتة فنصب
كغيرهما او بالتاء فيه للمبالغة كما فى رواية الشعر وهو مصدر كالعافية وقع موقع
الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير
الذى فى الظرف لا من الذى فى لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل
المعنوى وعلى صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة بالرفع

والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فيه
لان المراد بالميتة ما يعم الذكور والاناث فغلب الذكور سيجزيهم وصفهم اى
جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب
انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب
الذين كانوا يقتلون مخافة السبى والفقر وقرئ ابن كثير وابن عامر قتّلوا
بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق
اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله
من البحاير ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله قد ضلوا
وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذى انشأ جنات
من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات
ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير
معروشات ما نبت فى البوادى والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره
الذى يوكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقى مقيس عليه او للنخل والزرع
داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها
ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان
متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما فى اللون والطعم ولا يتشابه
بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم ينيع
بعد وقيل فائدته رخصة المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله واتوا حقه يوم
حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت
بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر باتيانها يوم الحصاد ليهتم به
حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرئ
ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا
فى التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضى
فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اى وانشأ من الانعام
ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره
وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها
كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان
فى التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية
ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل

دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه
وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش
والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه
ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين
التيس والعنز وقرئ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع
ماعز كصاحب وصحب او حارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر
الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين امّ انثييهما ونصب الذكرين والانثيين
بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين
ذكرا كان او انثى نبئونى بعلم بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا
من ذلك ان كنتم صادقين فى دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين
ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه
ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة
ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة و
اناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء
بل اكنتم شاهدين حاضرين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم
اذ انتم لا تؤمنون بنبى فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم
المقررون لذلك او عمرو بن لحى بن قمعة المؤسس له ليضل الناس
بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا اجد فى ما اوحى
الى اى فى القران او فيما اوحى الى مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم
بالوحى لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون
ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث
الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هى التامة وقوله او دما
مسفوحا عطف على ان مع ما فى خبره اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا
اى مصبوبا كالدم فى العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس
فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف
على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة
وانما سمى ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله فى الفسق ويجوز ان يكون فسقا
مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه

مستكن فى يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شئ من
ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك
غفور رحيم لا يؤاخذه والاية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحى
الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافى ورود التحريم فى شئ اخر فلا يصح
الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع
الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر كل ماله اصبع
كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذى ظفر اى مخلب وحافر وسمى الحافر
ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط
الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او
ما اشتملت على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية
كسفينة وسفاين وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او
ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم
او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فى الاخبار
والوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم
على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد باسه عن القوم
المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين
فاقام مقامه ولا يرد باسه لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة
على انه لا ذنب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن
مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا
اباؤنا ولا حرمنا من شئ اى لو شاء خلاف ذلك مشية ارتضاء
كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا اباؤنا اراد وا بذلك انهم
على الحق المشروع المرضى عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبايح بارادة
الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك
كذب الذين من قبلهم اى مثل هذا التكذيب لك فى ان الله منع من الشرك
ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف اباؤنا على الضمير فى اشركنا من غير
تاكيد للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم قل
هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج على ما زعمتم فتخرجوه
لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون فى ذلك الا الظن

وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن
سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الاية فيه قل فلله
الحجة البالغة البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات
او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات
الحكم وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها
ولكن شاء هداية قوم وضلال اخرين قل هلم شهداءكم احضروهم
وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم واصله
عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان
اذا قصد حذف الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام
هل لا يدخل الامر ويكون متعديا كما فى الاية ولازما كقوله هلم الينا الذين
يشهدون ان الله حرم هذا يعنى قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة
ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد
الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد
معهم فلا تصدقهم وبين لهم فساده فان تسليمهم موافقة لهم فى الشهادة
الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع المضمر
للدلالة على ان مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا
بها والذين لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون
يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالى واصله ان يقوله من كان فى علو
لمن كان فى سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرا ما حرم ربكم منصوب باتل وما يحتمل
الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول
اتل لانه بمعنى اقل اى شئ حرم ربكم عليكم متعلق بحرم او اتل ان لا تشركوا
به اى لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم
فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب
بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عايده المحذوف على ان لا زايدة او الجر
بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا
يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اى احسنوا بهم احسانا
وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة فى
شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل
فقر ومن خشيته كقوله تعالى خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع
لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش

كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم
وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد
ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصيكم به اي بحفظه لعلكم
تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره
حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر
وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية
لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب
الامر معناه ان ايفاء الحق عسير فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم و
اذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان
المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة
العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون
به وقرئ حمزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان
بالتاء والباقون بتشديدها وان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه
الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ
حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف
والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرئ ابن
عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا
السبل اي الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد
ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم
وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم
الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم اتينا موسى
الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه
قيل ذلكم وصيكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب تماما
للكرامة والنعمة على الذي احسن على كل من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ
على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام او تماما على
ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على
انه خبر محذوف اي على الذين الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن
ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه

في الذين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى
ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون او بلقائه للجزاء وهذا
كتاب يعني القران انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم
ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة
لانزلنا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى
ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن
غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اي
وانه كنا عن دراستهم لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا
عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا
وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على
انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى و
رحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ان عرف
صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل
سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا
يصدفون باعراضهم او صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني
اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين كذلك ولكن كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا
بالمنتظرين الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرئ حمزة
والكسائي بالياء هنا وفي النحل او ياتي ربك اي امره بالعذاب او كل اية
يعني ايات القيامة والهلاك الكلي لقوله او ياتي بعض ايات ربك يعني
اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها
لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق
وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها و
ياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم ياتي بعض
ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان
برهانيا وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن امنت من
قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى
انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير
كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص

هذا الحكم بذلك اليوم وحمل التوديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى
لا ينفع نفسا خلت عنها ايمانها والعطف على لم تكن معنى لا ينفع نفسا ايمانها
الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون
وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز
وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فامنوا ببعض وكفروا
ببعض وافترقوا فيه قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين كلها
في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا
فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شئ اي من السؤال عنهم وعن
تفرقهم او من عقابهم او انت بري منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو
منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم
بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرئ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها
بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين
وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم
لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي
الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا
بدل من محل الى صراط اذ المعنى وهداني صراطا كقوله ويهديكم صراطا له
مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام
كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار
الصيغة وقرئ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت
به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم
عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين
عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي
ومحياي ومماتي وما انا عليه من حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة
او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة
والممات انفسهما وقرئ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف

لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيه غيره وبذلك
القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم
على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي وهو جواب عن
دعائهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شئ حال في موقع العلة للانكار
والدليل له وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب
كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره وما انتم عليه من ذلك
ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي
جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه
تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين
ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنا ليبلوكم
فيما اتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو ات
قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب
ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى
بناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض
كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل
بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون
الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية غير ثماني ايات من قوله واسئلهم الى قوله واذ اخذ ربك من بني ادم

بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب
خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القران
انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان
الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او يقصر في القيام
بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب
وكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق
بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم

اوعلم انه موقف للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها
اى لتنذر ولتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا
على كتاب او خبرا لمحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القران والسنة
لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء
يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير فى من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من دون
دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اى تذكرا او زمانا
قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد
القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرئ حمزة والكسائى
وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التا وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد
مع النبى صلى الله عليه وسلم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا
اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا
بياتا بايتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف
عليه اى قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع
حرفى عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفى
التعبيرين مبالغة فى غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت
دعة واستراحة فيكون مجئ العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اى دعاؤهم
او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا
انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه ولنسئلن
المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى
فى قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول فى موقف
الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل
حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم
ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا
غائبين عنهم فيخفى علينا شئ من احوالهم والوزن اى القضاء او وزن
الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له
لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم
عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روى ان
رجلا يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر
فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة

فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روى عليه السلام ليأتى
العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذى
هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوى فمن ثقلت
موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته فهو جمع موزون او ميزان
وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا
انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب
بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم فى
الارض اى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها
معايش اسبابا يعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء
فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم
ثم صورناكم اى خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه و
تصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم
ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم وقيل ثم قلنا لتاخير الاخبار
فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لادم قال
ما منعك الا تسجد اى ان تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى
الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع
عن الشئ مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك
دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من
حيث المعنى استانف به استبعادا لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله
كانه قال المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن
ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتنى
من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بان راى
الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة وباعتبار الصورة
كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية
وهو ملاكه وكذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص
ليست لغيره والاية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة
ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب

قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها
وتعصى فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه
تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين
ممن اهانه الله لتكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه
الله قال انظرنى الى يوم يبعثون امهلنى الى يوم القيمة فلا تمتنى ولا تعجل
عقوبتى قال انك من المنظرين يقتضى الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه
محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت
يعلم الله انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب
بمخالفته قال فبما اغويتنى اى بعد ما امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم باى
طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم تسمية او حملا على الغى وتكليفا
بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام
تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة
صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل
الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن
ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى
من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اى وجه يمكنه
باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل
لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش
وعن ابن عباس رض من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن
ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم
من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون
وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا
لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه
منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف عنهم المار
على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين
وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا
ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذءوما
مذموما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول فى مسئول او كمكول فى مكيل
من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة

القسم وجوابه لاملئن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب
الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملئن على معنى لمن تبعك هذا
الوعيد او علة لاخرج ولاملئن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم
فغلب المخاطب ويا آدم اى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى
وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين
فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب
على الجواب فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما وهو
فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق
فى البقرة كيفية وسوسته ليبدى لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض
على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر
عنهما بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج
من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع ما ورى عنهما من سوآتهما
ما غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر
وانما لم يقلب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت فى اويصل تصغير
واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو
وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن
هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون فى الجنة واستدل به على
فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقايق لا تنقلب
وانما كانت رغبتهما فى ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية
والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما
انى لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة
للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الصالحين
فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به
على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء
ارسال الشىء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان
احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت

لهما سوآتهما اى فلما وجدا طعمها اخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرام او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصّفان واصله يختصفان ونادا هما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغاير معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرنا ابدا او خبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو فى موقع الحال اى متعادين ولكم فى الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى تقاضى اجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء وقرا حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يوارى سوآتكم التى قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة ادم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل المال ومنه ترّيش الرجل اذا تموّل وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل

الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ نافع وابن عامر والكسائى ولباس بالنصب عطفا على ريشا ذلك اى انزال اللباس من ايات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهى وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا يقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وتحميلهم على ما سولوا لهم والاية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الاباء والافترا على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثانى بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلا عقلى فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطباع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليه اباءنا فقيل ومن اين اخذ اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهى عن الافترا على الله قل امر ربى بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد فى كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او فى مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة فان اليه

مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتدا تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم
وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكان والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب
تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا
وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم
الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اى
وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل
لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان
الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر
يا بنى ادم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف
او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب
ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روى بنى عامر في ايام
حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم
المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط
الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رض كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف
اية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اى لا يرتضى
فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وساير ما يتجمل به التى اخرج
لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن
كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب وفيه
دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام
في من للانكار قل هى للذين امنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة
وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم
وانتصابها على الحال وقرئ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل
الايات لقوم يعلمون اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل ساير الاحكام لهم
قل انما حرم ربى الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج
ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم
بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغى الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة
بغير الحق متعلق بالبغى مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا

على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل
امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء
اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون اى لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر
والتقدم لشدة الهول يا بنى ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم
اياتى شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب
كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون
وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء
في الجزاء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب
ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق
والاجال وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهى التى
يبتدا بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون من دون
الله اين الالهة التى كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها
الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على
انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه
قال ادخلوا اى قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة في امم قد خلت من
قبلكم اى كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعنى
كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت
امة في النار لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها
جميعا اى تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم اى دخولا او
منزلة وهم الاتباع لاولاهم اى لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم
ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا
ضعفا في النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما
القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن
لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرئ عاصم بالياء على الانفصال وقالت

اولاهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على
جواب الله لاخريهم ورتبوا عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم
متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم
تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا باياتنا
واستكبروا عنها اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم
واعمالهم او لارواحهم كما يفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة و
التا فى تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة
والكسائى به وباليا لان التانيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء
للفاعل ونصب الابواب بالتا على ان الفعل للايات وباليا على ان الفعل لله و
لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى يدخل ما هو مثل فى
عظم الجرم وهو البعير فيما مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون
فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب
والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر
وفى سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل
ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن
فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه و
للصرف عند غيره وقرئ غواش على الغا المحذوف وكذلك نجزى الظالمين
عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات
اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب
بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين امنوا وعملوا الصالحات
لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
على عادته سبحانه وتعالى ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها
اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم
ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما فى صدورهم من غل
اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او يطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن
على رض انى لارجوا ان يكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجرى من
تحتهم الانهار زيادة فى لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذى
هدينا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدينا الله
لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفى وجواب لولا محذوف دل عليه

مافبله

ما قبله وقرئ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت
رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا
بان ما علموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الاخرة ونودوا ان تلكم
الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها
بما كنتم تعملون اى اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل
فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان فى المواقع الخمسة هى المخففة
او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل
ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا
وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرئ الكسائى
بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم
بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرئ ابن كثير فى رواية
البزى وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد والنصب
وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجرا اذن مجرى قال الذين
يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع
او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر
فى المعانى والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح ما كان فى المنتصبة كالحائط
والرمح وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب اى بين الفريقين
كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما
الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اى اعاليه وهو السور المضروب
بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ
فانه يكون بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا
فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله فيهم ما يشا وقيل قوم
علت درجاتهم كالانبيا او الشهدا او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة
يرون فى صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم
بعلامتهم التى اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعل من سام ابله اذا
ارسلها فى المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون
ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام

حزب

عليكم اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون
حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه الباقية واذا صرفت ابصارهم
تلقاء اصحاب النار قالوا نعوذ بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين اى في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم
بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او
جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون
من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم
للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا
ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف
تحزنون اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه
الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا
حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيّروا اصحاب
النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة
اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا
الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان
افيضوا علينا من الماء اى صبّوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او
مما رزقكم الله من ساير الاشربة ليلايم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها
تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع
المحرّم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة
والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب
طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم
ننساهم نفعل فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم
هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون
وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه
بيّنا معانيه من العقايد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه
تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون
حالا من المفعول وقرئ فضلناه اى على ساير الكتب عالمين بانه حقيق بذلك
هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل
ينتظرون الا تاويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق

به من الوعد والوعيد يوم يأتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل
تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اى قد تبين انهم جاؤا
بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد
الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى
الاول المسؤول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين
او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني
وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر
وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام اى في ستة اوقات كقوله
ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف في اليوم زمان
طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة
على ايجاده دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور
ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان
الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على
العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط
بساير الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير
تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه
للعلم او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل
ورفع النهار وقرئ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد
فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب
له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف
او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات
ونصب مسخرات على الحال وقرئ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا
له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين
تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله
اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو
الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير
حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه فقضاهن سبع سموات

في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة و
الهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه
بقوله خلق الارض في يومين اى ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد
الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض
في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة
ايام اى في اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك
الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك
وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقدير
ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه
متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اى ذوى
تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين
المجاوزين ما امروا به في الدعاء نبه به على ان الداعى ينبغى ان لا يطلب
ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء
والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في
الدعاء وحسب المرأة ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وما قرب اليها من قول و
عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها
ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوى خوف
من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا
لفرط رحمته ان رحمت الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع
وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وذكر قريب لان الرحمة بمعنى الترحم او لانه
صفة محذوف اى امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذى بمعنى مفعول
او الذى هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب
من غيره وهو الذى يرسل الرياح وقرئ ابن كثير وحمزة والكسائى
الريح على الوحدة بشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرئ ابن عامر نشرا
بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على
انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال
والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ

أسهب في الكلام أطال فهو مسهب على غير قياس

به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى بين
يدى رحمته قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال
تجمعه والجنوب تذره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت سحابا اى حملته واقله
من القلة فان المقل للشئ يستقله ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب
سقناه اى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت اى
لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب
او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء
واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثانى واذا كان
لغيره فهى للسببية فيهما من كل الثمرات من كل انواعها كذلك
نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى
كما نحييه باحداث القوة النامية فيه ونطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج
الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى موادها بعد جمعها ونطريتها
بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على
هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن
ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه
لانه اوقعه في مقابلة والذى خبث اى كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا
قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذى خبث
لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا
مستترا وقرئ يخرج اى يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر
اى ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الايات نرددها
ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها
والاية مثل لمن تدبر الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها
لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا يكاد يطلق
هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع صدور
ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبى بعده بعث
وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه
وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرئ الكسائى غيره بالكسر على اللفظ
حيث وقع اذا كان قبل الا من التى تخصص وقرئ بالنصب على الاستثناء
انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم اى ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان

للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من
قومه اي الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال
عن الحق مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في
النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين
استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى
ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح
واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف و
مساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرئ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع
الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقايد والمواعظ والاحكام
او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة
اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به
فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها
اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم
ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل
على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال
البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين
لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار و
لعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى
غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن
من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من امن به وكانوا
اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة
ممن امن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير
في معه واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما
عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول
ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا
عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن
عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل
هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم
افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله

مالكم

مالكم من اله غيره استانف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم
حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكانه قومه
كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه
اذ كان من اشرافهم من امن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا
في خفة عقل راسخا فيها حيث تركت دين قومك وانا لنظنك من
الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب
العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره و
في اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم
كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح
وفي قوله انا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرئ ابو عمرو ابلغكم
في الموضعين في هذه وفي الاحقاف مخففا واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان
شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم
من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة
فاذكروا الاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي
بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله
وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة
والاعراض عما اشرك به اباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى
المجيء من اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او
القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب
المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال
قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع
من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة
انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها
من سلطان اي من اشياء سميتموها الهة ليس فيها معنى الالهية لان
المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها
بجعله تعالى اما بانزال اية او بنصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم
ان الاصنام تسمى الهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق

لمن لا يؤمن بقوله لاظهار غاية جهالتهم وفرط عنادهم واستدل به على ان
الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال
بانها اسما مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما
وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب انى معكم من المنتظرين
فانجيناه والذين معه فى الدين برحمة منا عليهم وقطعنا
دابر الذين كذبوا باياتنا اى استاصلناهم وما كانوا مؤمنين
تعريض بمن امن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا وبين من هلك هو
الايمان روى انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله لهم هودا فكذبوه
وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان
الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء يوجهوا الى البيت الحرام
وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد ابن سعد فى سبعين
من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم
معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا
اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
قينتان له فلما راى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان
يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل
ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا الغماما فيسقى ارض عاد ان عادا قد
امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله
لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية
احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا
مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلاثا
بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك
فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد المغيث
فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم
ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى
ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود وابن عابر ابن ارم
ابن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا
بتاويل الحى او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى
القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن اسف ابن ماسح ابن عبيد بن

الهينمة اخفاء الكلام والمراد هنا الدعاء صح

قينتان جاريتان مغنيتان صحاح

فازعجه اقلقه وقلعه من مكانه صحاح

حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتى وقوله هذه
ناقة الله لكم اية استيناف لبيانها واية نصب على الحال والعامل فيها
معنى الاشارة ولكم بيان لمن هى له اية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف
بيان ولكم خبرا عاملا فى اية واضافة الناقة الى الله تعالى لتعظيمها ولانها جاءت
بلا وسايط واسباب معهودة ولذلك كانت اية فذروها تاكل فى
فى ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهى عن المس الذى هو
مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة فى الامر وازاحة
للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهى واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض ارض الحجر تتخذون
من سهولها قصورا اى تبنون فى سهولها او من سهولة الارض
بما تعملون منها كاللبن والاجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ
تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة
او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون
فاذكروا الاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين قال
الملأ الذين استكبروا من قومه اى عن الايمان للذين استضعفوا
اى للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن امن منهم بدل من الذين
استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين
وقرئ ابن عامر وقال الملأ بالواو اتعلمون ان صالحا مرسل من
ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا
به عن الجواب السوى الذى هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك
فيه عاقل ويخفى على ذى راى وانما الكلام فى من امن به ومن كفر فلذلك
قال قال الذين استكبروا انا بالذى امنتم به كافرون على
المقابلة ووضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما
فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او
لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو
ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان
كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم
جاثمين خامدين ميتين روى انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم

وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في
حصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا
من اشرافهم فانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا
فندعوا الهك وندعوا الهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم
فلم يجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة
وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفا وبراء فان فعلت صدقناك
فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا
ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء
كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع في جماعة
ومنع الباقين من الايمان ذوات ابن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب ابن
صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها
من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى يمتلي اوانيهم فيشربون
ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو
ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة
ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقا سبقها جدوا سمه
قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب
فلم يقدروا عليه اذا نفحت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح
وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم
العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض
فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم

جمع نطع وهو ما يصنع من الاديم

صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد
هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال
انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك
على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه
وقت قوله لهم اي او واذكر لوطا واذ بدل منه اتاتون الفاحشة
توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من
احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والبا للتعدية ومن الاولى

لتاكيد

لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقرر للانكار
للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء ائنكم
لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون
الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرئ نافع وحفص انكم على الاخبار
المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها
وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة
طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب
عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد
الاسراف في كل شئ او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف
مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه
ولكنهم قابلوا نصيحته بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء
بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه و
اهله اي من امن به الا امراته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر
كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب
الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين
بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة
المجرمين روي ان لوط ابن هاران ابن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم
الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله
وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطرنا عليهم الحجارة (فامطر الله)
فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافرتهم والى مدين
اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم بن شعيب
ميكيل بن يشجر ابن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
يريد المعجزة التي كانت له وليس في القران انها ما هي وما روي من محاربة عصا
موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة
له من اولادها ووقوع عصا ادم على يده في المرة السبع متاخرة عن هذه
المقاولة يحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوة فاوفوا الكيل اي
الة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله

والميزان كما قال في سورة هود اوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون
الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم
حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير
والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا
في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها
او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرايع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة
في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به
ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة
وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق
الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف
وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا
يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن
دينك ويوعدون لمن امن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون
عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر
بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه
او الايمان بالله من امن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول
تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم و
توعدون بما عطف عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها
عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها
معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة
في النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم
قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به
وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي
بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين
وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين
استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من
قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم
عن القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز
عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم

وعلى ذلك اجري الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن
كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا
عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله
قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل قد عليه
لتقريبه من الحال اي قد افترينا الان ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث
نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل
انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على
ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع
ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله
توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او
اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل
اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا
من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون
لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو
ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة
وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم
جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ وخبره كان لم
يغنوا فيها اي استؤصلوا كان لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا
شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما
زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول
واستانف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تاسفا بهم لشدة حزنه
عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف اسى على قوم كافرين ليسوا اهل
حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه
عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح و
الاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف اسى عليكم وقرئ كيف ايسى بامالتين
وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم

وحضن لعلهم يضرعون في يتضرعون يتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة
الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة
ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا اكثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر
ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله
ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء
وقد مس اباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون
بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني المدلول عليها بقوله وما ارسلنا
في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها امنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير
ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرئ ابن عامر لفتحنا
بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون
من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل
القرى ان ياتيهم باسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو
في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم
وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا اوامن اهل
القرى وقرئ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان
ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت
وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا
مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراجه
العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون
الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم
وانما عدي يهدي باللام لانه بمعنى بين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد
ومن قراءة بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه
اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز
عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياق جواب لو لافضائه
الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى

يعني قرى الامم المار ذكرها نقص عليك من انبائها حال ان جعل
القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز
ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا
عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا
مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا
حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والايات المتتابعة واللام
لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على
الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
فلا يلين شكيمتهم بالايات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس
والاية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد فان
اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الايات ونصب
الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين
من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز
الا في المبتدا او الخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام
بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله جاءتهم
رسلهم او للامم باياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا
بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا
المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان
وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان
عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب
العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق
لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله
فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قراه نافع فقلب لامن
الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته
او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان
اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع
على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة

ويؤيده قراءة ابي بالياء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم
فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي
هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت
جئت باية من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها عندي ليثبت بها
صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي
ثعبان مبين ظاهر امره لا شك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي
انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع
لحيه الاسفل على الارض والاخر على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب
منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا
وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك
وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصى ونزع يده من جيبه او من
تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا عن
العادة يجتمع اليه النظارة او بيضاء للناظرين لا انها كانت بيضاء في جبلتها
روي انه كان ادم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها
فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملاء من
قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه
على سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد
ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون يشيرون في ان نفعل قالوا
ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر
عليم كانه انفقت عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير
اي اخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو بكر وابو عمرو ويعقوب من ارجأت
وكذلك ارجهوا على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت
كما قرأ نافع في رواية ورش واسماعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون
ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وقراءة حمزة وعاصم ارجه بسكون
الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما قراءة
ابن عامر برواية ابن ذكوان ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان
الهاء لا يكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت
تقلب ياء اجريت مجراها وقراءة حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس
ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط

في طلبهم

في طلبهم قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف كانه جواب
سائل قال ما قالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار وايجاب
الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم اي ان لكم لاجرا و
انكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم
قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى
مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا
عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم
المتصل بالمنفصل فلذلك قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا
على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه
واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر
عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت
الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها
فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه من الافك وهو
الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى
المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على
الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت
عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرئ
حفص عن عاصم تلقف هنا وفي طه والشعراء فوقع الحق فثبت لظهور
امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك
وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء
مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم
ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث
لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين
اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته
قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون ابدلوا الثاني
من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به بالله
او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرئ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم
وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرئ حفص امنتم به على الاخبار
وقرئ فسل قال فرعون وامنتم تبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واوا

[illegible]

مفتوحة ويمد بعدها مدة في تقدير الفين وقرأ في طه على الخبر بهذه والف
وقرا الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية قبل ان اذن لكم ان
هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى
في المدينة في مصر قبل ان يخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها
يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما
فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا
لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما
لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته
قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا
لمنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوا شغفا على لقا
الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا
الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واجل المناقب ليس
مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله تعالى فقالوا ربنا
افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا
ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين
ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله
تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملا من قوم فرعون اتذر
موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم
الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو
كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى
ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف
على اتذر او استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك
كقوله تعالى فاصدق واكن والهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب
وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال
انا ربكم الاعلى وقرئ الهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل
ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه
من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
ملكنا على يده وقرئ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم

قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة
بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير
لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة
بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض يحتمل العهد والجنس قالوا اي
بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد
ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى
بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي
ان مصر انما فتح لهم في زمن داود فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون
من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد
اخذنا ال فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة
غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويورخ به ثم اشتق فقيل اسنت
القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون
لكي يتنبهوا على ان ذلك بشوم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او يرق قلوبهم
بالشدايد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من
الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم
سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم
ويقولون ما اصابتنا الا بشومهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة
فان الشدايد ترقق القلوب وتذلل العرايك وتزيل التماسك سيما بعد
مشاهدة الايات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي
وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة
باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم
القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم
عنده وهو حكمه ومشيته او سبب شومهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة
عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل
هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شوم

اعمالهم وقالوا مهما اصله ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت
الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية
ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي اي شيء تحضرنا
تاتنا به من اية بيان لمهما وانما سموها اية على زعم موسى لا لاعتقادهم
ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا
وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعد
باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ماء طاف بهم وغشي اماكنهم
وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد
والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع
والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من
بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة
ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها
ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن
نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الزرع والكلاء ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا
فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب
والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله
عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم
فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله
عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ
منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا
اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد
ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع
الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي
فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف ايات نصب على الحال
مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها ايات ونقمة عليهم او مفصلات
لامتحان احوالهم اذ كان بين كل ايتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة
اسبوعا وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين

سنة

سنة يريهم هذه الايات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما
مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون الذي
ارسل الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك
كما اجابك في اياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا
اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا
الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا
بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما
كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون
فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم
ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير توقف وتامل
فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي
لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان
اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين
عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم
مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنوا اسرائيل بعد
الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة
العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت
بالانجاز عدته اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا
يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب
صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون و
قومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا
يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرئ ابن عامر وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون
وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
وما بعده ذكر ما احدثه بنوا اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله الجسام
واراهم من الايات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما راى
منهم وايقاظا للمؤمنين حتى يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي

ان موسى ع م عبرهم يوم عاشورا بعد هلاك فرعون وقومه فصاموه شكراً
فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها
قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين
امر موسى عليه السلام بقتالهم وقيل من لخم وقرئ حمزة والكسائي ويعقوب
بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم الهة
تعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل
المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الايات الكبرى عن العقل
ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني
ان الله يهدم دينهم الذي هو عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا
وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها
التقرب الى الله وانما بالغ في الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم
فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين
خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي
لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها
اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم
لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم
من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شئ
من مخلوقاته واذ انجاكم من ال فرعون واذكروا صنيعه معكم في
هذا الوقت وقرئ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب
استيناف لبيان ما انجاكم او حال من المخاطبين او من ال فرعون او منهما
يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا
موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرئ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا
واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة
بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد
مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك
سال ربه فامره بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى
ان يزيد عشرا وقيل امره ان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل الله

حزب

عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هارون اخلفني
في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن
مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع
من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام
للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم
الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة
تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال
رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي
فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته جائزة في الجملة لان طلب المستحيل
من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن
تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته
لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه
الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان
يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا تتبع سبيلهم
كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها
اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه
غيره اصلا فضلا من ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او
جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد به ان يبين انه لا يطيقه
وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن
ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له
اقتداره وامره وقيل اعطى حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا
مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ حمزة والكسائي دكاء
اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا
دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما
افاق قال تعظيما لما راى سبحانك تبت اليك من الجراة والاقدام
على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين من تفسيره وقيل معناه
وانا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك
اي اخترتك على الناس الموجودين في زمانك وهارون وان كان

نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي
يعني اسفار التورية وقرئ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي
اياك فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين
على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم
النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين
موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء
من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة
وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها
بيده او شققها باصابعه وكان فيها التوراة او غيرها فخذها على اضمار القول
عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه
بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك ياخذوا
باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص
على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها
فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا
لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين
دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم
لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الاخرة وهي جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى
سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم ساصرف
عن اياتي المنصوبة في الافاق والانفس الذين يتكبرون في الارض
بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن
ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير
الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال
من فاعله وان يروا كل اية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او
اختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان
يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم
وقرئ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم
والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم
كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم
تدبرهم للايات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك الصرف

وكتبنا بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور بغوى

بسببهما

بسببهما والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اي ولقائهم الدار الاخرة
او ما وعد الله في الاخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون
الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده
من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين
هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها
بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرا حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع
كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من
الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي
ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا
وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب
الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها
وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا
تقريع على فرط ضلالهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها
انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كاحاد البشر حتى حسبوا
انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي
اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير موضعها
فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية من ان
اشتد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا
فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه
سقط الندم في انفسهم ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ
العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز
عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقراهما حمزة والكسائي بالتاء
وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد
الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم
بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا
العبدة والخطاب لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر
المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعد خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد
ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر

امر ربكم انركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق فعدى تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهارون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرئ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضمه اليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم وهي قولهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وامنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرايم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هارون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالامر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت

واسكت

واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفي ما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشادا الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب اخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلالته بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القايم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الاخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ هدنا بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول

الاسباط من بني اسرائيل
كالقبائل من العرب
عن صحاح

بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول
منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابى اصيب به من اشاء تعذيبه
ورحمتى وسعت كل شئ فى الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره ...
فساكتبها فسا ثبتها فى الاخرة او فساكتبها كتبة خاصة منكم يا بنى اسرائيل
للذين يتقون الكفر والمعاصى ويؤتون الزكوة خصها بالذكر
لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يؤمنون فلا يكفرون
بشئ منها الذين يتبعون الرسول النبى مبتدأ خبره يامرهم او خبر
مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد
من امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى
ونبيا بالاضافة الى العباد الامى الذى لا يكتب ولا يقرا وصفه به تنبيها
على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذى يجدونه مكتوبا عندهم
فى التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم
عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربا او الرشوة ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف
الشاقة كتعين القصاص فى العمد والخطا وقطع الاعضا الخاطئة وقرض
موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذى يامر صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله
وقرى ابن عامر اصارهم فالذين امنوا به وعزروه وعظموه بالتقوى
وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور
الذى انزل معه اى مع نبوته يعنى القران وانما سماه نورا لانه باعجازه
ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقايق مظهر لها ويجوز ان يكون
معه متعلقا باتبعوا اى واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبى فيكون اشارة
الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة
الابدية ومضمون الاية جواب دعا موسى عم قل يا ايها الناس انى
رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مبعوثا الى كافة الثقلين وساير الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم
الذى له ملك السموات والارض صفة الله وان حيل بينهما بما هو متعلق
المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره
لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم

كان هو الاله لا غيره وفى يحيى ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية
فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته
ما انزل عليه وعلى ساير الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة
الجنس او القران او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر
ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به
والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين
تنبيها على ان من صدق لم يتبعه بالتزام شرعه فهو بعد فى خطط الضلالة
ومن قوم موسى يعنى بنى اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون
الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم فى الحكم
والمراد بها الثابتون على الايمان القايمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم
اضدادهم على ما هو عادة القران تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم
اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين
راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم وصيرناهم
قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتى عشرة مفعول ثان لقطع فانه يتضمن
معنى صير او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه
ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتى عشرة اسباط فكانه قيل
اثنتى عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل
بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا واوحينا الى
موسى اذ استسقاه قومه فى التيه ان اضرب بعصاك الحجر
فانبجست اى فضرب فانبجست وحذفه للايمان على ان موسى عليه
لم يتوقف فى الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل فى ذاته
منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم و
ظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى
كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن
كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره فى سورة البقرة واذ قيل لهم
اسكنوا هذه القرية باضمار اذكروا القرية بيت المقدس وكلوا
منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما فى
البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفا افاد تسبب سكناهم للاكل منها و
لم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثم او بدلالة الحال عليه واما تقديم قالوا

على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة
بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران
والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة
على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرئ نافع وابن عامر
ويعقوب بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر
فانه وحد وقرئ ابو عمرو خطاياكم وقرئ ابن عامر خطيئتكم بالهمزة ورفع
التاء غير الف على التوحيد وقرئ نافع كذلك الا انه على الجمع فبدل
الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من
السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسألهم للتقريع
والتقرير بتقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي
لا يعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن
خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي
ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ
يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت
واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال
اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدّون
واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون الات الصيد يوم
السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا
يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد
للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد
الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون
في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا
واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد
نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم
يوم السبت واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة
من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من
اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم
عذابا شديدا في الاخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان

الوعظ

الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول
من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة
اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب
للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ينسب الى تفريط في النهي
عن المنكر وقرئ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا به
معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا
بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بمخالفة امر الله
بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ
ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على
انه بئس كحذر كما قرئ مخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع
بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل
اسما وقرئ بيّس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس بالتخفيف كهين
وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه
تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة
خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك
فمسخهم الله ويجوز ان يكون الاية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي
ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية
بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين
فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن
القردة تعرفهم فجعلت تاتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم
ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن
ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم
على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله
ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى
واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء
العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام

بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية
على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك
لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن
وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم
تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم
الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة ونحوهم ومنهم
دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح
وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم
لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم
من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد
والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم
يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا
الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشا
في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا
لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى
الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه
حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى
مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به
اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة
على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف
على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار
الاخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا
ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ
نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون
بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون

اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع
الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرئ ابو بكر
يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على ساير انواع التمسكات واذ نتقنا
الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة
سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم
لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع
متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور
فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول
اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد
وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به
ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم
نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني ادم بدل
البعض وقرئ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم اي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم
ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى
فنزل تمكينهم من العلم وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل
ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اي كراهة
ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه الكلام على الغيبة انما
اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان
التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا
بما فعل المبطلون يعني اباءهم المبطلون بتأسيس الشرك وقيل لما خلق
الله ادم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق
والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي
لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود مقتضى
الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج
السمعية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك
نفصل الايات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل
واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي اتيناه اياتنا هو احد

ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك
هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله
تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع
في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف
الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان
الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره
لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الاجلة والعنوان لها ولقد ذرانا
لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى
لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في
دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اي ما خلق الله نظر اعتبار
ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تامل وتذكر
اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع
للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة
عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار
وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه
معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها
الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الصفات وذروا
الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه
بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض
الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة
او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها
كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان
الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرا حمزة هنا
وفي فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن
خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد
ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه
خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة
الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام

لا يزال من امتى طائفة على الحق حتى ان ياتى امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان نتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا فى الغى حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملى لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدى متين ان اخذى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة جنون روى انه عليه السلام علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ مما يقع عليه اسم الشئ من الاجناس التى لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولى امرها ليظهر لهم صحة ما تدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا فى اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فباى حديث بعده اى بعد القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فباى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادى له كالتقرير والتعليل له ونذرهم فى طغيانهم بالرفع على الاستيناف وقرئ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائى به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له كانه قيل لا يهديه احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة اى عن القيمة وهو من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما

لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها كساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اى اثباتها وارساء الشئ اثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اى لان معناه اى وقت وهو من اويت لان البعض اوى الى الكل قل انما علمها عند ربى استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها فى وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام فى قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت فى السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة فى اخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجاة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم بسلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كانك حفى عنها عالم بها فعيل من حفى عن الشئ اذا سأل عنه فان من بالغ فى السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدى بعن وقيل هى صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كانك حفى تتحفى بهم فتختصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفى بالسؤال عنها تحبه اى تكرهه لانه من الغيب الذى استأثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبرى عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالى ما هى عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسنى سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا هو الذى خلقكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حوا ليسكن اليها ليانس بها ويطمئن اليها اطمينان الشئ الى جزئه او جنسه

وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اى جامعها
حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا
من الاذى او محمولا هو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت
وقرئ فمرت بالتخفيف فاستمرت وفارت من المور وهى المجئ والذهاب
او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذا ثقل
بكبر الولد فى بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا الله ربهما
لئن اتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين
لك على هذه النعمة المجددة فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما
اتاهما اى جعل اولادهما له شركاء فيما اتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد
مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى
الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
يعنى الاصنام وقيل لما حملت حوا اتاها ابليس فى صورة رجل فقال
لها ما يدريك ما فى بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت
من ذلك وذكرت لادم فهما منه ثم عاد اليها وقال انى من الله بمنزلة فان دعوت
الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فتسميه عبد الحارث وكان
اسمه حارثا فى الملائكة فتقبلت فلما ولدت سماه عبد الحارث وامثال ذلك
لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لال قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس
قصى بن كلاب وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما
اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار
ويكون الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر
شركا اى شركة بان اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير
الاصنام جئ به على تسميتهم اياها الهة ولا يستطيعون لهم نصرا اى
لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما تعتريها وان
تدعوهم اى المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم
وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اى ان
تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله
سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة
فى عدم افادة الدعاء من حيث انه سوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا
يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءكم واستمراركم على الصمات

عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اى تعبدونهم وتسمونهم
الهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا
لكم ان كنتم صادقين انهم الهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسى
قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما
لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون
(يعنى نهاية شانهم)
بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون
بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل
ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفى القصص والدخان
قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم فى عداوتى ثم كيدون فبالغوا
فيما يقدرون عليه من مكر وهى انتم وشركاؤكم فلا تنظرون ولا تمهلون
فانى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه ان وليى الله الذى نزل الكتاب
القران وهو يتولى الصالحين اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من
عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان
تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ
العفو اى خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق
عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما
يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة وامر بالعرف المعروف
المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم
بمثل افعالهم وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق امرة للرسول باستجماعها
واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اى وسوسة
تحملك على خلاف ما امرت به كاعترا غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس
الغرز شبه وسوسة للناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق ما
يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم
يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله
فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف
يطوف كانها طافت ودارت حولهم فلم يقدر ان يؤثر فيهم او من طاف به الخيال

يطيف طيفا وقرئ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر
او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره
تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر
مواقع الخطاء مكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد
وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اى واخوان الشياطين
الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ
يمدون من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهولاء
يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم
حتى يردونهم ويجوز ان يكون للاخوان اى لا يكفون عن الغي ولا يقصرون
كالمتقين ويجوز ان بالاخوان الشيطان ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون
الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم باية من القران او مما اقترحوه قالوا
لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كساير ما تقراه او هلا
طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للايات
او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القران بصائر للقلوب
بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
سبق تفسيره واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم
ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراة
الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبها حيث يقرأ القران
مطلقا وعامة العلماء على استحبابها خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراة
على الماموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من
القراة والدعاء وغيرهما او امر للماموم بالقراة سرا بعد فراغ الامام عن
قرائته كما هو مذهب الشافعي رض تضرعا وخيفة متضرعا وخايفا
ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر
فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال باوقات
الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر اصل اذا دخل في الاصيل
مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين
عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته
ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة
والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك

سجده

شرع

شرع السجود لقرائته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة
فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله
الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرئ
سورة الاعراف جعل الله بينه يوم القيمة وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم يسالونك عن الانفال اى الغنايم يعني
حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله تعالى وفضل كما سمي به ما
يشترطه الامام للمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله
والرسول اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله به و
سبب نزوله اختلاف المسلمين في غنايم بدر انها كيف يقسم ومن يقسم المهاجرون
منهم او الانصار قيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء
ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا
نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات
كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو
قول للشافعي رض وعن سعد ابن ابي وقاص رض قال لما كان يوم بدر قتل
اخي عمير وقتلت به سعد ابن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في
القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت
الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرأ يسألونك
علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسالونك
الانفال اى يسالونك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف
والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة
فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله تعالى والرسول واطيعوا الله و
رسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان
كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن
المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اى

الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره
استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله
فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او الاطمينان النفوس
ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد
بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون
يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا الله الذين يقيمون
الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا
لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها من الصلوة والصدقة
وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد لقوله وهو عبد الله حقا
لهم درجات عند ربهم كرامات وعلو منزلة وقيل درجات الجنة
يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم
في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك
للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي
الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من
بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا
من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخراجك في حال كراهتهم
وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا
منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر
جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال
وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل
مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن يفلحوا بعد
ابدا وقد رات قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء
فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت
بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالكم ان يتنبؤا حتى يتنبأ نساؤهم
فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه
لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران

فنزل عليه جبرئيل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار
فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب انا خرجنا للعير فرده
عليهم وقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا
رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك
فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم
قال مقداد ابن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول
لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم
كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى
يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام
سعد بن معاذ وقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك
وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف
منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند
اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشط
قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى
الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام
لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح
فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك
فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق
لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام
الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون
القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة
عددهم وعدم تاهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان
وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها

انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والباقي لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكروا واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرئ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالآلف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا بشرى لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول

ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكروا وقرئ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرئ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله

يهاب النوم ان يغشى عيونا ❊ يهابك فهو نفار شرود ❊

وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اي من المطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى يثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب

او على ان قوله سالقي قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين
به كانه قال قولوا لهم قولي هذا فوق الاعناق اعاليها التي هي
المذابح او الرؤس واضربوا منهم كل بنان اصابع جزّوا رقابهم و
اقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول
او لكل احد من المخاطبين قبل بانّهم شاقّوا الله ورسوله بسبب
مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لانّ كلا من المعاندين في شق خلاف
شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب و
من يشاقق الله ورسوله فانّ الله شديد العقاب تقرير
للتعليل او وعيد بما اعدّ لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم
الخطاب فيه مع الكفرة على طريق الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او
ذلكم واقع او نصب بفعلٍ دلّ عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا
او عليكم ليكون الفاء عاطفة وانّ للكافرين عذاب النار عطف
على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل
لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على انّ الكفر سبب
العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وإن بالكسر على الاستيناف يا
ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيراً بحيث
يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحفت الصبي اذا دبّ
على مقعده قليلاً قليلاً سمّي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال
فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا عن ان يكون امثالكم او اقل
منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز
ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموه متزاحفين
يدبّون اليكم وتدبّون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعاراً
بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم
يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكرّ بعد الفرّ وتغرير العدو
فانه من مكايد الحرب او متحيّزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من
المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن
عمر رض انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرّوا الى
المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرّارون فقال بل انتم العكّارون
وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيّزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء

من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعّل والا لكان
متحوّزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم
وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله
عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم
تقتلوهم بقوتكم ولكنّ الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم
والقاء الرعب في قلوبهم روى انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام
هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك
ما وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى
الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا شُغِل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم
ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلتُ واسرتُ
فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم
ولكنّ الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر
عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكنّ الله رمى اي اتى
بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع
دابرهم وقد عرفت انّ اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود
منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكنّ الله رمى
بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابيّ ابن خلف يوم احد
ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن
فاصاب لبابة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرئ ابن عامر وحمزة
والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي
المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة
ومشاهدات الآيات فعل ما فعل انّ الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم
عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي
ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وانّ الله موهن كيد
الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد
الكافرين وابطال حيلهم وقرئ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهّن بالتشديد
وحفص موهنُ كيدِ بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج

تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم
الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه
سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره
ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغنا
او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر و
المعونة وقرئ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع
المؤمنين كان ذلك وقيل الاية خطاب المؤمنين والمعنى ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستاثره
الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو
ولن يغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين ايمانهم
ويؤكد ذلك يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا
عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الاية الامر بطاعته والنهي
عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في
طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد
او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القران والمواعظ سماع
فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين
الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم
لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض
او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم
من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله
فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالايات لاسمعهم سماع تفهم
ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به وارتدوا
بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون
للنبي احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى
لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول
بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع
من الرسول وروي انه عليه السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في
صلواته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما
اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته

باعزاز

باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما يحذرون
في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويثبت صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع
الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم
بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد
ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله ذو الفضل
العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان
وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل
واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة
ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون
بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته
لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك
من البيات وليقيدوك او يقتلوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من
مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا
في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ
وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني
رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه
غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ
بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن
عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال
بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم به فقال ابو جهل انا ارى ان
تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا ويضربوه ضربة واحدة
فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا
طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى
جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا
على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله
برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم
الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير
الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يحسن
للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى

عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا • هو قول النضر بن
الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصّهم
وقيل هو قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم
اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين
ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان
يغلبوا خصوصا في باب البيان • ان هذا الا اساطير الاولين •
ما سطره الاولون من القصص • واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم • هذا ايضا من كلام هذا القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر
ان هذا الا اساطير قال له النبي عليه السلام ويلك انه كلام الله قال ذلك
والمعنى ان كان القران حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا
بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه
باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة
على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم
وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل
كاساطير الاولين • وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون • بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف
في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال
والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في
قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم
اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون • وما لهم ان لا يعذبهم الله
وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون • وهم يصدون
عن المسجد الحرام • وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاؤهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية • وما كانوا
اولياءه • مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن
ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء • ان اولياؤه الا
المتقون • من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان لله • ولكن
اكثرهم لا يعلمون • ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند

او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم • وما كان صلاتهم عند البيت
اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها • الا مكاء صفيرا
فعال من مكا • اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى • وتصدية • تصفيقا
تفعلة من الصدا او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ
صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم
العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم
كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشتبكين بين اصابعهم يصفرون
فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه
وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا • فذوقوا
العذاب • يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل
ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب • بما كنتم تكفرون • اعتقادا
او عملا • ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله
نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم
كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان رض استاجر يوم احد الفين من العرب
سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير
فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك
منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله • فسينفقونها
بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني
اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد
على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته
وانه لم يقع بعد • ثم تكون عليهم حسرة • ندما وغما لفواتها من غير
مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة • ثم يغلبون
اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك • والذين كفروا اي
الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا اسلم بعضهم • الى جهنم يحشرون • يساقون
ليميز الله الخبيث من الطيب • الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام
متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله
ثم تكون عليهم حسرة وقرئ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز
وهو ابلغ من الميز • ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا

فيجمعه فيضمّ بعضه على بعض حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم او يضمّه الى الكافر ما
انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين • فيجعله في جهنّم • كلّه اولئك
اشارة الى الخبيث لانه مقدّر بالفريق الخبيث او المنافقين • هم الخاسرون
الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم • قل للذين كفروا
يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم • ان ينتهوا • عن معاداة الرسول
صلّى الله عليه وسلّم بالدخول في الاسلام • يغفر لهم ما قد سلف • من
ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو
الله تعالى • وان يعودوا • الى قتاله • فقد مضت سنّة الاولين • الذين
تحزّبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك • و
قاتلوهم حتى لا تكون فتنة • لا يوجد فيهم شرك • ويكون الدين
كلّه لله • ويضمحلّ عنهم الاديان الباطلة • فان انتهوا • عن الكفر • فانّ
الله بما يعملون بصير • فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب
تعملون بالتاء على معنى فانّ الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام
والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه
بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة
مقاتليهم للتسبب • وان تولّوا • ولم ينتهوا • فاعلموا انّ الله موليكم
ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم • نعم المولى • لا يضيع من تولاه
ونعم النصير • لا يغلب من نصره • واعلموا انما غنمتم • اي الذي
اخذتموه من الكفار قهرا • من شيء • مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط
فانّ لله خمسه • مبتداء خبره محذوف اي فثابت انّ لله خمسه
وقرئ فانّ الله بالكسر والجمهور على انّ ذكر الله للتعظيم كما في قوله تعالى
وَاللهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ وانّ المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
فكانه قال فانّ لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصّين به وحكمه بعد باق
غير انّ سهم الرسول عم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين
كما فعله الشيخان رض وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة
رض سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة
الباقية وعن مالك رض الامر فيه مفوّض الى رأي الامام يصرفه الى ما يراه
اهمّ وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله

الى الكعبة لما روي انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي
على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول صلّى الله
عليه وسلّم وذوو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه السلام قسم
سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رض هؤلاء اخوتك
بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا من بني
المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا
في جاهلية ولا في اسلام وشبّك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل
جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن
السبيل وقيل الخمس كلّه لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من
كان منهم فالعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في
غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس
عشرين شهرا من الهجرة • ان كنتم آمنتم بالله • متعلق بمحذوف دلّ عليه
واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلّموه اليهم
واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فانّ العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم
المجرّد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل • وما انزلنا
على عبدنا • محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمّتين اي الرسول
والمؤمنون • يوم الفرقان • يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل
يوم التقى الجمعان • المسلمون والكفار • والله على كلّ شيء قدير •
فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة • اذ انتم بالعدوة
الدنيا • بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شطّ الوادي
وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب
وهم بالعدوة القصوى • البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان
قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل
كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا • والركب • اي العير او قوّادها
اسفل منكم • في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على
الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على
قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين
نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين
والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فانّ العدوة

افتعال من اللوثة وهي الضعف م

الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشي فيها إلا بتعب ولم يكن بها ماء
بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد
أي لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم أنتم في الميعاد هيبة
ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنعا من الله
خارقا للعادة فيزدادوا إيمانا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد
ليقضي الله أمرا كان مفعولا حقيقا بأن يفعل وهو نصر أوليائه و
قهر أعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن
بينة بدل أو متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها
ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فإن وقعة
بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر وإيمان من أمن عن وضوح بينة على
استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف
للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح
وقرئ ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب من حيي بفك الإدغام للحمل على
المستقبل وإن الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وإيمان
من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الأمرين على القول و
الاعتقاد إذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر أو بدل ثان
من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في رؤياك
وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو
أراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الأمر في أمر القتال
وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم أنعم بالسلامة
من الفشل والتنازع إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون
فيها وما يغير أحوالها وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا
الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وإنما قللهم في أعين المسلمين
حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن إلى جنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة
تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في
أعينهم حتى قال أبو جهل إن محمدا وأصحابه أكلة جزور قللهم في أعينهم
قبل التحام القتال ليجترؤوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم
لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة
فإن البصر وإن كان يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا

هذا الحديث وإنما يتصور ذلك بصد الله الأبصار عن إبصار بعض دون
بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله أمرا كان مفعولا كرره
لاختلاف الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا
إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وحزبه وإلى الله ترجع الأمور
يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لأن
المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا
للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين
بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة
والمثوبة وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله وأن
يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بأن لطفه
لا ينفك عنه في شيء من الأحوال وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر وأحد فتفشلوا جواب النهي وقيل
عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعار
للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها
وقيل المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث
نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور واصبروا إن الله مع الصابرين
بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني
أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا وأشرا ورئاء
الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك أنهم لما بلغوا
الجحفة وافاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال
أبو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا
القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا
وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين
وأمرهم بأن يكونوا أهل تقوى وإخلاص من حيث إن النهي عن الشيء
أمر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا إن
جعل مصدرا في موضع الحال وكذا إن جعل مفعولا له لكن على تأويل
المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه وإذ زين لهم
الشيطان مقدر باذكر أعمالهم في معاداة الرسول صلى الله
عليه وسلم وغيرها بأن وسوس إليهم وقال لا غالب لكم اليوم

مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون
لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات
مجيرة لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب
او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا • فلما تراءت
الفئتان • اى تلاقى الفريقان • نكص على عقبيه • رجع القهقرى
اى بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم • وقال انى
برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله • اى تبرأ منهم وخاف
عليهم وايس من حالهم لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت
قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم
فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لا غالب لكم اليوم
وانى مجير لكم من بنى كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحارث
ابن هشام فقال له الى اين اتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى ارى ما لا ترون
ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس
سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما
اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف الله
اى اخافه ان يصيبنى مكروه من الملائكة او يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت
الموعود اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر
والله شديد العقاب • يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا
اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض • والذين لم يطمئنوا
الى الايمان بعد وبقى فى قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون
والعطف لتغاير الوصفين • غر هؤلاء • يعنون المؤمنين • دينهم
حين تعرضوا لما لا يدى لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء
الف • ومن يتوكل على الله • جواب لهم • فان الله عزيز • غالب
لا يذل من استجار به وان قل • حكيم • يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده
العقل ويعجز عن ادراكه • ولو ترى • ولو رايت فان لو تجعل المضارع
ماضيا عكس ان • اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة • ببدر واذ ظرف
ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة
فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير
الله تعالى وهو مبتدأ خبره • يضربون وجوههم • والجملة حال من الذين

كفروا

كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او
منهما لاشتماله على الضميرين • وادبارهم • ظهورهم واستاههم ولعل المراد
تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر • وذوقوا عذاب الحريق •
عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشارة بعذاب الاخرة
وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف
لتفظيع الامر وتهويله • ذلك • اى الضرب والعذاب • بما قدمت ايديكم •
بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك • وان الله ليس بظلام
للعبيد • عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه
لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب
وظلام للتكثير لاجل العبيد • كداب ال فرعون • حتى هؤلاء مثل داب ال
فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى دابوا فيه اى داموا عليه • والذين من
قبلهم • من قبل ال فرعون • كفروا بايات الله • تفسير لدابهم • فاخذهم
الله بذنوبهم • كما اخذ هؤلاء • ان الله قوى شديد العقاب •
لا يغلبه فى دفعه شئ • ذلك • اشارة الى ما حل بهم • بان الله • بسبب ان الله
لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم • مبدلا اياها بالنقمة • حتى يغيروا
ما بانفسهم • يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوء كتغيير قريش حالهم فى
صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعاداة الرسول صلى الله عليه
وسلم ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها
الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم
عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم لهم وهو جرى عادته تعالى على تغييره
حتى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذف الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء
الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا • وان الله سميع
لما يقولون • عليم • بما يفعلون • كداب ال فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال
فرعون • تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله
بايات ربهم وبيان ما اخذ به ال فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر
والاخذ به والثانى لتشبيه التغيير فى النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم
وكل • من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقيل قريش • كانوا ظالمين
انفسهم بالكفر والمعاصى • ان شر الدواب عند الله الذين كفروا

اصروا على الكفر ورسخوا فيه • فهم لا يؤمنون • فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفا للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله • الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة • بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمن المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة • وهم لا يتقون • سبة الغدر وتبعته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم • فاما تثقفنهم • فاما تصادفنهم وتظفرن بهم • في الحرب فشرد بهم • ففرق عن مناصبتك عنها بقتلهم والنكاية فيهم • من خلفهم • من وراءهم من الكفرة والتشديد تفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء • لعلهم يذكرون • لعل المشردين يتعظون • واما تخافن من قوم • معاهدين • خيانة • نقض عهد بامارات تلوح لك • فانبذ اليهم • فاطرح اليهم عهدهم • على سواء • على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك. او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله • ان الله لا يحب الخائنين • تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف • ولا تحسبن • خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله • الذين كفروا سبقوا • مفعولاه وقرئ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل • انهم لا يعجزون • بالفتح على قراءة ابن عامر وان اصلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم

لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت الا انه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين • واعدوا • ايها المؤمنون • لهم • لناقضي العهد او للكفار • ما استطعتم من قوة • من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه الصلوة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه • ومن رباط الخيل • اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال رَبَطَ رَبْطاً و رِبَاطاً ورابط مرابطة و رِباطاً او جمع ربيط كفصيل وفِصَالٍ وقرئ رُبُط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباطٍ وعطفها على القوة كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة • ترهبون به • تخوفون به وعن يعقوب ترهّبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد • عدو الله وعدوكم • يعني كفار مكة • وآخرين من دونهم • من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس • لا تعلمونهم • لا تعرفونهم باعيانهم • الله يعلمهم • يعرفهم • وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم • جزاؤه • وانتم لا تظلمون • بتضييع العمل او نقص الثواب • وان جنحوا • مالوا ومنه الجناح وقد تعدى باللام والى • للسلم • للصلح والاستسلام وقرئ ابو بكر بالكسر • فاجنح لها • وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم • وتوكل على الله • ولا تخف من ابطانهم خداعا بما فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم • انه هو السميع • لاقوالهم • العليم • بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسخها آية السيف • وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله • فان محسبك الله وكافيك قال جرير انى وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا • هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين • جميعا • والف بين قلوبهم • مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه • لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم

اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح • ولكن الله الف بينهم • بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء • انه عزيز • تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده • حكيم • يعلم انه كيف ينبغى ان يفعل ما يريده وقيل الاية فى الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقايع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصادقوا وصاروا انصارا • يا ايها النبى حسبك الله • كافيك • ومن اتبعك من المؤمنين • اما فى محل النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء واشتجر القتال فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رض فنزلت ولذلك قال ابن عباس رض نزلت فى اسلامه • يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال • بالغ فى حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص • ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا • شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرئ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء فى الايتين ووافقهم البصريان فى ان يكن منكم مائة • بانهم قوم لا يفقهون • بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان • الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله • لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين • والله مع الصابرين • بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون

ما كان للنبى • وقرئ للنبى على العهد • ان يكون له اسرى • وقرئ البصريان بالتاء • حتى يثخن فى الارض • يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة • تريدون عرض الدنيا • حطامها باخذكم الفداء • والله يريد الاخرة • والله يريد لكم ثواب الاخرة او سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كقوله ؛ اكل امرئ تحسبين امرأ ؛ ونار توقد بالليل نارا ؛ والله عزيز • يغلب اولياءه على اعدائه • حكيم • يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى انه عليه السلام اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابى طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رض قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية يقوى بها اصحابك وقال عمر رض اضرب اعناقهم بانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكنى من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرنى فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكى على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والاية دليل على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه • لولا كتاب من الله سبق • لولا حكم من الله سبق اثباته فى اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ فى اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهى عنه او ان الفدية التى اخذوها ستحل لهم • لمسكم • لنالكم • فيما اخذتم • من الفداء • عذاب عظيم • روى انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان • فكلوا مما غنمتم

من الفدية فانها من جملة الغنايم وقيل امسكوا عن الغنايم فنزلت والفاء للتسبب
والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنايم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم
ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة • حلالا • من المغنوم او صفة للمصدر اى
اكلا حلالا وفايدته ازاحة ما وقع فى نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة
او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله • طيبا واتقوا الله • فى مخالفته
ان الله غفور • غفر لكم ذنوبكم • رحيم • اباح لكم ما اخذتم • يا ايها
النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى • وقرئ من • من الاسارى • ان
يعلم الله فى قلوبكم خيرا • ايمانا واخلاصا • يؤتكم خيرا مما اخذ منكم
من الفدا روى انها نزلت فى العباس رض كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يفدى نفسه وابنى اخويه عقيل ابن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال
يا محمد تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذى دفعته الى
ام الفضل وقت خروجك وقلت لها انى لا ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا
فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم قال
وما يدريك قال اخبرنى به ربى تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله
وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد
الليل قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا ان ادناهم
ليضرب فى عشرين الفا واعطانى زمزم ما احب ان لى بها جميع اموال اهل
مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله • يغفر لكم والله غفور
رحيم • وان يريدوا • يعنى الاسرى • خيانتك • نقض ما عاهدوك
فقد خانوا الله • بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل • من قبل
فامكن منهم • اى فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة
فسيمكنك منهم • والله عليم حكيم • ان الذين امنوا وهاجروا
اوطانهم هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله • وجاهدوا
باموالهم • فصرفوها فى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج • و
انفسهم فى سبيل الله • بمباشرة القتال • والذين اووا ونصروا
هم الانصار اووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم • اولئك
بعضهم اولياء بعض • فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون
بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة • والذين امنوا ولم يهاجروا

مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا • اى من توليهم فى الميراث وقرئ
حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه
صاحبه يزاول عملا • وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر • فواجب
عليكم ان تنصروهم على المشركين • الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم • والله بما تعملون بصير •
والذين كفروا بعضهم اولياء بعض • فى الميراث وهو بمفهومه يدل
على منع التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين • الا تفعلوه • ان
لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم لبعض حتى فى التوارث
وقطع العلايق بينكم وبين الكفار • تكن فتنة فى الارض • تحصل
فتنة فيها عظيمة وهو ضعف الايمان وظهور الكفر • وفساد كبير • فى الدين
وقرئ كثير • والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله
والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا • لما قسم
المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين فى الايمان منهم هم الذين حققوا
ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم
الموعد الكريم فقال • لهم مغفرة ورزق كريم • لا تبعة له ولا منة فيه
ثم الحق بهم فى الامرين من يلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال • والذين امنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم • اى من
جملتكم ايها المهاجرون والانصار • واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
فى التوارث من الاجانب • فى كتاب الله • فى حكمه او فى اللوح او القران
واستدل به على توريث ذوى الارحام • ان الله بكل شئ عليم • من
المواريث والحكمة فى اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة
ثانيا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه
برئ من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته

سورة براءة مدنية

وقيل الا ايتين من قوله لقد جاءكم رسول وهى اخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة
والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين
والقشقشة من النفاق وهى التبرء منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر

عنها وما يجري بهم وما يفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم وآيها
مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع
الامان وبسم الله امان وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه سورة
او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال
وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت
الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما
فرجة ولم يكتب بسم الله • براءة من الله ورسوله • اي هذه براءة ومن
ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره براءة واصلة من الله ورسوله ويجوز
ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر • الى الذين عاهدتم
من المشركين • وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله
بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله
والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان
كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما برئا منها وذلك انهم عاهدوا
مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد
الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا فقال • فسيحوا
في الارض اربعة اشهر • شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها
نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول
وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان
قد بعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي
عني الا رجل مني فلما دنا علي رضي سمع ابو بكر رضي الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما كان
قبل التروية خطب ابو بكر رضي وحدثهم عن مناسكهم وقام علي كرم الله وجهه
يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول الله اليكم فقالوا بماذا
فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا
العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان
يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل مني
ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته
بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة

العضباء لقب ناقة رسول الله صلعم ولم يكن بها عضب وان كان معنى العضباء في الشاة مكسورة القرن وفي الابل مشقوقة الاذن

الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل
من اهلي • واعلموا انكم غير معجزي الله • لا تفوتونه وان امهلكم • وان الله
مخزي الكافرين • بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة • واذان
من الله ورسوله الى الناس • اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان
والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين • يوم الحج الاكبر • يوم العيد
لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام
وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا الحج الاكبر ولان العمرة تسمى الحج
الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال
او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل
الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين • ان الله • اي بان الله • بريء
من المشركين • اي من عهودهم • ورسوله • عطف على المستكن في بريء
او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب
عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله
اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه
بالناس ولم يخص بالمعاهدين • فان تبتم • من الكفر والغدر • فهو
فالتوبة • خير لكم وان توليتم • عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام
والوفاء • فاعلموا انكم غير معجزي الله • لا يفوتونه طلبا ولا يعجزونه
هربا في الدنيا • وبشر الذين كفروا بعذاب اليم • في الآخرة • الا الذين
عاهدتم من المشركين • استثناء من المشركين او استدراك
وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا
منهم • ثم لم ينقصوكم شيئا • من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا
منكم ولم يضروكم قط • ولم يظاهروا عليكم احدا • من اعدائكم • فاتموا
اليهم عهدهم الى مدتهم • الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين
ان الله يحب المتقين • تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب
التقوى • فاذا انسلخ • انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما
لابسه من سلخ الشاة • الاشهر الحرم • التي ابيح للناكثين ان يسيحوا
فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف
للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعدها ما ينسخها
فاقتلوا المشركين • الناكثين • حيث وجدتموهم • من حل وحرم

وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك استأمنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون بسبب انهم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله « وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب » اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان « لعمرك ان الك من قريش » كال السقب

من رال النعام « وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من الل الشئ اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرائل وجبرئل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما يتفوهون به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوة فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء او العهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزة على الاصل والتصريح بالياء

لهن • انهم لا ايمان لهم • اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا
وفيه دليل على ان الذمى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به
الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها
لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرئ ابن عامر لا ايمان بمعنى
لا امان او لا اسلام وتشبث به من لا يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز
ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان
فيراقبوا لاجله • لعلهم ينتهون • متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم فى
المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة
الا تقاتلون قوما • تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفى للانكار
فافادت المبالغة فى الفعل • نكثوا ايمانهم • التى حلفوها مع الرسول
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على
خزاعة • وهموا باخراج الرسول • حين تشاوروا فى امره بدار الندوة
على ما مر ذكره فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا
عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة • وهم بدؤكم اول مرة • بالمعاداة
والمقاتلة لانه عليه السلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدى به
فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم
اتخشونهم • اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم • فالله احق
ان تخشوه • فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره • ان كنتم مؤمنين
فان قضية الايمان ان لا تخشى الا منه • قاتلوهم • امر بالقتال بعد بيان
موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه • يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم • وعدلهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم
واذلالهم • ويشف صدور قوم مؤمنين • يعنى بنى خزاعة وقيل
بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا
فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب
ويذهب غيظ قلوبهم • لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية
من المعجزات • ويتوب الله على من يشاء • ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب
عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه
من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة
قوم اخرين • والله عليم • بما كان وما سيكون • حكيم • لا يفعل ولا يحكم

لا على

لا على وفق الحكمة • ام حسبتم • خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم
القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان
ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم • ولم يتخذوا • ولم يتبين الخلص منكم
وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان
عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه • ولم يتخذوا • عطف
على جاهدوا داخل فى الصلة • من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة • بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما فى لما من معنى التوقع
منبه على ان تبين ذلك • والله خبير بما تعملون • يعلم غرضكم منه
كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله • ما كان للمشركين • ما صح
لهم • ان يعمروا مساجد الله • شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام
وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع
ويدل عليه قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب بالتوحيد • شاهدين
على انفسهم بالكفر • باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال
من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة
بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك
وقطيعة الرحم واغلظ له على رض فى القول فقال تذكرون مساوينا
وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج و
نفك العانى فنزلت • اولئك حبطت اعمالهم • التى يفتخرون بها
بما قارنها من الشرك • وفى النار هم خالدون • لاجله • انما يعمر
مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة
واتى الزكوة • اى انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات
العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة
العبادة والذكر ودرس العلم وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن
النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتى فى الارض المساجد وان
زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فحق على المزور
ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لما علم
ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة
واتى الزكوة عليه • ولم يخش الا الله • اى فى ابواب الدين فان
الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها • فعسى اولئك

ان يكونوا من المهتدين ذكر بصيغة التوقع قطعاً لاطماع المشركين
في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخاً لهم بالقطع بانهم مهتدون فان
هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دايراً بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم
ومنعاً للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد
في سبيل السقاية والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث
بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن امن او جعلتم سقاية
الحاج كايمان من امن ويؤيد الاول قراءة من قرا سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى
انكار تشبيه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر
ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله
والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة
الرسول صلى الله عليه وسلم منهمكين في الضلالة فكيف يساوون الذين
هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يستوون
بينهم وبين المؤمنين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل
الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر
كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم
واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات
نعيم مقيم دايم وقرئ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به
اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابداً اكد الخلود
بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم
يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعيم الدنيا يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين
فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابنائنا وعشايرنا وذهب
تجارتنا وبقينا ضايعين وقيل نزلت نهياً عن موالاة التسعة الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعوكم عن الايمان ويصدوكم
عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه
وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم
الموالاة في غير محلها قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم

وعشيرتكم

وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشيرة جماعة ترجع الى عقد
كعقد العشرة وقرئ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشايركم واموال اقترفتموها
اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب
الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه فتربصوا
حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او اجلة وقيل
فتح مكة والله لا يهدي الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية تشديد
عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن
الحرب وهي مواقعها ويوم حنين ومواطن يوم حنين ويجوز ان يقدر
في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله
اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي
تشاركهما في ما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم
في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطايف حارب فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفاً العشرة الذين حضروا فتح
مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف
فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب
اليوم من قلة اعجاباً بكثرتهم واقتتلوا قتالاً شديداً وادرك المسلمين اعجابهم
واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس اخذاً بلجامه وابن عمه ابو سفيان
ابن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان
صيتاً صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة
البقرة فكروا عنقاً واحداً يقولون لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا
مع المشركين فقال عليه السلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفاً من تراب
فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة
شيئاً من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت
برحبها اي سعتها لا تجدون فيها مقراً تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب
او لا يثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم
مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله
سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين

الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين
ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني
الملائكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء
الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من
بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور
رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير
الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي
يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما
سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول
صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري
والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت
نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب
شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم
من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها
الذين امنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان
يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون
عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب
نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله عنه ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ
نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا
لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب
للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن
الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد
على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة
الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع
ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارزاق فسوف يغنيكم الله
من فضله من عطائه او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل

السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم
البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر
كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشيئة لينقطع الامال الى الله ولينبه
على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام
دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر اي لا يؤمنون بالله بهما على ما ينبغي
كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله
ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون
اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون
دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين
اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر
عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير
اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين
بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير
او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد
الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون
اذلاء وعن ابن عباس رضي الله عنه يؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الاية
يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن ياخذ الجزية
من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه عليه السلام اخذها من مجوس
هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا
بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة رضي الله عنه
تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه صالح عبدة الاوثان
الا من كان من العرب وعن مالك رضي الله عنه يؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة
دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون
درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير
غير كسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما قال بعضهم من متقدميهم
او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر
من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التوراة
حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا

القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم
والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه
على القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون
بحروف اللين والخبر محذوف مثل معبودنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب
وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول
بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه
والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة
هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق
مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهئون
قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى
ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على
ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه
قولهم امراة ضهيا على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله
دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى
يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله
او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا
اي وما امر المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا
ليطيعوا الها واحدا وهو الله واما طاعة الرسول وسائر ما امر الله بطاعته
فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر
للتوحيد سبحانه وتعالى تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون
ان يطفؤا يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن
الولد او القران او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بافواههم بشركهم
او تكذيبهم ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد
واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله
ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي
ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي

ارسل

ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان
لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه
وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك
بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي سائر
الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من
الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ياخذونها
بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون
عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد بها الكثير من الاحبار والرهبان
فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد المسلمون
الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين
من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزلت كبر على المسلمين فذكر عمر رض
لرسول الله صلى الله عليه فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي
من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادى زكاته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه
فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله
عليه السلام من ترك صفرا او بيضا كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد
حقها لقوله عليه السلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة رض
ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة
صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم
بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم
يوقد ذات حمي شديد عليها واصله يحمى بالنار فجعل الاحماء بالنار مبالغة
ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود
فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان
لان المراد بهما دراهم ودنانير كثيرة كما قال علي رض اربعة الاف وما دونها
نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز
او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة
وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب
الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل

واعرضوا عنه ولعله لظهورهما او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة
على الاعضاء الرئيسية التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع
التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول
لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما
كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون
ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها
مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه
وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق
بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت
في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد
فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين
القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسماعيل
عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك
حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا
الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام
وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا او
يؤيده الاول ما روي انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين
في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم
كافة جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة
وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم
بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اي تاخير حرمة الشهر الى شهر
آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر
حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية
ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها
والنسي والنسأ والنسيء ثلاثتها مصادر نساه اذا اخره زيادة في
الكفر لانه تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم
يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا وقرئ حمزة والكسائي وحفص
يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفاعل الله يحلونه
عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر

ويحرمونه

ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته وقيل اول من احدث ذلك جنادة
ابن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت
لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في قابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه
والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي
ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع
الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة
الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله
والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي
القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا
ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ
تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق
به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك
امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة
العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة
بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة
في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا
الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع
كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم
آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح
تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول
اي ولا يضروه فان الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق
والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة
بلا مدد كما قال تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه
فسينصره الله كما نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه
او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت
فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله
تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري
المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار

مهم

بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب فى اعلى ثور
وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان
او ظرف لثانى لصاحبه وهو ابو بكر رض لا تحزن ان الله معنا
بالعصمة والمعونة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رض
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ما ظنك باثنين
الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل
لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت
عليه فانزل الله سكينته امنته التى يسكن عنده القلوب عليه
على النبى صلى الله عليه وسلم او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده
بجنود لم تروها يعنى الملائكة انزلهم ليحرسوه فى الغار او ليعينوه على
العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعنى الشرك او دعوة الكفرة
وكلمة الله هى العليا يعنى التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل
ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن ايدى الكفار الى المدينة فانه
المبداء له او بتاييده اياه بالملائكة فى هذه المواطن او بحفظه ونصره له
حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع
ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية فى نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات
لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم فى امره
وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم
او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح
او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اعلى ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموا
لكم وانفسكم فى سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما
ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان
كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا
اى لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا
قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت
عليهم الشقة اى المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين
والشين وسيحلفون بالله اى المتخلفون اذا رجعت من تبوك متعذرين

لو استطعنا

لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ
لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير فى قوله اشتروا الضلالة
لخرجنا معكم ساد مسد جوابى القسم والشرط وهذا من المعجزات
لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها فى العذاب
وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس فى الهلاك او حال
من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين
الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه فى الاذن فان العفو من
روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى
لاى شئ اذنت لهم فى القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب
وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا فى الاعتذار
وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما
لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك
فى ان يجاهدوا او ان يتخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن
فيه فضلا ان يستاذنا فى التخلف عنه او ان يستاذنوك فى التخلف كراهة
ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة
لهم بثوابه انما يستاذنك فى التخلف الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر فى الموضعين
للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما
وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا
الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عدة بحذف التاء
عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وعدة بكسر العين
باضافة وغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم
قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم
اى نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا
مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم او وسوسة
الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول
لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم

لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زاد وهذا لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب والهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الاراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الان لان احاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل يتبجحوا بانصرافهم واستحمدوا ارائهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له

او عن الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأتين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ان يعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدايد والمصايب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون

منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون
ملجأ حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون
فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اى مكانا
يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه
لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شئ كالفرس
الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرئ
يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل
انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم
في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنايم حنين فاستعطف
قلوب اهل مكة بتوفير الغنايم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك
ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نايب مناب الفاء الجزائية ولو انهم
رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او
الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا
حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله ورسوله
صدقة او غنيمة اخرى فيؤتينا اكثر مما اتانا انا الى الله راغبون
في ان يغنينا من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف
تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما
فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين
اى الزكوة لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد
باللام بيان انها لهم في قسم الزكوة دون الغنايم والفقير من لا مال له ولا كسب
يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال
او كسب لا يكفيه من السكوت كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله اما السفينة
فكانت لمساكين وانه عليه السلام يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل
بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين
في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة
فيه فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام
نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصين

والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان
يسلموا فانه عليه السلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان
خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة
وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط
وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها
على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فيعتق وبه قال مالك واحمد او بان
يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة
لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم
في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء
لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او
لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين
فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في
الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر
والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من
الله مصدر لما دل عليه الاية اى فرض لهم الصدقات فريضة او حال من
الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم
حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق
الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية
بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم
من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلاثة واختاره
بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمة الله على ان الاية بيان على
ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة
للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك
او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن
سامعة نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم
تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع
الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده
من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة

للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة
اي وهو رحمة للذين امنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف
سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما
عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل
دل عليه اذن خير اي ياذن لكم رحمة وقرئ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ
اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول
الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما
قالوا او تخلفوا ليرضوكم اي لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله
ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد
الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان
التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين
صدقا الم يعلموا انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله
ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها
على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا
على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك
وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك يحذر
المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما
في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين
فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرو ومحتج به عليهم وذلك يدل
على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء
وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله
قل استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي
ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم
ولئن سألتهم ليقولن انا كنا نخوض ونلعب روي ان ركب
المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا
انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات
هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله
ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب
ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله واياته ورسوله كنتم

يستهزئون

تستهزئون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح ان يستهزأ به والزاما للحجة
عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم
فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن
فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة
منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة
بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء
وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف
بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد
عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيبهم في حلفهم بالله انهم
لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على
مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون بالمنكر بالكفر
والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون
ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله فنسيهم
فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون
في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم
عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته و
اهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما
يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم
مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا
بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم
نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم
نصيبهم من ملاذ ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات
الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية
تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم
في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا
او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة

لم يستحقوا عليها ثوابا فى الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا
الدنيا والاخرة الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان
وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم
اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم
قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط
ائتفكت بهم اى انقلبت فصار عاليها سافلها وامطر واحجارة من سجيل
وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلابهن من الخير الى الشر
اتتهم رسلهم يعنى الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اى
لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فى مقابلة قوله
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون
الله ورسوله فى ساير الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة
فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شئ لا يمتنع عليه
ما يريده حكيم يضع الاشيا مواضعها وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور
من اللولؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فى جنات عدن اقامة وخلود
وعنه عليه السلام عدن دار الله التى لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر
لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى
لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد
او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من
جنس ما هو ابهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم
ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوايب الكدورات التى
لا يخلوا عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ما يشتهى الانفس وتلذ الاعين
ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير
ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه
المبداء لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا
لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل
من ذلك قالوا واى شئ افضل من ذلك قال احل عليكم رضوانى فلا اسخط
عليكم ابدا ذلك اى الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم
الذى يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبى جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم
فى ذلك ولا تحابهم ومأويهم جهنم وبئس المصير مصيرهم
يحلفون بالله ما قالوا روى انه عليه السلام اقام فى غزوة تبوك
شهرين ينزل عليه القران ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان
ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت
توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا
الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو ان
خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى
الوادى اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها
وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف
الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه و
اخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابى وان لم يرضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا او وما وجدوا ما
يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر
اهل المدينة كانوا محاويج فى ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى
عليه وسلم اثروا بالغنايم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل
او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير
فى يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم عذابا
اليما فى الدنيا والاخرة بالقتل والنار وما لهم فى الارض ولى
ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من
فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت فى ثعلبة بن حاطب
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقنى مالا فقال عليه السلام

يا ثعلبة قليل يؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك
بالحق لئن رزقنى الله مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما
فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة
والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه
وادٍ فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس
بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رايى
فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعنى ان اقبل منك فجعل التراب
يحثو على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعنى فقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابى بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رض فى خلافته
فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان فلما اتاهم من فضله بخلوا به منعوا
حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم
الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم اى فجعل الله عاقبة فعلهم
ذلك نفاقا وسوء اعتقادٍ فى قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى
فاورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت
او يلقون عمله اى جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه
بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون
وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعيد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين
او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اى المنافقون
او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما
اسروه فى انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجواهم وما
يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام
الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او
منصوب او بدل من الضمير فى سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين
المتطوعين من المؤمنين فى الصدقات روى انه عليه السلام
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال
كان لى ثمانية الاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم

ونصدق

وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع تمر
فقال بت ليلتى اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فامره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون
وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين
عن صاع ابى عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت
والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو
مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منه يستهزؤن بهم سخر الله
منهم جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم ولهم عذاب
اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوى
بين الامرين فى عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم روى ان عبد الله بن ابى وكان من المخلصين
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت
فقال عليه السلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من
السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون حدا يخالفه حكم
ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال
السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها فى التكثير لاشتمال السبعة
على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله
ورسوله اشارة الى ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك
ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف
عنها والله لا يهدى القوم الفاسقين المتمردين فى كفرهم وهو
كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد
الى الحق والمنهمك فى كفره المطبوع عليه لا ينقطع ولا يهتدى والتنبيه على
على عذر الرسول فى استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم
مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله
ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف
رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحى اى بعدهم
ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا

ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على
طاعة وفيه تعريض بالمؤمنين الذين اثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال
والمهج وقالوا لا تنفروا فى الحر اى قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين
تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا
يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هى ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار
عما يؤول اليه حالهم فى الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه
حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد
من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة
وفيها طائفة من المتخلفين يعنى منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقى منهم
وكان المتخلفون اثنى عشر رجلا فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى
بعد تبوك فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا اخبار فى
معنى النهى للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان
اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هى الخرجة الى
غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اى المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد
كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين اى على قصر الخالفين ولا تصل
على احد منهم مات ابدا روى ان ابن ابى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى مرضه فلما دخل عليه سأله القميص ليكفن فيه وذهب ليصلى فنزلت وقيل
ان يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده ويصلى عليه فلما مات ارسل اليه
صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه على التكفين فى قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان
الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين
اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع فى
حق الكافر ولذلك رتب النهى على قوله مات ابدا يعنى الموت على الكفر فان
احياء الكافر للتعذيب لا للتمتع فكانه لم يحى ولا تقم على قبره ولا تقف
عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم
فاسقون تعليل للنهى او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد
والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه فى فريق غير الاول واذا
انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بعضها ان امنوا بالله بان

طامحة عن نفعه

الغبطة بالكسر ان تتمنى للرجل مثل حاله بغبوطة من غير ان تريد زوالها عنه صحاح

امنوا

امنوا ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك
اولوا الطول منهم ذو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع
القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف
مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى لا خير فيه وطبع على
قلوبهم فهم لا يفقهون ما فى الجهاد وموافقة الرسول من السعادة
وما فى التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه
جاهدوا باموالهم وانفسهم اى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا
فقد جاهد من هو خير منهم اولئك لهم الخيرات منافع الدارين
النصرة والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الاخرة وقيل الحور لقوله تعالى
فيهن خيرات حسان وهو جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم
المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجرى من
تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من
الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم
يعنى اسدا وغطفان استاذنوا فى التخلف متعذرين بالجهد وكثرة
العيال وقيل هم رهط عامر ابن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت
طى على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر فى الامر اذا قصر فيه
موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر باد غام التاء
فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين
وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرئ يعقوب معذرون من اعذر اذا
اجتهد فى العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر
بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم فى العين وقد اختلف فى انهم كانوا
معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله فى غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله
فى ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب
الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر
لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء
ولا على المرضى كالهرما والزمنا ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة حرج اثم فى التاخر
اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة فى السر والعلانية كما فعل

الموالى الناصح او بما قدر واعليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين
بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اى ليس عليهم جناح ولا الى
معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون
فى سلك المحسنين غير معاتبين فى ذلك والله غفور رحيم لهم او
للمسئ فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف
على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن
يسار وصخر ابن خنسا وعبدالله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة و
عبدالله بن معقل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرفوعة والنعال المخصوفة نغزوا معك
فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان
وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف
فى اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل
من الدمع اى دمعها فان من للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب
على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا
فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله
الا يجدوا اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون
فى مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك
وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف
استيناف ببيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم
بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم
حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون
اليكم فى التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا
بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبانا الله
من اخباركم اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو ما فى ضمايركم
من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون
عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير
للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمايرهم
واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه

يحلفون

سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم
فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التانيب
فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبل
فهو علة الاعراض وترك المعاتبة وماواهم جهنم من تمام التعليل
وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والاخرة
او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء
بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة
يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم
تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين اى فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم
لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا
عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا يهوان بهم
والمقصود من الاية النهى عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر
بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد
كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم
لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا
واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرايع
فرايضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر
حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن
الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه فى سبيل الله وا
يتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو
عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدواير دواير
الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم
دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون او الاخبار
عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة فى الاصل مصدر او اسم فاعل
من دار يدور وسمى بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه
للمبالغة كقولك رجل صدق وقرئ ابن كثير وابو عمرو والسوء هنا
وفى الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق
عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم

ويتخذ ما ينفق قربات سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ
عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلوات
لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق
ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال
عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره
الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجاهم على الاستيناف
مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم
الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين
لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره وقيل الاولى في اسد
وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون
الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا
بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا
سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم
ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين
اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلين او من اتبعوهم
بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء
اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم
جنات تجري تحتها الانهار وقرئ ابن كثير من تحتها كما هو في ساير
المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم
اي وممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم
جهينة ومزينة واسلم وغفار واشجع كانوا نازلين حولها ومن اهل
المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على
النفاق ونظيره في حذف الموصول واقامة الصفة مقامه قوله
انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه
بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم
لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم
الى حد اخفي عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن
نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا
ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما

وعذاب

240

وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب
عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم
ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين
اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين
فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم
فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم
والاعتراف بالذنب بآخر سيء هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو
اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل
واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل
توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور
رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم
صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا
التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم
شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله
وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر
وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين
وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان
صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم
وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرئ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد
والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا
الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم و
الاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان
الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن
لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من
يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم
وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا
ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا

ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وبين لكم وستردون
الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون
بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون
اى موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائى
وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله فى شأنهم اما
يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا
والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله والله عليم
باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد
بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا
ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم فرحمهم الله والذين اتخذوا
مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدا خبره محذوف اى
وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرا نافع
وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن
عوف لما بنوا مسجد قبا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا
على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذى
الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى
نتخذه مصلى فاخذ ثوبه لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله
ومعن بن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا الى
هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه
كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذى يضمرونه وتفريقا بين
المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة فى مسجد قبا
وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله يعنى الراهب
فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك
الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن
وهرب الى الشام ليأتى من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب

فلما انهزموا خرج الى الشام من قبل متعلق بحارب او باتخذوا اى اتخذوا
مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء وبالتخلف لما روى انه بنى قبل غزوة تبوك
فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا
قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن
ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى
وهى الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون
فى حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى
يعنى مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه
بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقول ابى سعيد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال
هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم
الزمان والمكان لقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر
احق ان تقوم فيه اولى بان تصلى فيه فيه رجال يحبون ان
يتطهروا من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله تعالى وقيل
من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المتطهرين يرضى عنهم
ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار
جلوس فقال امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون
وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضا قالوا نعم قال اتصبرون
على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون من الرخا قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون
ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم
فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله
نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان
يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من
الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب
مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار
على قاعدة هى اضعف القواعد وارخاها فانهار به فى نار جهنم
فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا
الجرف وهو ما جرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه

امدادهم في الطغيان وسرعة الانطماس ثم رسخه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرئ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واُسّ بنيانه على الاضافة وأسس واساس بالفتح والباء بالكسر وثلاثتها جمع اُسّ وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق كتترى وقرئ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناهم الذي بنوا مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووُصِفَ بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسّخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول رسمه ووسمه في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او من القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرئ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويُقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بناهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف بيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرئ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقران مذكورا فيهما كما اثبت في القران ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم

به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى أو خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه او لما نابهم من البأساء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شُبِّه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله تعالى والحافظون لحدود الله اي فيما بيّنه وعيّنه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله تعالى فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم

بسمى الواو الثمانية

فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر
فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه وعدها ابراهيم اياه بقوله لاستغفرن لك اى لاطلبن مغفرتك
بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ وعدها اباه او وعدها
ابراهيم ابوه وهى الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات
على الكفر او اوحى اليه بانه لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره ان
ابراهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه
حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته
عليه وما كان الله ليضل قوما اى يسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم
بعد اذ هديهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين
لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول فى قوله لعمه او لمن استغفر
لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه فى قوم مضوا على الامر الاول فى القبلة
ونحو ذلك وفى الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شئ عليم
فيعلم امرهم فى الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيى
ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لما منعهم عن
الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم
رأسا بين لهم ان الله تعالى مالك كل موجود ومتولى امره والغالب عليه ولا يتأتى
لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا عما عداه حتى
لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبى
والمهاجرين والانصار من اذن للمنافقين فى التخلف او برأهم عن علقة
الذنوب كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل
هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبى عليه
السلام والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من
احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقى اليه توبة من تلك
النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين
اتبعوه فى ساعة العسرة فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة
الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا
يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب
فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفى كاد ضمير الشأن

او ضمير

او ضمير القوم والعائد عليه الضمير فى منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث
القلوب غير حقيقى وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين
ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا
من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم
وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة
ابن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون
حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها لاعراض الناس
عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم
قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا
وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا الى استغفاره ثم تاب
عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا
فى جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا
على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة
الرحيم المتفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين فى ايمانهم وعهودهم او فى دين
الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اى فى توبتهم فيكون المراد به
هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله عن حكمه نهى عبر عنه
بصيغة النفى للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ولا يصونوا
انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روى
ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت
له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب
يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى
الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر
كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه
السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستغفر له وفى لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى
ما دل عليه قوله ما كان من النهى عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم
بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة

مجاعة في سبيل الله ولا يطؤون ولا يدوسون موطئا مكانا
يغيظ الكفار يغيظهم وطاؤه ولا ينالون من عدو نيلا
كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به
الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين
على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق
الكفار فلانه ينبغي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون
واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل
ما انفق عثمان رض في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم
وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي اذا سال فشاع بمعنى
الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن
ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان
المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو
غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة
واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه
ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم
وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض
الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس
والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون
منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر
من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا
فلو لم يعتبر الاخبار ما لم تتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا
واعتراضا في كتابي المرصاد وقيل للاية معنى اخر وهو انه لما نزل في المتخلفين
ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل
فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي
هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير
في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي الفرق بعد الطوايف النافرة للغزو وفي رجعوا

للطوايف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام
غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من
الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
وقيل هم اليهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم لانهم
كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة
شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا
ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة
فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته
هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره
زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر
السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون
بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين
في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها
مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم
حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم
يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين
ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون
ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا
بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد
اي يقولون هل يريكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا
وان يرهم احد ما قاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف
الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم
قوم لا يفقهون لسوء فهمهم وعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول
من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز
عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص
عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف
رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة

على التفاصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك
معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت
فلا ارجوا ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم
والجسم الاعظم المحيط الذي ينزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع
وعن ابي رض ان آخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل
القران علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد
فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص واما لها
الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة عن الياء تلك ايات الكتاب الحكيم
اشارة الى ما تضمنته السورة او القران من الاي والمراد بالكتاب احدهما ووصفه
بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شئ منها اكان
للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا
وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من
عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم فوجهوا نحوه انكارهم و
استهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل
كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب
وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي
والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في
المال وخفة الحال اعون شئ في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك
وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر
الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فيكون في موضع مفعول
اوحينا وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما
ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا
به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة
سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها
الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال
الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين

وقرئ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف
بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة
وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى
على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته
وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في
ادبار الامور لتجئ محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه
تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه
اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات
المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شئ
من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون
ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه
اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه
وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله
حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدؤا
الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدلهم وقيامهم على العدل
في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو
الاوجه لمقابلته قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من
حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب
والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب
واقع بالعرض وانه يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك
لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم
افعالهم والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من
الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة
ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا
او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل
الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء

كسباط وسوط او لما فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن
على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي نورا
للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض
نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر
نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير
لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او وقدره ذا منازل او للقمر
وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به
ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب
الاوقات من الاشهر والايام من معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك
الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل
الايات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرئ ابن كثير
والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار
وما خلق الله في السموت والارض من انواع الكائنات لايات
على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب
فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا اي
لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا
بالحيوة الدنيا من الاخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها
مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها
والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها
والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول
عن الايات راسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر الاخرة ببالهم اصلا واما
لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا
وبالاخرة من الهاه حب العاجل عن التامل في الاجل والاعداد له اولئك
ماويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم
بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما
قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدون في الجنة
ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح
لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل

الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الانهار استئناف او خبر
او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم
خبر او حال اخر منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعويهم
فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا
وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام
واخر دعويهم واخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي
ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبريائه
مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الافات
والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات
الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل
الله للناس الشر ولو يسرع اليهم استعجالهم بالخير وضع لهم
موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم
به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من
السماء وتقديره الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين
استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة
الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ ابن عامر
ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر
الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف
دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم
واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه
لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد
تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره
مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه
كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر
مشرق اللون كان ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف ضر
كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون
من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال
القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج

لدلالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا
ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله
لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك
الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق
انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم
فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم
جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد
القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون انعملون
خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى
الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في
الجهات جزاء الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل
تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين
لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقران غير هذا بكتاب
اخر نقراه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد
الموت او ما نكرهه من معايب الهتنا او بدله بان تجعل مكان الاية المشتملة
على ذلك اية اخرى ولعلهم سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل
ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي
وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام
امتناع الاتيان بقران اخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون
فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض
بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القران
كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال
اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم
وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله
غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني
وعن ابن كثير ولادريكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا
اعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل
غيري وقرئ ولا ادراتكم به ولا ادراكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف
المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته

خصما

خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو
ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا عمرا اربعين سنة
من قبله من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القران معجز
خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما
ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرا عليهم كتابا بذت فصاحته
فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع
واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم به
من الله افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر
لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاديا
مما اضافوا اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو
شريك وذو ولد او كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم فانه
جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا
حتى يعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء
الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا
او في الاخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم
حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر
ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله
اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم
او هؤلاء شفعاء عنده وما يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له
تحقق ما في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف
مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي
او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق
ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن
الشركاء الذين يشركونها به وقرا حمزة والكسائي هنا وفي موضعين
في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة
موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد ادم الى
ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل
فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة

واصوات اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم
او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضى
بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق
ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اى من الايات التى اقترحوها
فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم فى انزال الايات المقترحة
من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه انى
معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل على من الايات العظام
واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد
ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر فى اياتنا بالطعن فيها
والاحتيال فى دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون
ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون فى ايات الله ويكيدون رسوله قل الله
اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم
المفضل عليها كلمة المفاجاة للواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد
وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما
تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا فى اخفائه لم يخف
على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق
ما قبله هو الذى يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه فى البر
والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك فى السفن وجرين بهم بمن فيها
عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم و
ينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح
جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها
ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل
مكان يجئ الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا وسدت
عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له
الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف
وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول
دعوا لانه من جملة القول فلما انجيهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون
فى الارض فاجؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق

مبطلين

مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم
وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم
فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا
منفعة الحيوة الدنيا لا يبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى
انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة وعلى انفسكم
خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون متاع الحيوة
او مفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف
تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه
البغى وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم فى القيمة فننبئكم بما
كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة
فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى
خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزروع
والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت
من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد
قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت
ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها
متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما
يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم تغن زرعها اى
لم ينبت والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على
الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به
مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه حطاما بعد
ما كان غض والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم
من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه فانه من التشبيه المركب كذلك
نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله
يدعوا الى دار السلام دار السلامة من التقضى والافة او دار الله
وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة

فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدى من يشاء بالتوفيق الى
صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس
التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الا-
رادة غير الامر وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا
الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا ويؤيده
ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف
واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة
هو اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد
ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب
ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها و
الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله
للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو او الذين
مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة
هى الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما
اعتراض فجزاء سيئة خبره محذوف اى فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها
على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء
ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله
ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من
الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل
فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل
فى الموصوف عامل فى الصفة او معنى الفعل فى من الليل وقرئ ابن كثير والكسائى
ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا
منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية
والجواب ان الاية فى الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين
احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم
نحشرهم جميعا يعنى الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير

المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول
معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم وقال
شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم
فانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهواءهم لانها الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل
ان الله ينطق الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون
منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين
ان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة هنالك فى ذلك المقام
تبلوا كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره
وقرئ حمزة والكسائى تتلوا من التلاوة اى تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اى
تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلوا بالنون ونصب كل وابدال
ما منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها و
شقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اى
العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع
الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق
ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب
على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون
من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها الهة قل من يرزقكم من
السماء والارض اى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية
ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف
المضاف اى من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار
ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة
انفعالهما من ادنى شىء ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من
الحى ومن يحيى ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن
يدبر الامر ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون
الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه فقل
افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه فى شىء من ذلك
فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم
الثابت ربوبيته لانه الذى انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا

حسب

بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله وقع فى الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه وقرئ نافع وابن عامر كلمات هنا وفى اخر السورة وفى غافر على الذين فسقوا تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم فى الجواب فقال قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما تعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء تعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى ام الذين لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرئ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرئ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضى صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغايب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغنى من الحق شيئا من العلم والاعتقاد الحق

من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير واجب ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب تفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان يكون استينافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير فى فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة مثله فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا فى النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وساير ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى تبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدى فزاروا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا

عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب
به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في
نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم
من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل
بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين
وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي
ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم
حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون
لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية
سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك
اذا قرأت القران وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع
اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون
ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى
المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل
السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومتابعة
الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد
الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر
اليك يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي
العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم
الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار
والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه
البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله
لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس
انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على
ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة
ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب
عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم
يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة

لبثهم في الدنيا او في القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي
يحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف
تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله
يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا
اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة
او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم
يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم و
التعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول
وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل
المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم
واما نرينك بنصرتك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك
كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم
فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل
فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة و
اراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته
على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث
اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي
بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول
واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة
رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكافرين كقوله وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له
واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم
فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن
ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء
اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتاخرون
ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارايتم
ان اتيكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال

بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل
منه المجرمون اى شئ من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال
وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبرونى والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة
على انهم لجرمهم ينبغى ان يفزعوا اليه من مجئ الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط
محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا اخطاه ويجوز ان يكون
الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطينى ويكون الجملة متعلقة بارايتم
او قوله اثم اذا ما وقع امنتم به ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام
على ثم لانكار التاخير الان على ارادة القول اى قيل لهم اذا امنوا بعد
وقوع العذاب الان امنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا
عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل
تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصى ويستنبئونك
ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة بقوله
بجد ام باطل يهزل به قاله حيى بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام
فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق
هو فان فيه تعريضا بانه باطل والحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد
الخبر او خبر مقدم والجملة فى موضع النصب بيستنبئونك قل اى وربى
انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران
واى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه فى التصديق
فيقال اى والله ولا يقال اى وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب
ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدى على الغير ما فى الارض
من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم
افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا
بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل
اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشئ
لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشئ
واسره اذا اظهره وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون
ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثانى مجازاة المشركين

على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة
الظلم عليهم الا ان لله ما فى السموات والارض تقرير لقدرته
على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب
كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور
عقولهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيى ويميت فى الدنيا فهو
يقدر عليهما فى العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة
بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين اى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة
العلمية الكاشفة العملية عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة فى المحاسن
والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الشكوك وسوء
الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزل عليهم
فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات
النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل
الله وبرحمته بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك
فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته
فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد و
البيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل
عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى
الشرط كانه قيل ان فرحوا بشئ فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على
ان مجئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد
كقوله فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعى وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على
الاصل المرفوض وقد روى مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير
مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرا ابن
عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها
المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق
منزلا لانه مقدر فى السماء محصل باسباب منها وما فى موضع النصب بانزل
او بارايتم فانه بمعنى اخبرونى ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ
على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث

حرماً في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل
الله اذن لكم في التحريم والتحليل فيقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون
في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل مكرر للتأكيد
وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم
على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم
يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل
عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله
لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل
وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون
في شأن ولا يكون في امر واصله الهمزة من شأنت شأنه اذا قصده والضمير في
وما تتلوا منه له لان تلاوة القران معظم شأن الرسول صلى الله عليه
وسلم او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلوا
من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفي او للقران واضماره قبل
الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيص
من هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول
الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون
فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه
ولا يغيب عن علمه وقرئ الكسائي بكسر الزاء هنا وفي سبأ من مثقال
ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء
اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غير ما ليس فيهما ولا متعلقا
بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان
على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب
مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها
وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة
وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء
منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه
ولا هم يحزنون بفوات مأمول والاية مجمل فسره قوله الذين امنوا
وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم لهم

لهم في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه على لسان نبيه صلى الله
عليه وسلم وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى
الملائكة عند النزع وفي الاخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين
بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع
على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل
لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة
الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي
قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع
بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم و
تهديدهم وقرئ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله
جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل
لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها
فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم
بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموت ومن في الارض
من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا
لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا وشريكا
فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان
يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون
الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز
ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وما موصولة معطوفة على من
وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة
والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه
كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما
بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ
رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله تعالى
او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته
وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال

مبصراً ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب
ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا
اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح
الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه
فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات والارض
تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه
من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقاً لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان
او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا من سلطان اتقولون
على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل
على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان
التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب
باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار
ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم
متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او
مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت
فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا
يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه
اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي
نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة
او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت
وثقت به واجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم
ويؤيده القراءة بالرفع عطفاً على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل
وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب
بفعل محذوف تقديره وادعوا شركائكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا
من جمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي
وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي
عليكم غمة مستوراً واجعلوه ظاهراً مكشوفاً من غمه اذا ستره او ثم
لا يكن حالكم عليكم غماً اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري
ثم اقضوا ادّوا اليّ ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا

بالفأ اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا اليّ من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون
ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر
يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان
اجري ما ثوابي في الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم
يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين
لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد
ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت
عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك
وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا
الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا
ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول
الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر
وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب
الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين
بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان
الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا
من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون
وملائه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعهما وكانوا
قوماً مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا
على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة
المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر
انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخواته قال موسى اتقولون
للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان
يكون أسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه
اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان
يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة لقوله
تعالى سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون

من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر
السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل السحر هذا محكيا
كانهم قالوا اجئتنا بالسحر فطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا
لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه ابائنا من عبادة
الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف
الملوك بالكبرياء او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين
مصدقين فيما جئتنا به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرئ حمزة
والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم
موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به
السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرئ
ابو عمرو السحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم خبرها والسحر بدل
منه او خبر مبتدا محذوف تقديره اهو السحر او مبتدا خبره محذوف اي
السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء
اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح
عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة
له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ
بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما امن لموسى في مبدا امره الا
ذرية من قومه الا اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من
فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم
امنوا به او مؤمن ال فرعون وامراته اسية وخازنه وزوجته وماشطته على
خوف من فرعون وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه
على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون اله كما يقال ربيعة
ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه
او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملا كان بسببه
وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين
في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى
لما راى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا
وثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين
له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه

المقتضى له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك
زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين
ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم
الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من
القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل
على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واو
حينا الى موسى واخيه ان تبوءا اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر
بيوتا تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما و
قومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة
نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة
امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم
عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما
ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس
القوم للتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة ما ينبغي
ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشرع
وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاءه زينة ما يتزين
به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا
من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم
من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل
اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء
النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها
سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول
تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله
ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم
واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ
النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت
دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا
على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن

ولكن فى وقت روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة فى الاستعجال وعدم الوثوق
والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها
لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببنى
اسرائيل البحر اى جوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ
جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعّف وضاعف فاتبعهم فادركهم
يقال تبعته واتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين
او للبغى والعدو وقرئ وعدوّا حتى اذا ادركه الغرق قال
امنت انه اى بانه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل وانا
من المسلمين وقرئ حمزة والكسائى انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف
بدلا وتفسيرا لامنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل
الان اتؤمن الان وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد
عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين
المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من
قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل
وقرئ بعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اى نلقيك بناحية
من الساحل ببدنك فى موضع الحال اى ببدنك عاريا عن الروح او كاملا
سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها
وقرئ بابدانك اى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك
كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك علامة
وهم بنوا اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى
كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا على ممرهم
من الساحل او لمن يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك
عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم
الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ
لمن خلقك اى لخالقك اية كساير الايات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل
دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وذلك دليل
على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان
كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون

بها ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا
وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذايذ فما
اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا فى امر دينهم الا من بعد ما قرؤا
التورية وعلموا احكامها او فى امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا
صدقه بنعوته ونظام معجزاته ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان
كنت فى شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض
والتقدير فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه
محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك
والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القران مصدق فيها او وصف
اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة
تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل
وقيل الخطاب للنبى عليه السلام والمراد امته او لكل من يسمع اى كنت ايها السامع
فى شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على من خالجه شبهة فى
الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق
من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالايات القاطعة فلا تكونن
من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن
من الذين كذبوا بايات الله فتكونن من الخاسرين ايضا من باب
التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون
على الكفر او يخلدون فى العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه
ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل اية فان السبب الاصلى لايمانهم
وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم
وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية امنت
فهلا كانت قرية من القرى التى اهلكناها امنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر
ايمانها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب
عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما امنوا اول ما راوا
امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزى
فى الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف

معناه فيكون الاستثناء منقطعا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما امن اهل قرية
من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل
ومتعناهم الى حين الى اجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى اهل
نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل
الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى
غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح
وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين
كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا
التوبة والايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف ما وكان يوم عاشورا
يوم الجمعة ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ
منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على
القدرية في انه تعالى لم يشا ايمانهم اجمعين وان من شا ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد
بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشا الله منهم
حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفا وايلاؤها حرف
الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية
مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي
انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله
وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله الا بارادته والطافه
وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله تعالى ويجعل الرجس
العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرئ ابو بكر ونجعل بالنون
على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والايات
او لا يعقلون دلايله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيده الاول قوله
قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات والارض من عجايب
صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت
انظروا عن العمل وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون
في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم ونزول باس الله بهم
اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني
اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين

هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين امنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل
ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن امن بهم على حكاية
الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك الانجا او انجا
كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المجرمين وحقا علينا اعتراض ونصبه
بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل
مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين
تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم
فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا
فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهي اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه
ولكن اعبد الله خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر
للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به
الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون
من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين
عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في
الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه و
صيغ الافعال كلها كذلك سوا الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة
في الدين والاشتداد فيه باداء الفرايض والانتهاء عن القبايح او في الصلوة
باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من
المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك
اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعا
وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له
يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع
لفضله الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر
مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم
لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل
بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن
رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور
الرحيم فتعرضوا الرحمة بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل

يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القران ولم يبق لكم
عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه
لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان
وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم و
انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ
واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر
بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على
السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدا وخبر او كتاب خبر مبتدا
محذوف احكمت اياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ
والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد ايات السورة وليس فيها
منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم
اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت
بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال
نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين
الحق والباطل واحكمت اياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت
في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى
للكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها
وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا
الا الله لان مفعول له تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الايات
معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدا للاغراء على التوحيد او الامر
بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او
اتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب
على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف
على ان تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توسلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان
المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا ربكم من الشرك ثم توبوا

اليه بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا
حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو اخر اعماركم المقدرة
او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والاجال وان كانت متعلقة
بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل
فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والاخرة وهو وعد
للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم
عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى
اكلوا الجيف وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم
وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد
عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها
عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه
وسلم او يولون ظهورهم وقرئ تثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء
مبالغة وتثنون وتثنوي واصله تثنونن من الثن وهو الكلام الضعيف
اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثني من اثنان كابياض
بالهمز ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين
عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا
ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كيف يعلم وقيل
نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين
يستغشون ثيابهم الا حين ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم
يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي
في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات
الصدور باسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا
ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه
ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحياة والممات او الاصلاب
والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار
حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب
مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما
بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا

للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف
او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات
بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما
لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء
وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن
الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق
ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة
ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات
تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى
العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار
الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن
والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب
والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم
الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون
من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
اي ما البعث او القول به او القران المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان
وقرئ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على
تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى علّ اي ولئن قلت علكم مبعوثون
بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة
في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة
الى جماعات من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه
من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس
العذاب مرفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على
جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع
المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزؤن
اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون
لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة
ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك

النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاؤه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به
كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد
ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة
لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه
لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام
بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم
والمحن كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء
لان الذوق ادراك الطعم والمس مبتدأ الوصول الا الذين صبروا على
الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لالائه
سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله
الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد
الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف
رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما
يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة
في الوحي والتقية في التبليغ مانعا وضائق به صدرك وعارض لك
احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه
كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل
الضمير فيه مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار
بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك
والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء
اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى
قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر
سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار
كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته
من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم
اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا
من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم
صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم

لبه والجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم او لان المؤمنين كانوا
يتحدونهم وكان امر الرسول عليه السلام متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم
في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة
يقينهم ولا يغفلون عنه ولذلك رتب عليهم قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله
ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان
لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم
وللتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط
من ان يجيرهم من باس الله الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام
راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون
الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم
الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم
لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون
في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه
من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم
جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ
يوف بالياء اي يوف الله ونوف على البناء للمفعول وتوفى بالتخفيف والرفع
لان الشرط ماض كقوله ٭ وان اتاه كريم يوم مسغبة ٭ يقول لا غائب مالي
ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في
اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس
لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما
تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط
ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به
وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا
على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل
على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه
مفعول يعملون وما ابهاما مبتنا او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور
كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله
يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه

هؤلاء المقصرين وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي
اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا
وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنون
اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد
منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله ومن قبل
القران كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا يتلوه في التصديق
او البينة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرائيل عليه السلام او لسان
الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه
اما لمن او للتنبيه باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة وقرئ
كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن
كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرا من قبل
القران التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم
لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة لمن كان على بينة
يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة
ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والنار موعده
يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القران وقرئ مرية
بالضم وهو الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان
اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم
في الموقف بان يحبسوا ويعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة
والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب وشهيد كاشراف
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل
عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن
سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق
والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالاخرة هم كافرون
والحال انهم كافرون بالاخرة وتكرير هم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك
لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم
وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه
اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب

استيناف وقرئ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا
يستطيعون السمع لتصامّهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه
من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء فإن ما لا يسمع و
لا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض أولئك الذين
خسروا أنفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا
يفترون من الآلهة وشفاعتها أو خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا
فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون
لا أحد أبين وأكثر خسرانا منهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وأخبتوا إلى ربهم اطمأنوا إليه وخشعوا له من الخبت وهو الأرض المطمئنة
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين
الكافر والمؤمنين كالأعمى والأصم والبصير والسميع يجوز أن
يراد به تشبيه الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله وبالأصم لتصامه عن استماع
كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لأن أمره بالضد
فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين
العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة
كقوله الصابح فالغانم فالآيب فهذا من باب اللف والطباق هل يستويان
هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا أو صفة أو حالا أفلا تذكرون
بضرب الأمثال والتأمل فيها ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم
بأني لكم وقرئ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على إرادة القول نذير
مبين أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص أن لا تعبدوا إلا الله
بدل من إني لكم أو مفعول مبين ويجوز أن يكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا
أو بنذير إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة
المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جدّ جدّه ونهارك صائم
للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا
مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك
اتبعك إلا الذين هم أراذلنا أخساؤنا جمع أرذل فإنه بالغلبة صار
مثل الاسم كالأكبر أو أراذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق
من البدو أو أول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ أبو عمرو

بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل
فيه اتبعك وإنما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهرا من الحياة
الدنيا كان الأحظ بها أشرف عندهم والمحروم منها أرذل وما نرى لكم لك
ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل
نظنكم كاذبين إياك في دعوى النبوة وإياهم في دعوى العلم بصدقك
فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم أرأيتم أخبروني إن كنت على
بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده
بإيتاء البينة أو النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير
لأن البينة في نفسها هي الرحمة أو لأن خفاءها يوجب خفاء النبوة أو على تقدير فعميت
عليكم بعد البينة وحذفها للاختصار أو لأنه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي
وحفص فعُمّيت أي أخفيت وقرئ فعماها على أن الفعل لله أنلزمكموها أنلزمكم
على الاهتداء بها وأنتم لها كارهون لا تختارونها (لا تختاروها) ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع
ضميران وليس أحدهما مرفوعا وقدم الأعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل
ويا قوم لا أسألكم عليه على التبليغ وهو وإن لم يذكر فمعلوم مما ذكر
مالا جعلا إن أجري إلا على الله فإنه المأمول منه وما أنا بطارد
الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم إنهم ملاقو ربهم فيخاصمون
طاردهم عنده أو أنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم ولكني
أراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم أو بأقدارهم أو في التماس طردهم أو تتسفهون
عليهم بأن تدعوهم أراذل ويا قوم من ينصرني من الله من يدفع انتقامه
إن طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة أفلا تذكرون لتعرفوا أن التماس
طردهم وتوقيف الإيمان عليه ليس بصواب ولا أقول لكم عندي خزائن
الله رزقه وأمواله حتى جحدتم فضلي ولا أعلم الغيب عطف على عندي
خزائن الله أي ولا أقول أنا أعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا أو حتى أعلم أن
هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه
على أقول ولا أقول إني ملك حتى تقولوا إن أنت إلا بشر مثلنا ولا
أقول للذين تزدري أعينكم ولا أقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم
لن يؤتيهم الله خيرا فإن ما أعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا
والله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين إن قلت شيئا من ذلك
والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر

واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الرأى من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل فى معانيهم وكمالاتهم
قال يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين فى الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او اجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه
ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم تقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وبالدرقرى اجرامى على الجمع وانا برئ مما تجرمون من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوا من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة الة الحس الذى به يحفظ الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ولا تراجعنى فيهم ولا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها فى برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ان كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه يعنى به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او ويحل عليه حلول الدين الذى لا انفكاك عنه عذاب

مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هى التى يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع مسجدها او فى الهند او بعين وردة بارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع منها قلنا احمل فيها فى السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكر وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن امن والمؤمنون من غيرهم وما امن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روى انه عليه السلام اتخذ السفينة فى سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى اسفلها الدواب والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء كالمركوب فى الارض بسم الله مجراها ومرساها متصل باركبوا حال من الواو اى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اى اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهى اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو والهاء روى انه كان اذا اراد ان يجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان يرسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرئ حمزة والكسائى وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله

ان ربی غفور رحیم ای لولا مغفرته لفرطاتکم ورحمته ایاکم لما نجاکم

وهی تجری بهم متصل بمحذوف دل علیه ارکبوا ای فرکبوا مسمّین وهی تجری وهم فیها فی موج کالجبال فی موج من الطوفان وهو ما یرتفع من الماء عند اضطرابه کل موجة منها کجبل فی تراکمها وارتفاعها وما قیل من ان الماء طبق ما بین السماء والارض وکانت السفینة تجری فی جوفه لیس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلک قبل التطبیق ونادی نوح ابنه کنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف علی ان الضمیر لامرأته وکان ربیبه وقیل کان لغیر رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبیاء عصمت من ذلک والمراد بالخیانة الخیانة فی الدین وقرئ ابناه علی الندبة ولکونها حکایة سوّغ حذف الحرف وکان فی معزل عزل فیه نفسه عن ابیه او عن دینه مفعل للمکان من عزله عنه اذا ابعده یا بنی ارکب معنا فی السفینة والجمهور کسروا الیاء لتدل علی یاء الاضافة المحذوفة فی جمیع القرآن غیر ابن کثیر فانه وقف علیها فی لقمان فی الموضع الاول باتفاق الرواة وفی الثالث فی روایة قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا علی الفتح من الالف المبدلة من یاء الاضافة واختلف الرواة عنه فی سائر المواضع وقد ادغم الباء فی المیم ابو عمرو والکسائی وحفص لتقاربهما ولا تکن مع الکافرین فی الدین او الانعزال

قال ساوی الی جبل یعصمنی من الماء ان یغرقنی قال لا عاصم الیوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالی او الا مکان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلک ان یکون الیوم معتصم من جبل ونحوه یعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنین وهو السفینة وقیل لا عاصم بمعنی لا ذا عصمة کقوله تعالی فی عیشة راضیة وقیل الاستثناء منقطع ای لکن من رحمه الله یعصمه وحال بینهما الموج بین نوح وابنه او بین ابنه والجبل وکان من المغرقین فصار من المهلکین بالماء وقیل یا ارض ابلعی ماءک ویا سماء اقلعی نودیا بما ینادی به اولوا العلم وامرا بما یؤمرون به تمثیلا لکمال قدرته وانقیادهما لما یشاء تکوینه فیهما بالامر المطاع الذی یأمر المنقاد لحکمه المبادر الی امتثال امره مهابة من عظمته وخشیة من الیم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساک وغیض الماء نقص وقضی الامر وانجز ما وعد من اهلاک الکافرین وانجاء المؤمنین

تراکمها ای اجتماعها

واستوت

واستوت واستقرت السفینة علی الجودی جبل بالموصل وقیل بالشام وقیل بآمد روی انه رکب السفینة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلک الیوم وصار ذلک سنة وقیل بعدا للقوم الظالمین هلاکا لهم یقال بَعِدَ بَعَدًا وبُعْدًا اذا بَعُدَ بُعْدًا بعیدا بحیث لا یرجی عوده ثم استعیر للهلاک وخص بدعاء السوء والآیة فی غایة الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة علی کنه الحال مع الایجاز الخالی عن الاخلال وایراد الاخبار علی البناء للمفعول دلالة علی تعظیم الفاعل وانه متعین فی نفسه مستغن عن ذکره اذ لا یذهب الوهم الی غیره للعلم بان مثل هذه الافعال لا یقدر علیه سوی الواحد القهار ونادی نوح ربه واراد نداءه بدلیل عطف قوله فقال رب ان ابنی من اهلی فانه النداء وان وعدک الحق وان کل وعد تعده حق لا یتطرق الیه الخلف وقد وعدت ان تنجی اهلی فما حاله او فما باله لم ینج ویجوز ان یکون هذا النداء قبل غرقه وانت احکم الحاکمین لانک اعلمهم واعدلهم او لانک اکثر حکمة من ذوی الحکم علی ان الحاکم من الحکمة کالدارع من الدرع قال یا نوح انه لیس من اهلک لقطع الولایة بین المؤمن والکافر واشار الیه بقوله انه عمل غیر صالح فانه تعلیل لنفی کونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة کقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتی اذا ادّکرت ٭ فانما هی اقبال وادبار ٭ ثم بدل الفاسد بغیر الصالح تصریحا بالمناقضة بین وصفیهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرئ الکسائی ویعقوب انه عمِلَ غیرَ صالحٍ فلا تسألنی ما لیس لک به علم ما لا تعلم اصواب هو ام لیس کذلک وانما سمی نداءه سؤالا لتضمن ذکر الموعد بنجاة اهله استنجازه فی شأن ولده او استفسار المانع للانجاز فی حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله انی اعظک ان تکون من الجاهلین لان استثناء من سبق علیه القول من اهله قد دله علی الحال واغناه عن السؤال لکن اشغله حب الولد عنه حتی اشتبه الامر علیه وقرئ ابن کثیر بفتح اللام والنون الشدیدة وکذا نافع وابن عامر غیر انهما کسرا النون علی ان اصله تسألننی فحذفت نون الوقایة لاجتماع النونات وکسرت الشدیدة للیاء ثم اکتفی بالکسرة وعن نافع اثباتها فی الوصل قال رب انی اعوذ بک ان اسألک

في المستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك او وزيادات في نسلك حتى تصير ادما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبرثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر اخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف يوخذ منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركا وجعلها شفعاء يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطا ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء

عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاثين سنة فوعدهم هود على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي الهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله على براءته من الهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن اخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان الهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله وواثق بكلائه وهو مالكي ومالكم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به

اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله
يهلكهم ويستخلف قوما اخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب
بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكانه قيل وان تتولوا يعذرني
ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف
اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم
ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما
جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين امنوا معه
تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج
من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الاخرة ايضا والتعريض
بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الاخرة بالعذاب
الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة
الى قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها وعصوا رسله
لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة
كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين و
عنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى
الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم
في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه
او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به
الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما
كرر ألا واعاد ذكرهم تقطيعا (تشديدا وتشنيعا) لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود
عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى استحقاقهم
للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم
منها لا غيره فانه خلق ادم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب و
استعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها
وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم
او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه
ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا

يا صالح

يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد
والسداد ان يكون لنا سيدا او مستشارا في الامور وان توافقنا في الدين
فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد
ما يعبد اباؤنا على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا
اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه
او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان
كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين
واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه
ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني
غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه
او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه
ناقة الله لكم اية انتصب اية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال
منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها
وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل
لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال
تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام
الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب
فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير
مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له اني بك فان وفى به صدق والا كذب
او وعد غير مكذوب على انه المصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا
نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ
اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم
القيمة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا
وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ ان ربك هو القوي العزيز القادر
على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في
ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف كان لم يغنوا
فيها الا ان ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في
جميع القران وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود
ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني

الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى
ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما
ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي
سلام او عليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرئ حمزة والكسائي سلم
وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث
ان جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما ابطا في المجيء به او فيما تاخر عنه والجار
مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضيف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت
اذا عرقته بالجلول لقوله بعجل سمين فلما راى ايديهم لا تصل اليه
لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف
ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل
الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى
قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد لها ايدينا لانا لا ناكل
وامراته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت
سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول
لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت
فحاضت قال : وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة : ولم يعط ثدياها حقا ان يحلما
ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحا فبشرناها باسحق ومن
وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل
عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على
موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد للفصل بينه
وبين ما عطف عليه بالظرف وقرا الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف
اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه
بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه
بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة
كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها
للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد
قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء
على الاصل االد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا
بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه

على الحال والعامل فيها اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو
شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني
الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك
قالوا اتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت
منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات
وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه
عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على
المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه
حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان
فلما ذهب عن ابراهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم
وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل
رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به
مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو
او دليل جوابه المحذوف مثل اخذ او اقبل على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به
اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابراهيم لحليم غير عجول على
الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس
منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة
قلبه وفرط ترحمه يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابراهيم
اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه
الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم اتيهم عذاب غير مردود مصروف
بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه
مجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم
قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرئ نافع وابن عامر والكسائي سيء وسيئت باشمام
السين الضم وفي العنكبوت والملك وقرا الباقون باخلاص حركة السين وضاق
بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من
عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون
دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا
يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤ

يهرعون لها مجاهدين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية
والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم
كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه
حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل
المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي
حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف
فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر
بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هؤلاء فصل فانه لا يقع بين
الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم و
لا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في
ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد
يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال
لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن شديد
الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب
باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره
لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب
فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط
انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا
فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه
وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط
سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل
حيث وقع في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت
منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى
للوط الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ
باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف
فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو
بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع

قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها
حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل
الاستثناء في القراءتين عن قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل
ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات
بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله
انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على
قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس
الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب
فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب
مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان
حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسنده الى نفسه من حيث
انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت
مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديك
ثم قلبها عليهم وامطرنا عليهم على المدن او على شذاذها
حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل
فعرب وقيل من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل
او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به
وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد
معدا لعذابهم او نضد في الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار
او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل
معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به
عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم
بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه
سال جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض
حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي
مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان
والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام
او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا

حزب

فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض
اني اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان يتفضلوا على الناس
شكرا عليها لا ان ينقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في
الجملة علة للنهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ احد منكم
وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب
الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح بالامر بالايفاء بعد النهي عن
ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي
في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة
ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد يكون
محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم
من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين
فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس
كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة
الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر صلوات الله وسلامه عليه
وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم
بقيت الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم
مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان
خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان
كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله تعالى والباقيات
الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا
عليكم بحفيظ احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم
عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت اولست بحافظ
عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك
تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد
على الاستهزاء والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لا يدعوا اليه داع عقلي
وانما دعاك اليه خطرات ووسواس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب
عليه السلام كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرئ حمزة والكسائي وحفص
على الافراد والمعنى اصلواتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان

الرجل لا يؤمر بفعل غيره اوان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما
اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على
ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم
عن تقطيع الدراهم والدنانير وارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد
تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك وعللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده
بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه الله من العلم والنبوة
ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب
الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه فاخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار
بما انكروا عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الاباء والضمير في منه لله اي من
عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه اي وما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لاثرته
ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو
مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر
ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم
عنه وخالفته عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه
على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها
واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك
يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة
موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته
او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما
توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت
فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط
عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم
بالمبدأ واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم
الصلة على انيب وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي ويذره
من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار

واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء
ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل
ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح
من الرجفة وان بصلته ثاني مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين
ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم هو منقول من المتعدي الى مفعول والاول
افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته
الى المبني كقوله "لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت" "حمامة في غصون ذات
اوقال" وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا ومكانا فان لم تعتبروا بمن
قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم
ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء ببعيد و
لا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل
والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي
رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان
ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار
قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد
وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليها وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم
وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم
عنه وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك
سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده
التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة
والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا
لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة لرجمناك
لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا
عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب
والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان
المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم
من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء
الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تتقون الله وتتقون الرهط
وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهري منسوب الى الظهر

والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء
منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف
تعلمون ثم للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها
ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن
هو كاذب عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق
بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني
ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه
لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا
وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم
او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا و
الذين امنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه
ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد
الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك
جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبرائيل
فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم
في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين
كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم
كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل
فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر
لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتورية
او المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها
لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه
اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان لازم
ومتعد والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان
بين اية وسلطان
يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا
امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا امره بالكفر بموسى
او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا
طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده

على من اراد في مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون
برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم
قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال
قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه
ونزل النار لهم منزلة الماء فسمي اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود
اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش
والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من
هذا عاقبته لم يكن في امره رشدا وتفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون
مامون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه في هذه الدنيا لعنة ويوم
القيمة اي يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون
المعان او العطا المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم
محذوف اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبا من
ابناء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم
من تلك القرى باق كالزرع القايم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع
المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الها في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو
ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم
بان اعرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت
ان تدفع عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لما جاء
امر ربك لما جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك
او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك
بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي
اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة
لاهلها لكنها لما اقيمت مقامها اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا
لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم
شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير
ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه من قصصهم لاية لعبرة
لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظمه لعلمه بان ما حاق بهم انموذج
مما اعد الله للمجرمين في الاخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار
يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل

بالفاعل

بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب
ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس
اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة
وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له
الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه
اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله
في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا
في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان ساير الايام كذلك
وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة
متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه
غير معدود يوم يات اي الجزاء او اليوم لقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم
بمعنى حين او الله عز وجل كقوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا
ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف اليا اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس
لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل
نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله
تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله تعالى هذا يوم
لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر والماذون فيه
هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له
النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير
لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس
فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج
النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق واخره والمراد بهما
الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه
وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم
خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم
في النار بدوامها فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع
دوامها بل للتعبير على التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به على سبيل
التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال
عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم

لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة
وارضها ويدل عليها قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل
الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده
ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له
التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم
فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم
عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون
الجنة ايام عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض
باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال
فعلى هذا لم يكن قولهم فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون
صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال
حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين
وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في
شخص واحد باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره
من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب
القدس والفوز برضوان الله تعالى ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان
توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين يأتي
اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى
هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله
لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الفان
القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء
السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما
الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان
الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع
ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص
سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على
المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك
بعدما انزل عليك من حال الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين

في انها

في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم
او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد
آباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم
سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون
شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم
مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان
يعبد فحذف لدلالة من قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب
كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه
غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه
وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف
فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة
سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم
بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي
شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين
المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع
وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم
اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما
للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما
فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت الاولى والمعنى
لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله
تعالى اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما
تعملون خبير فلا يفوت شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت
لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد
امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد
كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين
والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات
من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك
قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب
من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد

بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حدّ لكم انه بما
تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية
دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان
ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو
الميل اليسير كالتزيّي بزيّهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا
كان الركون الى من وجد منه ما يسمّى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين
اى الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل
الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله
عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان
الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم
في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتُركنوا على البناء للمفعول
من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب
عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اى ثم لا ينصركم الله اذا سبق
في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم
بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد
فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون
اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على
الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار
فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها
اقرب الصلوة من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر
لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا
بضمتين وضمة وسكون كبُسُر وبُسْر في بُسْرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى
وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث
ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكباير وفي سبب
النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت من
امراة غير اني لم اتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده
وقيل الى القران ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات
وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن
المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر

احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من
القرون من قبلكم اولو بقية من الراى والعقل او اولو فضل وانما سمّي
بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اى
من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اى ذوي ابقاء على
انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر
بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا
ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح
اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين
ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها
واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين
ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشوّ الظلم فيهم واتباعهم
للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه
الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف
على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اى واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو
للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما
بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته
في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل
الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة
وانه تعالى لم يرد الايمان لكل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون
مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين
يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله
فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم
ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه
والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده
او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اى
من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اى
وكل نبإ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت

به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص
وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال
اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع
الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك
في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق و
موعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى ساير فوايده العامة وقل
للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون
على حالنا وانتظروا بنا الدواير انا منتظرون ان ينزل بكم
نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموت والارض خاصة
لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة
امرهم وامرك اليه وقرا نافع وحفص يرجع على البنا للمفعول فاعبده
وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه
على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي
ما يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح
وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب المبين
تلك اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الايات ايات
السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها
انها من عند الله او لليهود ما سالوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين
سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت
انا انزلناه اي الكتاب قرانا عربيا سمي البعض قرانا لانه في الاصل
اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال
وهو في نفسه اما موطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى
مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك
خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا
او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا

ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص
عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع
الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجايب والحكم والايات والعبر
فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه
بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القران يعني السورة ويجوز
ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان
كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك
ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان
جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري
ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه
مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف لان المشهورة شهدت بعجمته
لابيه يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم وعنه عليه السلام الكريم بن الكريم
بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله
يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء
في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف
يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا
فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض
والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار
التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب
تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص
رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر
روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني
يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك
فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان
والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف
والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها
لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي راهم
عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني

تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتي عشرة سنة وقرئ
حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عم من رؤياه ان الله
تعالى يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا
كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم ففرق بينهما بتاء التانيث كالقربة
والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة
منها انما يكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها
من تدبير البدن ادنى فراغ فتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك
ثم ان المتخيلة يحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس فتصير مشاهدة
ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية
والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام
وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر
وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة
كما فعل بادم وحوا فلا يالو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم
على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك بمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف
وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام و
الاجتباء من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج
عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير
الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان
ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبيا وكلمات الحكما
وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك
بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى ال يعقوب يريد به
سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها
على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى
اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من
قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك
عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشيا على ما ينبغي
لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم ايات دلايل قدرة
الله وحكمته او علامات نبوتك وقرئ ابن كثير اية للسائلين لمن سال

عن

عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي
وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت
تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن
الجمع محرما واربعة اخرون دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة
وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة
لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان
افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه
فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة
اقويا احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فما
فوقها سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين
لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى
فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث
لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف
من جملة المحكي بعد قوله اذ قال كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا
وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الاخرون او اطرحوه ارضا
منكورة بعيدة من العمار وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف
المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم
فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد و
تكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده من
بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين
الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه
او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل
منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا
يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره
سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرئ نافع في غيابات على الجمع كانه لتلك
الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه ياخذه
بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم
فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين
ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف لم تخافنا عليه

وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير اراد وبه استنزاله عن رأيه وحفظه منهم لما تنسّم من حسدهم والمشهور لا تأمنّا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهو الخصب ويلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف عم وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شدّ على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا علي القميص اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ما فسقط فيه ثم آوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبرئيل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابراهيم

عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبرئيل عم بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم عم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبرئيل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون وبشّره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي وجاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدرا او طريا وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان يجوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل قميصه واخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم انفسكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح نبوتهم وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيها فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها

في الجب ليملوها فتدلى بها يوسف فلما راه قال يا بشرى هذا غلام
نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو
اسم لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراى بالاضافة
وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرا ورش بين اللفظين وقرئ يا بشرى
بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف واسروه اى
الوارد واصحابه من ساير الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل
الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه
كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا
هذا غلام منا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة
نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع
من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او
صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي موضع
الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه
او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا
يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل
اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين
عنه والضمير في كانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا
بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خايف
من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق
منه وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى
الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم
على الموصول وقال الذي اشتريه من مصر وهو العزيز الذي
كان على خزاين مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن
الوليد العمليقي وقد امن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى
عاش اربعماية سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال
الاباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث
عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي
وهو ابن ماية وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول

فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة و
قيل ذهبا لامراته راعيل او زليخا اكرمي مثويه اجعلي مقامه
عندنا كريما اى حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في
ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه
وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد (من الفراسة) ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز
مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر
وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز
او كما مكنا في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه
من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل
ولنعلمه اى كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس
ويعلم معاني كتاب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبهة على
الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان يحل كما فعل لسنيه
والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه شيء فيما يشاء او على امر
يوسف اراد به اخوته شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطايف صنعه وخفايا
لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف
ما بين الثلاثين والاربعين وقيل بين الشباب ومبداه بلوغ الحلم
اتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما
يعني علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه
تعالى انما اتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقانه في عنفوان امره ورا
ودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها
من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب
قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت
لك اقبل وبادر او تهيات والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين
واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرئ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث
ونافع وابن عامر برواية ابن ذكوان بالفتح وكسر الهاء من غير همزة كعيط وهو
لغة فيه وقرئ هشام كذلك الا انه يهمز وقد روى عنه ضم التاء وقرئ هئت
كجئت وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيا وعلى هذا فاللام من صلته قال
معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي

سيدى قطفير احسن تعهدى اذ قال لك فى اكرمى مثواه فما جزاؤه ان اخونه
فى اهله وقيل الضمير لله اى انه خالقى واحسن منزلتى بان عطف على قلبه فلا
اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة
فان الزنا ظلم على الزانى والمزنى باهله ولقد همت به وهم بها قصدت
مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو
الذى اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد
الاختيارى وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل
من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك
قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه فى قبح الزنا وسوء
مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب
لولا فانها فى حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف
يدل عليه وقيل راى جبرئيل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير
وقيل نودى يا يوسف انت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك
مثل ذلك التثبيت ثبتنا او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة
السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين
اخلصهم الله لطاعته وقرئ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر
فى كل القران اذا كان فى اوله الالف واللام اى الذين اخلصوا دينهم لله
واستبقا الباب اى تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل
معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج
وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق
طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدا
الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب
اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف
واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اى شيء جزاؤه الا
السجن قال هى راودتنى عن نفسى طالبتنى بالمواتاة وانما قال
ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب ولو لم يكذب عليه لما قاله
وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا فى
المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان

الشبق شدة الغلمة وبابه طرب صحاح

الغلمة بالضم شهوة الضراب بمعنى جماع صحاح

غبت بالكسر عاقبته كالمغبتة بالفتح قاموس

اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو
من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع على نفسها او انه
اسرع خلفها فتعثر بذلك نفذ جيبه وان كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه
فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول و
تسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان
ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الى فقد احسنت اليك من قبل فان معناه
ان تمنن على باحسانك امنن عليك باحسانك السابق وقرى من قبل ومن دبر
بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين
فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه
اى قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن
من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم
فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا فى
النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس مسارقة يوسف
حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه
ولا تذكره واستغفرى لذنبك يا راعيل انك كنت من
من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير
للتغليب وقال نسوة هى اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار
غير حقيقى ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها فى المدينة
ظرف لقال اى اشعن الحكاية فى مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة
الحاجب والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب امراة العزيز
تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز
بلسان العرب الملك واصل فتى فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذ قد
شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا
ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هناه
بالقطران فاحرقه انا لنراها فى ضلال مبين فى ضلال عن الرشد
وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه
مكرا لانهن اخفينه كما يخفى الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف
او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن

الشغاف بالفتح غلاف القلب صحاح

قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه
من الوسائد وآتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين
بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فيقع ايديهن على
ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده
على اربعين امرأة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم
كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال ٭ جميل فظللنا
بنعمة واتكأنا ٭ وشربنا الحلال من قلله ٭ وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان القاطع
يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح
وقرئ متكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكا من تكئ يتكأ
اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه
الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة
البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن
من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير المصدر او ليوسف
على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا
الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن
جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات
العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأ ابو عمرو في الدرج
فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب
الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك
وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة
المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف
اي صار في ناحية الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال
غير معهود للبشر وهو على لغة اهل الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي
الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم
ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق
والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه
فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد
الكنعاني الذي لمتنني فيه بالافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو
صورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع

هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على
الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اي ما آمر به فحذف الجار او امري
اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من
الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير
من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون
كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين
قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما
يدعونني اليه اي آثر عندي من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان
هذا مما تشتهيه النفس وذاك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا
لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل
انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك
رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف
عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي
بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى جانبهن او الى انفسهن
بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس
تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهو الشوق واكن من
الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح
او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه
فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن
فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة
للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم
وما يصلحهم ثم بدا لهم ثم ظهر للعزيز و
اهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد
القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره
ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه
زمانا طويلا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن
سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز
ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف

السجن واتفق ان ادخل حينئذ اخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما
يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني في المنام وهو
حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤل اليه وقال
الاخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه
تنهش منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون
تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن يذكر الناس
ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رايناه ان
كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله اي
بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه
يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق
القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم
من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما
على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما ذلك التاويل
مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت
ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون تعليل لما قبله
اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة اباءي ابراهيم
واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت
النبوة ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل
ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم
وتاكيد كفرهم بالاخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك
بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله
علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم
وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس اي المبعوث اليهم لا يشكرون
هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم
بنصب الدلائل وانزال الايات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون
بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي يا
ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة
اهل الدار ءارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام
خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله

الخامل ساقط الذى لا نباهت له بوجه كاره بالكلى دوشكن

ولايقاومه

ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما
من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من
سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق
مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على
استحقاقه الالهية عقل ولا نقل الهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون
عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله فانه المستحق لها بالذات من حيث
انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه
ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم
الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام
الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن على
ان ما يسمونها الهة ويعبدونها لا يستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما
بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين
المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما
يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان
عليه واما الاخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه
فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر
الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان
استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي
ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره
عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر
حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى
الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر
اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله
عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن
سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة
في الجملة لكنها لا يليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين
البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني
ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنى فرجه راى

الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت
المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر
يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر
حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى
السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف
لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع
عجفا لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي
عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا
بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي
مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا
واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي
باللام كاسم الفاعل او لتضمن يعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل
ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه
اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات
وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان
كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام
بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة اي ليس لها تاويل عندنا
وانما التاويل للمنامات الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله
وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد
امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة
بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليهم بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه
امها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون
الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف
فجاءه فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغة في الصدق لانه جرب
احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود
الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون
تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما بالرجوع

فربما

فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دابا اي عادتكم
المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدابون دابا
وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر داب في العمل
وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه
في سنبله لئلا ياكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة
الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك
سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن
فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون
تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث
الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون
ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي
بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل
ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله او يغيث بعضهم بعضا او من اعصرت
السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة
بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة
والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع
في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء
الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق
عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما
جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تانى في الخروج وقدم سؤال
النسوة وتفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد
ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي
مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث
لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فسله ان يفتش
عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما
صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن
عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله
عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن

قال الملك لهن ما شأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه إذ راودتن
يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق
عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز
الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير إذا ألقى مباركه
ليناخ قال: فحصحص في ضم الصفا ثفناته ** وناء بسلمى نوأة ثم صمما ** أو ظهر
من حص شعره إذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول
أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في قوله هي راودتني
عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد إليه الرسول وأخبره بكلامهن
أي ذلك التثبت ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال
من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني أو ظرف
أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة وأن الله لا يهدي
كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدي الخائنين بكيدهم
فأوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد
لأمانته ولذلك عقبه بقوله وما أبرئ نفسي أي ولا أنزهها تنبيها على أنه
لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة
والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه لما قال ليعلم أني لم أخنه قال له جبريل
ولا حين هممت فقال ذلك إن النفس لأمارة بالسوء من حيث
إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في أثرها
كل الأوقات إلا ما رحم ربي إلا وقت رحمة ربي أو إلا ما رحمه الله
من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي
هي التي تصرف الإساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس
يوسف وأضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الإدغام
إن ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر
للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ما استغفره ويرحمه ما استرحمه
مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي أجعله
خالصا لنفسي فلما كلمه أي فلما أتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد
والدهاء قال إنك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين
مؤتمن على كل شيء روي أنه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس
ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ

قد مرّ أن العصمة باب تفعل أي استئناف وابن كثير عامر ... وهو قليل والأكثر ... فاستثناء ...

بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان
قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها
فتعجب منه فقال أحب أن أسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل
وأماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض إليه أمره وقيل توفي قطفير
في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد
منها أفرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الأرض ولني أمرها والأرض
أرض مصر إني حفيظ لها ممن يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها
ولعله عليه السلام لما رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة آثر ما يعم فوائده ويجل
عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية وإظهار أنه مستعد لها والتولي
من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا بالاستظهار به
وعن مجاهد أن الملك أسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الأرض
أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى
وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا
والآخرة ولا نضيع أجر المحسنين بل نوفي أجورهم عاجلا وآجلا
ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش
لعظمه ودوامه وجاء إخوة يوسف روي أنه لما استوزره الملك
أقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت
السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه إليه الناس فباعهم
أولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب
ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الأمر على
الملك فقال الأمر أمرك فأعتقهم ورد عليهم أموالهم وكان قد أصاب كنعان
ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب بنيه غير بنيامين إليه للميرة فدخلوا
عليه فعرفهم وهم له منكرون أي عرفهم يوسف ولم يعرفوه
لطول العهد ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم إياه وتوهمهم أنه
هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه
من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم أصلحهم بعدتهم
وأوقر ركائبهم بما جاؤوا لأجله والجهاز ما يعد من الأمتعة للنقلة كعدد السفر
وما يحمل من بلدة إلى أخرى وما تزف به المرأة إلى زوجها وقرئ بجهازهم
بالكسر قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم روي أنهم لما دخلوا عليه قال

من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق
نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية
فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به
من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم
عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون
قيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم
وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوف الكيل اتمه
وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم
فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي لا تقربوني
ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود
عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه
وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ حمزة والكسائي وحفص
لفتيانه على الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل
بكل رجل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما
وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم
وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون
حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم
يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى
ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين
فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرئ حمزة
والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا
وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا
كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون
فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين
فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حافظا على
التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله
دره فارسا وقرئ وخير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم
وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة
الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد

على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء
ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ
ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على
صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقولهم ما
نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها
ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا
وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت
ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون جملا معطوفة
على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل
يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه
بالرجوع الى الملك او يزداد واليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة
الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه
من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال
لن ارسله معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا
من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله
لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان
يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء
مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم
او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تاويل النفي لا تمتنعون من الاتيان به
الا للاحاطة بكم لقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك فلما
اتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه
وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر
بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان
الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس اثار منها العين والذي يدل عليه
قوله عليه السلام في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات من كل عين
لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضي عليكم بما اشرت
به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضي

من كل هامة وعين لامة

عليكم سواء او لا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون
جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو
للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم و
لما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من ابواب متفرقة في البلد ما كان
يغني عنهم راى يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه
عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصاع في رحله وتضاعفت
المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع
اى ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته ان يعانوا قضاها
اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك
قال ما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس
لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف
اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه
اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان
اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين
منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون
اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب وراحيل
قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا
يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة
في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت تسقى
الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف
جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد
ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية السقاية
والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم
لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اى تتردد
فقيل لاصحابها كقوله عليه الصلوة والسلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصله
فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة
قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اى شيء ضاع منكم والفقد
غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ يفقدون من افقدته اذا
وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح

والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من
الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اوديه الى من رده وفيه دليل على
جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب
والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم
في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي
جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا
فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصاع على حذف المضاف
ان كنتم كاذبين في ادعائكم البراءة قالوا جزاؤه من وجد في
رحله فهو جزاؤه اى جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه
هكذا كان في شريعة يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من
والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه
على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو
كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن
وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا
للتهمة ثم استخرجها اى السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من
وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد
كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه
في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون
الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم
حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه
بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته
وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه عالم بذاته
اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق
لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة
ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا
ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون
يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف
وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة وسطه ثم اظهرت

ضياعها فتفحص عنها فوجدت محذوفة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل
كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق
او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم
اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل
انها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل
من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم
اخاكم او سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر
اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو
يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا
في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه
بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به انا نراك من المحسنين
الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك قال
معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم
على فتواكم فلو اخذنا احدا مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان
مراده ان الله اذن ان اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه
فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيئسوا منه يئسوا من يوسف
واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزي استايسوا بالالف
وفتح الياء من غير همزة واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله خلصوا
انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما
قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو
روبيل او في الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم
قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا
منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم
في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان يكون مصدرية
في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء
والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى
لا ينقص وان يكون موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية
ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن

لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص
اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال
روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت
شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان
بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من
هذا ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب وهو خير الحاكمين لان
حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة
وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع استخرج من وعائه
وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه سرق او سرق
ودس الصواع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك
الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية
التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل
الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير
التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال
بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت
اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما
ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري
صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا
بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم
بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم
كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفى تعالى
فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف
على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزءه كان قاعدة المصيبات
وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث
لم يعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى
الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت
عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادهما
وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء

قف شعره اي قام من الفزع

عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند
الشدايد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب
يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون
فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل
بمعنى مفعول كقوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقا اذا شده على مليه او بمعنى
فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته
ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اى لا تفتؤ ولا تزال
تذكره تفجعا فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي
لديك واوصالي لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات
كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل
الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث
ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقرئ به وبضمتين كجنب او
تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني
همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم
ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه
لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون
من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل
علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا
من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب
الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه
وقرئ من روح الله اى من رحمته التي يحيى بها العباد انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف من رحمته في شيء
من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر
رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة
مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه
تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة
الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل و
تصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما
يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة هل تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه السلام

ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا
ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها علينا فاقبلوا
صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى قال هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلتم باخيه
افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمكم الا بعجز وذلة
اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك
تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم
لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له
ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم
كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك
الطيش الخفة رجل طياش

لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرئ
ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروايه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم
فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة
البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي
ونفخيما الشانه

من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد
من الله علينا اى بالسلامة والكرامة انه من يتق اى يتق الله
ويصبر على البليات او على الطاعات او عن المعاصي فان الله لا يضيع
اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من
جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك
علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان
شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تأنيب
عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد
فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق
بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للاتثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي
هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن
جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر
الصغاير والكباير ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا
اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك
لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون

قوله في القصر اي قصر الصلوة

سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت
في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عم اذهبوا
بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي
كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يرجع بصيرا
واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم
ولما فصلت العير وخرجت من مصر وعمرانها قال ابوهم لمن
حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه
من ريحه حين اقبل اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون
تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحصل من هرم ولذلك لا يقال
عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره
لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك
لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في
محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير
يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه
القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب
نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم
اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وانزال الفرج وقيل اني
اعلم كلام مبتدا والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف
بذنبه ان يصفح عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر لكم
ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى
ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفى
عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة
قايما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى
نزل جبرئيل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك
على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم
فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهزوا اليه بمن
معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين
وسبعين رجلا وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة

وحفدة بفتحتين الاعوان والخدم وقيل ولد الولد واحدهم حافد صحاح

عبق به الطيب بالكسر اي لزق صحاح

الولد يكون واحدا وجمعا وكذا الولد بوزن القفل وقد يكون الولد ولد كاسد واسد صحاح

وبضعة

وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى اوى اليه ابويه ضم اليه
اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله
ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق اولان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة
تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من القحط واصناف
المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان
في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا
له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل
معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته
والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال
يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل رايتها ايام الصبا قد جعلها
ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن
ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية
لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو ومن بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرايض الدابة اذا نخسها
وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب
الا وينفذ فيه مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح
والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة
روي ان يوسف طاف بابيه عليهما في خزاينه فلما دخل خزانة القرطاس
قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل
قال امرني جبرئيل قال او ما تساله قال انت ابسط مني اليه فسأله قال جبرئيل
الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني رب
قد اتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل
الاحاديث الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل
فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى
او باضمار اعني انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والاخرة
اي الذي يتولاني بالنعمة توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين
من ابائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه
اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به
ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك

اشتاقت

انخرنتني وبي الانخراب ذا البرد انخس صحاح

نخسه بالعود صحاح

المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا
بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه
الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان
عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افراثيم وميشا وهو جد
يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف
والخطاب فيه للرسول وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك
خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل
عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف
حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه
ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك
فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت
على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم
على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من اجر جعل كما يفعله
حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين
من آية وكم من آية والمعنى وكأي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود
الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون
عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ وخبره يمرون فيكون
لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤن الارض وقرئ والارض يمشون
عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله
في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او
باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى
الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل
في اهل الكتاب افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة
تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة
وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين قل هذه سبيلي يعني
الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا
الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء

انا تأكيد للمستتر في ادعوا او على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة
ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين
وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء
ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم
كما اوحي اليك ويتميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن
ووافقه حمزة والكسائي في حرف الثاني في سورة الانبياء وحمزة والكسائي
يميلونها على اصلها هنا وفي النحل والاول من الانبياء افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل و
الآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا
عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الآخرة خير
للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون فيستعملون عقولهم
ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله
قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل
غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تماديا اياهم فان من قبلهم امهلوا حتى
ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين
متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين
حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم
اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل
الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا
فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل
ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس
في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال
على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان
قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي
وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له
اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم
للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ
ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا
ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئة

لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او قصة يوسف و
اخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب
الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القران حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل
كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القران
بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها
خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت
يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك
آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك
الآيات آيات السورة الكاملة او القران والذي انزل اليك من ربك
هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى
الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة
على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا
فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل
بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر
والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ وخبره ويجوز
ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع
عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها
لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على
وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في
حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص
ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى
هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ
والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة
المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري

الى اجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها
سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته
من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات
ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء
ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر
على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي
مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها
الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع
راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى
الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن
كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي
وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود
والابيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو
مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد
ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصيصها
بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها
وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها
رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس
ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك
لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها
بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة
في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل
وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر
في اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل
بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير
صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو
لغة تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا
مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب

الا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرئ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى
بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله
يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق
بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء
عليه والايات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان
الاعادة من حيث انها تدل على كمال قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته
ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل
في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا
بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم
مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل
لتخصيص الخلود في النار بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل
الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب
الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم
من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة
بفتح الثا وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه
المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات
بالتخفيف والمثلات باتباع الفا العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع
والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل
فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التايب ليس
على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغاير المكفرة لمجتنب الكباير او اول
المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار
او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا
احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين
كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لعدم اعتدادهم بالايات
المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام انما
انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان

بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد
نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم
الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته
بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه
وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان
اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق
قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله
على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام
وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى
مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة
روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده
لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رض وقال الشافعي رض
اخبرنا شيخ باليمن ان امراته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان
دم الحيض وازدياده وغاض جا متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى
وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان يكون مصدرية واسنادهما
الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيهما وكل شيء عنده بمقدار بقدر
لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص
كل حادث بوقت وحال معينين وهيا له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك
عالم الغيب الغايب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم
الشان الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او
الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول
في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل
طالب للخفا في مختبا بالليل وسارب بالنهار بارز يراه كل احد
من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى
الاثنين كقوله " نكن مثل من يا ذيب يصطحبان " كانه قال سوا منكم اثنان
مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال
علمه وشموله له لمن اسر او جهر واستخفى او سرب معقبات
ملايكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جا على عقبه
كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب

فادغمت التاء في الكاف واللام للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقب
جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين من بين يديه
ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله
من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون
احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية
لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في
توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى
يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب و
ما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على
ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا
في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التأويل
بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوي او اطلاق
المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع
فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو
وهي جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم الجنس في معنى الجمع و
يسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون
بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته
ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول نعمته وعن ابن عباس سئل النبي صلى الله
عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق
بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير
للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم
يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم
والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة
على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد
وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة
ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول فقال اللهم اكفنيهما
بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتله ورمى عامرا بغدة فمات

في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت
وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده
وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط
وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس
ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون
بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد
وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد
او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده
ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما
من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة
الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به
محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة
فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله بحلول محاله بهم وتهديدهم
باجابة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم او بيان ضلالهم وفساد
رأيهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون
فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول
للدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات
الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء
ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر
بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك وقيل
شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط
كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالياء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين
الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في
السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على
حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي
الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم
بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤوا او كرهوا وانقياد
ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال
او العلة وقوله بالغدو والاصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام

سجده

او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو
جمع غداة كقنى وقناة والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب
وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل
من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب
عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب
به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد
عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون
ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير
ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء
رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل
بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم
والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك
والتوحيد وقرئ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء
بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في
حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا
لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما
خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين
لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله
خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة
ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد
المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء
من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت
اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه
واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع
بقدرها بمقدارها الذي علم انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر
والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان
رابيا عاليا ومما يوقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب
والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء
حلية طلب حلي او متاع كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود

حلية

من

من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد
الماء وهو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرئ حمزة والكسائي وحفص بالياء
على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل
مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به
الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض
بان يثبت في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى
والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم
ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين
ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفاء به اي يرمي به السيل
والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما
ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع
به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين
استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة
الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب
على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر
الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو ان لهم
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول
كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب
وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ومأويهم
مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف
افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن
هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة للانكار ان يقع
شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب
ذوو العقول المبرأة عن مشابعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون
بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا
بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من
المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين
يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين
والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة حقوق جميع الناس

حب

ويخشون ربهم وعيده عموماً ويخافون سوء الحساب خصوصاً
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه
النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلباً لرضاه لا للجزاء وسمعة
ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم
بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سراً لمن لم يعرف بالمال وعلانية
لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون
الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم
عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة
خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب
فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل
من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون
فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم
عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه
والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لهم وتعظيماً
لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك
الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة
زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب
الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما
صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان
الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم
بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل حركتها الى الفاء وبغيره والذين
ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من
بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك
لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في
مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط
في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع

لا منفعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا
من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستجلبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر
قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور
المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل على الحق ورجع عن العناد
وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم
ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت
كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا
بدل من من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انساً به
واعتماداً عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر
دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو
اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين
آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو
فعلى من الطيب قلبت ياؤه واواً لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى
وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب
بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك
في امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس
ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم
الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم
انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء
رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصاً ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن
الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي
مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربي اي
الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا يستحق العبادة سواه
عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم
ولو ان قرآناً سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه
تعظيم شان القرآن او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان
كتاباً زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت
من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهاراً وعيوناً او كلم به

الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القران لانه الغاية
في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما امنوا به لقوله تعالى ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك
فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى يتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطايع
او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا من كانه قصي بن كلاب
وغيره من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطع الارض قطعها
بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما
اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكور الحقيقي بل لله الامر
جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي
اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الايات لكن الارادة لم تتعلق
بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين
امنوا عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم
يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا
افلم تتبين وهو تفسيره وانما استعمل الياس بمعنى العلم لانه مسبب عن
العلم فان المأيوس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ان
لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس
لعدم تعلق المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف وتقديره
افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
او بامنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر
وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من
دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية في كفار مكة
فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله فانه عليه السلام كان لا يزال
يبعث السرايا فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون
تحل خطابا للرسول فانه عليه السلام حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية
حتى ياتي وعد الله الموت او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف
الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك
فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد
للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان
في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم اقول

هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير او شر
لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف
تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استيناف او عطف
على كسبت ان جعلت ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه
ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة قل
سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم
فانظروا اهل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام
تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض
بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها
لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونها شركاء
بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا
احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين
كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا باطلا ثم خالوه او كيدهم للاسلام بشركهم
وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرئ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن
عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد
بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى
لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وساير ما يصيبهم من
المصايب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من
الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي
وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف
عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من
تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر وعلى حذف موصوف
اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول
سيبويه حال من العايد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها
وظلها وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة
الموصوفة عقبى الذين اتقوا مالهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين
النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين
اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب
كابن سلام واصحابه ومن امن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران

وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق
كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من
ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او يوافق ما حرفوه منها قل انما
امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما
انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما
ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في
جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعوا لا الى
غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه
بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فيما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى
لانكارهم المخالفة فيه وكذلك ومثل الانزال المشتمل على اصول الديانات
المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما يقتضيه الحكمة
عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال
ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة
الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك
من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم
لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك
وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي باية يقترح عليه
وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه الملي بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت
وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحوا الله ما يشاء
ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما يقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب
ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره
مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو
الفاسدات ويثبت الكائنات وقرئ نافع وابن عامر والكسائي ويثبت بالتشديد
وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو
مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف
ما دارت الحال اريناك بعض ما اوعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ
لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل

بعذابهم

بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه اولم يروا انا نأتي الارض ارض
الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم
لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفوا غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم
للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل
لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب
فيحاسبهم عما قليل في الاخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا
وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر
جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه
دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم
الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم
في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم والّلام تدل على ان المراد بالعقبى
العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرئ ابن كثير ونافع
وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر
اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست
مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليه
ومن عنده علم الكتاب علم القران وما الف عليه من النظم المعجز او علم
التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى
بالله الذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي
الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول
مرتفع بالظرف فانه يعتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف
خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم على الحرف والبناء للمفعول
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل
سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك
لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع

سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون اية

الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبرئيل او كل نبي بلغة

المنزل

المنزل عليهم وذلك يرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقايعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من ال فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مفعول قول مقدر او مفعول تأذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين

فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود بحمد الملائكة
وينطق بنعمته ذرات المخلوقات فاضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها
مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم
قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا والذين من بعدهم
عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله
ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات
فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله
تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء
عليهم كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا
بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه
او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا
وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما
اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها
فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به
على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا
بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان
لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على
الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل
الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات
والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى
الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته
لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم
وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب
الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه
ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت
في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ويجوز ذلك
فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه
الله وجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا

فلم يخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث
من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا
بهذه الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم
لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات
والحجج واقترحوا عليهم ايات اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان
نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله
ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض
بمشيته تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي
ليس الينا الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا حتى ناتي بما اقترحتموه
وانما هو امر يتعلق بمشية الله فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فليتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا
الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى
قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد
هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرئ ابو عمرو
بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما اذيتمونا جواب
قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار وعلى الله
فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم
المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم
للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم
قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن امن معه فغلبوا الجماعة على الواحد
فاوحى اليهم ربهم الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول
او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم
اي ارضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا
لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو
اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي
وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي

لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اى وعيدى بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى اعدائهم والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اى ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح اذ معنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اى من بين يديه فانه مرصد واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير فى يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اى اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنيهم التى ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهى على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرئ الرياح فى يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه

كملهوف المظلوم يستغيث
صحاح

اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شئ لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرئ حمزة والكسائى خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اى يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شئ من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولة والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب لاغنا قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه

عنكم كما عرضنا كم له لكن سددونا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى
ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون
مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام
الفريقين ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة
عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون
سواء علينا وقال الشيطان لما قضى الامر احكم وفرغ منه
ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين
ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو
الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب
وان كان فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده
كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم
الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو
ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز
ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا
تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك و
لوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم
واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها
ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو
الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب
وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرئ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء
الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث
كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحرى ان
لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى
الهاء والكاف في ضربته واعطيتكما وحذف الياء اكتفاء بالكسر اني كفرت
بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني
اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت
منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة
بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت

بالذى

بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة
الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لادم واشرك
منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب
اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف
للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ
ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام
اي تحيتهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا
كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة
كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا
من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول
مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها
ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء
ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه
الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك
قيل انه اقوى ولعل الثاني تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين اقته
الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال
للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير
للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة
خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق
الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف
في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام
والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق
ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح
والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة
وروى ذلك مرفوعا والشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث
ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا

فلا يزلون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وَفِي الْآخِرَةِ فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيمة روى انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد عليه السلام فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ من تثبيت بعض واضلال اخرى من غير اعتراض أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين للكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ الذين شايعوهم في الكفر دَارَ الْبَوَارِ دار الهلاك بحملهم على الكفر جَهَنَّمَ عطف بيان لها يَصْلَوْنَهَا حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم وَبِئْسَ الْقَرَارُ اي وبئس المقر جهنم وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ الذي هو التوحيد وقرئ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قُلْ تَمَتَّعُوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور من امر مطاع قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سِرًّا وَعَلَانِيَةً منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه وَلَا خِلَالٌ ولا مخالة فيشفع لك خليلك او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مبتدأ وخبر وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ بمشيئته الى حيث توجهتم وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود في كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موقع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها

فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان
الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها
للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار
في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة
امنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا ان المسؤل
في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره امنا وفي الثاني جعله من البلاد الامنة
واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها
في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني
شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم وهو
بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل
لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار
ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن
كثيرا من الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن
واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا
فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين
ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء
او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك
الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي
اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد
منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة
فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به
او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك
سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك
باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم
عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها
فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا
لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك
نشركك في البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي
متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق

الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها
المقصودة بالذات من اسكانهم ثمه والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل
لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل
من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة
الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه
فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني
سقيم اي افئدة ناس وقرأ هشام افئدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ
افدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كادر في ادور وان يكون اسم
فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة
للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد
تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ تهوى على البناء
للمفعول من اهوى اليه واهواه غيره وتهوي من هوى يهوي اذا احب
وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع
سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب
الله دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه
الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي
وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا
وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك
وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة
وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في
التضرع واللجأ الى الله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الارض
ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي تستوي نسبته الى كل معلوم
ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي
وانا كبير ايس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا
لما فيه من الاية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع
وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء
اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة
عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على
المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله

حين ما وقع الناس منه ليكون من اجل النعم واجودها رَبِّ اجْعَلْنِي
مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ معدلا لها مواظبا عليها وَمِن ذُرِّيَّتِي عطف
على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله تعالى او استقراء
عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ
واستجب دعائي او وتقبل عبادتي رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وقرئ
لابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما ادم وحوا
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ يثبت مستعار من القيام على
الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف او
اسند اليه قيامهم اليه مجازا وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ خطاب لرسول الله والمراد به تثبيته على ما عليه من انه
مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعد بانه معاقبهم على قليله
وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل
انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ يؤخر عذابهم وعن ابي
عمرو بالنون لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ اي تشخص فيه ابصارهم
فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مُهْطِعِينَ مسرعين الى الداعي
او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال
على الشيء مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ رافعيها لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ
بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا
الى انفسهم وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ اخلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة
والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء لا راي فيه ولا قوة
قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق
وَأَنذِرِ النَّاسَ يا محمد يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ يعني يوم القيمة
او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فَيَقُولُ
الَّذِينَ ظَلَمُوا بالتكذيب والشرك رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ
اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او
اخر اجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نُّجِبْ دَعْوَتَكَ
وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق
واكن من الصالحين أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ
على ارادة القول وما لكم جواب القسم جا بلفظ الخطاب على المطابقة دون

الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا يزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا
او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون
الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحال الى حال اخرى كقوله تعالى
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان
يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فجرى مجراه كقولك
سكنت الدار وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ بما تشاهدون في منازلهم
من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ
من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات
ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ
المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ
ومكتوب عند الله فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم
وابطالا له وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ في العظم والشدة لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ
مسوى لازالة الجبال ومعدا وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه
وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا
وتمكنا من ايات الله وشرايعه وقرا الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة
واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة
من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ
رُسُلَهُ مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف
رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله
تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذُو انتِقَامٍ لاوليائه من
اعدائه يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ بدل من يوم ياتيهم او ظرف
للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف
لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وَالسَّمَاوَاتُ عطف على الارض وتقديره
والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم
بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة
خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله تعالى يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ

والآية تحتملهما فمن علي رضي تبدل ارض من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود
وانس رضي تحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس
رضي هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه
السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا يرى
فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل
ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات
الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله تعالى ان كتاب
الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته
ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله
تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب
فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين
قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله تعالى واذا
النفوس زوجت او قرنوا مع الشيطان او مع ما اكتسبوا من العقايد
الزايغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال
وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في
الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل
قال سلامة بن جندل ؛ وزيد الخيل قد لاقى صفادا ؛ يعض بساعد وبعظم ساق ؛
واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين
فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته
وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى
يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن
ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت
وبين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات
الردية والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن
يعقوب قطران والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة
حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم اي
وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا به الى الحق ولم يستعملوه في تدبر مشاعرهم
وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة من المعرفة
مملوة بالجهالات ونظيره قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة

سجين بتخفيف [illegible] وفيه لغات ولغات [illegible]

وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي
يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة
او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون
لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب
لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القران او السورة
او ما فيها من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله فلا تحسبن الله بلاغ
للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف
اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ
ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح
الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر
والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر
اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه
سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب
تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد
واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله
من الفائزين بهما ؛ وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى
من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقران مبين
الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم
اي آيات الجامع لكونه كتابا وقرانا بينا للرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند حلول
النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرئ نافع وعاصم ربما بالتخفيف
وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد
والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على
الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي
في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له
فرجة كحل العقال ومعنى التعليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام

مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال
القيمة فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادهم
كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا
بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة
الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا
جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بانهم
من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة
وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى
جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون
ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف
ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اي وما يستاخرون
عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه
الذكر نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له
وهو قوله انك لمجنون ونظيره ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل
عليك الذكر اي القران لوما تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين
امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقك ويعضدك
على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك
كما كانت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك
ما ننزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرئ حمزة والكسائي
وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبنا للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل
بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره
واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا
لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له
بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب
لهم وجزاء الشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن
نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره
بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة بان جعلناه معجزا

مباينا للكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسن او نفي تطرق الخلل
اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير
في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك
في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة
على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار
فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم
وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا
على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب
المجرمين والسلك ادخال الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون
والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر
فان الضمير الاخر في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير
والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن
به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب
الضماير توافقها في الرجوع اليه ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير
لجواز ان يكون الجملة حالا من المجرمين ولا ينافي كونها من المجرمين مفسرة للمعنى
الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان
خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون
وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من
السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون عليها ويرون عجائبها طول
نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا
من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت
عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت
من السكر ويدل عليه قراءة من قرا سكرت بل نحن قوم مسحورون
قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر
والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل ما خيل
اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة
الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها
بالاشكال والهيئات البهية للناظرين للمعتبرين المستدلين بها على قدرة

مبدعها وتوجد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر
ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا
من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به
خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال
من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رض انهم كانوا لا يحجبون من السموات
فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث السموات فلما ولد محمد صلى الله
عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون
لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه
فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة
وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها
بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في
الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين
تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن
ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش
تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن
لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال
والخدم والمماليك وساير ما يظنون انهم يرزقونها ظنا كاذبا فان الله
يرزقكم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار
وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان
المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي
حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه
ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء
الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن
مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى
كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة
وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا
على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح
لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه
ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر او السحاب ونظيره الطوايح بمعنى

استرق السمع اي سمع مستخفيا صحاح

قطن بالمكان اقام به وتوطنه فهو قاطن وبابه دخل وجمعه قطان صحاح

خلس الشيء من باب ضرب واختلسه وتخلسه اي استلبه صحاح

المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوايح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل
الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا
وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته
لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل
على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على
وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حده
لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام
القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوان والنبات وتكرير الضمير
للدلالة على الحصر ونحن الوارثون اي الباقون اذا مات الخلايق
كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين
من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن
لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تأخر
لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال
قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء
كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم
لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم
لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير
وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال
قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم
باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا
الانسان من صلصال من طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر
وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حمإ طين تغير
واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ
مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور
كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحمأ
فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك
طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر
على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا

والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من
الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة
كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل
من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذة من
المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة
فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي
الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب
ومساق الاية كما هي للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين
فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول
المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني
خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته
عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي
حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف
جسم اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب
ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجويف الشرايين
الى اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كما مر
في سورة النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع
يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في
التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم
سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا
لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون
مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا
على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون
اي غرض لك في ان لا يكون مع الساجدين لادم قال لم اكن
لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر
جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حماء
مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص
ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف
قال فاخرج منها من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم

مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب
وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هو
الطرد والابعاد الى يوم الدين منتهى امد اللعن فانه لا يناسب
ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان
لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به
لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير
كالزايل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بالمحذوف
دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد
فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى
الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم المسمى اجلك فيه عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة
الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيمة
واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات يعبر عنه اولا بيوم الجزاء
لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس
عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك
ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلايق في تضاعيفه وهذه
المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله
تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء
للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى
اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله
اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية
والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود
لادم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له
وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني ادم بان الله تعالى علم منه
وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان
في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك
لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين
على الغواية الا عبادك منهم المخلصين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم
من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل

القرآن أي الذين أخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي أن
أراعيه مستقيم لا انحراف عنه والإشارة إلى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص
المخلصين من إغوائه أو الإخلاص على معنى أنه طريق علي يؤدي إلى الوصول إلي من
غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف إن عبادي ليس
لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين تصديق
لإبليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولأن المقصود
بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم أو تكذيب له فيما أوهم أن له
سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فإن منتهى تزيينه التحريض والتدليس
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون
استثناء منقطعا وعلى الأول يدفع قول من شرط أن يكون المستثنى أقل
من الباقي لإفضائه إلى تناقض الاستثناءين وإن جهنم لموعدهم لموعد
الغاوين أو المتبعين أجمعين تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعد
إن جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الإضافة إن جعلته اسم مكان
فإنه لا يعمل لها سبعة أبواب يدخلون فيها لكثرتهم أو طبقات
ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم
سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات
في الركون إلى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية أو لأن
أهلها سبع فرق لكل باب منهم من الأتباع جزء مقسوم
أفرز له فأعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين
وقرأ أبو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الزاي
ثم الوقف عليه بالتشديد ثم إجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه أو من
المستكن في الظرف لا في مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها
إن المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فإن غيرها مكفرة في
جنات وعيون لكل واحد جنة وعين أو لكل عدة منهما كقوله ولمن
خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي
وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص
وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها
على إرادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على أنه ماض فلا يكسر التنوين

بسلام

بسلام سالمين أو مسلما عليهم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا
في الدنيا بما ألف بين قلوبهم أو في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم
من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان
وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب إخوانا
حال من الضمير في جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير في آمنين أو الضمير
المضاف إليه والعامل فيها معنى الإضافة وكذا قوله على سرر متقابلين
ويجوز أن يكونا صفتين لإخوانا أو حالين من ضميره لأنه بمعنى متصافين
أو يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها نصب
استئناف أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين وما هم
منها بمخرجين فإن تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي أني أنا
الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم فذلكة
ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد
بالمتقين من يتقي الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته
بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف
ونبئهم عن ضيف إبراهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون
به إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما أي نسلم عليك سلاما أو
سلمنا سلاما قال إنا منكم وجلون خائفون وذلك لأنهم دخلوا
بغير إذن وبغير وقت أو لأنهم امتنعوا من الأكل والوجل اضطراب النفس
لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تأجل ولا توجل من أوجله ولا تواجل
من واجله بمعنى أوجله إنا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي
عن الوجل فإن المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام
وهو إسحاق لقوله فبشرناها بإسحاق عليم إذا بلغ قال أبشرتموني
على أن مسني الكبر تعجب من أن يولد له مع مس الكبر إياه أو إنكار
لأن يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون أي
فبأي أعجوبة أو فبأي شيء تبشروني فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه
عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن
على إدغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف
نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بإبقاء نون الوقاية على الياء
قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة أو باليقين الذي لا لبس فيه

او بطل يقيني حق وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين
من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز
عاقر وكان استعجاب ابراهيم عم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك
قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق
المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر
وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون
اى فما شأنكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود
ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا يحتاج الى العدد ولذلك
اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف
الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها قالوا انا
ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان
كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء
من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين
وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط
منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين
اى مما يعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل
بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا
امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم
لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ حمزة والكسائي
لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك
معهم وقرئ ابو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق
والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا
اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار
غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله لما لهم من القرب والاختصاص
فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم
نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما
كانوا فيه يمترون اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما
يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه

وأتيناك

وأتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك
به فأسر بأهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف
من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل وطائفة
من الليل وقيل في آخره قال الشاعر: افتحي الباب وانظري في النجوم، كم علينا
من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع
بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى
من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف
لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم على
المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه
وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف
على الاتساع وقضينا اى اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي
بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله
النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف
والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين
داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل
على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة
سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان
هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى
ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون
ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهي
الحياء قالوا او لم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع
بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه
بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي
يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في هود
ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة
المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له
ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار
الاخف فيه لانه كثير الدور على ألسنتهم انهم لفي سكرتهم لفي
غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب

الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل
الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة
مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت
منقلبة بهم عليهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين
عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود
ان في ذلك لايات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون
في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى
لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون اثارها ان في ذلك
لاية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين
هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه
فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك
وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا
اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الاخر لبامام مبين لبطريق واضح
والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح لانها مما يؤتم به
ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب
واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن
معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها واتيناهم اياتنا
فكانوا عنها معرضين يعني ايات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة
وسقيها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من
الجبال بيوتا امنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء
لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم
الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت
الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد
ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة
فسادهم من الارض وان الساعة لاتية فينتقم الله لك فيها ممن
كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم
معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك

هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم
بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم
الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو الخالق
وهو يصلح للكثير والقليل والخلاق يختص بالكثير ولقد اتيناك
سبعا سبع ايات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها
الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية
وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع
من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى
تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز
ومثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد
بالمثاني القران او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض والقران العظيم
ان اريد بالسبع الايات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على
الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الاخر لا تمدن
عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم
اصنافا من الكفار وفي حديث ابي بكر من اوتي القران فراى ان احدا اوتي
فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيه فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات
من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه السلام
وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب
والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا
بها ولانفقناها في سبيل الله فقال الله لهم لقد اعطيتكم سبع ايات وهي
خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل
انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق
بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله
نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي
انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا
عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان
بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا
على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه
ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم اهل الكتاب الذين
جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل

وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القران ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الى اخره اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا القران عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا يلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدي بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القران والاستهزاء فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا لله على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه

كل الخلق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار

سورة النحل مكية غير ثلاث ايات في اخرها وهي مائة وثمان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة واهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الاتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تنزه وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرئ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انها نزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القران فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي علم به الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرئ ابن كثير وابو عمرو وينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر ينزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والاية تدل على ان نزول الوحي بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والايات التي بعدها تدل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع

خلق السموت والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها الحكمة تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس بها ولا حراك سيالة لا يحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مناظر مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يوكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الاي او لان الاكل منها هو المعتمد المعتاد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم يكن الانعام ولم تخلق فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها

موهوما دا اي المعتمد عليه

وصف له

لابقائكم

او مصدر اي في موضع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها واستدل بها على حرمة لحومها ولا دليل فيها اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهديكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهديكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرئ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يوكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض ويتصل بها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة

وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل على السوا اعلم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس على منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف النوع وقرئ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرا لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم يسرع اليه الفساد فتسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك والجيب عنه مبني الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسه نساؤكم فاسنده اليهم لانهن من جملتهم ولانهن تتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي

يعرفون

يعرفون نعم الله فيقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه انه قرئ بالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة تشبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها

على ان وراء ما عدّد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور
حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه و
لا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
من عقايدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين
تدعون من دون الله اى والالهة الذين تعبدونهم من دونه وقرئ
ابو بكر يدعون باليا وحفص ثلاثتها باليا لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة
بين من يخلق ومن لا يخلق بين انها لا يخلق شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد
ذلك بان اثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات
ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات
هم اموات لا تعتريهم الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول
كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون
ايان يبعثون وهم لا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم
وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب
والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد
تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم
منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق
وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع
فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان
اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع
الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك
رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل
انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او
اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او
الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اى ما تدعون
نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض
اى على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اى قالوا ذلك اضلالا للناس
فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن

اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة
التسبب بغير علم حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفايدة
الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ان يميزوا بين المحق والمبطل
الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من
قبلهم اى سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم
من القواعد فاتاه امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر
عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل
التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف
ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم
يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله تعالى ربنا انك من
تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاءى اضافه الى نفسه استهزاء
او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم
تعادون المؤمنين في شأنهم وقرئ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان
مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء و
العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او
الملائكة ان الخزى اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين
وفايدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه
الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة باليا وقرئ بادغام التاء في التاء و
موضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمى انفسهم بان عرضوها
للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما
كنا نعمل قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون
تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اى فيجيبهم
الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل
قوله فالقوا السلم الى اخره الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم
القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن
في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا ويحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله تعالى
او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابه المعد له وقيل
ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين

جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
اى انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال
معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام
الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له
ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة خير اى ولثوابهم في الاخرة
خير منها وهي عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية
لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين
دار الاخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف
ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار
لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان
الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين
مثل هذا الجزاء وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين
طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل
فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم
بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين يبعثون فانها معدة لكم على
اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل
ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض
ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيامة او العذاب
المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين
من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم
سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية
الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه
والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما
عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه
من شيء انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة والتكليف متمسكين
بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر

عليهم

عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء
الله صدورها عنهم ولو شاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح
اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهتين كذلك فعل الذين
من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على
الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في
هدى من يشاء هداه ولكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه
انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت
به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال
لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف
ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت بان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم
من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت
عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد
الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعله تعالى وارادته
من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى فسيروا في
الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم
فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت
عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما
لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا
بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده
ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم الله وعدا مصدر مؤكد
لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه حقا انجازه
لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى
للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم
بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف
فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اى يبعثهم
ليبين لهم بعض الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين

تلعثم في الامر اذا تمكث فيه صحاح
وفد فلان على الامير اي ورد رسولا فهو وافد صحاح

كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي
الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل
بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون وهو بيان امكانه وتقديره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته
ومشيته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين
الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن
والكسائي هنا وفي يس فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى
المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله
اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي
المدينة او تبوئة حسنة ولأجر الاخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن
عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه
هذا ما وعدك في الدنيا وما ادخر لك في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون
الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهم لهؤلاء المهاجرين خير الدارين
لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين
صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع
على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين الامر
كله اليه وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش
الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة
العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة
الانعام فان شككتم فيه فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار
ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة
ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا فمعناه رسلا الى الملائكة
او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما
روي انه عليه السلام راى جبريل عليه السلام على صورته التي هو عليها مرتين
وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم
بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال ثم ارسلوا ويجوز

ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا
بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين
بالبينات او بيوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله
فسئلوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا
اليك الذكر اي القران وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين
للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به و
نهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد
الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون و
ارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افأمن الذين مكروا السيئات
اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا
رسول الله وراموا صد اصحابه من الايمان ان يخسف الله بهم الارض
كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم اي
متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على
تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم
متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا
من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رض قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا
فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب
ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته "تخوف الرحل
منها تامكا قردا" "كما تخوف عود النبعة السفن" فقال عمر رض عليكم بديوانكم
لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني
كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكاري اي قد راوا
امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره
فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيؤا ظلاله اي اولم ينظروا
الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة عن اليمين والشمائل عن
ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان
وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد
الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما

سجده

حال من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع
او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه
ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع
الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها
بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة
على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجدين والاجرام في انفسها ايضا داخرة
اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من
جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين و
الشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في
الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال
في اول النهار تبتدي من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند
الزوال تبتدي من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله
يسجد ما في السموات وما في الارض اى ينقاد انقيادا يعم
الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح
اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما
لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت في ارض او سماء والملائكة
عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات
على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في
الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او
المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل
لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء
وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم
يخافون ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله
تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون
او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون
ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون
مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين
ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او
ايماء بان الاثنينية تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله

واحد

واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه
على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة
الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كأنه قال فانا ذلك الاله
الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض
خلقا وملكا وله الدين اى الطاعة واصبا لازما لما تقرر
من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اى وله
الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن
وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره
كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اى واى شيء اتصل بكم من نعمة
فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار
دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله
لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون
الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف
الضر عنكم اذا فريق منكم وهم كفاركم بربهم يشركون
بعبادة غيره هذا اذا كان عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان
كأنه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون للتبعيض على ان يعتبر
بعضهم كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما
آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او
انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون
اغلظ الوعيد وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا
وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب
ويجعلون لما لا يعلمون اى لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون
الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم
وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية
والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزرع و
الانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها آلهة
حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات
كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له
من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيها

يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى
الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد
لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر
بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة
والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم
مملو غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء
ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا
في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه فيئده
وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما
يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين
لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهو الحاجة الى
الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث
ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي
والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفة المخلوقين وهو
العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض
وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس او الدابة عليها من دابة قط
بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم
او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء
اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل
هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم
اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف
اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون
اي ما يكرهون لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف
بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب مع
ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة
لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم

مفرطون

مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع
بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته
في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا
الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها
وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم
عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيمة على انه حكاية حال
ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة
المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف
اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ
الوجوه ولهم عذاب اليم في القيمة وما انزلنا عليك
الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر
واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله
انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت
فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون
سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها
من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة
وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان
الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق
واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون
جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر
وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين من بين فرث
ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في
الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه
لبنا واعلاه مادة الدم ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة
اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش
بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث
ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة

الممتزجة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من الحرارتين وتدفعها الى الكلية والمرارة
والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير
الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء
البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزايد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل
انصب ذلك الزايد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحمها الغددية
البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان
واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها
كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن
الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك
سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدئ منه الاسقاء وهي
متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع
العبرة خالصا صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رايحة الفرث او
او مصفى مما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين
سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن
ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات
النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا
استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر
لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون
منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي
هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا
حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم
الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ
وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل
ما يستدعي الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في
ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل
في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ
النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان يكون مفسرة
لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من
الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها

لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرشون من كرم او سقف ولا في كل مكان منها
وانما سمي ما تبنيه فيتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة
وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالات وانظار دقيقة
ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء للياء وقرئ ابن عامر و
ابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها
مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي
يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في
عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك و
لا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله
وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج
من بطونها عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام
عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه
مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل ياكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل
في باطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء
طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا
فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه
مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن
النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية
او مع غيره كما في ساير الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع
ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة
ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه
فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب
واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله
فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقران او لما بين الله من احوال
النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص
النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له
من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفيكم باجال
مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني
الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون

سنة وقيل خمس وسبعون سنة لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير
حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم إن الله عليم بمقادير
اعمارهم قدير يميت الشارب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان
تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم
على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ
والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير
ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم خلاف
ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما
ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله
في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم
فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان يكون واقعة موقع الجواب
كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا
في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته
في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم
فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي
ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحد انه من عند الله او حيث انكروا
امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر
وقرئ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل
لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا بها وليكون اولادكم
مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة
واولادا اولادا او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن
في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز
ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من
الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان المذوق في
في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام
تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة
الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل
الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة
او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك

لهم رزقا من السموات والارض من مطر ونبات ورزقا ان جعلته
مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون ان يملكوه
او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد
في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم متصرفون
شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له
مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان
الله يعلم فساد ما يعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك
ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون
ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او لانه يعلم كنه الاشياء
وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال
فانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم تضرب فضرب مثلا
لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر
على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا
وجهرا هل يستوون مثل ما تشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف
رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف
وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما
في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات
وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن
الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب
القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف
يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع
الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد
الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها
بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها
وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم و
لا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان
عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه
حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه
كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يات بخير

ينجح وكفاية منهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو
منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل
وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه
الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال
المشاركة بينه وبينها او للمؤمنين والكافر ولله غيب السموات والارض
يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا
ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض
وما امر الساعة وما امر قيام الساعة في سرعته وسهولته الا كلمح
البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها
اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدأ فيه
فانه يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل
معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي يقولون فيه
هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير
فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته
فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرئ الكسائي بكسر الهمزة
على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها
في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية و
جعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون
بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات
ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا
من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما
انعم الله عليكم طورا فطورا فتشكروه الم يروا الى الطير قرأ ابن عامر
وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء
في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل
جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان
في ذلك لآيات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها
الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف

طبعها

طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من
بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة
من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف
والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها
تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم
وقت ترحالكم ووضعها او ضربها ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول
وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بفتح العين وهو لغة فيه ومن
اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل
والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش
ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى
مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل
لكم مما خلق من الشجر والجبال والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر
الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف
والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف
والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين
عن الآخر او لان وقايته هي كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم
يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام
هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي
تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة
اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك
وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا
منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ
وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله
اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها
من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا
او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد
المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم

لم يعرف الحق لنقصان العقل او للتفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف
واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من
كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن
للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة
ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به
من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى
وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكروا وخوفهم او يحيق وكذا
قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف
عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى الذين
اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين
شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين
كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا
مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول
انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم
حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع
انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه لقوله تعالى
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى
الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون
من ان الهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر
زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما
كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث
في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة
بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك
ونزلنا عليك الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا
بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة
الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم
من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل

بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك
والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد
باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط
بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب
الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى
واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة
وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوانية
كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على
متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء
على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية
ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر
بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رض
هي اجمع اية في القران للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن
مظعون ولو لم يكن في القران غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيان
كل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا
عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير
والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني
البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله
اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا
الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها توثيقها
بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه
ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا
كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد
قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا
طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني
نقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل

بنى ربطة بنت سعد بن تميم القرشية فانها كانت خرقا تفعل ذلك تتخذون

ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير فى ولا تكونوا او فى الجار الواقع موقع

الخبر اى ولا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلا

بينكم واصل الدخل ما يدخل الشئ ولم يكن منه ان تكون امة هى اربى

من امة بان تكون جماعة ازيد عددا او فرما لان من جماعة والمعنى لا تغدروا

بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا

راوا شوكة فى اعادى خلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعدائهم انما

يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونهم

اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون

بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل

للامر بالوفا وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون

اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم

امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان

ويهدى من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون

سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح

بالنهى عنه بعد التضمين تاكيدا او مبالغة فى قبح المنهى فتزل قدم

اى عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر

للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا

السوء العذاب فى الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم

عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة

لغيره ولكم عذاب عظيم فى الاخرة ولا تشتروا بعهد الله

ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو

ما كانت قريش يعدون[يعدون] لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد

انما عند الله من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الاخرة هو خير لكم

مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم

من اعراض الدنيا ينفد ينقضى ويفنى وما عند الله من خزائن

رحمته باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل

الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار

او على مشاق التكاليف وقرا ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا

يعلمون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن

من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا

للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب

وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب فلنحيينه حيوة طيبة فى الدنيا

يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب

عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم فى الاخرة بخلاف

الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف

الفوات ان يتهنا بعيشه وقيل فى الاخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن

ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القران فاذا اردت

قراءته كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان

الرجيم فاسئل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك

فى القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلى يستعيذ فى

كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح

والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود

قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان

الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرئيل عليه السلام

عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية

على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به

والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما

يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة

بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على

الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب

الشيطان يشركون واذا بدلنا اية مكان اية بالنسخ فجعلنا

الاية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح

فلعل ما يكون مصلحة فى وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون

مصلحة حينئذ يكون مصلحة الان فيثبته مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو وينزل

بالتخفيف قالوا اى الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تامر

بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض

لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا

بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل
نزّله روح القدس يعني جبرئيل واضافة الروح الى القدس وهو
الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل
ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضي عدم التبديل من
ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه
كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت
عقايدهم واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المتعادين
لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض
بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم
يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي
وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقران التورية والانجيل
وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرانه وقيل عايشا
غلام حويطب ابن عبد العزى وكان قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان
الفارسي لسان الذين يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي
يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقرئ حمزة والكسائي
يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين وهذا القران ل
لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال
طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما تسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه
هو ولا انتم والقران عربي يفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه
وثانيهما هب انه يعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان
ذلك اعجمي وهذا عربي والقران كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث
اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم
فايق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف يعلم جميع ذلك من غلام سوقي
سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها
وطعنهم في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان
الذين لا يؤمنون بايات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم
الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم
في الاخرة هددهم على كفرهم بالقران بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم
فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون

بايات

بايات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى
الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اى الكاذبون على الحقيقة
او الكاملون في الكذب لان تكذيب الايات والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم
الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون
في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه
بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون
او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب
بالذم وان يكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء
او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان
وقلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان
هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده
وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا
اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد
فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من
اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم
عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا
ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل
على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا
للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول
في محمد فقال رسول الله فقال ما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال
للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد
عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له
ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها وان الله لا يهدي
القوم الكافرين اى الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم
عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم

جهارا علانية صدع بالحق

التهنئة ضد التعزية

فاتت عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في
الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة
هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب
المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار
بالولاية والنصر وثم لتباعد هؤلاء عن حال اولئك وقرئ ابن عامر فتنوا بالفتح
اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما
وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق
ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا
قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتي كل نفس
منصوب برحيم او اذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى
في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس
ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم و
ضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم
النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج
اهلها خوف يأتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان
من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء
كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع
والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل
عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقوله
كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ... غلقت لضحكته رقاب المال. فانه استعار
الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف
اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى
المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله: ينازعني ردائي عبد عمرو
رويدك يا اخا عمرو بن بكر ... لي الشطر الذي ملكت يميني ... ودونك فاعتجر
منه بشطر. استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما
كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم
فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم
والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله

حلالا طيبا واشكروا نعمة الله امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم
عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب
الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة ان كنتم
اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة
عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم
لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم
اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما
تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية وسياق يقتضي
الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم
اليها دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا
حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي
ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او
مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد
قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف
كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها
وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف
الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا مما والكذب جمع كذوب
او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب
لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون
على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل المطلوب
نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او
ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الآخرة
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة
الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق
بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين

غيرهم في تحريمه وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك
للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل
بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء ليعم الافتراء
على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك
من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم
يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكمال واستجماعه فضايل
لا يكاد توجد الا مفرقة في اشخاص كثيرة كقوله ❊ وليس من الله بمستنكر
ان يجمع العالم في واحد ❊ وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين
الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزايغة بالحجج الدامغة
ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن
في النبوة وتحريم ما احله الله او لانه كان وحده مؤمنا وكان ساير الناس
كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده
او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته
لقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قايما باوامره
حنيفا مايلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان
قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ
القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله واتيناه
في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه
ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة و
انه في الاخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأل بقوله والحقني
بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه
على ان اجل ما اوتي ابراهيم عليه السلام اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
ملته او للتراخي ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد
والدعوة اليه بالرفق وايراده الدليل مرة بعد اخرى والجدال مع كل احد
على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين
انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين
اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان
يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طايفة منهم وقالوا نريد يوم السبت

لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر
عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه
فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموا اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا
لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على
الاختلاف او المجازاة كل فريق من الابين والمعظمين بما يستحقه ادع
من بعثت اليه الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة
المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة
الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين
للحقايق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي
هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين
وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين
لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما
حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين
والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة
ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا ينفك عنه من حيث انها
يتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم
عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما راى حمزة وقد مثل به فقال
والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن
يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث
على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله
ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام
للمتقين ثم صرح بالامر به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اولى
الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك
الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين
او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون
في ضيق صدر من مكرهم وقرئ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا وفي النمل

وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان
مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون
في اعمالهم بالولاية والفضل ومع الذين اتقوا الله بتعظيم
امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه
عن النبي عليه السلام من قرئ سورة النحل
لم يحاسبه الله بما انعم عليه في
دار الدنيا وان مات
في يوم تلوها
او ليلة كان له
من الاجر كالذي
مات واحسن
الوصية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا

سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال: قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد وأسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل أي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه السلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتاني جبرئيل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثّل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا انصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم كذا يوم مع طلوع الشمس تقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوا والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة

ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرئ ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ان لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وقيل قتل ذكريا ويحيى وثانيهما قتل ذكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب من اهل نينوى

اولى باس شديد ذوقوة بطش فى الحرب شديد فجاسوا فترددوا
لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة
فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما
منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان
وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لابد ان يفعل ثم رددنا لكم
الكرة اى الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك
بان القى الله فى قلب بهمن ابن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف
ابن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم
فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود عليه السلام
على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر
نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل وهم المجتمعون
للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها
وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا
فاذا جاء وعد الاخرة وعد عقوبة المرة الاخرة ليسوؤا وجوهكم
اى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة فيها فحذف
لدلالة ذكره اولا عليه وقرئ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد
والضمير فيه للوعد او للبعث او لله ويعضده قراءة الكسائى بالنون
وقرئ لنسوءن بالياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام
على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام فى قوله وليدخلوا المسجد
متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا
وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم
تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل
من ملوك الطوايف اسمه خوذرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب
الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان
لم يقبل منا فقال ما صدقونى فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال
ان لم تصدقونى ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال
لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربكم ما اصاب قومك
من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا يبقى احدا منهم فهدأ عسى ربكم
ان يرحمكم بعد المرة الاخرى وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة

ثالثة

ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد
الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم
فى الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون
على الخروج منها ابد الاباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القران
يهدى للتى هى اقوم للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات او الطرق
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا
وقرئ حمزة والكسائى ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون
بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه
يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر
ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه
واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه
بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر
عاقبته وقيل المراد ادم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب
لينهض فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته
لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد فندم فقال اللهم انما انا بشر
فمن دعوت عليه فاجعل دعاى رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر
وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير
الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب له فضربت عنقه يوم بدر
صبرا وجعلنا الليل والنهار ايتين يدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما
على نسق واحد بامكان غيره فمحونا اية الليل اى الاية التى هى الليل
بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا
اية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله
كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الايتان القمر والشمس وتقدير
الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار ايتين او جعلنا الليل والنهار ذوى
ايتين ومحو اية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور او نقص
نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل اية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات
شعاع تبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا فى
بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا
باختلافهما او بحركتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب

وكل شئ يفتقرون اليه فى امور الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه
بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه
من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشأمون بسنوح الطاير وبروحه
استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق
فى عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا هى صحيفة عمله او نفسه المنتقشة
باثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث فى النفس احوالا ولذلك يفيد
تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف هو
ضمير الطاير ويعضده قراة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج
اى الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطا وهما صفتان للكتاب
او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرئ ابن عامر يلقاه على البناء
للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز
وعلى صلته لانه اما بمعنى حاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح
بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى
المدعى ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على
تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها لا ينجى اهتداؤه غيره ولا يردى ضلاله سواه
ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس
اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
يبين الحجج وتمهد الشرايع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع
واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لنفاذ
قضائنا السابق او دنا وقته المقدر لقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد
مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه
اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة
والتمرد فى العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق
لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراة
على ان الامر مجاز عن الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم
وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوى كقولهم امرته
فعصانى وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشئ وامرته فامر اذا كثرته وفى الحديث

عش الطاير موضعه الذى يجمعه من دقاق العيدان وغيرها وهو فى افنان الشجر فاذا كان فى جبل او جدار او نحوها فهو وكر واذا كان فى الارض ""

سنح ضد برح ومن لى بالسانح بعد البارح اى بالمبارك بعد المشوم قاموس

خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى
الطلب ويؤيد قراة يعقوب امرنا ورواية امرنا عن ابى عمرو ويحتمل ان يكون
منقولا من امر بالضم امارة اى جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم
يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعنى
كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فى المعاصى
فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم
اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من
بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا
بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم
متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له
فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه
لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع يهواه وليعلم ان بالمشية وهو
فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشا والضمير فيه لله تعالى
حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك
وقيل الاية فى المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن
غرضهم الا مساهمتهم فى الغنايم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصليها
مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة
وسعى لها سعيها حقها من السعى وهو الاتيان بما امر والانتهاء
عما نهى لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية
والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه
العمدة فاولئك الجامعون للشرايط الثلاثة كان سعيهم
مشكورا من الله اى مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب
على الطاعة كلا اى كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف
اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى وجعل الانفة مدد السالفة هؤلاء
وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما
كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه فى الدنيا من مؤمن ولا
كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض فى الرزق
وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات و
اكبر تفضيلا اى التفاوت فى الاخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة

ودرجاتها وللنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشئ اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا يحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا يتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوقها النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهي عن ايذائهما بعد الاحسان اليهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله ❊ وغداة ريح قد كشفت وقرة ❊ اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ❊ للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو

الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا يكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بعهدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلون ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه جناية اوليا لورودها على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل يتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمساكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا

ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم وقيل ميسورا من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله رزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظر الصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر واما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وقرئ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرئ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وبحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يجوز قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيده الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرئ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسأل الناكث ويعاقب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة والكسائي بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء قطعا او ظنا واستعماله لهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل

بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه
الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت ولا اقفوا الحرى بغير ذنب
ولا اقفوا الخواص ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة
على صاحبها وهذا وان اولا وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا
وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش
بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا في ثلاثتها ضمير كل واحد منها مسؤلا
عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر
لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله تعالى المغضوب
عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه
لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد
بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا
اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان
المصدر اكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها
خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم
بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى
ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة
من قوله ولا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة
في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورات مامورات
ومناهي وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انه خبر كان والاسم ضمير
كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك
مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانها بمعنى سيئا وقد
قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في
الظرف او على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل
المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك
اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة
التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها اخر
كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له
بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة

ومآلها وترتب عليها اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته
في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا
مبعدا من رحمة الله تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا
الملائكة بنات الله والهمزة للانكار فخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون
واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه معقولكم
وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي
خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث
يجعلون له ما تكرهون ثم يجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم
ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القران
في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القران ابطال اضافة البنات بتقدير
ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف
ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من
الذكر الذي هو بمعنى التذكير وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة
طمأنينة اليه قل لو كان معه الهة كما يقولون ايها المشركون
وقرئ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع
الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية
على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية
مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب
عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة
كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته
وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه
تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية
البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود
والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه
تسبح له السموت السبع والارض ومن فيهن وان من شيء
الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث
بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته
ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح
الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ

والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليها
عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرئ ابن كثير ونافع وابن عامر
وابو بكر عن عاصم يسبح بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم
بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا
قرأت القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالاخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما نقراه عليهم مستورا
ذا ستر كقوله وعده ماتيا وقولهم سيل مفعم اى مملى او مستورا
عن الحس او بحجاب اخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى
عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الايات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات
المنصوبة فى الانفس والافاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين عن
الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول
دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة
اى منعناهم ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه
ولما كان القران معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن
فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك فى القران وحده واحده
غير مشفوع به الهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى
واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد
ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن
اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقران اذ
يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اى نحن اعلم
بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم
ذو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجى
اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر
باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة
على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذى سحر به فزال عقله وقيل الذى له
سحر وهو الرية اى الا رجلا يتنفس وياكل ويشرب مثلكم انظر كيف
ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون
فضلوا عن الحق فى جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن

لا يوجد

يوجد فيها فتون ويخبطون كالمتحير فى امره لا يدرى ما يصنع او الى الرشاد و
قالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على
الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحى وهو سنة الرميم من المباعدة
والمنافاة والعامل فى اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد
ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدرا او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة
او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم اى مما يكبر عندكم
عن قبول الحيوة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لا يقصر عن احيائكم
لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة
وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشئ اقبل لما عهد فيه مما
لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة
وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك
رؤسهم فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو
قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو ات قريب وانتصابه على
الخبر او الظرف اى يكون فى زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره
والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اى يوم يبعثكم
فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر
امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم
اى حامدين الله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم
ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين
عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا ويستقصرون مدة لبثهم
فى القبور كالذى مر او مدة حياتهم لما يرون من الهول وقل
لعبادى يعنى المؤمنين يقولوا التى هى احسن الكلمة التى
هى احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم
يهيج بينهم المرا والشر فلعل المخاشنة بهم يفضى الى العناد وازدياد
الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر
العداوة ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم
تفسير للتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة
ونحوها ولا يصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام
امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك

امرهم وتقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
باحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو
وربك اعلم بمن في السموت والارض وباحوالهم فيختار منهم
للنبوة والولاية من يشا وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا
وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع
حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك
قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله واتينا
داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير
الامم المدلول بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره
ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب
او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس او الفضل
او لان المراد واتينا داود بعض الزبور او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول
صلى الله عليه وسلم قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه
كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف
الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك
منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
هؤلاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو
يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب
ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون
انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل
احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم
القيمة بالموت والاستئصال او معذبوها عذابا شديدا
بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ
مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات وما
صرفنا عن ارسال الايات التي اقترحتها قريش الا ان كذب بها الاولون
الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت
لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجب الاستئصال على ما مضت سنتنا

وقد

وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم
المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال واتينا ثمود الناقة بسؤالهم
مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ
بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها
وما نرسل بالايات اي بالايات المقترحة الا تخويفا من
نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات
وايات القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر
الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف واذ
قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم
في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو
بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام
ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين راى
انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها حينئذ ولعله
رؤيا راها في وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي
انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع
فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما من بني
امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا
يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس
ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القران عطف على الرؤيا
وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم
تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجرة ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر
السمندل من ان ياكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة
الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القران لعن
طاعميها ووصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد
مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان
ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت
بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القران كذلك
ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا

متجاوز لحده واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض
ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين او منه اى
ءاسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك
هذا الذى كرمت على الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب
وهذا مفعول اول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته
عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على بامرى بالسجود له لم كرمته على
لئن اخرتن الى يوم القيمة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم
وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اى لاستاصلنهم بالاغوا
الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها
اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول
الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقدير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة
وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين
ما سولته له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك
وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغايب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين
على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة
وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما فى جزاؤكم من معنى تجازون
او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت
منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد
واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح بخيلك ورجلك
باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله
اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه
على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم
حتى استاصلهم وقرا حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان
كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ رجالك ورجالك وشاركهم فى الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف
عليها بما لا ينبغى والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم
والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزايغة
والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة

الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان
الا غرورا اعتراض لبيان مواعده والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب
ان عبادى يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله الا عبادك
منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اى على اغوايهم
قدره وكفى بربك وكيلا يتوكلون به فى الاستعاذة منك على الحقيقة
ربكم الذى يزجى هو الذى يجرى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من
فضله الربح وانواع الامتعة التى لا يكون عندكم انه كان بكم رحيما
حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم
الضر فى البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل
من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه
ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبد وندعون اعانتكم الا الله فلما
نجيكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم فى
كفران النعمة كقوله ذى الرمة عطا فتى تمكن فى المعالى فاعرض فى المكارم
واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة
فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك
على الاعراض فان من قدر ان يهلككم فى البحر بالغرق قدر ان يهلككم فى البر
بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر اى يقلبه الله وانتم عليه
او يقلبه بسببكم وبكم حال او صلة ليخسف وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون
فيه وفى الاربعة التى بعده وفى ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل
كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات فى قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه اسباب
الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اى ترمى بالحصباء ثم
لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان
يعيدكم فيه فى البحر تارة اخرى بخلق دواعى تلجئكم الى ان ترجعوا
فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشئ الا قصفته اى كسرته
فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب
اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا
يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بنى ادم بحسن الصورة والمزاج
الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط
والتهدى الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى الارض والتمكن من الصناعات

والانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع
الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو
ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده
وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا
جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الما
ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير
فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلا
او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم
من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر
وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر
او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعوا على قلب
الالف واوا في لغة من يقول افعوا وعلى ان الواو علامة الجمع كما في قوله
تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة
لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى
كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او
دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي ينقطع
علقة الانساب وتبقى علقة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم
وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال
عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد
الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله
فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون
فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير
لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين تدل على ان
من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس
السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه
اعمى فهو في الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب
والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى
لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد
وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعده لا ينفعه والاعمى مستعار

ذهبت الحنفية الى ان خواص بني آدم وهم المرسلون افضل من جملة الملائكة وعوام بني آدم من الاتقياء والزهاد افضل من عوام الملائكة وخواص الملائكة افضل من عوام بني آدم وقال الكلبي فضل بنو آدم على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واشباههم قال الامام محيي السنة والاولى ان يقال عوام المؤمنين افضل من عوام الملائكة وخواص المؤمنين افضل من خواص الملائكة قال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وروي ان ابا هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة وقال الامام ابو منصور الماتريدي الكلام في تفضيل البشر على الملائكة والملائكة على البشر فانا لا نتكلم فيه لانا لا نعلم ذلك وليس لنا اليه معرفته حاجة فالامر فيه الى الله تعالى شيخ زاده

من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك
لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم
المتوسط في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما
فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير يا في التثنية وقد امالهما حمزة
والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وان كادوا ليفتنونك
نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا
فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة
فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش
قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي
المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك
في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام
لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك
خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريئا من ولايتي ولولا ان
ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون
اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان
تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام ما هم
باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه
اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة و
ضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما
يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان
اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا
ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها
وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة
وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا
يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كان اهل مكة ليستفزونك
ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا
لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا

الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل
الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا
الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في
قلبه صلى الله عليه وسلم فخرج مرحلة فنزلت فرجع فقتل منهم بنو قريظة
واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف
على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا تعمل
اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرئ ابن عامر وحمزة والكسائي
ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما
بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك
من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان
يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافها الى الرسل
لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا
اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه
الصلوة والسلام اتاني جبرئيل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي
الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلوك لانه لا يستقر
يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله
وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها
واللام للتاقيت مثلها في لثلاث خلون الى غسق الليل الى ظلمته
وهو وقت صلوة العشاء الاخرة وقران الفجر وصلوة الصبح
سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب
القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم
لو فسر القراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها
قياسا ان قران الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخ
الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية
جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوة الليل وحدها
ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك
الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على ان
الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض

الليل

الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقران نافلة لك فريضة زائدة
لك على الصلوة المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه
وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما
روى ابو هريرة انه عليه السلام قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي
ولاشعاره بان الناس يحمدونه فيه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام
الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او
بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب
ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني
اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل
المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها
واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما
وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل
ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل و
مخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني
او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم
الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء
الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك
من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير
ثابت عن ابن مسعود انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاث
مائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها
ويقول قل جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها
وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد
فرمى به فكسره وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء
الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى
ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرئ البصريان
ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم

وكفرهم به وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة أعرض
عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن
مستبد بأمره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لأنه من عادة المستكبرين
وقرئ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب أو على أنه
بمعنى نهض وإذا مسه الشر من مرض أو فقر كان يؤوسا شديد
اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل أحد يعمل على طريقته
التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة أو جوهر روحه وأحواله التابعة
لمزاج بدنه فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أشد طريقا وأبين
منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك
عن الروح الذي يحيى به بدن الإنسان وتدبره قل الروح
من أمر ربي من الإبداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من أصل
كأعضاء جسده أو وجد بأمره وحدث بتكوينه على أن السؤال عن قدمه
وحدوثه وقيل مما استأثر الله بعلمه لما روي أن اليهود قالوا لقريش
سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب
عنها أو سكت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو
نبي فبين القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل الروح
جبرئيل وقيل خلق أعظم من الملك وقيل القرآن ومن أمر ربي معناه من وحيه
وما أوتيتم من العلم إلا قليلا تستفيده بتوسط حواسكم
فإن اكتساب العقل للمعارف النظرية إنما هو من الضروريات المستفادة
من إحساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل أكثر الأشياء
لا يدركه الحس ولا شيئا من أحوال المعرفة لذاته وهو إشارة إلى أن الروح
مما لا يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر
على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام في جواب وما رب العالمين
بذكر بعض صفاته روي أنه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا نحن
مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وأنتم فقالوا ما أعجب شأنك ساعة
تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت
ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده الآية وما قالوه
لسوء فهمهم لأن الحكمة الإنسانية أن يعلم من الخير والحق ما تسعه القوة
البشرية على ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالإضافة إلى معلومات الله

تعالى التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالإضافة إليه كثير ولئن شئنا
لنذهبن بالذي أوحينا إليك اللام الأولى موطئة للقسم ولنذهبن
جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن
المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل
علينا استرداده مسطورا محفوظا إلا رحمة من ربك فإنها إن
نالتك فلعلها يسترده عليك ويجوز أن يكون استثناء منقطعا بمعنى
ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بإبقائه بعد المنة في
تنزيله إن فضله كان عليك كبيرا كإرساله وإنزال الكتاب عليه
وإبقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا
بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون
بمثله وفيهم العرب العرباء وأرباب البيان وأهل التحقيق وهو جواب قسم
محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون
الشرط ماضيا كقوله زهير: وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب
مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على
الإتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لأن إتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولأنهم
كانوا وسائط في إتيانه ويجوز أن يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به
علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير
والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل
في غرابته ووقوعه موقعا في الأنفس فأبى أكثر الناس إلا كفورا
إلا جحودا وإنما جاز ذلك ولم يجز ضربت إلا زيدا لأنه متأول بالنفي وقالوا
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا تعنتا واقتراحا
بعدما لزمهم الحجة ببيان إعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات إليه وقرئ
الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والأرض أرض مكة والينبوع عين
لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء إذا زخر أو يكون
لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو يكون
لك بستان يشتمل على ذلك أو تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا يعنون قوله تعالى أو نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا
ومعنى وقد سكنه ابن كثير ويعقوب وأبو عمرو وحمزة والكسائي في جميع
القرآن إلا في الروم وابن عامر إلا في هذه السورة وأبو بكر ونافع في غيرهما

وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل
بمعنى مفعول كالطحن او تاتى بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه
اى شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشرة وهو
حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر فى قوله
ومن يك امسى بالمدينة رحله فانى وقيار بها لغريب او جماعة فيكون
حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد
قرئ به واصله الزينة او ترقى فى السماء فى معارجها ولن نؤمن
لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك
قل سبحان ربى تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان ياتى او يتحكم عليه
او يشاركه احد فى القدرة وقرئ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربى اى
قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر
الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ايديهم حال قومهم
ولم يكن اهل الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تخيروها على هذا
هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر فى ايات اخرى كقوله تعالى ولو نزلنا
عليك كتابا فى قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان
يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اى وما منعهم الايمان بعد نزول الوحى
وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم
هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة يمنعهم عن الايمان بمحمد والقران الا انكارهم
ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان فى الارض
ملائكة يمشون كما يمشى بنوا ادم مطمئنين ساكنين فيها
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به
والتلقى منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان
ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا
من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا وهو اوفق قل كفى
بالله شهيدا بينى وبينكم على انى رسول اليكم باظهاره المعجزة
على وفق دعواى او على انى بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم و
شهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا
يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية للرسول
صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهدى الله فهو المهتدى

ومن

ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم
يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روى انه
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى
امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما
لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما
يقبل منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا عن استماع
الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف
الى النار مؤفى القوى والحواس ماويهم جهنم كلما خبت سكن
لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان تبدل
جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد
الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك
جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم
اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذى خلق السموات والارض
قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة
اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت
او القيمة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى خزائن رزقه وسائر نعمه
وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتنى وفائدة
هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا
لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا
احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه
فهو اذا بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخل اغلب فيهم وكان
الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه
وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات
هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر
وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون
ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبى
صلى الله عليه وسلم عنها فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرفوا ولا تزنوا

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا
بترى الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم
خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا
المراد بالايات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل
على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم
خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف على زايد على الجواب ولذلك غير فيه
سياق الكلام فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له ارسل معنا بني اسرائيل من فرعون
لترسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه
فسال على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش واذ متعلق بقلنا او بسايل
على هذه القراءة او فسئل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون
اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتسلي نفسك او لتعلم انه تعالى
لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر
الادلة توجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا
او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال
له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال
لقد علمت يا فرعون وقرئ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما
انزل هؤلاء يعني الايات الا رب السموات والارض بصائر
بينات بصائرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك
يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن
هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان
ظن فرعون كذب بحت وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته
وقرئ واني لاخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة
فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه او ينفيهم
من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه
ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق
وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا
الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة
الاخرة او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا
مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقياكم واللفيف الجماعات

من قبايل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى وما انزلنا القران الا
ملتبسا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه
وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول
الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول
الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا
للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرانا فرقناه نزلناه
مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم شهدناه
وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في مضاعيف عشرين سنة لتقراه
على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في
الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث
قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم
عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له
اى ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قراوا الكتب
السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق
والمبطل او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان
يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان
الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون
للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا
لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من
الرسل وانزال القران ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد
ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كاينا لا محالة ويخرون
للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال او السبب فان الاول للشكر
عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من
خشية الله تعالى وذكر الذقن لانه اول ما تلقى الارض من وجه الساجد
واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران خشوعا
لما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن
فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك
لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية فالمراد على الاول هو التسوية

سجده

بين اللفظين فانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما
والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن
الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله اياما تدعوا فله
الاسماء الحسنى والدعاء في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين
حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف
اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له
لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله
الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها
على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك
حتى يسمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت
بها حتى لا يسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا
بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب
روي ان ابا بكر رض كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رض
كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل
معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا
بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي
ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه سبحانه ان يكون له
ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه
ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات
المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه
ولذلك عطف عليه قوله من الذل وكبره تكبيرا وفيه تنبيه
على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي
ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام كان اذا افصح
الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه السلام من قرا سورة
بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار
الف اوقية ومائتا اوقية سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده
الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه
وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش
والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف
في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان
قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد
فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد
بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب
على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان
المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم و
تاخير وقرئ قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا
عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا
على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان
الدال واسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء
الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه
في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر
المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه
او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد
لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون
الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ
اليه ولا لابائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت
مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى
الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ
بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود تخرج من افواههم
صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات
هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا
بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا

فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولّوا عن الايمان
شبههم لما تداخله من الوجد على تولّيهم بمن فارقته اعزّته وهو يتحسّر على آثارهم
ويبخع نفسه وجداً عليهم وقرئ باخعُ نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث بهذا القران اسفاً للتأسف عليهم او متأسفاً
عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز
اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض
من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم
احسن عملاً في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغترّ به وقنع منه بما
يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين للرسول الله وانا
لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً تزهيد فيه والجرز الارض
التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة
تراباً مستوياً بالارض ونجعله صعيداً املس لا نبات فيه ام حسبت
بل احسبت انّ اصحاب الكهف والرّقيم في ابقاء حيوتهم مدة
مديدة كانوا من اياتنا عجباً وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض
من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة
تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردّها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات
الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي
الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية ابن ابي الصلت "وليس
بها الا الرقيم مجاوراً" "وصيدهم والقوم في الكهف هُمَّدُ" او لوح رصاص
او حجر نقشت فيها اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب
الرقيم قوم اخرون كانوا ثلثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء
فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدّت بابه فقال احدهم اذكروا
ايكم عَمِلَ حسنة لعلّ الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراً ذات
يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل ما عملهم فاعطيته مثل
اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مرّ بي
بقرة فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخاً
ضعيفاً لا اعرفه وقال ان لي عندك حقاً وذكره حتى عرفته فدفعتها
اليه جميعاً اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع
الجبل حتى راوا الضوء وقال اخر كان في فضل واصابت الناس شدة فجاءتني

امراة

امراة فطلبت مني معروفاً فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت
ثم رجعت ثلثاً ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغني عيالك فاتت وسلمت
الي نفسها فلما كشفتها وهممت بها فقلت مالك فقالت اخاف الله فقلت
لخفيته في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم اني فعلته
لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همّان
(همّ بالكسر الشيخ الفاني)
وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الي غنمي فحبسني ذات يوم غيث
فلم ابرح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت
اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالساً ومحلبي على
يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا
ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية
الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك
فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربّنا اتنا من لدنك رحمة
توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيّئ لنا من امرنا
من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشداً نصير به راشدين
مهتدين او اجعل امرنا كله رشداً كقولك رايت منك اسداً واصل التهيئة
احداث هيئة الشيء فضربنا على اذانهم اي ضربنا عليها حجاباً يمنع
السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف
في قولهم بنى على امراته في الكهف سنين ظرفان لضربنا عدداً
اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فانّ مدة
لبثهم كبعض يوم عنده ثمّ بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلّق
علمنا تعلّقاً حالياً مطابقاً لتعلّقه اولاً تعلّقاً استقبالياً اي الحزبين
المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امداً
ضبط امداً لزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام وعلق عنه لنعلم
فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامداً مفعوله ولما لبثوا حال
منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامداً
تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو
احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامداً نصبٌ بفعل دلّ عليه كقوله
واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقصّ عليك نبأهم
بالحقّ بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية

امنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم
وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراة على اظهار الحق والرد
على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا
والله لقد قلنا قولا ذا شطط اى ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء
مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه الهة خبره
وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم
على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ
الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد
فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه
واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله
عطف على الضمير المنصوب اى واذ اعتزلتم القوم ومعبودهم الا الله
فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كساير المشركين ويجوز
ان يكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة
الله وان يكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد
معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر
لكم ربكم يبسط لكم ويوسع لكم من رحمته في الدارين ويهيئ
لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اى تنتفعون به وجزمهم
بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن
عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض
فان القياس الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم
تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او
لان الله زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون
بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلاهما من الزور
بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين
واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال
يعنى يمين الكهف وشماله وهم في فجوة منه اى وهم في متسع
من الكهف يعنى في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار

ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب
المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان
مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب
محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل
هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من ايات
الله اى شأنهم وايواؤهم الى الكهف كذلك او اخبارك قصتهم
او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من اياته من يهد الله
بالتوفيق فهو المهتدى الذي اصاب الفلاح والمراد به اما
الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الايات كثيرة ولكن المنتفع بها
من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله
فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا
لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم
في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض
ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير
لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اى
وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه
الله فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به
فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اى وصاحب كلبهم
باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل
بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت
عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا
لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال و
لملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله من الهيبة او
لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معوية انه
غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له
ابن عباس رض ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا
جاءت ريح فاحرقتهم وقرئ الحجاز بان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن
عامر والكسائى ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم

فكما اغناهم اية على كمال قدرتنا بعثناهم ليتساءلوا بينهم اى ليسأل بعضهم
بعضاً فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقيناً على كمال قدرة الله
ويستبصروا بامر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصى
لا يحصى مدة نومه
مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز
ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الاخرين عليهم وقيل انهم دخلوا
الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنوا انهم فى يومهم او اليوم الذى بعده
قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا
ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا
احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت
او غيرها وقرئ ابو بكر وحمزة وابو عمرو وروح عن يعقوب بالتخفيف
وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغماً
او غير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على
ان التزود رأى المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اى اهلها
ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه و
ليتلطف وليتكلف اللطف فى المعاملة حتى لا يغبن او فى التخفى حتى
لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور
انهم ان يظهروا عليكم اى يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير
للاهل المقدر فى ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم فى ملتهم
او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم
فامنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم فى ملتهم وكذلك اعثرنا
عليهم وكما انمناهم وبعثناهم ليزدادوا بصيرة اطلعنا عليهم ليعلموا
ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذى
هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان
الساعة لا ريب فيها وان القيمة لا ريب فيها فى امكانها فان من توفى
نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين سنة حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها
اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها
اليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم
امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقولون يبعث الارواح مجردة وبعضهم

يقولون

يقولون يبعثان معاً ليرتفع الخلاف وتبين انهما يبعثان معاً او امر الفتية
حين اماتهم الله بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال اخرون ناموا نومهم اول
مرة او قالت طائفة نبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال
اخرون لنتخذن عليهم مسجداً نصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن
عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين
فى امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول
او من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى
انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكى ان المبعوث لما دخل فى
السوق واخرج الدراهم وكان على اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد
كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحداً فقص عليه القصص
فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس
الى ملك المدينة
فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم
وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر
الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف
وبنى عليهم مسجداً وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى
ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثم مسجداً سيقولون
اى الخائضون فى قصتهم فى عهد الرسول عليه السلام من اهل الكتاب
والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اى هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم
بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران
وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى
او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر
الخفى الذى لا يطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن
اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن
جبريل عليهما السلام وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربى اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وان اثبت
العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف فى الثلثة المذكورة فان
عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد

الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه
الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة
لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت
وعن علي رضي هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا
هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب
يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي رافقهم واسم كلبهم
واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل
الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في
غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القران من غير تجهيل لهم والرد
عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسال احدا منهم عن قصتهم
سؤال مسترسل فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم
بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه مخل
بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه
عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم
ولم يستثن فابطا عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته
قريش والاستثناء من النهي اي لا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل فيما
يستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيته قائلا ان شاء الله او الا
وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل
لان استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه
لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك وقل ان شاء الله كما روي
انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان
لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز
تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لم يتقرر اقرار
ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية وعد
الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه
ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت
الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربه وعقابه اذا تركت بعض ما
امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان لتذكرك المنسي

وقل عسى ان يهدين ربي يدلني لاقرب من هذا رشدا
لاقرب رشدا او اظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب الكهف وقد
هداه الله لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه ايامهم والاخبار
بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة
او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلثمائة
سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم
وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا
في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم
ثلثمائة وتسع سنين وقرا حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة
على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه هنا ان علامة الجمع هنا
فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم
يضف ابدل السنين من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب
السموت والارض له ما غاب فيها وخفي من احوال اهلها فلا خلق
يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة
على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين
اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي
وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند
سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى
الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله
وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو
كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة
ما لهم الضمير لاهل السموت والارض من دونه من ولي
من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم
ولا يجعل له فيه مدخلا وقرا ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء
والجزم على نهي كل احد من الاشراك ثم لما دل اشتمال القران على قصة اهل
الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول عليه السلام على
انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه واتل ما اوحي
اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير
هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها

غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به
واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرئ ابن
عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فتكون اللام فيه على تاويل
التنكير يريدون وجهه رضا الله وطاعته ولا تعد عيناك
عنهم اي ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى
نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعدّ من اعداه وعدّاه والمراد نهي الرسول
ان يزدري بفقراء المؤمنين ويعلو اعينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي
الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن
المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا
قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن
مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء
غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف
بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة
لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك
او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب
الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس بظاهر ما ذكر اولا
بقوله واتبع هويه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ واغفلنا باسناد
الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمواخذة وكان
امره فرطا اي متقدما على الحق ونبذا الوراء ظهره يقال فرس فرط اي
متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم ما يكون من جهة الله لا ما
يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من امن وكفر
من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيته فمشيته
ليست بمشيته انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرا
دقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون
حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا
من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو
على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب

من فرط حرارته وهي صفة ثانية لماء او حال من المهل والضمير في الكاف بئس
الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ واصل
الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا
فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في
حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى
عنه بالعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد
او واقع موقعه الظاهر على الحقيقة فان من احسن عملا على الحقيقة
لا يحسن على الحقيقة اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما
اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها
من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة
لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او
اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن
الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من
الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما
هو هيئة المتنعمين نعم الثواب نعم الجنة ونعيمها وحسنت
الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن
رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل
كافر اسمه قرطوس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار
فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير
وال امرهما الى ما حكاه الله وقيل الممثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو
الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين
من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين
وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال
حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيزيده
الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا

ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل
الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد
الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص
من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص
في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل
ويزيد بهاؤهما وقرأ يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع
من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه وهو
يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا و
اعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون
معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد
الجنة لان المراد ما هو جنته وهو ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة
له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحد من
جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو
ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد
ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته و
اغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن
رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها
من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا
مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده
انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو
معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت
بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك
ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم
عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث
كفرا بالله لان منشاءه الشك في كمال قدرة الله ولذلك رتب
الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان
ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا
اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه وتلاقت النونان فكان
الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها

من الهمزة

من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير
الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدل له وربي خبره
والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به
وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت
جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء
الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها
شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها
وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا
بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير
امرها فبمعونته واقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه
فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا
وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول
وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا
دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من
جنتك في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل
عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة
وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها
او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا
ملساء يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها
غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع
له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك
امواله حسب ما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط
به العدو فانه اذا احاط به واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه
من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه
ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق
بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال
اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها
بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول
عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا

كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله
بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم يكن له
فئة وقرئ حمزة والكسائى بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون
على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله
فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته
عن انتقام الله منه هنالك فى ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله
الحق النصرة له وحده ولا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة
ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر
اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اى لاوليائه
وقرئ حمزة والكسائى بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك
السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه ولا نعبد غيره كقوله واذا ركبوا فى
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتنى
لم اشرك كان على اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة
وقرئ حمزة والكسائى الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر
المؤكدة قرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحيوة الدنيا
فى زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون
مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته
وتكاثفه او نجع فى النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه
فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة
صاحبه عكس للمبالغة فى كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا
تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس
الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون
اخضر وارفا ثم هشيما فتطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله
على كل شئ من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان فى دنياه ويفنى عنه
عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التى تبقى له
ثمرتها ابد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج

وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام
الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدا وخير
املا لان صاحبها ينال به فى الآخرة ما كان يامل بها فى الدنيا ويوم نسير
الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها فى الجو او نذهب بها فنجعلها هباء
منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند الله
ويوم القيمة وقرئ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء
للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية
برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول
وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى
لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا
ما وعدهم وعلى هذا يكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر لم نترك
منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء
والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك شبه
حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا
مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه
يكون حالا او عاملا فى يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة
لا شئ معكم من المال والولد ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى كقوله
بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور
وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب
صحايف الاعمال فى الايمان والشمايل او فى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب
فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب
ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التى هلكوها من بين الهلكات
مال هذا الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة هنة
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها و
وجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا فى الصحف ولا يظلم ربك
احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد فى عقابه الملايم لعمله واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كرره فى مواضع
لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها فى تلك المحال وههنا لما شنع
على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين

حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات
وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال
الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم
من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القران كان من الجن
حال باضمار قد كان او استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل
كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء
للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة وانما عصى ابليس لانه كان
جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه
اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده
واتباعه وسماهم ذريته مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم
بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا
من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموت والارض
ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموت والارض
واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به
بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا ردا لاتخاذهم
اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع
الخالقية والاشراك فيه يستلزم الاشراك فيها فوضع المضلين موضع
الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا
تبعهم الناس كما يزعمون فلا يلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين
فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرا وما
كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا
بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه
ويوم يقول اي الله للكافر وقرئ حمزة بالنون نادوا شركائي
الذين زعمتم انهم شركائي وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة
الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته
فدعوهم فنادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم فلم يعينوهم
وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم موبقا مهلكا يشتركون
فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر لا يكن حبك كلفا

ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يبق وبقا اذا هلك وقيل
البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى
المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها
واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون
اليه ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل
من كل جنس ما يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء
يتاتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز
وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى
وهو الرسول الداعي والقران المبين ويستغفروا ربهم
ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تاتيهم سنة الاولين
الا طلب او انتظار او تقدير ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب
عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين
وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة
يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبيلا وانتصابه على الحال
من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين و
منذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا
بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة
اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال
الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم
للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوه ذلك
واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا وانذارهم او
والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزءا
بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه بالقران فاعرض عنها فلم يتدبروها ولم يتذكر بها
ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها
انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم
مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير
الضمير وافراده للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حتى

فان الضمير في يفقهوه يرجع
الى الايات ،

استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا
ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب
للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصهم على الاسلام يهم يدك عليه
وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف
بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد
على ذلك بامهال قريش مع افراطهم عداوة رسول الله بل لهم موعد
وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا ملجأ
يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا التجا اليه وتلك القرى يعني قرى
عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدا خبره اهلكناهم او مفعول
مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون
مرجع الضماير لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمرا وانواع المعاصي
وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستاخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخر العذاب
عنهم وقرا ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي هلاكهم وحفص بكسر اللام
حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى
مقدر باذكر لفتاه يوشع ابن نون بن افرايم بن يوسف عليهم السلام
فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح
لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ
مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون
اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى
لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع
البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقا الخضر فيه وقيل
البحران موسى والخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر
كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق
والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما
بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات
المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى
خطب الناس بعد هلاك القبط ودخول مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له

هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو في مجمع
البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر
وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك
قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي
بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس
الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال
ان كان في عبادك اعلم مني فادلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه
قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث
فقدته فهو هنالك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا
يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف
اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي
موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حيوته
ووقوعه في البحر روي ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي
ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضا يوشع من عين الحيوة
فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره
وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله
في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب
بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق
عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل
ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه
اتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا
نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة
والغدا الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر
غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارايت اذ اوينا
ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها
موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت
فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره
بدل من الضمير وقرئ ان اذكر له وهو اعتذار عن نسيانه بشغل

الشيطان له بوسوسته والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما جرى
بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه
في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جانب القدس بما عراه من مشاهدة
الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه اولان عدم احتمال
القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان ﴿فاتخذ
سبيله في البحر عجبا﴾ سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا
عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال
في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى
اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا ﴿قال ذلك﴾ اي امر الحوت
﴿ما كنا نبغ﴾ نطلب لانه امارة المطلوب ﴿فارتدا على آثارهما﴾ فرجعا
في الطريق الذي جاءا فيه ﴿قصصا﴾ يقصان قصصا اي يتبعان
آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة ﴿فوجدا عبدا من
عبادنا﴾ الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل
الياس ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ هو الوحي والنبوة ﴿وعلمناه
من لدنا علما﴾ مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب
﴿قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن﴾ على شرط ان تعلمني وهو
في موضع الحال من الكاف ﴿مما علمت رشدا﴾ علما ذا رشد وهو اصابة
الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول
ان تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي
له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله
ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في
ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به
من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع
والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه
ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه ﴿قال انك لن
تستطيع معي صبرا﴾ نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه
من التأكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله
﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ اي كيف تصبر وانت نبي
على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط به خبرك وخبرا

تمييزا او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره ﴿قال ستجدني ان شاء
الله صابرا﴾ معك غير منكر عليك ﴿ولا اعصي لك امرا﴾ عطف
على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد
بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد و
الصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف فيه وفيه دليل على ان افعال
العباد واقعة بمشيئة الله ﴿قال فان اتبعتني فلا تسألني
عن شيء﴾ فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه
صحته ﴿حتى احدث لك منه ذكرا﴾ حتى ابتدئ بك ببيانه
وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة ﴿فانطلقا﴾
على الساحل يطلبان السفينة ﴿حتى اذا ركبا في السفينة
خرقها﴾ اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها
﴿قال اخرقتها لتغرق اهلها﴾ فان خرقها سبب لدخول الماء فيها
المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ
حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل ﴿لقد جئت
شيئا امرا﴾ اتيت امرا عظيما من أمر الامر اذا عظم ﴿قال الم اقل
انك لن تستطيع معي صبرا﴾ تذكير لما ذكره ﴿قال لا تؤاخذني
بما نسيت﴾ بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني و
صيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان
اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان
الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض
الكلام والمراد شيء آخر نسيه ﴿ولا ترهقني من امري عسرا﴾
ولا تغشني عسرا بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر
على متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه
وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين ﴿فانطلقا﴾ اي بعد ما خرجا
من السفينة ﴿حتى اذا لقيا غلاما فقتله﴾ قيل فتل عنقه وقيل
ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه
قتله من غير تروٍّ واستكشاف حال ولذلك ﴿قال اقتلت نفسا
زكية بغير نفس﴾ اي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية

حتى لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم وانه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فيقاد بها نبه به على ان القتل يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جيئت شيئا نكرا وقرئ نافع في رواية قالون وابن عامر ويعقوب وابوبكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه ذلك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة [اي استقبالا] حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة [اي الانقباض] قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لولبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ نافع لدني بتحريك النون والاكتفا بها عن نون الدعامة كقوله "قدني من نصر الخبيبين قدي" وابوبكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من [اي حسبي] عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال "يريد الرمح صدر بني براء ويعدل عن دماء بني عقيل" وقال "ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان" وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويها او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا

جزء الخامس عشر

فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل ليتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لومه من النفي بانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى من كركر وقيل هو ازبن جلند الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه الآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره حبا له وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان

فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ
فخاف ربك اى فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا
حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه
اى يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق
الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت
جارية فتزوجها نبى فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرا نافع
وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتخفيف
وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل كذلك زكوة واما
الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة قيل اسمهما
اصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته كنز لهما
من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما فى قوله تعالى
والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدى زكوتهما وما تعلق
بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب
فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف
يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب
كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها
لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان
سعيه فى ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذى حفظا
فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا
اشدهما اى الحلم وكمال الرأى ويستخرجا كنزهما رحمة من
ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد
فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت
رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب
وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله
وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له فى بلوغ الغلامين او لان الاول
فى نفسه شر والثالث خير والثانى ممتزج او لاختلاف حال العارف
فى الالتفات الى الوسايط وما فعلته وما فعلت ما رايته عن
امرى عن رأيى وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه اذا
تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير

ان الشرايع فى تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا
اى ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوايد هذه القصة ان لا يعجب المرء
بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم
على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعى الادب فى المقال وان ينبه المجرم على جرمه و
يعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسئلونك عن ذى
القرنين يعنى اسكندر الرومى ملك فارس والروم وقيل
المشرق والمغرب ولذلك سمى ذى القرنين او لانه طاف قرنى الدنيا
شرقها وغربها وقيل لانه انقرض فى ايامه قرنان من الناس وقيل كان له
قرنان اى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك
لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف فى نبوته
مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسايلون هم اليهود وسالوه امتحانا
او مشركوا مكة قل سأتلوا عليكم منه ذكرا خطاب للسايلين
والهاء لذى القرنين وقيل لله انا مكنا له فى الارض اى مكنا له
امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول واتيناه من كل شئ
اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والالة
فاتبع سببا اى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى
اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ذات حمأة
من حمئت البير اذا صارت ذات حماة وقرئ ابن عامر وحمزة والكسائى
وابو بكر حامية اى حارة ولا تنافى بينهما لجواز ان تكون العين جامعة
للوصفين او حمئة على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله
بلغ ساحل المحيط فراها كذلك اذ لم يكن فى مطمح بصره غير الماء ولذلك
قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية
يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس
تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التورية ووجد عندها
عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم
ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى
الايمان كما حكى بقوله قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب اى
بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم
الشرايع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل

ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه
فيعذبه عذابا نكرا اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه
بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه انا ومن معى فى الدنيا
بالقتل ثم يعذبه الله فى الاخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من امن
وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله فى الدارين جزاء الحسنى
فعلته الحسنى وقرئ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص جزاءً منونا
منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر
حالا اى يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف
لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان
يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شانك معهم اما التعذيب
واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء الله
اياه ان كان نبيا فبوحى وان كان غيره فبالهام او على لسان نبى وسنقول
له من امرنا مما نامره به يسرا سهلا متيسرا غير شاق وتقديره
ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى
المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع الذى تطلع
الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف
اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم
من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم
اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اى امر ذى القرنين كما وصفناه
فى رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار
ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى
على قوم مثل ذلك القبيل الذى عليهم الشمس فى الكفر والحكم وقد
احطنا بما لديه من الجنود والالات والعدد والاسباب خبرا
علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط
به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين
المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين
بين الجبلين المبنى بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان
فى اخر الشمال فى منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما ياجوج وماجوج
وقرئ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدين

بالضم

بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه فى
الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا
مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون
يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ حمزة والكسائى
لا يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه
قالوا يا ذا القرنين اى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود
قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد يافث
بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان
بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما
الهمزة كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون
فى الارض اى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل
كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا
الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا
جعلا نخرجه من اموالنا وقرئ حمزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد
كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر
على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد
ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائى قال ما مكنى فيه ربى
خير ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج
فلا حاجة لى اليه وقرئ ابن كثير مكننى على الاصل فاعينونى
بقوة اى بقوة فعلة او بما اتقوى به من الالات اجعل بينكم
وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب
مردم اذا كان رقاع فوق رقاع اتونى زبر الحديد قطعه و
الزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافى رد الخراج والاختصار على المعونة
لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابى بكر ردما ايتونى بكسر
التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء محذوفة
حذفها فى امرتك الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج
على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبى الجبلين
بتنضيدها وقرئ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر
بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات

من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الاخر ومنه التصادف التقابل
قال انفخوا اى قال للعملة انفخوا اى الاكوار والحديد حتى اذا جعله
جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال اتونى افرغ عليه
قطرا اى اتونى قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول
لدلالة الثانى عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثانى من العاملين
المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول اتونى لاضمر
مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرئ حمزة وابو بكر قال ائتونى موصول الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقى متقاربين
وقرئ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب
السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه
وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر
للاساس حتى بلغ الما وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان
من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع
المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط و
التصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور
مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها
قال هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربى
على عباده فاذا جاء وعد ربى وقت وعده بخروج ياجوج
وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة جعله دكاء
مدكوكا مبسوطا مستوى بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه
جمل ادك لمنبسط السنام وقرئ الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا
مستوية وكان وعد ربى حقا كائنا لا محالة وهو اخر حكاية
قول ذى القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض
وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون
فى بعض مزدحمين فى البلاد او يموج بعض الخلق فى بعض فيضطربون
ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ فى الصور
لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم
يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين
كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى عن اياتى التى ينظر اليها

فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا
لذكرى وكلامى لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح
به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا
افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادى اتخاذهم
الملائكة والمسيح من دونى اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به
فحذف المفعول الثانى كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد
مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اى افكافيهم فى النجاة وان بما
فى حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى
الفعل فى العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام
للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه
من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم فى الحيوة
الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم
واخرتهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على
البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات
ربهم بالقران او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه
بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون
عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدرى بهم ولا نجعل لهم
مقدارا واعتبارا او فلا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك
الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون
ذلك مبتداء والجملة خبره والعائد محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم
بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا
واتخذوا اياتى ورسلى هزوا اى بسبب ذلك ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا
فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان
الذى يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها
حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى ينازعهم اليه انفسهم ويجوز
ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم

ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه
قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرأ حمزة والكسائي بالياء ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا
زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي
ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة
وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤتى
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما
انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله
واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يأمل
حسن لقائه او يخاف سوء لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله
ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه ويطلب منه اجرا روي
ان جندب بن زهير قال لرسول الله عم لا عمل العمل لله فاذا اطلع عليه احد
سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عم اتقوا
الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصتي العلم
والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي عم من قرأ عند مضجعه
كان له نورا يتلألأ في مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم
فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو
ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عم من قرأ سورة الكهف
من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

سورة مريم مكية الا اية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص امال الها ابو عمرو لان الفات
اسماء التهجي ياءات وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر كليهما ونافع بين بين
وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمون ذكر
رحمة ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القران فانه مشتمل عليه
او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره اي فيما
يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على الماضي وذكر على الامر عبده
مشددا من التذكير

مفعول

مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني
جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء
خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر
اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه
الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ
فقيل ستون وقيل سبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون
قال رب اني وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف
وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه
فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ
بالضم والكسر ونظيره كمل في الحركات الثلث واشتعل الرأس
شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره
وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة واسند الاشتعال
الى الرأس الذي هو محل الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود
واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني
عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي
وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن
معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق
الكريم ان لا يخيب من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا
شرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم
دينهم من ورائي بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء
وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالي اي خفت الموالي من ورائي والذين
يلون الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا من
اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف
متعلقا بخفت وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي من
لدنك فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي
لا يصلح للولادة وليا من صلبي يرثني ويرث من ال يعقوب
صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد
وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة
فانه كان حبرا ويرث من ال يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلام

وقيل كان يعقوب كان اخا زكريا او اخا عمران بن ماثان من نسل سليمان وقرئ
يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير لصغره
ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد
عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة
دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم
احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل
سميا شبيها لقوله صلى الله عليه وسلم هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان
في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر قيل سمي
به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لي
غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة
وقحولا في المفاصل واصله عتو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين
فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وانما استعجب
الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان
الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اي الله او الملك المبلغ للبشارة
تصديقا له كذلك الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة
بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين
ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو
على ذلك يهون علي او كما وعدت وهو علي هين لا احتاج فيما اريد ان افعله
الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل
ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس
بشيء وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك قال رب اجعل لي آية
علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث
ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام
في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر
والشكر ثلاثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى
او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على
الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي
النهار ولعله كان مامورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وان يحمل

ان يكون

ان يكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ
الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه
الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه
واستنبأه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه
على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقة
اي تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان
تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن
جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه وسلام عليه من الله يوم
ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب
القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيمة واذكر
في الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت
بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل
لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف
مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني فيكون
بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا في بيت المقدس او في شرقي
دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول
لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا
سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت
في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد
الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينا هي في مغتسلها
اتاها جبريل متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله
ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها قال اني اعوذ بالرحمن منك
من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب
الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك او فتتعظ بتعويذي
او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني
اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول ربك الذي
استعذت به لاهب لك غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في
الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله سبحانه ويؤيده قراءة ابي عمرو
والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير

اى متر قيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لى غلام
ولم يمسسنى بشر ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات
انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك وبعضده عطف
قوله ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغى قلبت واوه وادغمت ثم
كسرت العين اتباعاً ولذلك لم يلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق
قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله اى ونفعل ذلك
لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على قوله لهب على طريقة
الالتفات اية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة
منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به
قضاء الله تعالى فى الازل وقدر وسطر فى اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى
ويفعل لكونه اية ورحمة فحملته بان نفخ فى درعها فدخلت النفخة
فى جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش
مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلثة عشر سنة
وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت
وهو فى بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور فى موضع
الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار
فاجاءها المخاض فالجاءها المخاض وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه
خص به فى الاستعمال كاتى فى اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت
المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به و
تعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة
لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد
اذ لم يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها
من اياته ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة
لها قالت يا ليتنى مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم
وقرئ مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب
ونظيره الذبح لما يذبح وقرئ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر
سمى به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه اهله لقلته
منسيا منسى الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع
فناديها من تحتها عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل

من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر
على ان فى نادى ضمير احدهما وقيل الضمير فى تحتها للنخلة الا تحزنى اى
لا تحزنى او بان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا
روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى عم وهزى اليك
بجذع النخلة واميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلى الهز والامالة
او هزى الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط عليك تتساقط
فادغمت التاء الثانية فى السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص
تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ يتساقط وتسقط ويسقط
فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول روى انها كانت
يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا
وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها
فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على ان من
قدر ان يثمر النخلة اليابسة فى الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع
من شانها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال
فكلى واشربى اى من الرطب وماء السرى او من الرطب وعصيره
وقرى عينا وطيبى نفسك وارفضى عنها ما احزنك وقرئ بالكسر
وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس
سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن
حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فاما ترين
من البشر احدا فان ترى ادميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت
بالحج لتاخى بين الهمزة وحرف اللين فقولى انى نذرت للرحمن
صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم
فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذرى وانما اكلم الملائكة واناجى
ربى وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء
بكلام عيسى عم فانه قاطع فى طعن الطاعن فاتت به مع ولدها
قومها راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه
قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فرى الجلد يا
اخت هرون يعنون هرون النبى عم وكانت من اعقاب من كان
معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل

صالح او طالح كان فى زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير
لان ما جاءت به فرى وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش
فاشارت اليه الى عيسى اى كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان
فى المهد صبيا ولم نعهد صبيا فى المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف
صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما
حكيما او بمعنى صار قال انى عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول
المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته اتانى الكتاب الانجيل وجعلنى
نبيا وجعلنى مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضى اما
باعتبار ما سبق فى قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله
عقله واستنبأه طفلا اينما كنت حيث كنت واوصانى وامرنى
بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل
ما دمت حيا وبرا بوالدتى وبارا بها عطف على مباركا وقرئ
بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصانى اى و
كلفنى برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلنى
جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام على يوم ولدت
ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف
للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس
السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله والسلام على من اتبع الهدى
فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى ابن مريم
اى الذى تقدم نعته عيسى بن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم
فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله موصوفا
باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اى هو قول
الحق الذى لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام
القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم
وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق
وهو بمعنى القول الذى فيه اى فى امره يمترون يشكون او
يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء
على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى

وتنزيه

وتنزيه لله تعالى عما بهتوه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
تبكيت لهم من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها من شبه الخلق فى الحاجة
فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرئ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب
وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
سبق تفسيره فى سورة ال عمران وقرأ الحجازيان والبصريان ان بالفتح
على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب
من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا
انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء
وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد
يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم
القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم
وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر
والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به فى
عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم و
ابصارهم يوم يأتوننا اى يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد
ما كانوا صما عميا فى الدنيا او تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ
وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه
والجار والمجرور على الاول فى موضع الرفع وعلى الثانى فى موضع النصب
لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين اوقع الظالمين موقع
الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين
ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين وانذرهم يوم الحسرة
يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه اذ قضى
الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل
من اليوم او ظرف للحسرة وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون حال
متعلقة بقوله فى ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اى
انذرهم غافلين غير مؤمنين فتكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن
نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك
ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث
لارثه والينا يرجعون يردون للجزاء واذكر فى الكتاب

ابراهيم انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع او دفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا يحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق القديم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسيرة يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان ثم استهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن او العذاب يليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان

من جنابه لارتقاء همته في الربانية او لانه ملوكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته فنبه عليها قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا ابني واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد عني واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعو ربي واعبده وحده عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء الهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة وقيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرة الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك

وكريا او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على
ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم
عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب
الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه
الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف
شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل
مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع
صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا
اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي
هرون فانه كان اسن من موسى عم وهو مفعول او بدل على تقدير ان يكون
من للتبعيض هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر
في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك
لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم يعهد من غيره ونا
هيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله صابرا فوفى
وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزمه ان يكون صاحب
شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة
والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو
اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان
الانبياء اباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله و
افعاله واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد
ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه
نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة
درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم
ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه
مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء
السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من
زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية
والدنيوية من النبيين بيان للموصول من ذرية ادم بدل

منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من
الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا
خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح
ومن ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم
اي من ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى
وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة
من هدينا الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم
ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول
صفته واستيناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له
مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله
عز وجل وعن النبي عم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي
جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التانيث غير حقيقي
فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال
خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة
تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر و
استحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله
واتبعوا الشهوات من بني المشيد وركب المنظور ولبس المشهور
فسوف يلقون غيا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو
لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل
وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من تاب وامن
وعمل صالحا يدل على ان الاية في الكفرة فاولئك يدخلون
الجنة وقرئ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول
من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم
ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق
لا يضرهم ولا ينقص من اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل
البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر
محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة
كبرة وكذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن
عباده بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او هم غائبون عنها

او وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده الذى هو الجنة ماتيا ياتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اى مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروزه تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل فى التمليك والاستحقاق من حيث انها لا يعقب بفسخ ولا استرجاع ولا يبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجاه ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما يقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل باليا والضمير للوحى له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيته وما كان ربك نسيا تاركا لك اى ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله

لقولهم

لقولهم اى وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول مرتب عليه اى لما عرفت ربك بانه لا ينبغى له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحى وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدايد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اى اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابى بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ائذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهى ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام فى يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان عطف على يقول وهمزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وروح عن يعقوب يذكر من الذكر الذى يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشانه الرسول عليه السلام والشياطين عطف او مفعول معه لما روى ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه فى سلسلة وهذا وان كان

مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة
مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول
جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال
الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى
دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع
او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل
الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول
وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ
جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة ثم لننزعن من
كل شيعة من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا
من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو
كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم
اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي يليق بهم
وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب
حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد
الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما
بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن
من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى
التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة
من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان
او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها
صليا اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم
المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم
مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرئ حمزة والكسائي وحفص صليا بكسر
الصاد وان منكم وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ
وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضرها يمر بها المؤمنون
وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا
دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ان نرد النار فيقال
لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد

عن

عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على
ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله تعالى على نفسه
وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين
اتقوا فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف
وقرئ بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارة
بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين
يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني
بنفسها او ببيان الرسول عم او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا
للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين
خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة
ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الايات
الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ
الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله
لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا
مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا من قبلهم من قرن هم
احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل
كل عصر قرنا اي مقدما من قرن الدابة وهو مقدمها لانه يتقدم من بعدهم وهم
احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه
والخرثي ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع
وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر
رئيا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه من محاسن
مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل
والنقص ما يكون في الاخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد
له الرحمن مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ
الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله
انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر حتى اذا راوا ما
يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين
خير حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة تفصيل

للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا
واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال **فسيعلمون
من هو شر مكانا** من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه
وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى
واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن
النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد
القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله
اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله تعالى اراد به
ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من
كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية **والباقيات
الصالحات** الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل فيها ما قيل
من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية
التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما
اشار اليه بقوله **وخير مردا** والخير ههنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة
قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده **افرايت الذي
كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا** نزلت في العاص بن
وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر
بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد
فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار
والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرا
حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب في العرب
اطلع الغيب اقد بلغ من عظم شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به
الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الاخرة مالا وولدا وتالى عليه **ام اتخذ
عند الرحمن عهدا** او اتخذ من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى
العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان
وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه **كلا** ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما
تصوره لنفسه **سنكتب ما يقول** سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة

قوله

قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام
من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا يتاخر عن القول لقوله تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد **ونمد له من العذاب مدا**
ونطول له من العذاب ما يستاهل له او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه
واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه
ونرثه بموته **ما يقول** يعني المال والولد **ويأتينا** يوم القيمة
فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل
فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه **واتخذوا من دون الله الهة
ليكونوا لهم عزا** ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله تعالى
وشفعاء عنده **كلا** ردع وانكار لتعززهم بها **سيكفرون
بعبادتهم** ستجحد الالهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ
تبرا الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين **ويكونون
عليهم ضدا** يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اي ويكون عليهم
ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان يوقد بها نارهم او جعل
الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده
لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله
عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف
قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الراي
كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم
الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم
او قيضنا لهم قرناء **تؤزهم ازا** تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات
وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله من اقاويل الكفرة وتماديهم
في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الايات المتقدمة
فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنين من شرورهم
وتطهر الارض من فسادهم **انما نعد لهم** ايام اجالهم **عدا** والمعنى
لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة **يوم
نحشر المتقين** نجمعهم **الى الرحمن** الى ربهم الذي غمرهم برحمته
ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها

لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين
عليه كما يفد الوفاد على الملوك المنتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق
المجرمين كما يساق البهايم الى جهنم وردا عطاشا فان من
يرد الما لا يرده الا العطش او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون
الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب
لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد
ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله
او الا من اتخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير
او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل
الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان
ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم
والتسجيل عليهم بالجرءة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة
الشدة وادنى الامر واداني اثقلني وعظم علي تكاد السموات
وقرئ نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد
اخرى وقرئ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول
ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل
للتكلف وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة
او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة
عظيم وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم يتحملها هذه الاجسام
العظام وتفتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه
لخرب العالم وبدد قوايمه غضبا على تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا
يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه
والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف
تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد
للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول
الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى

الى فلان

الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا
ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب
الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس
من هو مبدا النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذ ولدا
ثم صرح به في قوله ان كل من في السموت والارض اي ما منهم
الا اتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له ياوي اليه بالعبودية والانقياد
وقرئ ات الرحمن على الاصل لقد احصيهم حصرهم واحاط بهم
بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم
وانفاسهم وافعالهم فان كل شي عنده بمقدار وكلهم اتيه يوم
القيمة فردا منفردين عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شي
من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم
في القلوب المودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي عم اذا احب الله
عبدا يقول لجبرئيل اجبت فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي في اهل السما
ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما ثم يوضع له المحبة في اصل الارض
والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك
اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس
الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك
بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلنا
اي انزلنا بلغتك لتبشر به المتقين الصايرين الى التقوى
وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة اخذين في كل لديد اي شق
من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن
تخويف للكفرة وتجسير للرسول عم على انذارهم هل تحس منهم
من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم ركزا وقرئ
تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفا ومنه ركز
الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز للمال المدفون عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي له عشر حسنات بعدد
من كذب وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وساير الانبياء
المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ولم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة وخمس وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها ابن كثير وابن عامر وحفص
ويعقوب على الاصل وفخم الطا وحده ابو عمرو لاستعلائه واما لهما الباقون
وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله
يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طه
في خلايقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف يجوز ان يكون قسما كقوله
حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول عم بان يطأ الارض بقدميه
فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طا فقلبت همزته هاء
او قلبت في يطا الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء
السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة
والها كناية عن الارض لكن يرد ذلك كتبتهما في صورة الحرف وكذا التفسير
بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك
عليك القران لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدا على انه مأول بالسورة
او القران والقران فيه واقع موقع العايد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له
ان جعلته نداء واستيناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او
طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القران لتتعب لفرط تأسفك
على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام
على ساق والشقا شايع بمعنى التعب ومنه اشقى من رايض المهر وسيد القوم اشقاهم
ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة
فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القران انزل
عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء
المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له
لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موقع
الحال من الكاف او القران او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو
صفة القران اي ما انزلنا عليك القران المنزل لتتعب بتبليغه لمن يخشى
لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف
منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح
او البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان

وقرئ معناه يا رجل او يا هادي
او يا طاهر اهل بقعة سعه

الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى
مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشان المنزل بعرض تعظيم المنزل
بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض
والسموات التي هي اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده
من السموات العلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات
وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والمقادير وانزل منه الاسباب
على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته فقال الرحمن
على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما
وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت
القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات
الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر
واخفى اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم
السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء
والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها
عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه تعالى
المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال
الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق صلة لتنزيلا
او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من
وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص
بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له
من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل
والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن خلق فيكون على
العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء
ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي اخر
طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء
في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتيك حديث
موسى قفى تمهيد نبوته عم بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة
وتبليغ الرسالة والصبر على مقاسات الشدايد فان هذه السورة من اوائل
ما نزل اذ راى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل

انه استأذن شعيبا عم في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى
وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد
اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ راى من جانب الطور نارا فقال لاهله
امكثوا اقيموا مكانكم اني آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة
فيه وقيل الايناس ابصار ما يونس به لعلي آتيكم منها بقبس
شعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا يدلني
على الطريق او يهديني الى ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها في كل ما
يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس
فانه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى
الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستطون المكان
القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه
فلما اتيها اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي
يا موسى اني انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسره الباقون
باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل
انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك
تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات
وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عم يلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا
ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير
اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة
تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما
كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال
انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس
يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون
بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي
نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرئ
حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى اليك او للوحي
واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم
والامر بالعبادة التي هي كمال العمل واقم الصلوة لذكري خصها بالذكر

وافردها

وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب
واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكر
بالثناء او لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات
ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه عم قال من نام عن
صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى قال واقم الصلوة لذكري
ان الساعة آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب
ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع
الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاه ويؤيده القراءة
بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية
او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة
او عن الصلوة من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عم عنها
والمراد نهيه ان يتصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة
لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه
فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه ميل نفسه
الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى
فتهلك بالانصداد بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا
لما يريه فيها من العجائب بيمينك حال من معنى الاشارة وقيل صلة
تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي
عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها اعتمد عليها
اذا اعييت او وقفت على راس القطيع واهش بها على غنمي
واخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ اهش وكلاهما من هش
الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم
اي انحي عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب اخرى حاجات اخر مثل
ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين
على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها
واذا تعرض السباع لغنمه قاتل بها وكانه عم فهم ان المقصود من السؤال
ان يذكر حقيقتها او ما يرى من منافعها حتى اذا راها بعد ذلك على
خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل
ان يشتعل شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول

لطول جثرو ويحارب عند اذا اظهر عدو و ينبع الماء بركزها و ينصب بنزعها
و يورق و يثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك ايات باهرة ومعجزات قاهرة
احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها و منافعها مفصلا و
مجملا على معنى انها من جنس العصا ينفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي
فهم قال القها يا موسى فالقها فاذا هي حية تسعى قيل لما القاها
انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا
تارة نظرا الى المبداء وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي
يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كانها
جان قال خذها ولا تخف فانه لما راها حية تسرع وتبتلع الحجر
والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الاولى هيئتها و
حالها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على
نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف
اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيد العصا بعد ذهابها
تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك
اطمانت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها واضمم يدك الى
جناحك اي جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي
العسكر استعارة من جناحي الطير سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران
تخرج بيضاء كانها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كني به عن
البرص كما كني بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه اية
اخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول
باضمار خذ او دونك لنريك من اياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر
او بما دل عليه اية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى
صفة اياتنا او مفعول نريك ومن اياتنا حال منها اذهب الى فرعون
بهاتين الايتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى وتكبر قال رب
اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره الله تعالى بخطب عظيم
وامر جسيم ساله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر
على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع
الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر
ثانيا تاكيدا ومبالغة واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي

فانما

فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك
ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت اسية انه
صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في
فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها
فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت
عنه واختلف في زوال العقدة بكمال فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت
سؤلك ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين
واجاب عن الاول بانه لم يسئل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام
ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة
عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من اهلي هرون
اخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل
الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجا لان الامير يعتصم برايه ويلتجي اليه
في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى
كالعشير والجليس قلبت همزته كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون
قدم ثانيهما للعناية ولي صلة او حال اولي وزيرا وهرون عطف بيان للوزيرا
ووزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل
من هرون او مبتدا خبره اشدد به ازري واشركه في امري على
لفظ الامر وقراهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر
الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا
وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد اوتيت سؤلك يا موسى
اي مسؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول ولقد
مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك في وقت اخر اذ اوحينا الى
امك بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة
كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل
لعظم شانه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه
او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف يقال
للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله
غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل لما كان الالقاء

البحر اياه الى الساحل امر او اجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز
مطيع وامره بذلك واخرج الجواب بخرج الامر والاولى ان يجعل الضمائر كلها
لموسى مراعاة للنظم والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت
بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو لى وعدو له جواب فليلقه
وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع
قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيّرته والقته فى اليم وكان
يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة فى البستان
وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج
ففتح فاذا صبى اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال والقيت
عليك محبة منى اى محبة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث
لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق
منى بالقيت اى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان
اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان
يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عينى ولتربى ويحسن
اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك
او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع
بكسر اللام وسكونها والجزم على انها امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اى
وليكون عملك على عين منى لئلا تخالف به عن امرى اذ تمشى اختك
ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع
فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدى المراضع
فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها
فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك وفاء
بقولنا انا رادوه اليك كى تقر عينها بلقائك ولا تحزن هى بفراقك
او انت على فراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطى الذى
استغاثه عليه الاسرائيلى فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله
واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا
وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد
بالتاء كحجوز وبدور فى حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال
لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشى راجلا على حذر وفقد

المراد

المراد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين
فى اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثمانى
مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك
غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخرا او على مقدار من السن يوحى فيه الى
الانبياء ياموسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك
واصطنعتك لنفسى واصطفيتك لمحبتى مثله فيما خوله من الكرامة
بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك باياتى
بمعجزاتى ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء فى ذكرى
لا تنسيانى حيثما تقلبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الى اذهبا الى
فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير
قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا
له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه
دعوة فى صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما
او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس
وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت
لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اى باشرا الامر على رجائكما
وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجى مجتهد والآيس متكلف والفائدة
فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه انه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة
واظهار ما حدث فى تضاعيف ذلك من الايات والتذكر للمتحقق والخشية
للمتوهم ولذلك قدم الاول اى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان
يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة
ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس
فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اى نخاف ان يحمله
حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسى او جنى على المعاجلة
بالعقاب ويفرط من الافراط فى الاذية او ان يطغى ان يزداد طغيانا
فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغى لجرأته وقساوته واطلاقه من حسن
الادب قال لا تخافا اننى معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى
ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث فى كل حال ما يصرف شره عنكما
ويوجب نصرتى لكما ويجوز ان لا يقدر شئ على معنى اننى حافظكما سامعا

مبصرا او حافظا اذا كان قادرا سميعا بصيرا ثم الحفظ فأتياه فقولا انا
رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم
بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم
ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام دون عام وتعقيب
الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى
الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك باية من
ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد
الاية وكان معه ايتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى
وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة من ربكم فأت باية اولو
جئتك بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة
وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم انا قد اوحي الينا
ان العذاب على من كذب وتولى ان عذاب الله منزل على المكذبين
للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد
في اول الامر انجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى
اي بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع
اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه
الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد
ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال
ربنا الذي اعطى كل شيء من الانواع خلقه صورته وشكله
الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون
به فقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره
في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على
شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه
ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل به الى بقائه
وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه
عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات
المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في
حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه
فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم

بعد

بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي اي انه غيب
لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب مثبت
فيه وهو اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه
العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى والضلال
ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان يذهب عنه بحيث لا يخطر
ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على
احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص
المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية
مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم
وباحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده
لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي
او خبر لمحذوف او منصوب على المدح وقرئ الكوفيون مهدا اي كالمهد
تتمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش
وجمع مهد وسلك لكم فيها سبلا وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال
والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل
من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل عن لفظ الغيبة الى صيغة
التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة
والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره
كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن
خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا
اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات
بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات
فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت
كمريض ومرضى اي متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس
وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من
ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا
والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ان في ذلك لايات
لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح
جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول ابائكم واول مواد

ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم
تارة اخرى بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة
ورد الارواح اليها ولقد اريناه اياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها
كلها تاكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد باياتنا ايات
معهودة وهي الايات التسع المختصة بموسى عم او انه اراه اياته وعدد عليه
ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان
والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر
بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى
خاف على ملكه فان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلناتينك
بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله
لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب
مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من
موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله
قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان
مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان
يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب
وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته
الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدا في الشذوذ وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم
النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل
على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى
عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون
والياء على ان فيه ضمير فرعون على كون الخطاب لقومه فتولى فرعون
فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة والاتهم ثم اتى الموعد قال
لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته سحرا
فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستاصلكم به وقرئ حمزة والكسائي وحفص
ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة اهل الحجاز وقد
خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم
ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين

سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى
بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى
وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان
هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه
حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب
فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان
المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها
مبتداء وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتداء وقيل اصله انه هذان لهما
ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ابو عمرو
ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام
هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم من
ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى
بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله اني
اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنوا اسرائيل فانهم
كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرئيل وقيل الطريقة
اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم
فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرئ ابو عمرو
فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو
قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في
صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا
واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز
بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما
ان نكون اول من القى اي بعد ما اتوا مراعاة للادب وان
بما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبر محذوف اي اختر القاءك
اولا او القاءنا او الامر القاءك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة
ادب بادب وعدم مبالات بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى
البداء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما
معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق
على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم

انها تسعى اى فالقوا فاذا حبالهم وهى للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية
يستدعى متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق
فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى تخيله وقت تخيل
سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها
الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ ابن عامر وروح تخيل بالتاء
على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ
يخيل على اسناده الى الله تعالى وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس فى نفسه
خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية
او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك
انت الاعلى تعليل للنهى وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستيناف وحرف
التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة
وصيغة التفضيل والق ما فى يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها
اى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة التى فى يمينك او تعظيما لها اى
لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان فى يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه
تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف
احدى التائين وتاء المضارعة يحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى السبب
وقرئ ابن عامر بالرفع على الحال والاستيناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه
من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذى زوروا وافتعلوا كيد ساحر
وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرئ حمزة والكسائى
سحر بمعنى ذى سحر او بتسمية الساحر سحرا للمبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان
كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح
الساحر اى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى
النفوس ما اعدت فى سعى دنيا طالما قد مدت كانه قيل انما صنعوا كيد سحرى
حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقى السحرة سجدا اى فالقى فتلقف
فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من ايات الله ومعجزاته فالقاهم ذلك على
وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا وتعظيما لما راوا قالوا امنا برب هرون
وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروى الاية او لان فرعون ربى موسى
فى صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر
هرون على الاستتباع روى انهم راوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال

امنتم

امنتم له اى لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع قبل
ان اذن لكم فى الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم فى فنكم واعلمكم به
او لاستاذكم الذى علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم
فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل
اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو وهى
مع المجرور بها فى حيز النصب على الحال اى لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن
ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم فى جذوع النخل شبه
تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب
ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله امنتم له قبل ان اذن واللام
مع الايمان فى كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن
من التعذيب فى شئ وقيل رب موسى الذى امنوا به اشد عذابا
وابقى وادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على
ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات
المعجزات الواضحات والذى فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم
فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اى صانعه او حاكم به انما
تقضى هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه فى
هذه الدنيا والاخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده
وقرئ تقضى هذه الحيوة كقولك صيم يوم الجمعة انا امنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصى وما اكرهتنا عليه
من السحر فى معارضة المعجزة روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى
نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام
بطل سحره فابى الا ان يعارضوه والله خير وابقى جزاء او خير
ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر من يات ربه مجرما بان يموت
على كفره وعصيانه فان له نار جهنم لا يموت فيها فيستريح
من العذاب ولا يحيى حيوة مهناة ومن ياته مؤمنا
قد عمل الصالحات فى الدنيا فاولئك لهم الدرجات
العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى
الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس

الكفر والمعاصي والايات الثلاث يحتمل ان يكون من كلام السحرة وان يكون ابتداء كلام من الله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له من ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعا جياعا او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المامور اي امنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرئ حمزة لا تخف على انه جواب للامر ولا تخشى استيناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وزادهم خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى اي اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجا يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي عم بما فعل باباتهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور الايمن بمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عديت المواعدة اليهم وهي لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلالاته وقرء حمزة والكسائي

انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم بالتاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب عن الشرك وامن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري اي ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك قال فانا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ست مائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنى عشر الفا واضلهم السامري باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم قاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الاية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشئ ان يكون في علمه ومقتضى مشيته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى الى قومه بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوه قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها هدى ونور افطال عليكم العهد اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل

في العبادة فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبوت على الايمان بالله
والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي
فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب
على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك
بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري لما
اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلاثتها
في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من
زينة القوم احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج
من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج
مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه
ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تحل بعد ولانهم كانوا مستأمنين
وليس للمستأمن ان ياخذ مال الحربي فقذفناها اي في النار وكذلك
القى السامري اي ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان العدة قد
كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو
حرام عليكم فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها
ففعلوا وقرئ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالفتح
والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة خوار صوت
العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم
واله موسى فنسي اي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور
او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من اظهار الايمان افلا يرون
افلا يعلمون الا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم
جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا يقع بعد افعال
اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم ولا
اضرارهم ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى
او قول السامري كأنه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة وتوهم
ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم
الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات على الدين
قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين
حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال

ياهرون

ياهرون اي قال له موسى لما رجع ما منعك اذ رأيتهم ضلوا
بعبادة العجل الا تتبعني ان تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به
او ان تأتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد
افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن
ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور
على انهما كانا من اب وام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اي بشعر رأسي
قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وغضبه لله وكان حديدا خشنا
متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل اني خشيت
ان تقول فرقت بين بني اسرائيل او قاتلت او فارقت بعضهم ببعض
ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي واصلح فان الاصلاح
كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برأيك
قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك
اي ما طلبك له وما حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال
بصرت بما لم يبصروا به وقرئ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب
اي علمت ما لم تعلموه وفطنت بما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك
روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رأيت ما لم يروه وهو ان جبريل
جاءك على فرس الحيوة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون
وكان جبريل يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر
الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض
كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ
باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل ولعله لم يسمه
لانه لم يعرف انه جبريل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب
به الى الطور فنبذتها في الحلي المذابة او في جوف العجل حتى حيي وكذلك
سولت لي نفسي زينته وحسنته لي قال فاذهب فان لك
في الحيوة عقوبة على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا
من ان يمسك احد فيأخذك الحمى ومن مسك فتتحامى الناس ويتحاموك وتكون
طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة
وان لك موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفك الله وينجزه
لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرئ ابن كثير والبصريان بكسر اللام

اي لن تخلف الموعد اياه وسننجزه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود
هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون
على حكاية قول الله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت
على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة
اللام اليها لنحرقنه اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغ
في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه
رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء
والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى
نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا
احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما وسع علمه
كل ما يصلح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا
في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب
على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى
مفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص
قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور
الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا
للمستبصرين من امتك وقد اتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه
الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل
ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذي
هو القران الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيمة
وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها لها في ثقلها
على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما
عظيما خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض
للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيمة حملا اي بئس لهم
ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم
واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعل ساء بمعنى احزن والضمير الذي
فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في
الصور وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له
او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر

ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان
ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ يحشر المجرمون زرقا
زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب
لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو
اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزرق
يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب
والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا يوما
اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة
الاخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها
على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله
ويوم تقوم الساعة الى اخر الايات نحن اعلم بما يقولون وهو
مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان
لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم و
يسئلونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف
فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح
فيفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر
لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا
صفصفا مستويا كان اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها
عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالقياس الهندسي
وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس
ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت وهو النتوء اليسير
وقيل لا ترى استيناف مبين للحال يومئذ اي يوم اذ نسفت على
اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة
يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس
قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج
له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات
للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه
الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى
المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن

الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اي الا من اذن
ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني
منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن او من الاذن ورضي
له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول
الشافع في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم
من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون
به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين
او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت
الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى
في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين
فيكون اللام بدلا من الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما
وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل
من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط
في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق
بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم
غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك
نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الايات المتضمنة للوعيد
انزلناه قرانا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد
مكررين فيه من ايات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فيصير التقوى
لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم
عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القران فتعالى الله
في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته
ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى
وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته والثابت في ذاته وصفاته و
لا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال
في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال
على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه
وقل رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما
اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى ادم ولقد امرناه يقال

تقدم الملك اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف
وانما عطف قصة ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس
بني ادم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا الزمان
فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه وترك ما وصي به من الاحتراز عن
الشجرة ولم نجد له عزما تصميم رأي وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة
وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره
من قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبي عم لو وزنت
احلام بني ادم بحلم ادم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل
عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى
العلم فله وعزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال
من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم مقدر
باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي
العزيمة والثبات فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى
جملة مستانفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا
لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى
اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث
يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى افرده باسناد
الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث
انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد من الشقاء التعب في طلب المعاش
وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى
وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من
اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن
مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ينقطع ويزول منها
بذكر نقايضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر عنها والعاطف وان
ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع
دخوله على ان امتناع دخول ان عليه وقرأ نافع وابو بكر وانك بكسر الهمزة
والباقون بفتحها فوسوس اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته
فقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها

خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانها سببه بزعمه وملك
لا يبلى لا يزول ولا يضعف فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق
على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه باكل الشجرة
فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن
المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي
الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته
تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه
بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس
فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى
الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا
الخطاب لادم وحواء او له ولابليس ولما كانا اصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم
فقال بعضكم لبعض عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب
او لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الاخر ويؤيد الاول قوله فاما
يأتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل
في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى
الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك
لان مجامع همه ومطامح نظره الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا
عن انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للاخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر
ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا الايات وقيل هو الضريع
والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره قرئ بسكون الهاء
على الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم
القيمة اعمى اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول قال رب لم
حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد امالهما حمزة والكسائي لان
الالف منقلبة عن الياء وفرق ابو عمرو بان الاول رأس الاية ومحل الوقف
وهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال
اتتك اياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها

وكذلك

وكذلك ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب
وكذلك نجزي من اسرف بانهماكه في الشهوات والاعراض عن الايات
ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الاخرة
وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي وللنار بعد ذلك اشد وابقى
من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى حاله ومحله
او مما فعله من ترك الايات والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله تعالى
او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي اهلاكنا
اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري مجرى العلم ويدل
عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون اثار هلاكهم
ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل
والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير عذاب
هذه الامة الى الاخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما
لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم الة سمي به اللازم لفرط لزومه
كقولهم لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة بتأخير
العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر
لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم
العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل
مسمى لازمين له واصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك
وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر
ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولي
للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني
الظهر والعصر لانهما في اخر النهار او العصر وحده ومن اناء الليل ومن
ساعاته جمع اني بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب
والعشاء وانما قدم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب
فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك
قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف
النهار تكرير لصلوتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه
بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة
الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه

باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار لعلك
ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله
ما به ترضى نفسك وقرئ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك
ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به
استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة
ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اي الذي متعنا به وهو
اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف
دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا
بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ يعقوب بالفتح
وهو لغة كالجهرة في الجهر او جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم
وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم او
نختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك
في الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى
فانه لا ينقطع وامر اهلك بالصلوة امره بان يأمر اهل بيته او التابعين
له من امته بالصلوة بعدما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم
ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتون ارباب الثروة واصطبر عليها
وداوم عليها لا نسئلك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك
نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة المحمودة
للتقوى لذوي التقوى روي انه عم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة
وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا باية من ربه باية تدل على
صدقه في ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد
به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها و
ابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم والعمل
وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى
اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه
المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى من التوراة
والانجيل وساير الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقايد
والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين
وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك

ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرئ نافع وابو عمرو وحفص
اولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله من قبل محمد عم او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان
والمراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
اياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول
النار يوم القيمة وقد قرئ بالبناء للمفعول قل كل اي كل واحد منا
ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ
فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم
وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوءى والسوء اي الشر والسوي وهو
تصغير ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام
ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى
لعدم العايد فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل
على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي عم
وعنه عم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم بالاضافة
الى ما مضى او عند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وقوله تعالى
ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون او لان كل ما هو ات قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى
واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم
اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار
لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب
معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا
من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم على سنة
الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة ليأتيهم محدث
تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل
الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي
غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون

حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء به
والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع
على انه خبر اخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها
خفا تناجيهم الذين ظلموا بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظلموا فيما اسروا به
او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء
اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب
على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون
باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كانهم استدلوا
بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا
واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقران سحر فانكروا حضوره وانما
اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل
ربي يعلم القول في السموات والارض جهرا كان او سرا فضلا
عما اسروا به وهو اكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
ولذلك اختير هاهنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرا حمزة والكسائي
وحفص قال بالاخبار عن الرسول عم وهو السميع العليم فلا يخفى
عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل
افتريه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام
ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكايته والابتداء
بالاخرى او للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول وما ظهر عليه من الايات
الى تقاولهم في امر القران والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت
اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري
يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغب فيها ويجوز ان يكون الكل من
الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه
مشحون بالحقائق والحكم ليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما
لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف
الاحلام ولانهم جربوا رسول الله عم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه
كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فلياتنا
باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء
والعصا وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان

الارسال يتضمن الاتيان بالاية ما امنت قبلهم من قرية من اهل قرية
اهلكناها باقتراح الايات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم
بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو
اتى به لم يؤمنوا فاستوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم
بان يسئلوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة
عليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي عم ويثقون
بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرا حفص
نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما
كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا
لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام
وما كانوا خالدين تاكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع
التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر
في الاصل او على حذف المضاف او تاويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون
ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب
لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد
فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن
سيؤمن هو او واحد من ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستيصال
واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم
يا قريش كتابا يعني القران فيه ذكركم صيتكم لقوله وانه
لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم
الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا من
قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء
بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت
مقامه وانشانا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما اخرين
مكانهم فلما احسوا باسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك
المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون
يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم

لا تركضوا على ارادة القول اى قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال
او المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم
فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التى
كانت لكم لعلكم تسئلون غدا عن اعمالكم وتعذبون فان السؤال
من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور فى المهام والنوازل
قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما راوا العذاب ولم يروا وجه النجاة
فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبى فقتلوه
فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات
الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون
ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل
تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى
جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع
خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول
الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد
والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع و
تبصرة للنظار وتذكرة لذوى الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور
العباد فى المعاش والمعاد فينبغى ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا
بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به
ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق
بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم
فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد
بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ان كنا فاعلين
ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية
بل نقذف بالحق على الباطل اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته
من اللعب اى بل شاننا ان نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى
من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو
الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث
يشق غشاؤه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله ومبالغة فيه

وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلى لبنى تميم والحق بالحجاز فاستريحا
ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك
والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما
تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدرية
او موصولة او موصوفة وله من فى السموات والارض خلقا وملكا
ومن عنده يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين
عند الملوك وهو معطوف على من فى السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم
منه من وجه والمراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء فى السماء والارض
او مبتدا خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون
عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جئ بالاستحسار
الذى هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم لثقلها ودوامها حقيقة
بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه
ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو فى يسبحون وهو
استئناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا و
الهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة لآلهة او متعلقة بالفعل
على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون
الموتى وهم وان لم يصرحوا بذلك لكن لزم ادعاؤهم لها الالهية فان
من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم
وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان
فيهما آلهة الا الله غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء
لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون
الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على
غير كما استثنى بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على
الاستثناء ومشروط بان يكون فى كلام غير موجب لفسدتا
لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت فى المراد
تطاردت القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله
رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذى هو محل التدابير ومنشأ
التقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد
لا يسئل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية

والسلطنة الذاتية وهم يسئلون لانهم مملوكون مستعبدون و
الضمير للآلهة او العباد ام اتخذوا من دونه آلهة كرره استعظاما
لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون
لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة
ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا
في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه
رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده
نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا يصح
القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا
هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما
لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل
ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ
بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد
بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ
الحق بالرفع على انه محذوف وسط للتاكيد بين السبب والمسبب
فهم معرضون من التوحيد واتباع الرسل وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا
فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم
الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلثة وقرئ
حفص وحمزة والكسائي نوحي بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح
ها وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا
الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم
عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون
وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه
بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين
واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليهم وجعل القول محله
واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله
وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه

بالضم

بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط
ما لم يامرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا تخفى عليه خافية
مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك
يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى
ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته من عظمته ومهابته مشفقون
مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق
خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس
ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد
المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم
بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرئ
ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات
رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة واحدة
ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت
بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت
باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة
بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات
فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات
باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم
متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء
او بوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل
كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير
شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل
شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء
وذلك لانه من اعظم مواده لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا
كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول
ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع
ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسى
اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان

لا تميد فحذف لا لامن الالباس وجعلنا فيها في الارض والرواسي
فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له
ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا
فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التاكيد لعلهم
يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا
عن الوقوع بقدرته او الفساد او الانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته
او استراق السمع بالشهب وهم عن اياتها احوالها الدالة على وجود
الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث
عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو
الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض
تلك الايات كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف
اليه والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون
على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس
والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع
وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص
به ريب المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون
كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك
كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو
برهان على ما انكره ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر
والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا
ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان
المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وتقرير لما
سبق واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك ما يتخذونك
الا هزوا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر الهتكم
اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء
وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاده الخلق ببعث الرسل وانزال
الكتب رحمة عليهم او بالقران هم كافرون منكرون فهم احق بان يهزأ
بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر

خلق

خلق الانسان من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة تأنيه كقولك
خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له
ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روي
انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب سأريكم اياتي نقماتي
في الدنيا كوقعة بدر وفي الاخرة عذاب فلا تستعجلون بالاتيان
بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون
متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيمة ان كنتم صادقين
يعنون النبي واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن
وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون
محذوف الجواب وحين مفعول يعلم اي لو يعلموا الوقت الذي يستعجلون
منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين يحيط بهم النار من كل جانب بحيث
لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك
مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلان
ما هم عليه حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على
ما اوجب لهم ذلك بل تأتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجأة
مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء
والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها
لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار
او للبغتة ولا هم ينظرون ولا يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا
ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله عم فحاق
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن وعيد لهم بان ما يفعلونه
به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاؤه قل
يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من
الرحمن من بأسه ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته
العامة وان اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه
ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال
عنه ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل الهة تمنعهم من العذاب تتجاوز
منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضراب عن الامر بالسؤال على الترتيب
فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون

نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استيناف لابطال ما اعتقدوه
فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل
متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان
ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار
او الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا
وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه
ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا ناتي
الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين
عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدي المسلمين افهم الغالبون
رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا
يسمع الصم الدعاء وقرئ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي عم
وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة
على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب
بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم و
تجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شئ وفيه مبالغات ذكر المس
وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشئ والبناء الدال
على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن
يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها
بالظلم ونضع الموازين القسط العدل توزن بها صحائف
الاعمال وقيل وضع الميزان تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب
الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم
القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس
خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقها او من الظلم وان
كان مثقال حبة من خردل وان كان العمل او الظلم مقدار حبتها
ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرئ اتينا
بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من الاعطاء او من المواتاة فانهم اتوه
بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتانيثه
لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا
ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى

للمتقين

للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء
به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون
اليه من الشرايع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو
على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح
لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم
من الساعة مشفقون خائفون وفي تصديره الضمير وبناء الحكم
عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القران مبارك كثير خيره
انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد
اتينا ابراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل
على انه رشد مثله وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة فيه من قبل
من قبل موسى وهرون او محمد عليه السلام وقيل من قبل استنبائه او
بلوغه حيث قال اني وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما اتيناه
او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الاخلاق وفيه اشارة الى ان فعله
تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه
متعلق باتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت
قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشانها
وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا يضره ولا ينفع واللام
للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون
العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا
وجدنا اباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام
من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم
انتم واباؤكم في ضلال مبين منخرطين في سلك ضلال لا يخفى
على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد وان جاز فانما
يجوز لمن علم في الجملة انه على الحق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من
اللاعبين كانهم لاستبعادهم تضليل اباءهم ظنوا ان ما قاله انما
قاله على وجه الملاعبة فقالوا ابجد تقوله ام انت تلعب به قال
بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب
عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض
او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم

المذكور من التوحيد من الشاهدين من المحققين له والمبرهنين
عليه فان الشاهد من تحقق الشئ وحققه وتالله وقرئ بالباء وهو
الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم
لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه
على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم ولعله
قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام
من الجذ وهو القطع وقرئ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف
وخفيف وقرئ بالفتح وجُذُذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم
للاصنام كسر غيره واستبقاه وعلق الفاس على عنقه لعلهم اليه
يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره
بعداوة الهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون الى
الكبير فيسئلونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه في حل العقد
فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز الهتهم
قالوا حين رجعوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين
بجرأته على الالهة الحقيقة بالاعظام او بافراط في حطمها او بتوريط
نفسه على الهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله ويذكر
ثاني مفعول بسمع او صفة لفتى تصحح لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في
نسبة الذكر اليه يقال له ابراهيم هو ابراهيم ويجوز رفعه بالفعل
لان المراد به الاسم قالوا فاتوا به على اعين الناس بمرأى منهم
بحيث يتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم
يشهدون بقوله او فعله او يحضرون عقوبتنا له قالوا ءانت
فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم حين احضروه قال بل فعله
كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل
اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه
او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضي كما لو
قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق وانت كتبت فقلت
بل كتبت او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى متعلق
بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او ضمير فتى او ابرهيم
وقوله كبيرهم هذا مبتدا وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي انه

قال لابرهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته
فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم
لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق
ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا
على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه
عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ مستعليا على اعلاه ونكسوا
بالتشديد ونكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
فكيف تامر بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم انكار لعبادتهم لها
بعد اعترافهم بانها جمادات لا ينفع ولا يضر فانه ينافي الالوهية اف
لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منهم على اصرارهم بالباطل
البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له
افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذا في المضارة لما عجزوا
عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا
الهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين
لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيتون خسف
به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات
برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة
لقدرته مامورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله
اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم بنوا حضيرة بكوثى واججوا فيها نارا
عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبرئيل هل
لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسئل ربك فقال حسبي من سؤالي
علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه
فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف
بقرة وكف عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء
طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت
النار بحالها لكنه تع دفع عنه اذيتها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله
على ابراهيم وارادوا به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين

اسند الفعل اليه

اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابرهيم على الحق
وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى
الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته
العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرايعهم التي هي مبادي
الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي
انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة
على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة وكلا
يعني الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم
عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون
الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين
واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام
العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات
وكذا قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص
على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام
المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة
ولذلك قدم الصلة ولوطا اتيناه حكما حكمة ونبوة او فصلا
بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه من القرية
قرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة
اهلها واسندها اليها على حذف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم
سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في
اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا
الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل
من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من
الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد
ونصرناه مطاوعه انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا
باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين
تكذيب الحق والانهماك في الشر ولعلهما لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله و
داود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت

عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم
شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان
الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم
لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق
بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها واصوافها
والحرث الى ارباب الغنم فيقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان
ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل
قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا
عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا
ولذلك قضى النبي عم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال
على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند
ابي حنيفة رح لا ضمان الا ان يكون معها حافظا لقوله عم جرح العجماء جبار
وكلا اتينا حكما وعلما دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل
على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل
توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما يفضل عليه في صغره وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال او
بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو
حال او استيناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا او يسبحن
والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء
او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع
منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع
وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفايح فحلقها
وسردها لكم متعلق بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم
بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود او للبوس وفي قراءة
ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع وفي قراءة ابي بكر
وورش بالنون لله تعالى فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه على
صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان وسخرنا له ولعل
اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول
نظير في الجبال والطير مع داود بالاضافة الريح عاصفة شديدة الهبوب

من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر
وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب
ارادته تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها
الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعدما سارت به منه بكرة
وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما يقتضيه الحكمة ومن
الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسها ومن
عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون
عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور
واختراع الصنائع الغريبة لقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل
وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى
جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر باني مسني
الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر
بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم بما في النفس كمرض وهزال وانت
ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها
واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من اولاد
عيص بن اسحاق استنبأه الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده
بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث
عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امرأته ماخير
بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرايم بن يوسف قالت له لو دعوت
الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله
من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له
فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه اهله و
مثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له
منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على
ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب
او لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واسمعيل
وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا
سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل امته وضعف عمل انبياء زمانه و
ثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل اي كل

هؤلاء

هؤلاء من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد النوب و
ادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الآخرة انهم من الصالحين
الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد
وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا
لما برم من قومه لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم
قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال
فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم
بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن
نقدر عليه لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر
ويعضده انه قرئ مثقلا اي لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله
بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة
شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب
على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة
الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله
الا انت بان لا اله الا انت سبحانك من ان يعجزك شيء اني
كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي عليه السلام
ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له و
نجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان
في بطنه وقيل ثلثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك
ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام نجي
فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن
عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما
حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حذف
حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان
الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في
تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن
آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي
لا يسكن آخره اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد
يرثني وانت خير الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي

فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي اصلحناها
للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة انهم يعني
المتوالدين او المذكورين من الانبيا كانوا يسارعون في الخيرات
يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب
ورهب او راغبين في الثواب راجين الاجابة او في الطاعة وخائفين
العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين او دائمي
الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي احصنت
فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها اي
احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي
هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبرئيل وجعلناها وابنها اي
قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله اية للعالمين فان من تأمل حالهما
تحقق كمال قدرة الصانع ان هذه امتكم ان ملة التوحيد او
الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها امة واحدة
غير مختلفة فيما بين الانبياء او لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم
بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا
ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم
بينهم صرف الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره
قطعا موزعة تقبيح فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة الينا راجعون
فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله
فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير
الشكر لاعطائه ونفى نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون
مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع
على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم اهلكناها حكمنا باهلاكها
او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحيوة
ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد
مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم
لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اي وحرام عليها ذاك وهو
المذكور في الاية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب
عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج متعلق

بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او
الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد
يأجوج ومأجوج وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية
وقرئ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني يأجوج ومأجوج
او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض وقرئ جدث
وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين
واقترب الوعد الحق وهو يوم القيمة فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد
الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها تظاهرت على وصل
الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم تفسيره الابصار يا ويلنا
مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا
لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد بالنذر
انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان او ابليس واعوانه
لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه عم لما تلا الاية على المشركين
قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا
والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عم بل هم عبدوا
الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الاية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي
ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال
عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز
او التخصيص تأخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها ويهيج
به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا
بالمصدر انتم لها واردون استيناف او بدل من حصب جهنم
واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها
لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون
الها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين
وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد
بما تعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب
وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى

الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك
عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا رض خطب
وقرئ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير و
سعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة
فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون
او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به
وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون في غاية التنعم و
تقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر
النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن
في الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت
وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم
ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون في الدنيا
يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال
مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطي ضد النشر او المحو من قولك
اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني ادم فاذا انتقلوا قوضت
عنهم وقرئ بالياء وبالتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتب
طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة
والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل
ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله عم وقرئ
السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدانا اول خلق
نعيده اي نعيد ما خلقناه مبدا اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا
عن العدم او جمعا بين الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس
على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة
لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدانا او لفعل يفسره
ما بعده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد
مثل الذي بداناه واول ظرف لبدانا او حال من ضمير الموصول المحذوف
وعدا مقدر بفعله تاكيد لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة
علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد
كتبنا في الزبور في كتاب داود من بعد الذكر اي التورية

وقيل

وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ان
الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون
يعني عامة المؤمنين والذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
وامة محمد عم ان في هذا اي فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد
لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين
همهم العبادة لا العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم
وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال قل
انما يوحى الي انما الهكم اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي
من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس
فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق
بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن
التوحيد فقل اذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء
مستوين في الاعلام به او مستوانا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة
او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة رأي
بالبرهان النير وان ادري وما ادري اقريب ام بعيد
ما توعدون من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم
الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام ويعلم
ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري
لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم
وزيادة في افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين
وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته قال رب احكم بالحق اقض
بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم
وقرئ حفص قال على حكاية قول الرسول عم وقرئ رب بالضم وربي
احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن على
خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون
من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن
وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله تعالى دعوة رسوله صلى
الله تعالى عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسوله عم عن النبي عم من قرا اقترب

[margin:] انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا ... من

حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا وصلى وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران

سورة الحج مكية الا ست ايات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة
الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء
فيها فاضيف اليها اضافة معنوية بتقدير في واضافة المصدر الى الظرف
على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها
واضافها الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى
بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع
بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم
ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت تصوير لهولها والضمير
للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ ويذهل من اذهل مجهولا ومعروفا اي
تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة
على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت
عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها
وترى الناس سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى
على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم
واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او رايتك فانما ينصب الناس
ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده بعد
جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرئ
حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن
الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث
وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث
بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله
كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه
على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه
يضله خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه
جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه ان يضله لا على العطف فانه يكون
بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار

القول

القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير
بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من
البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالحلب
فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم
من تراب اذ خلق ادم منه او الاغذية التي يتكون منها المني ثم
من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة
من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم وهي في الاصل قدر
ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب
وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين
لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون
مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك
ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته
ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل
مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه اخر اربع
سنين وقرئ بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على
نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام
حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف وقرئ بالياء رفعا ونصبا
ونقر ويقر بالضم من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال من كم اجريت
على تاويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه في الاصل مصدر ثم
لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة
كانها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله
وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر
الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم بعد علم شيئا
ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى
ما علمه وينكر ما عرفه والاية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري
الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر
على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة يابسة
من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ وربأت اي ارتفعت

وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة
الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء
الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اى بسبب انه
الثابت في نفسه الذي يحقق الاشياء وانه يحيي الموتى وانه يقدر
على احيائها والا لما احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير
لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على السواء فلما دلت المشاهدة على
قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان
الساعة اتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه
وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط
به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من
استدلال او وحي والاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم
العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه متكبرا
وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ
بفتح العين اى مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال
وقرئ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى
المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه
من حيث هو مؤداه كالغرض له له في الدنيا خزي وهو ما اصابه
يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق المحرق وهو
النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او على ارادة القول
اى يقال له يوم القيمة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من
الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجاز
على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله
على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف
الجيش فان احس بظفر قر فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته
فتنة انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى
المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت
امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني

هذا

هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن
ابي سعيد الخدري ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى
النبي عم فقال اقلني فقال عم ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا
والاخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب
على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على
خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران
مثله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد
جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن
المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا يدعو لمن ضره
بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة اقرب
من نفعه الذي يتوقع من عبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله
واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او
داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اى يقول الكافر ذلك
بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستأنفة على ان يدعو تكرير
للاول ومن مبتدأ خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير
الصاحب ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد
من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان
يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة كلام فيه اختصار
والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن خلاف ذلك
ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد
بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه
بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء
بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه
او فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ اناثه فيجتهد
في دفع نصره او تحصيل رزقه وقرئ ورش وابو عمرو وابن عامر
ليقطع بكسر اللام فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن
كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه
ما يغيظ غيظه والذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين

استبطئوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك
ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القران كله ايات بينات واضحات
وان الله يهدى ولان الله يهدى به او يثبت على الهدى من يريد
هدايته او نباته انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله
يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم عن المبطل
او الجزاء فيجازى كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل
واحد من طرفى الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شئ شهيد عالم به مراقب
لاحواله الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض
يتسخر لقدرته ولا يتانى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز
ان يعم اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها
واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف
والجمع بين الساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوز
اعمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما
الى امر وباعتبار الاخر الى اخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى
المسند اليهم او مبتداء خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب
او فاعل فعل مضمر اى يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق
عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا
للاول مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين
بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق وحقا باضمار فعله ومن
يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ
بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة
هذان خصمان اى فوجا مختصمان ولذلك قال اختصموا
حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون
فى ربهم فى دينه او فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون
فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال
المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا

فصل

فصل الخصومة بينهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت
لهم قدرت لهم على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار
نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم
حال من الضمير فى لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما فى بطونهم
والجلود اى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تاثيره فى ظاهرهم فيذاب
به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او من ضميرهم وقرئ
بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون
بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف كلما ارادوا ان
يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار
اعيدوا فيها اى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج
وقيل يضربهم لهب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون
فيها وذوقوا اى وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة
فى الاحراق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجرى من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال
الى الله تعالى واكده بان احماد الحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلون
فيها من حليت المرأة اذا لبست الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد
من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهى جمع
سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب
لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا
على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وترك ابو بكر والسوسى
عن ابى عمرو الهمزة الاولى وروى حفص بهمزتين وقرئ لؤلؤا بقلب الثانية
واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلبت الثانية ياء وليليا بقلبهما يائين ولؤل
كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان
الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب
من القول وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده او كلمة التوحيد
وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة
او الحق المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين
كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد حالا ولا استقبالا
وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع ولذلك حسن

عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر
الآية اي معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله واوله الحنفية
بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف
فيه والباد اي المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها
وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر رض
دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون
للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول
او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن
يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود
بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان
او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك
واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا
لابراهيم مكان البيت اي واذكر اذ عيناه (عيناه) وجعلنا له مباءة وقيل
اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه وقيل رفع البيت الى السماء
وانطمس ايام الطوفان فاعلم الله مكانه بريح ارسلها فكنست (كنست) ما حوله فبناه
على اسه القديم ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن
معنى تعبدنا لان التبوئة لاجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي
فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف
به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها
مستقل باقتضاء ذلك وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن
في الناس ناد فيهم وقرئ اذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي
انه عم صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في اصلاب
الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه انه يحج وقيل
الخطاب لرسول الله عم امر بذلك في حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة
جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى
وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله
يأتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان
او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق عميق

بعيد

بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق ومعيقة بمعنى ليشهدوا
ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع
من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد
الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك
عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى في ايام معلومات
هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام
علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى
الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل
الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في
المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذي اصابه بؤس
اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول
ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف
الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون
من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء
وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحليل (التحلل) فانه قرينة قضاء التفث
وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع
للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله
تعالى واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط ذلك
خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين
ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم
وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام
والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه
ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم
تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا
منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من
الاوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما يجتنب الانجاس
وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا
قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور
وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه

من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله تعالى بان حكم بذلك
وقيل شهادة الزور لما روي انه عم قال عدلت شهادة الزور الاشراك
بالله ثلاثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من
الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله
مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك
بالله فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض
الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء الردية توزع افكاره او
تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طرح به
في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من
لا خلوص له اصلا ومنهم من يمكن خلوصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز
ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت
نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين ذلك ومن يعظم شعائر الله
دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكها والهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق
لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختار حسانا سمانا غالية الاثمان روي
انه عم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رض
اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب
فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد
الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والامرة بهما لكم فيها
منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم فيها
منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية
الى البيت اي ما يليه من الحرم وثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة
اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر ومنافع دينية اعظم منها وهو على
الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول
لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية
الى البيت الذي يرفع اليه الاعمال اذ يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور
او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة
ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ولكل
امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون
به الى الله وقرئ حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ليذكروا

اسم الله دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود
من المناسك ذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند
ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد
فله اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر
المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله فيها عليها
والصابرين على ما اصابهم من الكلف والمصائب والمقيمي
الصلوة في اوقاتها وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما
رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب
وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت به الابل لعظم بدنها مأخوذة
من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة بقوله عم البدنة
عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع
ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتداء
من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها الله لكم فيها خير منافع
دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها
الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات
قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على
ثلاث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على
ثلاث وصوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي
خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعطى
القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية
عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضي بما عنده وبما يعطى
من غير مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا
خضعت له في السؤال والمعتر والمعترض بالسؤال وقرئ والمعتري
يقال عره وعراه واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرنا
ها لكم مع عظمها وقوتها حتى تاخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها
صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا
عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع
منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة

بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن
يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي يدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب
اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها
قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة
وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر
عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على
ما هديكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما يحتمل
المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر
المحسنين المخلصين فيما ياتون ويذرون ان الله يدافع عن
الذين امنوا غائلة المشركين وقرئ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع
اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان
في امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي
فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرئ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي
على البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين والماذون
فيه محذوف لدلالته عليه وقرئ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي
للذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب
رسول الله عم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه من بين مضروب
ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر
فانزلت وهي اول اية نزلت في القتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين اية
وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار
عنهم الذين اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير
موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم
على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ
دفاع وقرئ نافع لهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهابنة
وبيع وبيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود سميت بها لانها
تصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين
يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا

ولينصرن

ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط
المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم
ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء
الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو
ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم
من المهاجرين وقيل بدل من من ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها
الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم
نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين
تسلية له عم بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب فان هؤلاء
قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل
للمفعول لان قومه بنوا اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه
كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين
فامهلتهم حتى انصرمت اجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير
انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكاين من
قرية اهلكناها باهلاكه وقرئ البصريان بغير لفظ التعظيم وهي
ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على
سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت
فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا
بخاوية ويجوز ان يكون خبرا اي هي خالية وهي على عروشها اي مطلة عليها
بان سقطت وبقيت حيطانها مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها
لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت
كاين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة
عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ
بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع او مجصص اخليناه
عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها و
قيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة
بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم
يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا

وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون
بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال
او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا
اثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه
والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما الفت عقولهم باتباع
الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفي التجوز وفضل
التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل ومن
كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون
في الاخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن
يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو
بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتانيه حتى يستقصر المدد
الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد
مستطالة وكاين من قرية وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم
والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من
قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به
يحيق بهم لا محالة وان تاخر لعادة تعالى امليت لها كما امهلتكم وهي
ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والي المصير والى حكمي
مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم
ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر
الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم
فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق
كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا
في اياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين مشاقين للساعين
فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا
من المتسابقين يطلب اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرئ ابن كثير وابو عمرو معجزين
على انه حال مقدرة اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل

اسم دركه

اسم دركه وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول
من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير
شرع سابق كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام
ولذلك شبه النبي عم علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه
انه عم سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم
الرسل منهم قال ثلاث مائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة
كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك
والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اي اذا زور في
نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب
اشتغاله بالدنيا كما قال عم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم
سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به
بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله اياته
ثم يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في الامر الاخرة والله عليم
باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة
فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به
ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرأها فلما بلغ
ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى
ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون
حتى شايعوه بالسجود لما سجد في اخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك
الا سجد ثم نبهه جبرئيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الاية وهو مردود عند
المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل
تمنى قرئ كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته
قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون
انه من قراءة النبي عم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القران ولا يندفع
بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله والاية
تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي
الشيطان علة لتمكن الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر
عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق
والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين يعني الفريقين

موضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق
او عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من
ربك ان القران هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء
هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن ادم عم
فيؤمنوا به بالقران او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية
وان الله لهادي الذين امنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم
هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية
في شك منه من القران او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون
ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه حتى تأتيهم الساعة القيمة او الموت
او اشراطها بغتة فجاة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم
حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصيرن
كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم
بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا او
لم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد
بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ
لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليه الغاية اي يوم تزول مريتهم
يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله
فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين
كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفاء
في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله
وان عقاب الكافرين مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم
في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد او
ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من
قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل
العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما
اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت
وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم
مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم
واحوال معادهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك اي الامر ذلك

ومن

ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء
بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة
الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور
للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن
صبر وغفر ان ذلك من عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة
فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك
اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على
ضده ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور
على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج
احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في
مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله
سميع قول المعاقب والمعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك
الوصف بكمال القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت في نفسه
الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون
مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح
لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرئ
ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء
للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الالهة هو الباطل المعدوم
في حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلي على الاشياء
الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا
الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك
رفع فتصبح الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب
جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني
والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء اثر
المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه ولطفه الى كل
ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا ان الله لهو الغني
في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله

الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم
والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجرى
فى البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض
من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك
الا باذنه الا بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها
فانها مساوية لساير الاجسام فى الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها
ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال
وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذى احياكم
بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم
فى الاخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة
اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا
هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك ساير ارباب الملل فى
الامر فى امر الدين او فى النسايك لانهم بين جهال واهل عناد او لان
امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهى الرسول عن الالتفات
الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق
وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز
فى افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت فى كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم
تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج
الرسول والمبالغة فى تثبته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته
وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم
طريق الى الحق سوى وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة
فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها
وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم
والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيمة كما فصل فى الدنيا
بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم
ان الله يعلم ما فى السماء والارض فلا يخفى عليه شئ ان ذلك
فى كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به
وحفظنا له ان ذلك ان الاحاطة به واثباته فى اللوح او الحكم بينكم على الله
يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون

من دون

من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته
وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل واستدلاله وما
للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم
او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم اياتنا من القران بينات
واضحات الدلالة على العقايد الحقة والاحكام الالهية تعرف فى وجوه
الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل
اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا
موضع الضمير او ما يقصده من الشر يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم اياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم بشر
من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الضجر
بسبب ما تلوا عليكم النار اى هو النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز
ان يكون مبتداء وخبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب
على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة استينافا كما اذا وقعت
خبرا او حالا منها وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب
مثل بين لكم حال مستغربة او قصة رايعة ولذلك سماها مثلا او جعل
الى مثل فى استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل او لشانه استماع تدبر
وتفكر ان الذين تدعون من دون الله يعنى الاصنام وقرئ
يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف
على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن
بما فيها من تاكيد النفى دالة على منافاة ما بين المنفى والمنفى عنه والذباب من
الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر
فى موضع حال جئ به للمبالغة اى لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين
عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على
المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هى اعجز الاشياء
وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل
لا يقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل ويعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ
ما يختطفه من عندها وقيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها
الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب

ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم اى لا يقال لهم اثمتم الا قيلا الا قولا سلاما
سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته
او مفعوله بمعنى الا يقولوا او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم
وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في
سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اغصانه
من كثرة حمله من خضد الغصن اذا اثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان
وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من
اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء
مسكوب يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او مصبوب سائل
كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم باعلا ما يتصور لاهل المدن شبه
حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين
وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع في وقت
ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر
او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النسا وارتفاعها انها على الارائك ويدل
عليه قوله انا انشاناهن انشاء اى ابتدأناهن ابتداء جديدا من
غير ولادة ابداء واعادة وفي الحديث هن اللواتى قبضن في دار الدنيا
عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن
ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن
جمع عروب وسكن راءه حمزة وروى عن نافع وعاصم مثله اترابا كان
كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشانا
او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين
وثلة من الآخرين وهى على الوجوه الاول خبر محذوف واصحاب
الشمال ما اصحاب الشمال في سموم في حر نار تنفذ في المسام وحميم
وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود يفعول من
الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفى بذلك ما اوهم
الظل من الاستروا ح انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات
وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه
بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر
فيها وتحنث اذا تأثم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما

أئنا لمبعوثون كرر الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا
في هذا الوقت كما دخلت على العاطف في قوله أو آباؤنا الاولون
للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها
حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون
وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل
بان والهمزة قل ان الاولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون
الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحدت به من يوم
معين عند الله معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون اى
بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون من شجر من زقوم
من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون
من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير
في منها وتذكيره في عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة فيكون التذكير
للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الابل التى بها الهيام
وهو داء يشبه الاستسقا جمع اهيم وهيما قال ذو الرمة فاصبحت
كالهيما لا الماء مبرد صداها ولا يقضى عليها هيامها وقيل الرمال على انه جمع
هيام بالفتح وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به
ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه
فلا اتحاد وقرأ نافع وعاصم وحمزة شرب الهيم بضم الشين هذا نزلهم
يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه
تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له و
قرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين
محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء
قدر على الاعادة أفرأيتم ما تمنون اى ما تقذفونه في الارحام من
النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها أأنتم تخلقونه
تجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت
قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال
وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته
او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم
على الاول حال او علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض

وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل
صفتكم على ان امثالكم جمع مثل ونُنشئكم فيما لا تعلمون في
خلق وصفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا
تذكرون اى من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا
لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة
القياس افرأيتم ما تحرثون تبذرون حبه أأنتم تزرعونه تنبتونه
ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما
فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم
لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفواكه وقد
استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وظللتم على الاصل انا لمغرمون
لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر
ائنا لمغرمون على الاستفهام بل نحن قوم محرومون حرمنا رزقنا
او محدودون لا مجدودون افرأيتم الماء الذي تشربون اى العذب
الصالح للشرب أأنتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن
السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان
كانت بمعنى العلم فمتعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا
او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط
وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفا بسبق ذكرها او تخصيص
ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب لمزيد التاكيد فلولا تشكرون
امثال هذه النعم الضرورية افرأيتم النار التي تورون تقدحون أأنتم
انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن
جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس
او في الظلام او تذكيرا او انموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين الذين
ينزلون القوا وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار
اذا خلت من سكانها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر
اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب
الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون
لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عدها
من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة

للتاكيد

للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتداء فاشبع فتحة لام الابتداء
ويدل عليه انه قرئ فلأقسم او فلا رد لكلام المقسم عليه بمواقع النجوم
بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على
وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القران
ومواقعها اوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائي بموقع وانه لقسم لو تعلمون
عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة
ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه
اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه
لقران كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش
والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح
لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الاحداث
فيكون بمعنى النهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون
من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم وغيرهم بالاستغفار لهم والالهام
تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقران وهو مصدر نعت به
وقرئ بالنصب اى نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القران انتم مدهنون
متهاونون به كمن يدهن في الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به
وتجعلون رزقكم اى شكر رزقكم انكم تكذبون بمانحه حيث تنسبونه
الى الانوا وقرئ شكركم اى وتجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به
وتكذبون اى بقولكم في القران انه سحر وشعر او في المطر انه من الانوا
فلولا اذا بلغت الحلقوم اى النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم
والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب ونحن اعلم اليه
الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع
ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير
مدينين مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله و
استعبده واصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس
الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير
للتوكيد وهي بما في حيزه دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين
مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين
في اباطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم

فاما ان كان من المقربين اى ان كان المتوفى من السابقين فروح فله
استراحة وقرئ فروح وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة
الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات نعيم واما
ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب
اليمين اى من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين
يعنى اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجبلهم
ما اوعدهم فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد فى القبر
من سموم النار ودخانها ان هذا اى الذى ذكر فى السورة او فى شان
الفرق لهو حق اليقين حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك العظيم
فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات والارض ذكر ههنا وفى الحشر والصف بلفظ
الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان ما اسند
اليه ان يسبحه فى جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات
ومجئ المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق
التسبيح من كل شئ فى كل حال وانما عدى باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت
له ونصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وهو العزيز
الحكيم حال يشعر بما هو المبداء للتسبيح له ملك السموات والارض
فانه الموجد لها والمتصرف فيها يحيى ويميت استئنافا وخبر لمحذوف
او حال من المجرور فى له وهو على كل شئ قدير من الاحيا والاماتة وغيرهما
قدير هو تام القدرة هو الاول السابق على جميع الموجودات من حيث انه
موجدها ومحدثها والآخر الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع
قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذى يبتدأ منه الاسباب وتنتهى اليه المسببات
او الاول خارجا والآخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة
دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شئ
والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع

س

بين المجموعين وهو بكل شئ عليم يستوى عنده الظاهر والخفى
هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على
العرش يعلم ما يلج فى الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع
وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اين ما
كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم
عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض
ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور
يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور
مكنوناتها آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
من الاموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم او
التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين
له على النفس فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه
مبالغات جعل الجملة الاسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم
على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله اى
وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى ان عذر لكم فى ترك الايمان والرسول
يدعوكم اليه بالحجج والآيات وقد اخذ ميثاقكم اى وقد اخذ الله ميثاقكم
بالايمان قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول
يدعوكم وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب
ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذى ينزل على عبده آيات
بينات ليخرجكم اى الله او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات
الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم حيث نبهكم بالرسل
والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم ان لا تنفقوا
واى شئ لكم فى ان لا تنفقوا فى سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث
السموات والارض يرث كل شئ فيهما فلا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك
فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوى
منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة بيان لتفاوت
المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحرى الحاجات حثا
على تحرى الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد و

وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ
عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق من الذين
انفقوا من بعد اى من بعد الفتح وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى
اى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع
على الابتداء اى وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير
عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والاية نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه
فانه اول من آمن وانفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به
على الهلاك من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا من الذى ينفق ماله فى
سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى
اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اى يعطى اجره اضعافا وله
اجر كريم اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه ينبغى ان يتوخى
وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب
على جواب الاستفهام باعتبار المعنى وكأنه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ
ابن كثير فيضعفه مرفوعا وقرأ ابن عامر ويعقوب يضعفه منصوبا يوم
ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعفه او مقدر باذكر
يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم
لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين بشريكم اليوم جنات
اى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشريكم اى المبشر به جنات او بشريكم دخول
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم
الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة يوم يقول
المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا انتظرونا
فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم
استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا
على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل
ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية
والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس او الى
حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب
من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين
بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور

او

او الباب فيه الرحمة لانه يلى الجنة وظاهره من قبله العذاب
من جهته لانه يلى النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم
فى الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم
بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم فى الدين وغرتكم الامانى
كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور
الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرأ ابن
عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأواكم
النار هى مولاكم هى اولى بكم كقول لبيد • فغدت كلا الفرجين تحسب انه
مولى المخافة خلفها وامامها • وحقيقته محراكم اى مكانكم الذى يقال
فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اى مكان قول القائل انه لكريم او
مكانكم عما قريب من الولى وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها فى الدنيا وبئس
المصير النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله
الم يأت وقته يقال انى الامر يأنى انيا واناء واناً اذا جاء اناه وقرئ
بكسر الهمزة من آن يئين بمعنى انى والما يأن روى ان المؤمنين كانوا
مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه
فنزلت وما نزل من الحق اى القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد
الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع ويعقوب
نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من
قبل عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهى عن مماثلة اهل
الكتاب فيما حكى عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
وكثير منهم اى فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين
انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول فاسقون
خارجون عن دينهم رافضون لما فى كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان
الله يحيى الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر
والتلاوة او احياء الاموات ترغيبا فى الخشوع وزجرا عن القساوة
قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون كى يكمل عقلكم ان المصدقين
والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات وقرئ بهما وقرأ ابن
كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اى الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا

قرضا حسنا عطف على معنى الفعل فى المحلى باللام لان معناه الذين تصدقوا
او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص
يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة فى يضاعف ما مر غير انه
لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين
امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم
اى اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون فى الصدق
فانهم امنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله
ولهم او على الامم يوم القيمة وقيل والشهداء عند ربهم مبتداء وخبر والمراد
به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا
فى سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل
نورهم ولكنهم من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعود
ان لهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه
دليل على ان الخلود فى النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص
والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد لما ذكر
حال الفريقين فى الاخرة حقر امور الدنيا اعنى ما لا يتوصل به الى الفوز
الاجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب
يتعب الناس فيه انفسهم عما يتعب الصبيان فى الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم
ثم
وزينة كالملابس الحسنة والمراكب
البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد
ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه
مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها فى سرعة تقضيها وقلة جدواها
بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم
اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا راى معجبا انتقل فكره الى قدرة
صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطا فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا
ثم هاج اى يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الاخرة فقال
وفى الاخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك فى الدنيا وحثا
على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان
اى لمن اقبل عليها ولم يطلب الا الاخرة وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور سابقوا سارعوا مسارعة المسابقين فى المضمار الى مغفرة

من

من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض اى
عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة
كقوله فذو دعاء عريض اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل
على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف فى استحقاقها ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل الله به على من يشاء من غير
ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان
عظم قدره ما اصاب من مصيبة فى الارض كجدب وعاهة ولا
فى انفسكم كمرض وافة الا فى كتاب الا مكتوبة فى اللوح مثبتة
فى علم الله من قبل ان نبراها ان نخلقها والضمير للمصيبة او للارض
والانفس ان ذلك ان اثباته فى كتاب على الله يسير لاستغنائه
فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اى اثبت وكتب كيلا تحزنوا
على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما اتيكم بما اعطاكم منها
فان من علم ان الكل بقدر هان عليه الامر وقرا ابو بكر بما اتيكم من الاتيان
ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت و
طباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لها من سبب يوجدها ويبقيها
والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال
ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت
نفسه حال الضراء والسراء الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل
بدل من كل مختال فخور فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتداء خبره محذوف
مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد لان معناه
ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لا يضره
الاعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب اليه بشكر نعمه وفيه تهديد واشعار
بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرا نافع وابن عامر فان الله الغنى
لقد ارسلنا رسلنا اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم
بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز
صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس
بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الميزان الى نوح
ويجوز ان يراد به العدل ليقوم الناس بالقسط ليقام به السياسة
ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان

اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان
الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ في كل سنة
مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ
ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير
اذ لا يفتقر في فعله الى شيء قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابرهيم
او محمد فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي هي الابداء
فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح
باسم الله مع ايقاعه مبتداء بعد اضماره في بدأ والقياس عكسه للدلالة
على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي ان
يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في العطف ما مر وقرئ
ابن كثير وابو عمرو النشاءة كالرأفة ان الله على كل شيء قدير لان
قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى
كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم
من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم
بمعجزين ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان
فررتم من قضائه بالتواري في الارض والهبوط في مهاويها والتحصن
في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان فمن يهجو رسول
الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه
عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه السماوية
ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي اي ييأسون
منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او أيسوا في الدنيا لانكار
البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب
قومه قوم ابرهيم وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا
اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به
الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي فقذفوه في النار
فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها
لايات هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء

روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل
فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في
الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها
وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون المودة هي المفعول
الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا سبب
المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق
وابن كثير وابو عمرو والكسائي وورش مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ
محذوف اي هي مودودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر
ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول
وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ
انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان
على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا وماويكم النار
وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن
اخته واول من آمن به وقيل انه آمن به حين راى النار لم تحرقه وقال
اني مهاجر من قومي الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو
العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه
صلاحي روي انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة
ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم
ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا نافلة حين آيس
من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في
ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به
الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا
في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة
فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وانه
في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا
عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه وهو نوحا اذ قال لقومه
ائنكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان
وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام

عابد الصنم ومعبوده او الذباب بطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم
بطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنفذ منه ما سلبه
ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله حق
قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء
عنه مناسبة ان الله لقوى على خلق الممكنات باسرها عزيز
لا يغلبه شئ والهتهم التى يدعونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفى
من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحى ومن
الناس يدعون سايرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر
وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه غيره فى صفاتها بين ان له عبادا مصطفين
للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله تعالى سبحانه وهو اعلى
المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا
لقولهم مَا نَعْبُدُهُمْ اِلَّا لِيُقَرِّبُونَا اِلَى اللّٰهِ زُلْفَى والملائكة بنات الله ونحو ذلك
ان الله سميع بصير مدرك الاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور وانه
يرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسئل عما يفعل من الاصطفاء وغيره
وهم يسئلون يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا فى صلوتكم
امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة
بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا سجدا واعبدوا ربكم بساير
ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تاتون وتذرون
كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون
اى افعلوا هذه كلها راجين الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والاية
اية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود لقوله عم فضلت سورة الحج
بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا فى الله لله ومن اجله
اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عم
انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق
جهاده اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد
مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص
بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتبيكم اختاركم
لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله وما

جعل عليكم فى الدين من حرج اى ضيق بتكليف ما يشتد القيام
به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه او الى الرخصة فى
اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عم اذا امرتكم بشئ فاتوا منه
ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى
المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش
والديات فى حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم منتصبة على المصدر
بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اى وسع دينكم توسعة ملة
ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله
وهو كالاب لامته من حيث انهم سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه
المعتد به فى الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو
سماكم المسلمين من قبل من قبل القران فى الكتب المتقدمة وفى هذا
وفى القران والضمير لله ويدل عليه انه قرى الله سماكم او لابرهيم وتسميتهم
مسلمين فى القران وان لم يكن منه بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا امة
مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون
الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم يشهد عليكم بانه
بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع و
عصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل
اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات
لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به فى مجامع
اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولى
اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة
بل لا مولى ولا نصير سواه فى الحقيقة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الحج
اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

وثمانى عشرة اية عند الكوفيين

سورة المؤمنون مكية وهى مائة وسبع عشرة اية عند البصريين

بسم الله الرحمن الرحيم قَدْ اَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ قد فازوا
بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه ويدل على ثباته اذا دخل الماضى ولذلك
يقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت
بها بشارتهم وقرئ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها.

وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة
عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلوتهم خاشعون
خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عم
كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى
رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم
عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما
شغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم
على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام
الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله
ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون
وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية
في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وساير ما يوجب
المروة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل
فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف والذين هم
لفروجهم حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ على
عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج او التسري
او بفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء
اذ الملك اصل شايع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو
معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم
غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء فان بذلوها
لازواجهم او ايمانهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك
المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم
لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق
او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرا ابن كثير لامانتهم
على الافراد لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر والذين هم على
صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ
الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي
وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة

عليها وفي تصديرها الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك هم
الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون
غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة
بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم
وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم
فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا
في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر
من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى سلالة
لانها في معنى مسلولة فيكون ابتدائية كالاولى والانسان ادم خلق من صفوة
سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار
وقيل المراد بالطين ادم لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم
جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها ثم جعلنا السلالة
نطفة وتذكير الضمير على تاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين
مستقر حصين يعني الرحم وهي في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل
مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة بان احلنا النطفة
البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها
قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا
العظام لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف
العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرئ
ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد
احدهما وجمع الاخر ثم انشاناه خلقا اخر وهو صورة البدن او
الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت
واحتج به ابو حنيفة رح على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان
البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته
وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة
الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت
لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به
ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد

خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات لانها طورق بعضها فوق بعض
مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب
فيها ومسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات
او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال و
الاختلال وندبر امرها حتى يبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته
الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل
ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا
في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق
بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله
وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل
ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا
لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه
كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات ثمارها وزروعها تاكلون
تغذيا او ترتزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته
ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتهما انواع
من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك
وطعام تاكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء
اي ومما انشانا لكم به شجرة تخرج من طور سيناء قبل موسى
بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان
يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له
كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا
للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو
النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف
سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء
كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن
اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية
لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرئ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية
تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم
قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن

وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج الدهن وتنبت
بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف
احد وصفي الشيء على الاخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به
ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للايتدام وقرئ وصباغ
كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها و
تستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف
فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة
في ظهورها واصوافها واشعارها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها
وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد
الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال
ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه كالضمير في ويعولتهن
احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى اخر القصص مسوق
لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها
ما لكم من اله غيره استيناف لتعليل الامر بالعبادة وقرئ غيره بالجر
على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم و
يعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال
الملؤا الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر
مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم
ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما
سمعنا بهذا في ابائنا الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي
او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة و
ذلك اما لفرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا
رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به
فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال
بعد ما ايس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم
من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه فاوحينا
اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه
او يفسده عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع

فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روى
انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه
اخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة
وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك
فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال عز وجل ما سلككم في سقر
من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين
وقرأ حفص من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تاكيد و
اهلك واهل بيتك او من امن معك الا من سبق عليه القول
منهم اي القول من الله باهلاكه لكفره وانما جئ بعلى لان السابق ضار كما جئ
باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني
في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم
بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره
بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك
على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين
كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب
انزلني في السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد
الخير في الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير
المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به
الى الاجابة وانما افرده بامر وعلق به ان يستوى هو ومن معه اظهارا
لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان
في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لايات يستدل بها ويعتبر
اولوا الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم
نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الايات وان هي المخففة واللام
هي الفارقة ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين هم عاد او ثمود
فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن
موضع الارسال ليدل على انه لم ياتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه
وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير
لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون
عذاب الله وقال الملاء الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان

كلامهم

كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف كلام قوم نوح وحيث استؤنف به
فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الاخرة بلقاء ما فيها من الثواب
والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم
في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر
مثلكم في الصفة والحال ياكل مما تاكلون منه ويشرب
مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب
محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم
بشرا مثلكم فيما يامركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم
انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب
انكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود و
انكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون
مبتدا خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة
خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز
ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف
لان اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما
توعدون او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كانهم
لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون
وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا
للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على
الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حيوتنا
الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة
الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله
هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان نافية دخلت
على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها
نفي الجنس نموت ونحيى يموت بعض ويولد بعض وما نحن
بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو الا رجل افترى على
الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له
بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم

بما كذّبون بسبب تكذيبهم اياى قال عما قليل عن زمان قليل
وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين
على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل
صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان
القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذى لا دافع له او بالعدل
من الله كقولك فلان يقضى بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء
شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى
لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء و
بعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التى ينصب بافعال لا يستعمل
اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم
للتعليل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين يعنى قوم صالح
ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت
الذى حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستاخرون
الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد
من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتقور والالف للتانيث
لان الرسل جماعة وقرى ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواتر
وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع
الارسال الى المرسل ومع المجئ الى المرسل اليهم لان الارسال الذى هو مبدأ
الامر منه والمجئ الذى هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا فى الاهلاك
وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث
او جمع احدوثة وهى ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون
ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا بالايات التسع وسلطان
مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها
اول المعجزات وانها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته
السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة
وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالايات الحجج وان
يراد بهما المعجزات فانها ايات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبى الى فرعون
وملائه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين
متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق

للواحد

للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن
المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه
المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة
وفساده يظهر للمستبصر بادنى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت
فى اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما فكما ترى فى جانب النقصان
اغبياء لا يعود عليهم الفكر بزيادة يمكن ان يكون فى طرف الزيادة اغنياء عن
التعلم والتفكر فى اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم
ويعلمون ما لا ينتهى اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الى انما الهكم اله واحد وقومهما يعنى بنى اسرائيل لنا عابدون
خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين
بالغرق فى بحر قلزم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية لعلهم
لعل بنى اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية نزلت
بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن
مريم وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد مضاف
اليهما او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم فى المهد وظهر منه معجزات اخر وامه
اية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما
الى ربوة الى ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة
فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقرى ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ
رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات
ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين
ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد فى الشئ او من الماعون
وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك
بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على
انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا
منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء الكلام
ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم يكن له خاصة وان اباحة الطيبات
للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهابنة فى رفض الطيبات او حكاية لما ذكر
لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول ما رزقا وقيل

الندا له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال
الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام
ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع
عند ربكم انى بما تعملون عليم فيجازيكم عليه وان هذه اى ولان
هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون
وقرئ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستيناف امتكم
امة واحدة ملتكم ملة واحدة اى متحدة فى العقائد واصول الشرايع
او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ونصب
امة على الحال وانا ربكم فاتقون فى شق العصا ومخالفة الكلمة
فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة
او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل
عليه الامة من اربابها اولها زبرا قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة ويؤيده
بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا
فانه مضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا
من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل كل حزب
من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون
انهم على الحق فذرهم فى غمرتهم فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة
لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ فى غمراتهم حتى حين الى
ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به انما نعطيهم ونجعله
مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب
عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم
فى الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذى نمدهم به
نسارع به لهم فيما هو خيرهم واكرمهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم
لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج
لا مسارعة فى الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل
ان يكون فيهما ضمير للممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم
من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم
بايات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها
والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين

يؤتون

يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ ياتون
ما اتوا اى يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة
ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللايق فيؤاخذ به انهم الى ربهم
راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك
يسارعون فى الخيرات يرغبون فى الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها
او يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة
اليها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفى عن اضدادهم وهم
لها سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة
او الثواب او الجنة او سابقونها اى ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم
فى الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها
قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس
ولدينا كتاب يعنى اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق
بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة
عقاب او نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة فى غمرة
فى غفلة غامرة لها من هذا من الذى وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة
ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به
او متخطئة عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها
حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعنى القتل يوم
بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله عم فقال اللهم اشدد وطاتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى اكلوا الجيف
والكلاب والعظام المحترقة اذا هم يجارون فاجؤا الصراخ
بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتداء بعد حتى ويجوز ان يكون
الجواب لا تجاروا اليوم فانه مقدر بالقول اى قيل لهم لا تجاروا
انكم منا لا تنصرون تعليل للنهى اى لا تجاروا فانه لا ينفعكم اذ
لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت اياتى
تتلى عليكم يعنى القران فكنتم على اعقابكم تنكصون
تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع
قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم
وافتخارهم بانهم قوامه اغنى عن سبق ذكره او لاياتى فانها بمعنى كتابى الباء

متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم على المسلمين حدث
بسبب استماعه او بقوله سامرا اى يسمرون بذكر القران والطعن فيه وهو
فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون
من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اى تعرضون عن القران او تهذون
فى شانه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثانى قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ
تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اى القران ليعلموا
من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم
الاولين من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف
اباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فامنوا به وبكتبه ورسله فاطاعوه
ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم
مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون
دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا او ظنا
انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى
ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا
يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق
كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد
الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة
فطنته وعدم فكرته لا كراهة الحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان
فى الواقع الهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن
كما سبق تقريره فى قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع
اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق
الذى جاء به محمد عم اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة واهلك العالم
من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهون من الشرك و
المعاصى لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو
على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذى هو ذكرهم اى
وعظهم او وصيتهم او الذكر الذى تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين
وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام
تسئلهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة
فخراج ربك رزقه فى الدنيا او ثوابه فى العقبى خير لسعته ودوامه

ففيه منه وحده لك عن عطائهم والخرج باذاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك
والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون
ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائى
خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه
وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة
على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح
العلل فى هذه الايات باحصار اقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام وبين
انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون
بالاخرة عن الصراط عن الصراط السوى لناكبون لعادلون
عنه فان خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو
رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعنى القحط للجوا لثبتوا و
اللجاج التمادى فى الشئ فى طغيانهم افراطهم فى الكفر والاستكبار
عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روى
انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله عم وقال
انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى قال
قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب
يعنى القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم بل اقاموا على عتوهم و
استكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون
او افتعل من السكون اشبعت فتحته وما يتضرعون وليس من عادتهم
التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد يعنى الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون
متحيرون ايسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذى
انشا لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الايات و
الافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية
والدنيوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة
فى شكرها استعمالها فيما خلقت لاجلها والاذعان لمانحها من غير اشراك وما
صلة للتاكيد وهو الذى ذراكم فى الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل
واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذى
يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما

لا يقدر عليه غيره فيكون رداً لنسبته الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما
او انتقاص احدهما وازدياد الآخر افلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل
منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب
السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اى كفار مكة مثل ما قال الاولون
اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا
لمبعوثون استبعاداً ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا
لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير
الاولين الا اكاذيبهم التى كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به
كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك
فيكون استهانة بهم وتقريراً لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلى الواضح و
الزاماً بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان
يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم والجاهم
الى الاقرار بانه خالقها بادنى نظر قل اى بعد ما قالوه افلا تذكرون
فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق
ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون
لله وقرئ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال
قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا اقتداره على بعض
مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شئ ملكه غاية ما يمكن وقيل
خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث
احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون
سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون
عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق جئناهم بالحق
من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك
ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من
اله يساهمه فى الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم
على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اى لو كان
معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه

عن

عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم
يكن بيده وحده ملكوت كل شئ واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام
البرهان على استناد جميع الممكنات باسرها الى واجب واحد سبحان
الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده
عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن
عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفى الشريك
بناء على توافقهم فى انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون
بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد ان تريني لان ما والنون للتاكيد
ما يوعدون من العذاب فى الدنيا او فى الآخرة رب فلا تجعلني
فى القوم الظالمين قرينا لهم فى العذاب وهو اما لهضم النفس او لان
شوم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة وعن الحسن ان الله تعالى اخبر نبيه ان له فى امته نقمة ولم يطلعه
على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط
والجزاء به حث على فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون
او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له
استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتى هى
احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان فى مقابلتها لكن بحيث لم يؤد
الى وهن فى الدين وقيل هى كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هى الامر بالمعروف
والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل
نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك
واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه
حثهم الناس على المعاصى بهمز الراضة الدواب على المشى والجمع للمرات او لتنوع
الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون
ويحوموا حولى فى شئ من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن
وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم
الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة
بالله عن الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون

قال تحسرا على ما فرط منه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون
ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في
قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته اي لعلي
اتي بالايمان واعمل فيه وقيل في مالي او في الدنيا وعنه عم اذا عاين المؤمن الملائكة
قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان لا بل قدموني الى الله تعالى
واما الكافر فيقول رب ارجعوني كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد
لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعوني الى اخره والمراد من الكلمة الطائفة
من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن
ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى
يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه
لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الاخرة فاذا
نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد ثؤيد
ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف
والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا
يتساءلون ولا يسأل بعضهم لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة
او دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار فمن ثقلت موازينه موزونات
عقايده واعماله اي ومن كانت له عقايد واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر
عند الله فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات
ومن خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله
فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم
غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها
في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم
النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة
الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن
اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم
بها تكذبون تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا
ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية

الى سوء العاقبة وقرئ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر
كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار
فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا
فيها اسكتوا سكوت هوان في النار فانها ليست مقام السؤال من خسأت
الكلب اذا زجرته فخسأ ولا تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون راسا
قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول
مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله الاية
فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون
الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فيقولون ربنا اخرجنا نعمل
صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ثم
لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه
كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل
الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا هزؤا وقرئ نافع والكسائي هنا وفي ص بالضم وهما مصدر سخر
زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزؤ والمضموم
من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم
بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون
استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون
فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرئ حمزة
والكسائي بالكسر استينافا قال اي الله او الملك المامور بسؤالهم وقرئ
ابن كثير وحمزة والكسائي على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل كم لبثتم
في الارض احياء وامواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم استقصار المدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم
في النار او لانها لام ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي
في حكم المعدوم فسئل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت
تحقيقها فانا بما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة
الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف
اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعادين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا
يستقصرون قال وفي قراءة الكوفيين قل ان لبثتم الا قليلا

لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم
عبثا توبيخ لهم على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم
تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث
وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرئ
حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق
الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه
دون وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيد له
رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية
والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع
على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها اخر يعبده افرادا او اشراكا
لا برهان له به صفة اخرى لالها لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها
للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما
دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء فانما حسابه عند
ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان
وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير
فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره
ويسترحمه وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين روي عن
النبي عم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به
عينه عند نزول ملك الموت وعنه عم انه قال لقد انزلت علي عشر ايات
من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها
واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مكية اربع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك
سورة انزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا للناصب فلا يكون له محل
الا اذا قدر اتل او دونك او نحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام
وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في
ايجابها وانزلنا فيها ايات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون
فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا

او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ
بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر
بلوياء وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها
عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص
بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب
الحر سنة لقوله عم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الاية ما يدفعه
لينسخ احدهما بالاخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلاثة اقوال و
الاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت
الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عم يهوديين ولا يعارضه من اشرك
بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تاخذكم
بهما رأفة رحمة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه
او تسامحوا فيه ولذلك قال عم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها
وقرئ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الاخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد
في اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر ما ينكل التعذيب
والطائفة فرقة يمكن ان يكون حافة حول كل شيء من الطوف واقلها ثلاثة
وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح
الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك
اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا ترغب
فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة و
الافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك
لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الاية نزلت في ضعفة
المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن
على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين
لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن
في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة
وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص

بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول
المسافحات ويؤيده انه عم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام
لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطئ فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية
والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات
يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني
واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب
التعزير كقذف غير المحصن والاحصان هنا بالحرية والبلوغ والعقل و
الاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات
لخصوص الواقعة او لان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع
الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة
ولكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص
عدده عن حد الزنا ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت لانه مفتر
وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي
حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط
لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة واحدة كيف وحاله قبل الحد اسوء مما
بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي ح رح الى اخر عمره واولئك هم
الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد
ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد
والاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء
الشرع لهذه الامور ولا يلزم سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة
الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل
الى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من
موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة
للاستثناء والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء
الا انفسهم نزلت في هلال بن امية راى رجلا على فراشه وانفسهم
بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع
شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب
على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق

بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما
رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام
تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه
ان كان من الكاذبين في الرمي وقرئ نافع ويعقوب بالتخفيف
في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول
الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا وثبوت حرمة الابدية لقوله عم المتلاعنان
لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة رح ونفي الولد
ان تعرض له فيه كل مرة وثبوت حد الزنا على المراة لقوله ويدرا عنها
العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن
الكاذبين فيما رماني به والخامسة ان غضب الله عليها
ان كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها
الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرئ نافع
ان غضب الله وان لعنة الله بتخفيف النون فيهما ورفع التاء وكسر الضاد
من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون بتشديد النون ونصب التاء
وفتح الضاد وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان
الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة
ان الذين جاءوا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو
الصرف لانه قول ما فوك عن وجهه اي مصروف والمراد ما افك به على
عائشة رض وذلك انه عم استصحبها في بعض الغزوات فاذن ليلة في
القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها
فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها
انها دخلت الهودج يرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثم
احدا فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس
وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها
حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة
الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة
وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي
خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب للرسول
عم وابي بكر وعائشة وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم

بالثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثماني عشرة اية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بداء به واذاعه عداوة لرسول الله عم او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين منهم له عذاب عظيم في الاخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التخصيص على ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون هذا من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه كذب عند الله اي في حكمه فلذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الاخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه بالسنتكم باخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقنونه من لقنه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي وتقولون كلاما

مختصا

مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلثة ايام رتبت عليه مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم بهذا يجوز ان يكون الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف احاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق زوجة رسول الله عليه السلام سبحانك تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الايات الدالة على الشرائع ومحاسن الاداب كي تتعظوا وتتادبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم ما في الضماير وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله وان الله رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه لذكره مرة يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرئ نافع والبزي وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه

والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق
التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها
منكم من احد ابدا آخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء بحمله
على التوبة وقبولها والله سميع لمقالتهم عليم بنياتهم ولا يأتل
ولا يحلف افتعال من الالية او لا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتال
وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان
من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم في الدين والسعة في المال
وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او في
ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولي القربى والمساكين
والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها
لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في
تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض
عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى
من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه
روي انه عم قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته
ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن به
المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين
كابن ابي لعنوا في الدنيا والاخرة كما طعنوا فيهن ولهم عذاب
عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص
بمن قذف ازواج النبي عم ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت
وعيدات القران لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة رض يوم تشهد
عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرئ
حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله تعالى اياها بغير اختيارهم
او بظهور اثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم
الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان
الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك
غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اي العادل الظاهر
عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين

والخبيثون

والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل
على قوله اولئك يعني اهل بيت النبي عم او الرسول وعائشة وصفوان
مبرؤن مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم تقرر عليه وقيل
الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون
للافكين اي مبرؤن مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اي مبرؤن
من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة ولقد
برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف بشاهد من اهلها وموسى من قول اليهود
فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها عيسى عم وعائشة
بهذه الايات مع هذه المبالغة وذلك الا لاظهار منصب الرسول عم واعلاء
منزلته عند الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير
بيوتكم التي تسكنونها فان الاجير والمعير لا يدخلون الا باذن جديد من
مالكها حتى تستانسوا تستاذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام
من انس الشيء اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل
يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش
فان المستاذن مستوحش خائف ان لا يؤذن فاذا اذن له استانس
او تتعرفوا اهل ثم انسان من الانس وتسلموا على اهلها بان يقولوا
السلام عليكم ادخل ام لا وعنه عم التسليم ان يقول السلام ادخل
ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم خير لكم اي الاستيذان
والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او من تحية الجاهلية فان الرجل منهم
اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب
الرجل مع امراته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي عم استاذن على
امي قال نعم قال لا خادم لها غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب
ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون متعلق
بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو
اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها
حتى يؤذن لكم حتى ياتي من يؤذن لكم فان المانع من الدخول بدون
الاذن ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع
ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا كان فيه حرق

او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا
في الدخول هو ازكى لكم اى الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف
على الباب عنه من الكراهية وترك المروءة او انفع لدينكم والله بما تعملون
عليم فيعلم ما تاتون به وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس
عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والحانات والحوانيت
فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس
للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها
والله يعلم ما تبدون تظهرون وما تكتمون تخفون في الضماير
وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم اى عما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم من الجواري من غير ما نهي الحل ولما كان
المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض
وقيل حفظ الفروج هنا خاصة سترها عن الكشف من غير حاجة فوق قدرها
ذلك ازكى لهم انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله
خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال ساير
حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه
في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن
فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال ويحفظن فروجهن
بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ولا يبدين
اى لا يظهرن زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها
لمن لا يحل ان يبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب
والخاتم فان سترها حرج شديد وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف
المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية هو الوجه والكفان لانها
ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر فان كل بدن الحرة مطلقا
عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة و
تحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن
قرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهاشم بضم الجيم ولا يبدين زينتهن
كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون
بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او ابائهن او اباء

بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن
او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم
وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرايب ولهم ان
ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم
في معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذر ان يصفوهن لابنائهم
او نسائهن يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال
او النساء كلهن وللعلماء في ذلك او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء
والعبيد لما روي انه عم اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها
لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه السلام لها
انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد الاماء وعبد المرأة
كالاجنبي او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اى اولي
الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي
خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا
من امور النساء وقرئ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال او الطفل
الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور
بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل
جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن
ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها انها ذات خلخال فان
ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل على
المنع من رفع الصوت وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون
اولا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما
كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه
والعزم على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين
وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم لما نهى عما
عسى ان يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية
ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه
بامر النكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادات فيه دليل على وجوب
تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما واشعار بان المرأة والعبد
لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على المولى والولي وايامى مقلوب

ايائهم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا قال وان
تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم ايايهم وتخصيص الصالحين لان احصان
دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه
ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى ان يمنع من النكاح
والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية
عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله عم اطلبوا الغنى
في هذه الاية لكن مشروطة بالمشية لقوله تعالى فَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ
يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ والله واسع ذو سعة لا تنفد نعمته اذ
لا تنتهي قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته
وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون
نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن
منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين
يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك
على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه
مما تكتب لتاجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم
يضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول
بصلته مبتدا خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء
لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن
الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف
لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد
عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف
والاكتساب وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه
ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز واتوهم
من مال الله الذي اتاكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من
اموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي
اقل ما يتمول وعن علي رض حط الربع وعن ابن عباس رض الثلث وقيل ندب لهم الى
الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا او يعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين
واعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه صدقة
كالداين والمشتري ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة

ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنا
كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب
فشكت بعضهن الى رسول الله عم فنزلت ان اردن تحصنا تعففا
شرط للاكراه فانه لا يوجد بدونه وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه
جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه وايثار ان
على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض
الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن
غفور رحيم اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما
في مصحف ابن مسعود رض من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه
ان المكرهة غير اثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات
ولذلك حرم على المكره القتل والزنا واوجب عليه القصاص والحد
ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات يعني الايات التي بينت في هذه
السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرئ ابن عامر وحمزة والكسائي
وحفص هنا وفي الطلاق بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة
والعقول السليمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة
عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عايشة رض فانها كقصة يوسف ومريم
وموعظة للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الايات وتخصيص
المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالايات القران والصفات المذكورة
صفاته الله نور السموات والارض النور في الاصل كيفية
تدركها الباصرة اولا وبواسطتها ساير المبصرات كالكيفية الفايضة من النيرين
على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى
الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز بمعنى منور
السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض
عليهما من الانوار وبالملائكة والانبياء او مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق
في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدهما فان النور
ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم
والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به يدرك او يدرك
اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف الادراك

عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات
والجزئيات الموجودات والمعدومات ويغوص في باطنها ويتصرف فيها بالتركيب
والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن
من سبب يفيضها عليها وهو الله تعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء
ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس رض معناه هادي من فيهما
فهم بنوره تعالى يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما
على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق
بهما والمدلول لهما عليهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى
ضميره سبحانه دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكوة
كصفة مشكوة وهي الكوة غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب
وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة
المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب
درّي مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او
فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا
من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل
وقراءة ابي عمرو والكسائي درّيء كشريب وقد قرئ به مقلوبا يوقد
من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة
الزيتونة المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها
بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرئ نافع وابن عامر وحفص
بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك
على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد و
يوقد بحذف التاء لاجتماع الزيادتين وهو غريب لا شرقية ولا
غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول
النهار كالتي تكون على قلة جبل او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج
وزيتها اصفى او نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام
فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها
او في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا في نبات
في مقناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه نور على

نور نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت
وزهرة القنديل وضبط المشكوة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه
الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الايات المبينات في جلاء مدلولها
وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكوة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث
انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف
المشكوة لاشتمالها عليه وتشبيهه بها اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل
لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكوة المنبث فيها من
مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من
القوى الدراكة الخمس المترتبة التي نيط بها المعاش والمعاد وهي الحاسة التي
تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات
لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الجزئية
والكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم يعلم و
القوة القدسية تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء
والاولياء المعنية بقوله تعالى وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
بالاشياء الخمسة المذكورة في الاية وهي المشكوة والزجاجة والمصباح
والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكوة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر
لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول
صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليها
من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف
الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديها الى ثمرات لا نهاية لها والزيتونة المثمرة
للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق
الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلتين منتفعة من
الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء
بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك
فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكوة ثم تنتقش
بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات
فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان
بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة
قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي

والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصل لها
العلوم بحيث يتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها
كان نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا النور الثاقب من
يشاء فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ويضرب
الله الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله
بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه
وعد ووعيد لمن يدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت متعلق بما قبله
اي كمشكوة في بعض بيوت او توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون
تحرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيل الصلوة المؤمنين
او بدانهم بالمساجد ولا ينافي جميع البيوت ووحدة المشكاة اذ المراد بها ماله
هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد
لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت
والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم
اذن الله ان ترفع بالبناء والتعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما
يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها
بالغدو والاصال رجال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات
والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالاصال
وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر
وعاصم بالفتح مبنيا على اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما يدل
عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات
الغدو لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن
ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة
او بافراد ما هو الاهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع في
الشراء وقيل المراد بالتجارة الشراء فانه اصلها ومبدؤها وقيل الجلب لانه
الغالب فيها ومنه يقال اتجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام
الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة
بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وايتاء الزكوة
ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من
الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب

وتتغير

وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن
تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية
يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون
احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم
من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم والله
يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال
القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم
التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب
وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء
يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية الخالية عن النبات
وغيره وقيل جمع كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه
الظمان ماء اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة
عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده
شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا
اياه فوفاه حسابه استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب
لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية
تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات
عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب
ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب
او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات
او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الاخرة
في بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر
موج من فوقه موج اي امواج مترادفة متراكمة من فوقه
من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة
اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض
وقرئ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها في
رواية البزي اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها
لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس

الهوى من حب مينه يبيح والضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه
ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها
فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور الم تر الم تعلم علما
يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي والاستدلال ان الله يسبح
له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وافة اهل
السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه
من مقال او دلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع
الظاهر والدليل الباهر لذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاءها الاجرام
الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض
والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد
مما ذكر او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه اي قد علم الله دعاءه
وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم
كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال
من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة
في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء ولله ملك السموات
والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال
من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع
الجميع الم تر الم تعلم ان الله يزجي سحابا يسوقه ومنه البضاعة
المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم
بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه وقرئ نافع
برواية ورش يولف غير مهموز ثم يجعله ركاما متراكما بعضه على
بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله فتوقه جمع خلل
كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما
علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها
او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتديا
من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض
واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض
جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت
ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع

وصار

وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء
البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض
وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب
الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه
اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء و
الضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو و
الارتفاع وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء جمع برقة وهي المقدار
من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين
اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه
توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل
والنهار بالمعاقبة بينهما بنقص احدهما وزيادة الاخر وتغير احوالهما
بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم
ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة على وجود الصانع القديم
وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي
اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض
وقرئ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته
او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات
ما يتولد لا عن النطفة كالجنة ونحوها وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة
لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا
على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس
والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحوش ويندرج فيه
ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير
لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب
لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر
بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى
والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ان الله على كل شيء قدير فيفعل
ما يشاء ولقد انزلنا ايات مبينات للحقايق بانواع الدلائل والله
يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط
مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون

امنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن
الاشرف وهو يدعوه الى النبي عم وقيل في مغيرة بن وايل خاصم عليا رض
في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول عم واطعنا اي واطعنا لهما ثم يتولى
بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا
وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما
من الله تعالى بان جميعهم وان امنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق المتولي منهم
وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين
عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم اي ليحكم النبي عم فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه
والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون فاجاء
فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي
ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اي الحكم لهم لا عليهم يأتوا اليه مذعنين
منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم واليه صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص
افي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان رأوا منك تهمة
فزالت ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين
لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني
اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته
يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي
ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى
الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك
هم المفلحون على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي
بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده
الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما امر به
او في الفرايض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه
فيما بقي من عمره وقرئ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون
الهاء وحفص بسكون القاف باختلاس كسرة الهاء فشبه تقه بكتف وخفف
والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم
الدايم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن

امرتهم

امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على
الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة اي المطلوب
منكم طاعة معروفة لا اليمين على الطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة
امثل منها او ليكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير
بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا
الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم
فان تولوا فانما عليه على محمد ما حمل اوجب عليه من التبليغ
وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا
الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح
لما كلفتم به وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول
والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم
خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم
مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة
القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم
في مصر والشام بعد الجبابرة وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم
من الاعداء وقرئ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف امنا منهم وكان رسول
الله عم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة و
كانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم الله
على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار
عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود
عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة يعبدونني
حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف ببيان المقتضي
للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني
غير مشركين ومن كفر اي ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك
بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون
في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا تلك النعمة
العظيمة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول

في سايرما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد
على المامور به فيكون تكريرا للامر بطاعة الرسول عم للتاكيد وتعليق
الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى
والفلاح لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض لا تحسبن
يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين
او لا تحسبن الكفار في الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه
او لا تحسبوهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشئ
واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث وقرئ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول
في الاحتمالات ومأويهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين
كفروا ليسوا معجزين ومأويهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان
تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها
الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام
السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من
الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال
والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرشد دخل عليها
في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله عم مدلج بن عمرو الانصاري
وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رض فدخل وهو نائم وقد انكشف
عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله تعالى نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان
لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي عم فوجده
وقد انزلت عليه هذه الاية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان
الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله
ثلث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه
وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب
بدلا من ثلث مرات او الرفع خبرا لمحذوف اي هي من قبل صلوة الفجر وحين
تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان
للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس
والالتحاف باللحاف ثلث عورات لكم اي هذه ثلث اوقات يختل
فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ خبره ما بعده واصل العورة الخلل
ومنها اعور المكان اذا حصل فيه خلل ورجل اعور اذا كان له خلل في بصره

وقرئ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم
جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافي
اية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك
في الاحرار البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون استيناف ببيان
العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل
على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وغيرها بانها عورات
بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض
كذلك اي مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات اي الاحكام
والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال
منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم الذين
بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان العبد البالغ
على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون
فيهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة
في الامر بالاستيذان والقواعد من النساء اي العجائز اللواتي قعدن
عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس
عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب
والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات
بزينة غير مظهرات زينة مما امر باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل
التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج
سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كلها لا يغيب منه شئ الا انه خص
بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وأن يستعففن خير لهن
من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم
بمقصودهن ونيتهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مواكلة الاصحاء
حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط
فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة
قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم او اولادهم واقاربهم فيطعمونهم
كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن
او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي

الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم
ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم من البيوت
التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله
عم انت ومالك لابيك وقوله عم ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من
كسبه او بيوت اباءكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت
اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت
خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من
ضيعة وماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح
وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم
ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به وافرح وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط
هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص
هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم وكان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج
للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا
جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة
كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف
لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع
في القذارة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا
على انفسكم اي على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند
الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانه طلب
الحيوة وهي من عنده تعالى وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة
لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن
انس رض انه عم قال متى لقيت احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت
بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار
الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد
وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضي لذلك وهذا
بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في الامور
انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله
من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد
والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع

لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول الله فياذن لهم واعتباره
في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه
التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس الرسول عم بغير اذنه ولذلك
اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن
مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك فاذا استاذنوك
لبعض شانهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر
فاذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى رأي رسول الله عم واستدل
به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رايه ومن منع ذلك قيد المشية بان تكون
تابعة لعلمه بصدقه فكان المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر
لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر فيه قصور لانه تقديم
لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم
بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة
والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة
وقيل لا تجعلوا نداه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت
والنداء من وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير
والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم
على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه
كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يخرجون قليلا قليلا
من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر
بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كانه تابعه
وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون
عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف
سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين
من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود
بيان المخالف دون المخالف عنه والضمير لله فان الامر له على الحقيقة او
للرسول فان المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم

عذاب اليم في الاخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازات عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وعن النبي عم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان سبع وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا ينصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته لقوله ولقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين نذيرا للجن منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلومة وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقة الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير

واستنباط

واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه الهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم بانفسهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا اي ولا يملكون اماتة احد واحياءه وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتريه اختلقه واعانه عليه قوم اخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم الخالية وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاؤا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم عن اخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم ياكل الطعام كما ناكل نحن ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية

كما اشار اليه بقوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا ليعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى
اليه كنز فيستظهر به ويستغنى عن تحصيل المعاش او تكون له
جنة ياكل منها هذا على سبيل التنزل اى ان لم يلق اليه كنز فلا اقل
ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرئ حمزة
والكسائي بالنون وقال الظالمون وضع الظالمون موضع ضميرهم
تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون اى ما تتبعون الا رجلا
مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اى بشرا لا ملكا
انظر كيف ضربوا لك الامثال اى قالوا فيك الاقوال الشاذة
واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة
خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون
سبيلا الى القدح فى نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذى
ان شاء جعل لك فى الدنيا خيرا من ذلك مما قالوه ولكن
اخره الى الاخرة لانه خير وابقى جنات تجرى من تحتها الانهار
بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرئ ابن كثير
وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع
كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غايب مالى ولا حرم ويجوز ان
يكون استينافا بوعد ما يكون له فى الاخرة وقرئ بالنصب على انه جواب
بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية و
ظنوا ان الكرامة انما هى بالمال فطعنوا فيك بفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا
من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله
لك فى الاخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن
كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم
فيكون صرفه باعتبار المكان اذا راتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله عم
لا تتراءى ناراهما اى لا يتقاربان بحيث يكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز
والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى
منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت
المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا
بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى بها وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك

لزبانيتها

لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا فى مكان
ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق
والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض
مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك فى ذلك
المكان ثبورا هلاكا اى يتمنون الهلاك وينادون فيقولون يا ثبوراه
تعال فهذا حينك واوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اى يقال
لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور
لشدته او لانه يتجدد لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو فى كل وقت ثبور قل اذلك
خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون الاشارة الى العذاب
والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة
والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة
على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا كانت لهم فى علم الله او اللوح
المحفوظ او لان ما وعده الله تعالى فى تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم
بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل
بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب
لانهم فى مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من النعيم ولعله
تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك
شأو الكامل بالتشهى وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا فى الجنة
خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسئولا
الضمير فى كان لما يشاؤن والوعد هو الموعود اى كان ذلك موعودا
حقيقا بان يسال ويطلب او مسئولا سأله الناس فى دعائهم ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى
وعدتهم وما فى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده ولا يلزم
منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد
الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ
ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون
الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك
يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم

او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا
والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او يتكلم بلسان الحال
كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على
تلوين الخطاب وقرئ ابن عامر بالنون ءانتم اضللتم عبادي
هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم
عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله اضللتم
ام هم ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي
للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة
قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون
او جماد لا يقدر على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده
فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغي
لنا يصح لنا ويليق بنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة
او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك
وقرئ نتخذ دونك على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله
تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض
وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي ولكن متعتهم واباءهم بانواع
النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك
او التذكر في اياتك وهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناده
الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة
علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما بورا لكن مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ
فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول
والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم الهة
او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير
بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما تستطيعون
اي المعبودون وقرئ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا
دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ولا نصرا
فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا
هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضائه الجزاء مقيد بعدم

المزاحم

المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما
ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين
عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان
يكون حالا واكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام
ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي يمشيهم حوائجهم او الناس
وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك
ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة
وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله عم على ما قالوه بعد نقضه وفيه
دليل على القضاء والقدرة اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن
عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا بمن
يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره وقال الذين لا يرجون
لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على
لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي
والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا
هلا انزل علينا الملائكة فيخبروننا بصدق محمد وقيل فيكونون
رسلا الينا او نرى ربنا فيامرنا بتصديقه واتباعه لقد
استكبروا في انفسهم اي في شانها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد
من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك
وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه
حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة
ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف
وفي الاستيناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم
كقوله وجارة جساس ابانا نابها كليبا غلت ناب بواؤها يوم يرون
الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه
لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ
تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى
ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل فيما قبلها وللمجرمين اما عام يتناول

حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ
نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم
تسجيلاً على جرمهم واشعاراً بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها و
يقولون حجراً محجوراً عطف على المدلول اي ويقول الكفرة
حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلباً من الله ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا
يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او تقولها الملائكة بمعنى حراماً
محرماً عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجراً بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص
بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه
ووصفه بمحجوراً للتأكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثوراً اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم كقرى الضيف
وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو
تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم
فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثراً والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة
من الهبوة وهي الغبار ومنثوراً صفته شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم
نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي
كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله
كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً
مكاناً يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلاً
مكاناً يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزاً له من مكان
القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالباً اذ لا نوم في الجنة وفي
احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من المحاسن ويحتمل
ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب
ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقاً او بالاضافة
الى ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ويوم تشقق السماء اصله
تتشقق فحذفت التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب
بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل
ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة
تنزيلاً في ذلك الغمام وهو الغمام بصحايف اعمال العباد وقرئ ابن كثير

وننزل

وننزل وقرئ نزلت وانزلت ونزل ونزل الملائكة ونزل الملائكة بحذف
نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له تعالى لان كل ملك
يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول
الملك لا الحق لانه متأخر او صفته والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوماً على
الكافرين عسيراً شديداً ويوم يعض الظالم على يديه من
فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات
من الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي
معيط كان يكثر مجالسة النبي عم فدعاه الى ضيافته فابى ان يأكل طعامه حتى
ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت
فقال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه وشهدت له
فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجداً
في دار الندوة ففعل ذلك فقال عم لا القاك خارجاً من مكة الا علوت
راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر علياً فقتله وطعن ابياً باحد في المبارزة
فرجع الى مكة ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً
طريقاً الى الجنة او طريقاً واحداً وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة
يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً
يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد
اضلني عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة
بعد اذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل
او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن او انس
للانسان خذولاً يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه
فعول من الخذلان وقال الرسول محمد عم يومئذ او في الدنيا شاكياً
الى الله تعالى يا رب ان قومي قريشاً اتخذوا هذا القرآن مهجوراً
بان تركوه وصدوا عنه وعنه عم من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده
ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقاً به يا رب عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض
بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه وزعموا انه هجر واساطير الاولين
فيكون اصله مهجوراً فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول
وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله من قومهم عجل لهم العذاب
وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر

كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى
بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال الذين
كفروا لولا نزل عليه القران اى انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لتلوينا وفي
قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلث وهو اعتراض لا طائل
تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوايد منها
ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اى كذلك انزلناه
مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال
موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القى
عليه جملة يعنى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا
فشيئا ولان نزوله بحسب الوقايع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولم يستقم
ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك
قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبرئيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة
الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القراين الحالية الى الدلالات اللفظية فانه
يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله
مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القران جملة واحدة ويحتمل ان يكون
من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب
السماوية السابقة عليه واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه
ترتيلا وقريناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة
او ثلث وعشرين واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك
بمثل بسؤال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك
الا جئناك بالحق الدامغ له في جوابه واحسن تفسيرا
وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او ولا يأتونك بحال عجيبة يقولون
هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما
هو احسن كشفا لما بعثت به الذين يحشرون على وجوههم
الى جهنم اى مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات
ومتوجهة وجوههم اليها وعنه عم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف
صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم
منصوب او مرفوع او مبتدا خبره اولئك شر مكانا واضل
سبيلا والمفضل عليه هو الرسول عم على طريقة قوله قل هل

انبئكم

انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كان قيل ان حالهم
على هذه الاسولة يحقر مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم
شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة خير مستقرا
ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى للمبالغة ولقد اتينا
موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره
ويعاونه فى الدعوة الى دين الله واعلاء كلمته ولا ينافى ذلك مشاركته
فى النبوة لان المتشاركين فى الامر متوازران عليه فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا يعنى فرعون وقومه باياتنا فدمرناهم
تدميرا اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتى
القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق
التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرى فدمرتهم
فدمراهم على التاكيد بنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل
كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل
كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان
وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس اية عبرة
واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون
وضعا للظاهر موضع المضمر تعليلا لهم وعادا وثمود عطف
على هم فى جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرى
وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهو البئر
الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج
اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود
وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار وقيل هم اصحاب حنظلة ابن
صفوان النبى عم ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها
عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ او دمخ
وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا
فدعا عليها حنظلة فاصابتها صاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم
كذبوا نبيهم ورسوه اى دسوه فى بئر وقرونا واهل اعصار قيل
القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين

ذلك اشارة الى ماذكر كثيرا لايعلمها الا الله وكلا ضربنا له
الامثال بيّنا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا
فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا
ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه
ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له ولقد اتوا يعني قريشا
مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت مطر السوء
يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا
يرونها في مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من اثار عذاب الله بل
كانوا لا يرجون نشورا بل كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة
فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون
نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب او لا يخافون على اللغة التهامية
واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع
هزء او مهزوا به اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر
والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله
صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذي زعم
انه بعثه الله رسولا ان كاد انه كاد ليضلنا عن الهتنا ليصرفنا عن
عبادتها لفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى
الذهن من انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها واستمسكنا بعبادتها
ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم
ان كان ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد و
دلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه بان
اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني
للعناية به افانت تكون عليه وكيلا حفيظا يمنعه عن الشرك والمعاصي
وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجب والثاني للانكار ام تحسب
بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الايات
والحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب
عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من امن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا
وخوفا على رياسته ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم بقرع الايات

اذانهم

اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا
من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب
ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون
العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد
باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة
هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة على
طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم
العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل
كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول
من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع
باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف
بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع
الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد
النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال
وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص
من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام
او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اي ازلناه
بايقاع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى
نفسه الذي هو معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع
الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق
وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها
وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نيرد وحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها ولو شاء
لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا
اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليلا لطريق من يهديه يتفاوت بحركتها
ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية
نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل
عليها وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره

والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا
لقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل لانه قطع الحيوة ومنه المسبوت للميت
وجعل النهار نشورا اي ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس
للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة
انموذج للموت والنشور وعن لقمان يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت
فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ ابن كثير على التوحيد
ارادة للجنس بشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرئ ابن عامر
بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر
وصف به وعاصم بشرا بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين
يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا
مطهرا عن الادناس والاحداث لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به
كالوضوء والوقود والسجود والفطور لما يتوضأ به ويوقد به ويتسحر به
ويفطر به قال عم التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب
فيه ان يغسل سبعا احديهن بالتراب وقيل بليغا كاملا في الطهارة وفعول
وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول
وللاسم كالذنوب في توصيف الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما
بعده فان الماء الطهور اهنا وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها
على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى
لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه
غير جار على الفعل كساير ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه
مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون
بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل المدن
والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن
سقيا السماء وساير الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب
غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد
انواع النعمة والانعام قنية الاناسي وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة
بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب
لحيوتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقي واسقي لغتان وقيل اسقاه جعل له
سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله

اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين
الناس في القران وساير الكتب السماوية او المطر بينهم في البلدان المختلفة
والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرها وعن ابن عباس
ما امطر عام اقل من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه
الاية او في الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة
وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم
فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث
لها او جحودها بان يقولوا امطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء
كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله بمقتضى النجوم والانواء وسايط او امارات
بجعل الله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر
اهلها فيخف عليك اعباء النبوة والرسالة والتبليغ لكن قصرنا الامر
عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على ساير الرسل فقابل
ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق وتبليغ ما ارسلت به الى
الرسل اليهم فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له
وللمؤمنين وجاهدهم به بالقران او بترك اطاعتهم الذي يدل
عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في
مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج
اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين
اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث
الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين
متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها مسترجة هذا
عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج
بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد
وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا
بليغا كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا
وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل
المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ
ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة
مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت

في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة
ادم وجعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيئات
بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي
نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن لقوله
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق
من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين
متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون
من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما
عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقبل بالنفع والضر وكان الكافر
على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر
الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته
خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين بالجنة والنار قل ما اسئلكم
عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر
الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب
اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصوره ذلك بصورة الاجر
من حيث انه مقصود فعله واستثناؤه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا
لغاية الشفقة حيث اعتد بايقاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص
من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود
عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع ومعناه
لكن من شاء ان يتخذ الى ربه فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت
في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه
دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح
بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد
الانعام بالشكر على سوابغه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها و
ما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك ان امنوا او كفروا الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه
من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه

تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة و
تدريج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ وللمحذوف ان جعلته
صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فسئل
به خبيرا فاسئل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته
والله تعالى او جبرئيل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل
الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسئل عنه من يخبرك
من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون
الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش
يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم
اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على
الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا
اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه
كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم
لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان
تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر
سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها
واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس
لقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس
والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ وقمرا
اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب
والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي
خلفة يخلف كل واحد منهما الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل
فيه او بان يعتقبا لقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف
كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر الاء الله تعالى ويتفكر في صنعه
فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد او اراد
شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين
والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الاخر وقرئ حمزة ان
يذكر من ذكره بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه
وعباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة الذين

يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم
الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين
او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير
بيننا وبينكم ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه
اية القتال لتنسخه فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلوة وتخصيص
البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الريا وتاخير القيام للروي
وهو جمع قائم او مصدر اجرى مجراه والذين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه
الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم
في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم
باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما
اى بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير
محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال
او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية و
الابتداء من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد
الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف
هو الانفاق في المحرمات والتقتير منع الواجب وقرئ الكوفيون ونافع
وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل
واحد وكان بين ذلك قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة
الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة
لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون
الخبر بين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن
وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ عن نفسه والذين
لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله اى حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل
المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعد
ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور

موعود

موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد
تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثاما باضمار
الجزاء وقرئ اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام اى صعب يضاعف
له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه في معناه كقوله متى تاتنا تلمم
بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرئ ابو بكر بالرفع على الاستيناف
او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف
بالجزم وابن عامر بالرفع وابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ
مثقلا وتضعف له العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر
ويدل عليه قوله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة
ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة
الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل
عقاب ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات
ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها
وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة
فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا عند الله
ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين
ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم
بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة
الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه
واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين
عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء
عن الفواحش والصفح عن الذنوب ما لم يبلغ حدا والكناية عما يستهجن
التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم بالوعظ او القراءة
لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين
بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين
بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني
زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون
ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم

للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم
قلبه وقر بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة
ومن ابتدائية او بيانية كقوله رايت منك اسدا وقرئ ابو عمرو وحمزة والكسائي
وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان
المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا
للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل
وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا او لانه
مصدر في اصله او لان المراد اجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة
لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصيام وصائم ومعناه قاصدين
لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي
اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون وللقراءة بها وقيل
هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات
ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما
دعاء بالتعمير والسلامة اي تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم
بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت
مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل
ما يعبؤ بكم ربي ما يصنع من عبات الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم
لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة
والطاعة والا فهو وساير الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم
لولا دعاؤكم معه الالهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر
كانه قيل اي عبء يعبؤ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه
وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقيل
فقد كذب الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد
في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون
جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار
وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل
المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى
اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا

سورة

سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مائتان وسبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرا حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة
ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب عنها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل
منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته
والاشارة الى السورة او القران على ما مر في اول البقرة لعلك باخع
نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق
مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة
ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا مؤمنين
لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشا ننزل عليهم من
السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت
اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا خاضعين
فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصف
الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات
من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف
على ننزل عطف واكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما
ياتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القران من الرحمن بوحيه
الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير
الا كانوا عنه معرضين الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على
ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في
تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسياتيهم
اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة انباء ما كانوا به
يستهزؤن من انه كان حقا او باطلا وكان حقيقا بان يصدق
ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض
اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف
كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل
ان يكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان يكون مبينا على انه
ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل للاحاطة الازواج وكم

لكثرتها ان في ذلك ان في اثبات تلك الاصناف او في كل واحد لاية
على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم
مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الايات
العظام وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة
الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وامن
واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت
اي ائت او بان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل
وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له ولعل
الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون
استينافا اتبعه ارساله اليهم للانذار وتعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم
عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا
غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه
اليهم واسماعه مبتداء اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره
وتامل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان
يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني
اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني
فارسل الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له في
الامر على الامور الثلثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا
عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه
بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب
منابه متى يعتريه حبسة حتى لا يختل دعوته ولا ينبتر حجته وليس ذلك تعللا
منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره
وقرئ يضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان
من جملة ما خاف عنه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف
او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار
قصته المبسوطة في مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء
الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان
ذلك استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا
باياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم

اخيه

اخيه اليه في الارسال والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف
على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب
انت والذي طلبته انا معكم يعني موسى وهرون وفرعون مستمعون
سامعون لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة
قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة في الوعد
بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي
هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم
لغو فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد
الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة
قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك
ثني تارة وافرد اخرى او لاتحادهما في الاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به
او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل معنا بني اسرائيل اي
ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم
يذهبوا معنا الى الشام قال اي فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له
ذلك الم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من
الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين
سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين
ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت يعني
قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك
بالكسر لانها كانت قتلة بالوكزة وانت من الكافرين بنعمتي حتى
عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الان فانه عم كان يعايشهم بالتقية
فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدا عليه بانه من الكافرين
بالوهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في
دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين من الجاهلين وقد
قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من المخطئين لانه
لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب والناسين
من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي
ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين رد اولا بذلك
ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه

كان صادقا غير قادح فى دعواه بل نبه على انه كان فى الحقيقة نعمة لكونه مسببا
عنها فقال وتلك نعمة تمنها علىّ ان عبدت بنى اسرائيل اى وتلك
التربية على ظاهرة وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم
فانه السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة
الانكار اى او تلك نعمة تمنها علىّ وهى ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع
على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل
تلك الاشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك
بنى اسرائيل نعمة تمنها علىّ به وانما وحد الخطاب فى تمنها وجمع فيما قبله لان الخوف كانت
منه وحده والخوف والفرار منه وملائه قال فرعون ومارب العالمين
لما سمع جواب ماطعن فيه وراى انه لم يرعو بذلك شرع فى الاعتراض على
دعواه فبداء بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموت
والارض ومابينهما عرفه باظهر خواصه واثاره لما امتنع تعريف
الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين
اى ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة
لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبداء واجب لذاته وذلك المبداء لابد
وان يكون مبداء لساير الممكنات مايمكن ان يحس بها ومالا يمكن والا لزم تعدد
الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه
الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب
فى ذاته قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سالته عن حقيقته
وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموت وهى واجبة متحركة لذواتها
كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقاره الى مؤثر قال ربكم ورب
اباءكم الاولين عدولا الى مالا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك فى افتقاره
الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التامل قال ان
رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون اساله عن شئ ويجيبنى
عن اخر وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما
بينهما تشاهدون كل انه ياتى بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار
اليوم الذى قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات
ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك
لاينهم اولا ثم لما راى شدة شكيمتهم خاشنهم وعاوضهم بمثل مقالتهم قال

لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد
عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه
للالوهية وانكاره الصانع وان تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبته الربوبية
الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا او تولى امره بقوة طالعه
استحق العبادة من اهله واللام فى من المسجونين للعهد اى ممن عرفت حالهم
فى سجونى فانه كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من
لاسجننك قال اولو جئتك بشئ مبين اى اتفعل ذلك ولو جئتك
بشئ يبين صدق دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود
الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعى نبوته فالواو للحال وليها الهمزة
بعد حذف الفعل قال فأت به ان كنت من الصادقين فى ان لك
بينة او فى دعواك فان مدعى النبوة لابد له من حجة فالقى عصاه فاذا هى
ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب
اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين روى
ان فرعون لما راى الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها
فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق قال للملأ
حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر
عليم فائق فى علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره
فماذا تامرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى
موامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره
واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما
وابعث فى المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة ياتوك بكل
سحار عليم يفضلون عليه فى هذا الفن وقرئ بكل ساحر فجمع
السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو
وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون
فيه استبطاء لهم فى الاجتماع حثا لهم على مبادرتهم اليه كقوله تابط شرا هل
انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق اى ابعث احدهما
الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا
نتبعهم فى دينهم ان غلبوا والترجى باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع و
مقصودهم الاصلى ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام

مساق الحكاية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا
لفرعون ءان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم
وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه
ان غلبوا فاذن على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اى بعد ما قالوا له اما ان
تلقى واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن
فى تقديم ما هم فاعلوه لا محالة وتوسلا به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته
على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى انفسهم او لاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى
به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف تبتلع بالسرعة
وقرئ حفص تلقف بالتخفيف ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه
بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حياة تسعى او افكهم تسمية
للمأفوك به مبالغة فالقى السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتاتى
بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له
وان التبحر فى كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على
انهم لما راوا لم يتمالكوا انفسهم فكانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى
القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا امنا برب العالمين بدل من القى
بدل الاشتمال او حال باضمار قد رب موسى وهرون ابدال
للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما
قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم
السحر فعلمكم شيئا دون شئ ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتوا
طأتم عليه اراد به التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة
وظهور حق وقرئ حمزة والكسائى وابو بكر وروح ءامنتم بهمزتين
فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا
لا ضير لا ضرر علينا فى ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا
به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او بسبب
من اسباب الموت وقتلك انفعها وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا
خطايانا ان كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من

اهل

اهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ
ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره
ان احسنت اليك فلا تبخس حقى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى
وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات
فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرئ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل
الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم فرعون
وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اى اسر بهم حتى اذا اتبعكم مصبحين
كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على
اثركم حتى تلجوا فى البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل
فرعون حين اخبر بسراهم فى المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم
ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما استقلهم
وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روى
انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها
ثوب شراذم لما بلى وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط
منهم قليل وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع
حاذرون وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور اشار اولا
الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم
ووجوب التيقظ فى شانهم حثا عليه او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كى
لا يظن به ما يكسر سلطانه وقرئ ابن عامر والكوفيون حاذرون والاول
للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وهو ايضا من الحذر
لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال المهملة اى اقوياء قال
احب الصبى السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر اى قوى
سمين او تامو السلاح فان ذلك يوجب حدارة فى اجسامهم اى سمنا
مفرطا فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملهم
عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم يعنى المنازل
الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر
او مثل ذلك المقام الذى كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون
خبر المحذوف واورثناها بنى اسرائيل فاتبعوهم وقرئ
فاتبعوهم مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس فلما

تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان
قال أصحاب موسى إنا لمدركون لملحقون وقرئ لمدّركون من ادّرك
الشيء إذا تتابع ففني أي لمتتابعون في الهلاك على أيديهم قال كلا لن يدركوكم
فإن الله وعدكم الخلاص منهم إن معي ربي سيهدين طريق النجاة منهم
روي أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك
وقد غشيك آل فرعون قال أُمرت بالبحر ولعلي أومر بما أصنع فأوحينا
إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر القلزم أو النيل فانفلق
فانفلق فصار اثني عشر فرقا بينهن مسالك فكان كل فرق كل قطعة
من الماء كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في
شعابها كل سبط في شعب وأزلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون
وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم وأنجينا موسى ومن معه
أجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا ثم أغرقنا الآخرين
بإطباقه عليهم إن في ذلك لآية وأية آية وما كان أكثرهم
مؤمنين وما تنبه عليها أكثرهم إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر من القبط
وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وإن ربك لهو العزيز المنتقم من أعدائه
الرحيم بأوليائه واتل عليهم على مشركي العرب نبأ إبراهيم
إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم أن ما يعبدونه
لا يستحق العبادة قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين
فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل هنا بمعنى ندوم
وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم
يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة إذ تدعون
عليه وقرئ يُسمعونكم أي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع
إذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها أو ينفعونكم على عبادتكم
لها أو يضرون من أعرض عنها قالوا بل وجدنا آباءنا
كذلك يفعلون أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضر
أو نفع والتجؤوا إلى التقليد قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون
أنتم وآباؤكم الأقدمون فإن التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب
به الباطل حقا فإنهم عدو لي يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث إنهم

يتخذون

يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو أن المغري بعبادتهم
أعدى أعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الأمر في نفسه تعريضا لهم فإنه أنفع
بالنصح من التصريح وإشعارا بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول
وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدر أو بمعنى النسب إلا رب العالمين
استثناء منقطع أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبدوه وكان من
آبائهم من عبد الله الذي خلقني فهو يهدين لأنه يهدي كل مخلوق
لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية
مدرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار
مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الطمث
من الرحم ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية
إن جعل الموصول مبتدأ وللعطف إن جعل صفة رب العالمين فيكون
اختلاف النظم حيث أتى بخلقني بلفظ الماضي ويهديني بلفظ المضارع
لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين
على الأول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده
وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات
مستقلة باقتضاء الحكم وإذا مرضت فهو يشفين عطفه
على يطعمني ويسقين لأنه من روادفهما من حيث إن الصحة والمرض في الأغلب
يتبعان المأكول والمشروب وإنما لم ينسب المرض إليه لأن مقصوده تعديد
النعم ولا ينتقض بإسناد الإماتة إليه فإن الموت من حيث إنه لا يحس به
لا ضرر فيه وإنما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم إنه لأهل الكمال وسيلة إلى
نيل المحاب التي يستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن والبليات
ولأن المرض في غالب الأمر بتفريط الإنسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين
الأخلاط والأركان من التنافي والتنافر والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها
والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي
يميتني في الدنيا ثم يحيين في الآخرة والذي أطمع أن
يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما
للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لأن يغفر لهم ما يفرط
منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته
الثلاث إني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي أختي ضعيف لأنها معاريض وليست

خطايا رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل استعد به لخلافة الحق
ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لانتظم به
في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره
واجعل لي لسان صدق في الآخرين جاها وحسن صيت في الدنيا
يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او
صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو
محمد عم واجعلني من ورثة جنة النعيم في الآخرة وقد مر معنى
الوراثة فيها واغفر لأبي بالهداية والتوفيق للايمان انه كان
من الضالين طريق الجنة وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان
لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد
من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص
رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب
عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى
الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون
او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب
سليم اى لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل
المعاصي وساير آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا شأنه وبنوه حيث انفق
ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا
عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه
المال والبنون اى لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من
من اتى الله بقلب سليم تنفعه وازلفت قربت الجنة للمتقين
بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت
اظهرت الجحيم للغاوين للكافرين فيرونها مكشوفة ويتحسرون
على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل
لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله اين الهتكم الذين تزعمون
انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون
بدفعه عن انفسهم لانهم والهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم
والغاوون اى الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه
كان من ألقي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود

ابليس

ابليس متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد
للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده او للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل
وما يعود اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا
لفي ضلال مبين على ان الله تعالى ينطق الاصنام فيخاصم العبدة ويؤيده
الخطاب في قوله اذ نسويكم برب العالمين اى في استحقاق العبادة
ويجوز ان يكون الضماير للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة
والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة
متحسرون عليها وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين
كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن
نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق
وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق
ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق
على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان
لنا كرة رجعة تمني للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى
التقدير او شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني
او عطف على كرة اى لو ان لنا ان نكر فنكون ان في ذلك فيما ذكر
من قصة ابراهيم لآية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها
جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها
من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلايلها وحسن دعوته
للقوم وحسن مخالفته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه
واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم
الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين
به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم
بالامهال لكي يؤمنوا هم او واحد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين
القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين
اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا
عبادة غيره اني لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا
الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة وما اسئلكم

عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجرى الا على رب
العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه
على دلالة كل واحد منهما امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه
فكيف اذا اجتمعا وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر وحفص بفتح الياء في ان اجرى
في كلمات خمس قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون
جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع
تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور
رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم
بما يدعوهم اليه ودليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر و
بصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا
يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما على الا اعتبار الظاهر
ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه
المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون
ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من
استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه
وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث
لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق
بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان
الواضح ولا على ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح
عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين
بالحجارة قال رب ان قومي كذبون اظهارا لما يدعو عليهم لاجله
وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم
فتحا فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة وهي الحكومة ونجني ومن معي
من المؤمنين من قصدهم او شوم عملهم فانجيناه ومن معه
في الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين
من قومه ان في ذلك لاية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الغالب على عداه
ذو حكمة في افعاله كذبت عاد المرسلين انث باعتبار القبيلة
وهو في الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني

لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه
من اجر ان اجرى الا على رب العالمين تصدير القصص
بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما
يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء عليهم السلام
متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع
الدنية والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع
ومنه ريع الارض لارتفاعها اية علما للمارة تعبثون ببنائها
اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام
او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها
وتتخذون مصانع ماخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا
لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط
او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة
ولا قصد تاديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء
واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم
بما تعلمون كرره مرتبا عليه امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم
تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع
ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار
في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم
بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال اني
اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فانه كما قدر
على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن
من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما
يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق
الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا
الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم وحمزة خلق بضمتين اى ما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين
كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين
وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت
الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن

عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر ان في
ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح
الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين
اتتركون فيما ههنا امنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير
بالنعمة في تخلية الله تعالى اياهم واسباب تنعمهم امنين ثم فسره بقوله في
جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف
لين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع اناث النخل هو الطف ما يطلع
منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدلي منكسر من كثرة الحمل وافراد
النخل لتفضله على ساير اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون
من الجبال بيوتا فارهين بطرين اشرين او حاذقين من الفراهة
وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ نافع وابن كثير
وابو عمرو فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا
تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال
الامر او نسب حكم الامر الى امره مجازا الذين يفسدون في الارض
وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون
دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين الذين
سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من ذوي السحر وهي الرية اي من الاناسي اي المراد
انه بشر فيكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فأت باية
ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة اي
بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها روي انهم قالوا
نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال
له جبرئيل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت
بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم لها شرب نصيب من الماء كالسقي
والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم
معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها
بسوء كضرب او عقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم
اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند

العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقرها برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا
نادمين صاروا على عقرها نادمين خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند
معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب
الموعود ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا
المعرض ايماء بانه لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما
عصموا من مثله ببركة من امن منهم كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان
اجرى الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين
اي اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او تاتون
الذكران من اولاد ادم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزنكم فالمراد
بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق
لكم ربكم اي تدعون ان تاتوا النساء التي خلقهن لاجل استمتاعكم بهن
من ازواجكم لبيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به
العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم
ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا
على ساير الناس بل الحيوانات كلها او مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك
او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن
لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن
من المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه
على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين من المبغضين
غاية البغض لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول اني
لعملكم قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم رب
نجني واهلي مما يعملون اي من شومه وعذابه فنجيناه واهله
اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول
العذاب بهم الا عجوزا هي امراة لوط في الغابرين مقدرة في
الباقين في العذاب اذا اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى
القوم راضية بفعلهم وقيل كانت تخلفت في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم

دمرنا الآخرين اهلكناهم من اخرهم وامطرنا عليهم مطرا قيل
امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم فساء مطر المنذرين
اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم
محذوف وهو مطرهم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب
الايكة المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب
مدين يسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا
منهم فلذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم
شعيب وقيل الايكة شجرة ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ
ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وفتحت لذلك
مفتوحة على انها ليكة وهى اسم بلدتهم وانما كتبت هاهنا وفى ص بغير الف
اتباعا للفظ انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين
اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين الناقصين
حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم
بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير
العين والا ففعلال وقرئ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم
ولا تعثوا فى الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق
واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين وذوى الجبلة الاولين
يعنى من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين وما انت
الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين متنافيين
للرسالة مبالغة فى تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين فى دعواك
فاسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر
الامر بالتقوى من التهديد وقرئ حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين
فى دعواك قال ربى اعلم بما تعملون وبعذاب منزل عليكم مما اوجبه
لكم عليه فى وقت مقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم
الظلة على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى
غلت انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا

انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا اخر القصص السبع
المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل
به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات
فلكية او كان ابتلاء لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين
نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص
وتنبيه على اعجاز القران ونبوة محمد عم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون
الا وحيا من الله تعالى والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو
فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم ينتقل منه الى
القلب لما بينهما من التعلق ثم يتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة
والروح الامين جبرئيل فانه امين الله على وحيه وقرئ ابن عامر وابو بكر وحمزة و
والكسائى بتشديد الزاء ونصب الروح والامين لتكون من المنذرين
عما يؤدى الى عذاب من فعل او ترك بلسان عربى مبين واضح المعنى
لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهم فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين
اى لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل ومحمد عليهم السلام
وانه لفى زبر الاولين وان ذكره او معناه لفى الكتب المتقدمة اولم
يكن لهم اية على صحة القران او نبوة محمد عم ان يعلمه علماء بنى
اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ
ابن كثير تكن بالتاء واية بالرفع على انها الاسم ولهم الخبر وان يعلمه بدل او الفاعل
ان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة واية خبر ان يعلمه والجملة خبر
تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة فى اعجازه او بلغة
العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم
او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمى على التخفيف
ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه فى قلوب
المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل
الاية على انه بخلق الله تعالى وقيل للقران اى ادخلناه فيها فعرفوا معانيه و
اعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب
الاليم الملجئ الى الايمان فياتيهم فى الدنيا او فى الاخرة بغتة

فجأة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون
تحسرا وتأسفا افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب
طلب النظرة افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا
يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم
المتطاول في دفع العذاب عنهم وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا
لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها
النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع على انها صفة منذرين
باضمار ذوا او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية
وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار وما تنزلت
به الشياطين كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على
الكهنة وما ينبغي لهم وما يصح لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون
وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون
لانه مشروط بمشاركة في صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش
بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك
والقران مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا
تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد
الاخلاص ولطف لسائر المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين
الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روى انه لما نزلت صعد
الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا
الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين
جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين
لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين
المشارفون للايمان والمصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك
بل خالفوك فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم
وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر
اوليائه يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل
على الابدال من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم الى التهجد

وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين
كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه
لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع
لها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القران او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع
والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه تعالى بعلمه بحاله التي بها يستاهل
ولايته بعد ان وصفه بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل
وتطمينا لقلبه عليه انه هو السميع بما تقوله العليم بما تنويه
هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك
اثيم لما بين ان القران لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك
بان بين ان محمدا عم لا يصلح لان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون
على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب
والتواد وحال محمد عم على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع و
اكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم
ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق
اكثرها الواقع كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد
فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد عم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد
طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اثيم والاظهر ان الاكثرية باعتبار
اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضماير للشياطين
اي يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات
ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون
فيما يوحون به اليهم اذ يسمعون لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور
فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون يعني
شعراء الكفار الذين يهجون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه و
اتباع محمد عم ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه عم شاعرا وقرره
بقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون في كل لغو يخوضون لان اكثر
مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في التشبيب بالحرم والغزل
والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار
الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون
ما لا يفعلون وكانه لما كان اعجاز القران من جهة المعنى واللفظ وقد

فدح في المعنى بانه مما ينتزل به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء
تكلم في القسمين وبين منافاة القران لهما ومضادة حال الرسول عم لحال اربابهما
وقرئ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها
له بعضد الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين
الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى
والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة
المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عم يقول
لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عم قال له اهجهم
فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا اي
منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي
الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت
من الابهام والتهويل وقد تلا ابو بكر لعمر رض حين عهد اليه وقرئ اي منفلت
ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا
من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي عم
من قرا سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به
وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين

سورة النمل مئة وثلث وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات القران وكتاب
مبين الاشارة الى السورة والكتاب المبين اما اللوح المحفوظ وابانته
انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتاخيره باعتبار تعلق
علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القران وابانته لما اودع فيه من
الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القران كعطف احدى الصفتين
على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف و
اقامة المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان
من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران اخران او خبران
لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين
يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون

من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباتهم
وانهم الاوحديون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون
ويعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف
العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين
لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم زين اعمالهم القبيحة بان
جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم
ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون
ما يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب
كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الاخرة هم الاخسرون
اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى
القران لتؤتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم
والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان
الفعل والاشعار بان علوم القران منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها
ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض
تلك العلوم بقوله اذ قال موسى لاهله اني انست نارا
اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اي
عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى
عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ
او آتيكم بشهاب قبس شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه
لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس
بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك
عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما
لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين
حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها
النار العظيمة فلما جاءها نودي ان بورك اي بورك فان النداء
فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف
وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف
غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان النار وهو
البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة

المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها
من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء واموانا
وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة
الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر
بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي
به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر او تعجب
من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان وانا
الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم
صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد
من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير والق
عصاك عطف على بورك اي نودي ان بورك من في النار وان الق
عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني
انا الله بتكرير ان فلما راها تهتز تتحرك باضطراب كانها جان
حية خفيفة سريعة وقرئ جان على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين
ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار
وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى
لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي
المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس
من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه الا من ظلم ثم
بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع
استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه
صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله
تعالى مغفرة ورحمة وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل
وثم بدل مستانف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة
وادخل يدك في جيبك لانه كان لابسا مدرعة صوف لا كم لها وقيل
الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء
آفة كبرص وجذام في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي
الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب
في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد

الاخريين

الاخريين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات
على انه استيناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين
يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال
فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل
اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها
لو كانت مما تبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان
تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتامل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه
التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها
وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال
ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من
جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق
في الدنيا والاحراق في الاخرى ولقد آتينا داود وسليمان
علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم كان او اي علم
وقالا الحمد لله عطف بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتياه
في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا وشكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله الذي
فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما او مثل
علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس
الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض
للعالم على ان يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه
وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود
النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا
تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا
من كل شيء تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق
بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق
والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد
يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه
الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها
تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف
الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوا

علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك
ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى
الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله
كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة وشدة
وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك
لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان
يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين
الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمان جنوده من
الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون يحبس
اولهم على اخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشام
كثير النمل وكانت نملة كامثال الذباب وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم
كان من علو او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ اخره
كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم كانها لما راتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة
حطمهم فتبعها غيرها وصاحت صيحة تنبهت ما بحضرتها من النمال فتبعتها
فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه
لا يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده
نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك
ههنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله في
السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا
كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استيناف اي فهم
سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا
من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله
به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سال توفيق شكره وقال
رب اوزعني ان اشكر نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك
عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه التي انعمت
علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما
لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية
وان اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني

برحمتك

برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم في الجنة وتفقد
الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى
الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن
انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه
غايب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غايب كانه يسئل عن صحة ما لاح
له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس
او حيث النمل تاكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه ليعتبر
به ابناء جنسه او ليأتيني وقرئ ابن كثير ليأتينني بنونين الاول
مفتوحة مشددة بسلطان مبين بحجة تبين عذره و
الحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى
ذلك وقوع احد الامور الثلثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما فمكث
غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه
وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني
حال سبا وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله تعالى
من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام
الطاء في التاء باطباق وغير اطباق وجئتك من سبا
وقرئ ابن كثير في رواية البزي وابو عمرو غير منصرف على تاويل القبيلة
او البلدة بنبا يقين روي انه عم لما اتم بناء بيت المقدس
تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا
فوافى صنعاء ظهرا فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان
الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق
حين نزل سليمان عم فراى هدهدا واقفا فانحط اليه فتواصفا وطار
معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب
قدرة الله تعالى وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها
من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني وجدت امراة تملكهم
يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان والضمير لسبا او لاهلها
واوتيت من كل شيء يحتاج اليها الملوك ولها عرش
عظيم عظيم بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان
ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة

مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله كأنهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان أعمالهم
عبادة الشمس وغيرها من مقابح افعالهم فصدهم عن السبيل
سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه ألا يسجدوا
لله فصدهم لئلا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل
من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب
ألا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي ألا يا قوم
اسجدوا كقوله وقالت ألا يا اسمع نعظك بخطة فقلت سميعا فانطق
واجيبي وعلى هذا يصح ان يكون استينافا من الله تعالى او من سليمان
والوقف على لا يهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه
وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا
بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي
يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما
تعلنون وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود
من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره
والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب
وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة
الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب
والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي
ما تخفون وما تعلنون بالتاء خطابا الله لا اله الا هو رب
رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط
بجملتها فبين العظمتين بون عظيم وبعد بعيد قال سننظر
سنتعرف من النظر بمعنى التأمل أصدقت أم كنت من الكاذبين
اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي
هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى
فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول
قالت اي بعد ما ألقي اليها يا ايها الملأ اني ألقي الي
كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة
شأنه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد

سجدة

من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استيناف
كأنه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي ان الكتاب او العنوان من سليمان
وانه وان المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب
او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي
لا تترفعوا علي وان كنتم ملوكا وان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته
خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب وأتوني
مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة مع
كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع
وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر
بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة
على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على
تلك الحالة من اعظم الدلائل قالت يا ايها الملأ افتوني في امري
اجيبوني في امري الفتي واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت
قاطعة امرا ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم
بذلك ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد
واولوا بأس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك موكول
فانظري ماذا تأمرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك
قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وغلبة افسدوها
تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية
واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى
افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى
عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب
عماراتهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون
تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة
او تصديق لها من الله تعالى واني مرسلة اليهم بهدية بيان
لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفع بها
عن ملكي سليمان فناظرة بم يرجع المرسلون باي شيء يرجع
من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت منذر بن عمرو في وفد وارسلت
معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه درة

غدراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره
ورأوا عظم شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم
جبرئيل بالحال فطلب الحق فاخبر عما فيه وامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت
في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الخرزة ودعا
بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب
بها وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء
سليمان اي الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤ قال
أتمدونني بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل
على تغليب المخاطب وقرئ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة
وبنونين وحذف الياء فما آتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد
عليه خير مما آتاكم فلا حاجة لي هديتكم ولا وقع لها عندي
بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على
امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان السبب
الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة
فيها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها فلنأتينهم
بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة بهم
على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من سباء اذلة بذهاب
ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون قال يا ايها
الملؤا ايكم ياتيني بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله
تعالى به من العجايب الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة
ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان ياتوني
مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاه قال عفريت
خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر
قرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم
من مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار
واني عليه على حمله لقوي امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله
قال الذي عنده علم من الكتاب اصف بن برخيا وزيره او

الخضر او جبرئيل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك
للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في انا آتيك
به قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطأه فقال ذلك
او اراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت
الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح المحفوظ
وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان
للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما في قوله
وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد
الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء فقبل ان ترده
احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه فلما رآه راى العرش
مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة
المخلصين من عباد الله تعالى هذا من فضل ربي تفضل به علي من غير
استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف
من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في آيات الاسراء
ليبلوني ءاشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة واقوم
بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلها
النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه
به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن
وصمة الكفران ومن كفر فان ربي غني عن الشكر كريم
بالانعام عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله
ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي ام تكون
من الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب لها وقيل
الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب
موكلة عليه حراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها
زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كانه هو
ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا
العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد
بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة
الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه من كلام

سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث
جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التى
لا يقدر عليها غير الله ولا يظهر الا على الانبياء اى واوتينا العلم بالله وقدرته
وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم
فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم فى ذلك شكرا له وصدها ما كانت
تعبد من دون الله اى وصدها عبادتها الشمس عن التقدم فى
الاسلام او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان انها كانت
من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول
اى صدها نشؤها بين اظهر الكفار او التعليل له قيل لها ادخلى
الصرح اى القصر وقيل عرصة الدار فلما رأته حسبته لجة
وكشفت عن ساقيها روى انه امر قبل قدومها فبنى قصر صحنه
من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره
فى صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وعن
ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤق واسوق قال انه
ان ما تظنينه ماء صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج
قالت رب انى ظلمت نفسى بعبادتى الشمس وقيل بظنى سليمان
فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة واسلمت مع سليمان لله رب
العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف فى انه تزوجها او زوجها من
ذوى تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا
ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء
فاذا هم فريقان يختصمون ففاجأوا التفرق والاختصام فآمن
فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة بالعقوبة فيقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل
التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده
تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم ترحمون
بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن
معك اذ تتابعت علينا الشدائد ووقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم
دينكم قال طائركم سببكم الذى جاء منه شركم عند الله وهو
قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب

السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم الى
ذكر ما هو الداعى اليه وكان فى المدينة تسعة رهط تسعة
انفس (انفر) وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه
من الثلثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة يفسدون
فى الارض ولا يصلحون اى شانهم الافساد الخالص عن شوب
الصلاح قالوا اى قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر
مقول القول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله
لنباغتن صالحا واهله ليلا والبيات مباغتة العدو ليلا وقرئ حمزة والكسائى
بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن
فيه القراءات الثلث لوليه لولى دمه ما شهدنا مهلك اهله
فضلا عن ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا
مهلك فى قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كالمرجع وقرئ ابو بكر
بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون
او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا اذ الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا او لانا
ما شهدنا مهلكه وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رايت ثمة رجلا بل
بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا
بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روى
انه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا
الى ثلث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه
فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثم وهلك
الباقون فى اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه بقوله فانظر كيف كان
عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وكان ان
جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف او خبر محذوف
لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرئ الكوفيون
ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له
وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن اذا
خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل فيها معنى
الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب
ظلمهم ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا

الذين امنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك
خصوا بالنجاة ولوطا اي واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد
ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف على الثاني
اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب
واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا
يعلنون بها فيكون افحش ائنكم لتاتون الرجال شهوة بيان
لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة
في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتي
خلقن لذلك بالنكاح او صلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون
فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون
العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس
يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون
فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين
قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء
مطر المنذرين مر مثله غير مرة قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى امر رسوله بعد ما قص عليه القصص
الدالة على كمال قدرته وعظم شانه وما خص به رسله من الايات الكبرى
والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا
على ما انعم عليهم وعلما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم
واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من
اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة من الهلاك الله خير اما
يشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرايهم اذ من المعلوم ان لا خير
فيما اشركوه راسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدا كل خير وقرا
ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء امن بل امن خلق السموات
والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرا امن بالتخفيف
على انه بدل من الله وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به
حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل
بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع

من المواد

من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة أاله مع
الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ
أإلها باضمار فعل مثل اتدعون بمعنى او اتشركون وبتوسط مدة بين الهمزتين
واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي هو
التوحيد امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات
وجعلها قرارا ابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتاتى استقرار
الانسان والدواب عليها وجعل خلالها وسطها انهارا
جارية وجعل لها رواسي جبالا تتكون فيها المعادن وتنبع من
حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي
فارس والروم حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان أاله
مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به غيره سبحانه
وتعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي
احوجه شدة ما به الى اللجاء الى الله تعالى من الاضطرار وهو افتعال من
الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر
ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوؤه ويجعلكم خلفاء
الارض خلفاءها بان ورثكم سكناها ممن قبلكم والتصرف فيها
أاله مع الله الذي حباكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما
تذكرون اي تذكرون الاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة
العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرا ابو عمرو وروح بالياء غيبة
وحمزة والكسائي وحفص بالتاء مخففا الذال امن يهديكم
في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالي
اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء
وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي
رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة
الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء
فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى و
الفاعل للسبب فاعل للمسبب أاله مع الله يقدر على شيء
من ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة

العاجز المخلوق أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا
الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء
والأرض اي باسباب سماوية وارضية ءاله مع الله يفعل
ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان
كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية
قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله لما بيّن
اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه بما هو كاللازم له
وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة
التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيها
من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات
والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله
تعالى واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون
أيان يبعثون متى ينشرون مركبة من اي وان وقرئت بكسر الهمزة
والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادّارك علمهم في الآخرة لما
نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ
فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج
والآيات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك
منها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون
دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات
والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات
الثلث تبديل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت
القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل
ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانتهاء تلك غايتها
التي عندها تعدم وقرئ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
بل ادّارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان
اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادّرك واصله تفاعل وافتعل وقرئ ادرك
بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل ادرك وبلى ادرك وام
ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح او مضمر من ذلك فانكار وما
فيه فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب

عن التفسير

عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل
انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا ااذا
كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل
عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام
مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد من الاخراج
الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى حال الحيوة وقرئ نافع اذا كنا بهمزة
واحدة مكسورة وابن عامر والكسائي اننا لمخرجون على الخبر لقد
وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد عم وتقديم هذا
على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث
ان هذا الا اساطير الأولين التي هي كالاسمار قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم
على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير
عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم
على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرئ
ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيّق اي امر ضيّق مما يمكرون
من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد
العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف
لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل
يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون
حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى وسوف في مواعيد الملوك كالجزم
بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمزة منهم كالتصريح
من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على
الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال
وجمعهما فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون
حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون لجهلهم بوقوعه وان ربك
ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي
سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من
غائبة في السموات والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة
والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة

وعاقبة الا في كتاب مبين بيّن او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد
من الكتاب اللوح المحفوظ او القضاء على الاستعارة ان هذا القرآن
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه
والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين فانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين
بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ
بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضي
فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق
المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره انك
لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن
مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع
ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا
ولوا مدبرين فان اسماعهم في هذه الحالة ابعد وقرئ ابن كثير ولا يسمع
الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل
الا بالبصر وقرئ حمزة وحده وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما يجدي
اسماعك الا من يؤمن باياتنا من هو علم الله كذلك فهم مسلمون
مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم اذا دنا وقوع
معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب اخرجنا لهم دابة من
الارض وهي الجساسة تخبر المؤمن من الكافر روي ان طولها ستون
ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها
طالب وروي انه عم سئل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني
المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي
انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتنكت بالعصا في
مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة فيسود
وجهه ان الناس كانوا باياتنا خروجها وساير احوالها فانها من
ايات الله تعالى وقيل القرآن لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية
معنى قولها او حكايتها لقول الله تعالى او علة خروجها او تكلمها الله على
حذف الجار وقرئ الكوفيون ان بالكسر ويوم نحشر من كل امة
فوجا يعني يوم القيمة ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اي فوجا

مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين
والمكذبين فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو
عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حتى اذا جاؤا الى المحشر قال
اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي وكذبتم بها بادي
الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق
او التكذيب او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان
لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك
وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا
فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو
كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات
الله فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق
لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة
على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر
على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة
في مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله
لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا
الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله
ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث
لا ينفك عنها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون لدلالتها على
الامور الثلثة ويوم ينفخ في الصور اي في الصور او القرن
وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع
من في السموات ومن في الارض من الهول وعبر عنه بالماضي
لتحقق وقوعه الا من شاء الله ان لا يفزع بان يثبت الله قلبه قيل
هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش
وقيل الشهداء وقيل موسى عم لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك
وكل اتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره
وقرئ حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه على التوحيد للفظ الكل
داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها
جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك

لان الاجرام الكبار اذا تحركت فى سمت واحد لا يكاد يتبين حركتها صنع الله
مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الذى
اتقن كل شئ احكم خلقه وسواه على ما ينبغى انه خبير بما يفعلون
عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة
فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقى بالفانى وسبعمائة
بواحد وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها وهو الجنة وهم من فزع
يومئذ امنون يعنى به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق
الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن
وقرئ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وامن
يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة
قيل بالشرك فكبت وجوههم فى النار فكبوا فيها على وجوههم
ويجوز ان يراد بالوجه انفسهم كما اريدت بالايدى فى قوله ولا تلقوا بايديكم
هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات او باضمار القول
اى قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى
حرمها امر الرسول ان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبداء والمعاد وشرح
احوال القيمة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال
بشانه والاستغراق بعبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف
لها وتعظيم لشانها وقرئ التى حرمها وله كل شئ خلقا وملكا
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة
الاسلام وان اتلوا القران وان اواظب على تلاوته لينكشف لى
حقايقه فى تلاوته شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل
فمن اهتدى باتباعه اياى فى ذلك فانما يهتدى لنفسه
فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتى فقل انما انا من
المنذرين فلا على من وبال ضلاله شئ اذ ما على الرسول الا البلاغ
وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة او على ما علمنى ووفقنى
للعمل به سيريكم اياته القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة
الارض او فى الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله ولكن حين
لا ينفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان
تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ بالياء عن النبى صلى الله عليه وسلم

من قرء سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب
به وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

سورة القصص ثمان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين
نتلو عليك نقرا بقراءة جبرئيل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا من
نبأ موسى وفرعون بعض نبأهما مفعول نتلو بالحق محقين
لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا فى الارض
استيناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها
شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا فى طاعته او
اصنافا فى استخدامه استعمل كل صنف فى عمل او احزابا بان اغرى بينهم
العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو
اسرائل والجملة حال من فاعل جعل او صفة شيعا او استيناف وقوله
يذبح ابناءهم ويستحيى اى يستبقى نساءهم بدل منها
وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب
ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل
وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين فلذلك اجترأ
على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء عم لتخيل فاسد ونريد ان نمن
على الذين استضعفوا فى الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم
من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث
انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة
المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا
مع ان منة الله تعالى بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجرى
مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين فى امر الدين ونجعلهم
الوارثين لما كان فى ملك فرعون وقومه ونمكن لهم فى
الارض ارض مصر والشام واصل التمكين ان يجعل للشئ مكانا
يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونرى فرعون
وهامان وجنودهما منهم من بنى اسرائيل ما كانوا يحذرون
من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء

وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع واوحينا الى ام موسى
بالهام او رؤيا او روبا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا
خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر النيل
ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه منك انا
رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين
روى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل
فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت
مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته ثلثة اشهر
ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا
فقذفته في النيل فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل
عليه وقرئ حمزة والكسائي حزنا وهما لغتان كالعدم والعدم ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شئ فليس ببدع
منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا
يحذرون او كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم
فالجملة اعتراض لتاكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرى
خاطئين بتخفيف خاطيين او خاطئين من خطاء في الرأى او خاطئين
الصواب الى الخطأ من خطوة وقالت امراة فرعون اى لفرعون
حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك هو قرة عين لنا
لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت له ابنة برصاء وعالجها
الاطباء بريق حيوان بحرى يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرأت
وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها
لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان
فيه مخائل اليمن والبركة ودلائل النفع وذلك لما رات من نور بين عينيه
وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه
فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائلة
والمقول له اى وهم لا يشعرون انهم على الخطاء في التقاطه او في طمع النفع
منه والتبنى له او من احد ضميرى نتخذه على ان الضمير للناس اى وهم
لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا

صفرا من العقل

صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون
كقوله وافئدتهم هواء اى خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فزعا من قولهم
دماؤهم بينهم فرغ اى هدرا ومن الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون
عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدى به انها كادت لتظهر بموسى
اى بامره وقصته من فرط الضجر او الفرح بتبنيه اياه لولا ان ربطنا على
قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين هي من المصدقين
بوعد الله او من الواثقين بحفظه لا بتبنى فرعون وعطفه وقرئ موسى
مهموزا اجراء للضمة في جوار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه
وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته
مريم قصيه اتبعى اثره وتتبعى خبره فبصرت به عن جنب
عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون
انها تقص وانها اخته وحرمنا عليه المراضع ومعناه ان يرضع
من المرضعات جمع مرضعة او مرضع وهو الرضاعة او موضعه يعني الثدى
من قبل من قبل قصصها اثره فقالت هل ادلكم على اهل بيت
يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه
وتربيته روى ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله خذوها حتى
تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتى
من يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد
ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدى
الا ثديك قالت انى امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى
فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كى تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه و
لتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان موعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض من الرد علمها بذلك وما سواه
تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما
بلغ اشده مبلغه الذى لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلثين الى
اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على راس
الاربعين واستوى قده او عقله اتيناه حكما اى نبوة
وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول

ولا يفصل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم الفضة لانه استنباه بعد الهجرة في المراجعة
وكذلك اي ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين
على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر اتيا من قصر فرعون وقيل من
منفا وحابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها
في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعون فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل
بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته و
هذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من
مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته
على الذي من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى
وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه
اي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حيوته من قوله
وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر
بقتل الكفار او لانه كان مأمونا ولم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في
عصمته لكونه خطاء وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه على
عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين
ظاهر العداوة قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي
ذنبي فغفر له باستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده
الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب
اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين
او استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته
الى جرم وعن ابن عباس رض انه لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وقيل معناه
بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك
فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة منه فاذا
الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق
من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين بين الغواية
لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي
هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط
كانوا اعداء بني اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت
نفسا بالامس قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه

والقبطي

او القبطي وكانه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي
ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض تطاول على الناس
ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس
فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى
فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره
كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل
او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها
يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك
يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين
يأمر الآخر ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان
وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج
منها من المدينة خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجني
من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم اياي
ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم
مدين بن ابراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر
مسيرة ثمانية ايام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطريق فعن له ثلث طرق
فاخذ في وسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين ولما
ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون فيها وجد
عليه وجد فوق شفيره امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين
يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم
امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما من الماء لئلا يختلط باغنامهم قال
ما خطبكما ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر
الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف
المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم
دونه وقرئ ابن عامر وابو عمرو يصدر اي يصرف وقرئ الرعاء بالضم
وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع
ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة
عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة

رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوهب والجوع وجراحة القدم
وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى ثم تولى الى الظل
فقال رب اني لما انزلت الي لاي شيء انزلت الي من خير
قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك
عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا
لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك
فجاءته احديهما تمشي على استحياء اي مستحيية متخفرة قيل كانت
الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صفراء وهي التي تزوجها
موسى عم قالت ان ابي يدعوك ليجزيك ليكافيك اجر ما
سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية
الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما
فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب عم
هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وان من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم
عليه اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف
نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت
احديهما يعني التي استدعته يا ابت استاجره لرعي الغنم ان
خير من استاجرت القوي الامين تعليل جامع يجري مجرى
الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر الفعل
بلفظ الماضي للدلالة على انه امر مجرب معروف روي ان شعيبا قال لها
وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب راسه حتى بلغته
رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى
ابنتي هاتين على ان تاجرني ان تاجر نفسك مني او تكون لي
اجيرا او تثيبني من اجرك الله اذا اثابه ثماني حجج ظرف على الاولين
ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج فان اتممت
عشرا عملت عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا
لا من عندي الزاما وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على معينة
وبمهر اخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوفي الاخر ان تيسر له قبل العقد
وكان الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرايع في ذلك وما اريد ان
اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء

الاعمال

الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك
اعتقادك في اطاقته ورايك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من
الصالحين (الوافين) في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال
ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قايم بيننا لا نخرج
عنه ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه
فلا عدوان علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب
بالزيادة على الثماني او فلا اكون متعديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم
علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال
ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله تنظرت نصرا
والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره واي الاجلين ما قضيت
فيكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان
بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ
فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامراته روي انه قضى
اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا اخر ثم عزم على الرجوع انس
من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله
امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة
عود غليظ سواء كان في راسه نار او لم تكن قال باتت حواطب ليلى يلتمسن
بها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار جذوة شديدا
عليها حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله من النار وقرئ عاصم بالفتح
وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما
اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن اتاه النداء من الشاطئ
الايمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي
من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ
ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب العالمين وهذا
وان خالف ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود وان الق
عصاك فلما راها تهتز اي فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت
فلما راها تهتز كانها جان في الهيئة والجثة او في السرعة
ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى
نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين من المخاوف

فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك ادخلها فيه
تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك يديك
المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى
وبالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض اخر وهو ان يكون ذلك
في وجه العدو اظهار جراة ومبدا لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم
التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطاير فانه اذا
خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب من اجل
الرهب اي اذا اعراك الخوف فافعل ذلك تجلدا او ضبطا لنفسك وقرى
ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقري بضمهما
وبالفتح وبالسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده
ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم
ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء
وبرهرهة للمراة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك
مرسلا بهما الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين
وكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا
فاخاف ان يقتلون بها واخي هرون هو افصح مني لسانا
فارسله معي ردا معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء
وقرى نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة و
تزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند
المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند الفعل
الى السبب وقرا عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف
قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص
شدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد
ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء
او حجاج باياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما
بها او بمعنى لا يصلون اي يمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون
في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على
ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات
قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم

تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كساير انواع السحر وما سمعنا
بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في اباينا الاولين كاينا
في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرى ابن كثير قال بغير واو لانه قاله جوابا
لمقالتهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز
صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة
فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة
والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرى حمزة و
الكسائي يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى
في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا ايها الملا ما
علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن
عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع
على الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا
لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء
يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني رصدا
يترصد منها اوضاع الكواكب فيرى هل ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة
وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها
لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية
قيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم
الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان بيا في وسط الكلام و
استكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير استحقاق
وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرى نافع وحمزة والكسائي
بفتح الياء وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه
وفيه فخامة وتعظيم لشان الاخذ واستحقار للماخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم
في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد كيف
كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم
ايمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا

الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون
الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة
او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيمة هم من
المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد اتينا موسى
الكتاب التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام
نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس انوارا لقلوبهم تتبصر بها
الحقائق وتميز بين الحق والباطل وهدى طريقة الى الشرائع التي هي
سبيل الله ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم
يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة
وفيه ما عرفت وما كنت يا محمد بجانب الغربي يريد الوادي
او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى والجانب الغربي منه و
الخطاب لرسول الله عم اي ما كنت حاضرا ثمه اذ قضينا الى موسى
الامر اذ اوحينا اليه الامر اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين
للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة
على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي
ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشانا قرونا فتطاول
عليهم العمر اي ولكنا اوحيناه اليك لانا انشانا قرونا مختلفة بعد
موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرايع واندرست
العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا
مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم تقرأ عليهم تعلما
منهم اياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين
لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت
اعطائه التوراة وبالاول حيث ما استنبأه لانهما المذكوران في القصة
ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على
هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما اتيهم
من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي
خمسماية وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى
وعيسى كانت مختصة ببني اسرائل وما حوالهم لعلهم يتذكرون

يتعظون

يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية
تحضيضية والفاء واقعة في سياقها لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر
مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة
على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر
عنهم حتى يلجاهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم
عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك
فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم
والزاما للحجة عليهم فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين فلما
جاءهم الحق يعني الرسول المصدق بانواع المعجزات من عندنا
قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب جملة واليد
البيضاء والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا اولم يكفروا بما اوتي
موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الراي والمذهب وهم كفرة
زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا سحران
يعنون موسى وهرون او موسى ومحمدا تظاهرا تعاونا باظهار
تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف
اي ذوا سحرين او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة
على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون
اي بكل منهما او بكل الانبياء عم قل فاتوا بكتاب من عند الله
هو اهدى منهما مما نزل على موسى وعلي واضمارهما لدلالة المعنى
وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عم اتبعه ان كنتم
صادقين انا ساحران مختلفان وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام
والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك
دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل
الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف
الدعاء غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك
مجيب فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها
ومن اضل ممن اتبع هويه استفهام بمعنى النفي واضل اسم
التفضيل بغير هدى من الله في موضع الحال للتاكيد او التقييد

فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول
اتبعنا بعضه بعضاً في الانزال ليتصل التذكير او في النظم ليتقرر الدعوة
بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصايح بالعبر لعلهم يتذكرون
فيؤمنون ويطيعون الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم
به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل
الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير
في من قبله للقران كالمستكن في واذا يتلى عليهم قالوا امنا به اي بانه
كلام الله انه الحق من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به
انا كنا من قبله مسلمين استيناف اخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما
احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره في الكتب المتقدمة
وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القران او تلاوته عليهم باعتقادهم
صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم
بكتابهم ونبيهم ومرة على ايمانهم بالقران ومحمد عم بما صبروا بصبرهم
وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقران قبل النزول وبعده او على اذى
من هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة و
يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عم اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما
رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام
عليكم متاركة وتوديعا او دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي
الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من
احببت لا تقدر على ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من
يشاء فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين اي بالمستعدين
لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله عم
وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله تعالى قال يا ابن اخي
قد علمت انك صادق ولكني اكره ان يقال اخرع عند الموت وقالوا
ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت
في الحارث بن نوفل بن عبد مناف اتى النبي عم فقال نحن نعلم انك على الحق
ولكنا نخاف ان اتبعناك خالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس اي قليلون

ان يتخطفونا

ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا
اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذي فيه يتشاجر العرب حوله
وهم امنون فيه يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرئ نافع ويعقوب
في رواية بالتاء ثمرات كل شيء من كل اوب اي جهة رزقا
من لدنا فاذا كان حالهم هذه وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم
للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن
اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا
وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اي وقليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك
رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا وانتصاب رزقا على المصدر
من معنى يجبى او حال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس
فانهم احقاء بان يخافوا من باس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا
من قرية بطرت معيشتها اي وكم من قرية كانت حالهم كحالكم هم
في الامن خفض العيش حتى اشروا وبطروا فدمر الله عليهم وخرب ديار
فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى
اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا
من شوم معاصيهم وفرط جورهم واعتسافهم وكنا نحن الوارثين
منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وساير متصرفاتهم وانتصاب
معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او
باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت وما
كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث في
امها في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها يكون افطن وانبل رسولا
يتلو عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي
القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر
وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا
وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية وما
عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة
وبهجة كاملة وابقى لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون
الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن
وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن

موعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك
عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة
الدنيا الذي هو مشوب بالالام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على
الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب
وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرء نافع وابن عامر في رواية والكسائي
ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الاية كالنتيجة
للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم
القيمة او منصوب باذكر مقدرة فيقول اين شركائي الذين
كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان
لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت
مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين وغيره من ايات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي
هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم كما
غوينا اي اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا
باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين
صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاده زيادة على الصفة وهو
وان كانت فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه
من الكفر هوى منهم وهي تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا
ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون
اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا
لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو
انهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى
الحق لما راوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم
يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول
فانه تعالى يسال اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت
عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدي
اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن
انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره

والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يترددون
في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى كقوله يوم
يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب
فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم
لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم
بانه مثله فاما من تاب من الشرك وامن بما يجب به الايمان
وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون
من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب
بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب
عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير
وظاهره نفي الاختيار عنهم راسا وكذلك عند التحقيق فان اختيار
العباد مخلوق باختيار الله تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل
المراد به انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف
ويؤيده ما روي انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى
ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له
ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم
كعداوة الرسول وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو
الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو
له الحمد في الاولى والاخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها و
اجلها يحمده المؤمنون في الاخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده
وله الحكم القضاء النافذ في كل شيء واليه ترجعون بالنشور
قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو
المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس
تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله ياتيكم
بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره اله وعن ابن كثير
بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل

ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة
باسكانها فى وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله
ياتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف
الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل
ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل
افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته
من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه فى الليل ولتبتغوا من فضله فى النهار بانواع المكاسب
ولعلكم تشكرون ولكى تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه
ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون
تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شئ اجلب لغضب الله من الاشراك
به او الاول لتقرير فساد رأيهم والثانى لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان
من محض تشهى وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا
وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم
على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله فى
الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضايع
ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم
موسى كان ابن عمه يصهر بن فاهث بن لاوى وكان ممن امن به فبغى
عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم
قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل وحسدهم لما روى انه
قال موسى لك الرسالة وهرون الحبورة اى الامامة وانا فى غير شئ الى متى
اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ان مفاتحه
مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه واحدها
مفتح لتنوء بالعصبة اولى القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو
ثانى مفعولى آتينا وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة
الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف
حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح
لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضاء بها والذهول
عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة موجب الترح كما

قالت

قالت اشد الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال الله تعالى
ولا تفرحوا بما آتيكم وعلل النهى ههنا بكونه مانعا عن محبة الله تعالى فقال ان
الله لا يحب الفرحين اى بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتيك
الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه
ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسى نصيبك
من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تاخذ منها ما يكفيك و
احسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك
وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام عليك و
لا تبغ الفساد فى الارض نهى له عما كان عليه من الظلم والبغى ان
الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته على
علم عندى فضلت به الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه
والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل
علم التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندى
صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندى اى فى ظنى واعتقادى
او لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد
منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله
مع علمه بذلك لانه قراه فى التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه
العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم منه اى اعنده مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم
هذا حتى يقى به نفسه من مصارع الهالكين ولا يسئل عن ذنوبهم
المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم
يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى
منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن ما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب
المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه فى زينته كما قيل
انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة
الاف غلمان على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا
على ما هو عادة الناس من الرغبة يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون
تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال
الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك
استعمل للزجر عما لا يرتضى ثواب الله فى الآخرة خير لمن امن

وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير
فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او للجنة او للايمان والعمل
الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون على الطاعات
وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي
موسى عم كل وقت وهو يداريه للقرابة حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل
الف على واحد فحاسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عم بين بني اسرائيل
ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا
فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمنا
فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك
فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت
جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا عنده ربه
فاوحى الله تعالى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته
الى ركبته ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه
ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال
فلم يرحمه فاوحى الله تعالى اليه ما افظك استرحمك مرارا ولم ترحمه وعزتي
وجلالي لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنوا اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله
حتى خسف بداره وماله فما كان له من فئة اعوان مشتقة من فاوت
راسه اذا ميلته ينصرونه من دون الله فيدفعون عنه عذابه و
ما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر
اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس
منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر بسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة
تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وي كان عند البصريين مركب
من وي للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط
وقيل من ويك بمعنى ويلك وان تقديره ويك اعلم ان الله وهذه عند
الكوفيين وانشدوا في ذلك الا ويك المسرة لا تدوم ولا يبقى على البؤس
النعيم لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا
لتوليده الله فينا ما ولده فيه فخسف بنا الاجل وقرئ حفص بفتح الخاء
والسين ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون

بوسله وبما وعد لهم من ثواب الاخرة تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم
كانه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما
على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين
مما لا يرضاه الله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا
او وصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات
وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم
الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون وحذف المثل واقام
مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك
القران اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى
معاد اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه او
مكة التي اعتذت بها على انه من العادة ردة اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان
العاقبة للمتقين اكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين ووعده
بالعاقبة الحسنى في الدارين روي انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى
مولده ومولد ابائه فنزلت قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما
يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو
في ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه
والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا
ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معاد كما القى اليك الكتاب
وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة منه
ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى وكانه قال وما القى اليك
الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم بعباده فلا تكونن ظهيرا للكافرين
بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن ايات
الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك
من اصده وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن
من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها اخر
هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله
الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن
هالك في حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلق ايجادا

واعداما واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب
به ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية تسع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام
بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس
الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى
مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا
امنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم
امنا فالترك احد مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم امنا هو الثاني
كقولك حسبت ضربه للتاديب او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم
امنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات
ووظائف الطاعات وانواع المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص
من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي
الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من
الخلود في العذاب روي انها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين
وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن
الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامراته ولقد فتنا الذين
من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة
جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا
يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم
ولذلك قيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي
وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه
وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي
فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا
فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب وام
منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه

بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم
هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله في الجنة وقيل
المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب
والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع
السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط
منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لات لجاء
واذا كان وقت اللقاء اتيا كان اللقاء كاينا لا محالة فليبادر ما يحقق
امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضاء وهو السميع
لاقوال العباد العليم بعقايدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه
بالصبر على مضض العبادات والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه
لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة له الى طاعتهم
وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين امنوا
وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان
والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا
يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه
حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه
ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له
احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير
قول مفسر للتوصية اي قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو او فق لما
بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان
جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم بالاهيته عبر عن
نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه
فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل الي مرجعكم
مرجع من امن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما
كنتم تعملون بالجزاء عليه والاية نزلت في سعد بن ابي وقاص
وامه حمنة فانها لما سمعت اسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم
ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التي في لقمان والاحقاف
والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين

في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله
المرسلين او في مدخلهم وهو الجنة ومن الناس من يقول امنا بالله
فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس
ما يصيبه من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن
الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا
كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم
فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول اوليس الله باعلم بما في
صدور العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين
امنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين و
قال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه
في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث
ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة
في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم
عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين
من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية
مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم
اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما
تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم
شيء وليسئلن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا
يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث
اذ روي انه بعث على راس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين
وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال
العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف
من تخييل طول المدة للسامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله عم
وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرار من البشاعة
فاخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل
او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اي نوحا
واصحاب السفينة ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا

ثمانين

ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث
وجعلناها اي السفينة او الحادثة اية للعالمين يتعظون
ويستدلون بها وابراهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر
وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا
الله ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف
الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه
ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون
ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل
انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون
كذبا في تسميتها الهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك
وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون
من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب
او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله
لا يملكون لكم رزقا دليل على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل
ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق
وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له
واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين
لما معكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون
وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا وان تكذبوني فقد كذب
امم من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضروا انفسهم
حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول
الا البلاغ المبين الذي زال معه الشك وما عليه ان يصدق
ولا يكذب فالاية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم الى قوله فما كان جواب
قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شان النبي عم وقريش وهدم مذهبهم
والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها للتسلية
الرسول عم والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به
من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرهيم في قومه او
لم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة
والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدا ثم يعيده

واجمعوا على الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من احد من
العالمين استيناف مقرر لفحاشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع
وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتاتون
الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ
المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض
عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتاتون في ناديكم في مجالسكم
الغاصة باهلها ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع
والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح وعدم مبالاة بها وقيل الحذف بالحصى
الاصابع ورمي البنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا
بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك او في
دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني بانزال العذاب
على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم
وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل
لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة
بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية
سدوم والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا
ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر
وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من
لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد
العلم وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب بتخصيص الاهل بمن عداه واهله
او تاقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تاخير البيان عن الخطاب الا امراته
كانت من الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان
جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم
مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما
وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته
كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك
لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما راوا فيه
اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك

واهلك

واهلك الا امراتك كانت من الغابرين وقرئ ابن كثير وحمزة والكسائي
ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر في الثاني وموضع
الكاف جر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار
الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء
عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب
وقرئ ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب
فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة هي حكايتها الشائعة او اثار
الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهار
المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار و
الاعتبار وهو متعلق بتركنا او اية والى مدين اخاهم شعيبا
فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر وافعلوا ما ترجون
به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا
تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة
الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبرئيل لان القلوب ترجف لها فاصبحوا
في دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين
باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار اذكر
او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرئ حمزة وحفص ويعقوب
وثمود غير منصرف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم
اي تبين لكم بعض مساكنهم او هلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند
مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي
فصدهم عن السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا
مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا
او مبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا
وقارون وفرعون وهامان معطوفون على عاد وتقديم
قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات
فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل
ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين
اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من

اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض
كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما
كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس
ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا
ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور
بل ذلك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد
كمثل بالاضافة الى رجل يبني بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب
وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون
الى علم لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد
ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن
ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء
على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان وعاصم بالياء
حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن
للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية
وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف
والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم
وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك
ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء
البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر
على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها
للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها
وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي
وعنه عم انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب
سخطه خلق الله السموت والارض بالحق محقا غير قاصد به
باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته
كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لاية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها

اتل

اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه
واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم
ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلوة ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر بان يكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال
الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية
منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله عم الصلوات
ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلواته ستنهاه
فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة اكبر من ساير الطاعات
وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة
على الحسنات ناهية عن السيئات او ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه
بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن ساير الطاعات فيجازيكم
بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي
احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين و
الغضب بالحلم والمشاغبة بالنصح وقيل هي منسوخة باية السيف اذ لا مجادلة
اشد منه وجوابه انه اخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم الا الذين
ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم
يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا امنا بالذي انزل
الينا وانزل اليكم وهو من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي عليه السلام
لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وبكتبه ورسله فان
قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم
واحد ونحن له مسلمون مطيعون خاصة له وفيه تعريض باتخاذهم
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك
الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية
وهو تحقيق لقوله فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به هم
عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول عم من اهل الكتاب
ومن هؤلاء ومن العرب او من اهل مكة او ممن في عهد الرسول عم من
الكتابيين من يؤمن به بالقران وما يجحد باياتنا مع ظهورها
وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم
به يمنعهم عن التامل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول عم

كانه اخر الدواء الكي

كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على
امى لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير
للمنفى ونفى للتجوز فى الاسناد اذا لارتاب المبطلون اى اذ
لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما
سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة
وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما فى كتبهم فيكون
ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القران ايات بينات
فى صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد على تحريفه
وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون فى الظلم بالمكابرة
بعد وضوح دلايل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل
عليه اية من ربه مثل ناقة صالح وعصى موسى ومايدة عيسى
وقرا نافع وابن عامر والبصريان وحفص ايات قل انما الايات
عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها فاتيكم بما تقترحونه وانما انا
نذير مبين ليس من شانى الا الانذار وابانته بما اعطيت من الايات
اولم يكفهم اية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم اية ثابتة لا تضمحل
بخلاف ساير الايات او يتلى عليهم يعنى اليهود بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك
ونعت دينك ان فى ذلك الكتاب الذى هو اية مستمرة وحجة مبينة
لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه
الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله عم بكتب
كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما
جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بينى وبينكم
شهيدا بصدقى وقد صدقنى بالمعجزات او بتبليغى ما ارسلت به اليكم
ونصحى ومقابلتكم اياى بالتكذيب والتعنت يعلم ما فى السموات
والارض فلا يخفى عليه حالى وحالكم والذين امنوا بالباطل
وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم
الخاسرون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك
بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم

ولولا

ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا
وليأتينهم بغتة فجأة فى الدنيا كوقعة بدر او الاخرة عند نزول
الموت بهم وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك
بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم
ياتيهم العذاب او هى كالمحيطة بهم الان لاحاطة الكفر والمعاصى التى توجبها
بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة
او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشيهم العذاب
ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت
ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض ملائكته بامره
لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم
تعملون اى جزاءه يا عبادى الذين امنوا ان ارضى
واسعة فاياى فاعبدون اى اذا لم يتسهل لكم العبادة فى بلدة
ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عم
من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق
ابراهيم ومحمد عم والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضى واسعة
ان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فاخلصوها فى غيرها كل نفس ذائقة
الموت تنالها لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته
ينبغى ان يجتهد فى الاستعداد له وقرا ابو بكر بالياء والذين امنوا
وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا
علالى وقرا حمزة والكسائى لنثوينهم اى لنقيمنهم من الثواء فيكون
انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف
الموقت بالمبهم تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر
العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله
الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن
والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله و
كاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره
وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع
ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء فى انه لا يرزقها واياكم
الا الله لان الرزق الكلى باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على

معايشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا
فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس
والقمر المسئول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول
وجواب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون
يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق
عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان يكون على وضع
الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء
عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل
من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله
معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون
به بعض مخلوقاته الذى لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما
عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل
اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدء لكل
ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعلمون ما تريد بتحميدك
عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي
لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهو ويلعب
الصبيان ويجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين
وان الدار الاخرة لهي الحيوان لهى دار الحيوة الحقيقية لامتناع
طريان الموت عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي
سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ
من الحيوة لما بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك
اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي
اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا
في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اى هم على ما وصفوا به
من الشرك فاذا ركبوا في البحر دعوا الله مخلصين له الدين
كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله
ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم

الى البر اذا هم يشركون فاجاؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا
بما اتيناهم اللام فيه لام كى اى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم
نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم
عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده وقرئ ابن كثير وحمزة والكسائى
وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون
عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعنى اهل مكة انا جعلنا
حرما امنا اى جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدى امنا اهله
عن القتل والسبى ويتخطف الناس من حولهم يختلسون
قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل
ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم
او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره
وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب
بالحق لما جاءه يعنى الرسول والكتاب وفى لما تسفيه لهم بان
لم يتوقفوا ولم يتاملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول
ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم
كقوله الستم خير من ركب المطايا اى الا يستوجبوا الثواء فيها وقد افتروا
مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم
اى لم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة والذين
جاهدوا فينا في حقنا واعلاء كلمتنا واطلق المجاهدة ليعم جهاد
الاعادى الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل
السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير
وتوفيقا لسلوكها لقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين
بالنصرة والاعانة وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة
العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية وهى ستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض

يعني ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم من العرب
واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى
المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب سيغلبون في بضع
سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات الشام وبصرى
وقيل بالجزيرة وهي ادنى الارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر
مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب
ونحن وفارس اميون فقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فنزلت
فقال لهم ابو بكر رض لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس
بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك
عليه فناحبه على عشر قلايص من كل واحد منهما وجعلوا الاجل ثلث سنين
فاخبر ابو بكر رض رسول الله صلعم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع
فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلوها مائة قلوص الى تسع سنين ومات
ابي من جرح رسول الله صلعم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس
يوم الحديبية فاخذ ابو بكر رض الخطر من ورثة ابي وجاء به الى رسول
الله صلعم فقال تصدق به واستدلت به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب
واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والاية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب
وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على
ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم
المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل
لله الامر من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم
مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين
غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه وقدره تعالى وقرئ
من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كان قيل قبلا وبعدا اي اولا واخرا
ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله
من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم
فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم
وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا
حتى تفانوا وتقاتلوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء تارة
وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر

عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه
لان ما قبله في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحة وعده لجهلهم
وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة ما يشاهدونه
منها والتمتع بزخارفها وهم عن الاخرة التي هي غايتها والمقصود
منها هم الغافلون لا يخطر ببالهم والثانية تكرير للاولى او مبتدا
والغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن
غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون
تقرير لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها
فان من العلم بظاهرها معرفة حقايقها وصفاتها وخصايصها وافعالها
واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك
نكر ظاهرا واما باطنها انها مجاز الى الاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج
لاحوالها واشعار بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر
الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او
اولم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها
للمستبصر ما يجتلي له في الممكنات باسرها لتتحقق لهم قدرة مبدعها
على اعادتها قدرته على ابدائها ما خلق السموات والارض وما
بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل الكلام عليه
تقديره اولم يتفكروا فيقولون او يعلمون واجل مسمى ينتهي
عنده ولا يبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء
جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون
يحسبون ان الدنيا ابدية وان الاخرة لا تكون اولم يسيروا في
الارض فينظروا كيف كان الذين من قبلهم تقرير لسيرهم
في اقطار الارض ونظرهم الى اثار المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة
كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه و
استخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا
الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير
ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا
والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى واد

لا نفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات
فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم
ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى
تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اى ثم كان
عاقبتهم العقوبة او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تأنيث
الاسوء كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت بها ان كذبوا بايات
الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر
كان والسوء مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا
الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الايات واستهزؤا بها ويجوز
ان يكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام
والتهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب
والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة
بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة
الله يبدؤا الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه
ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة فى المقصود وقرئ
ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون يسكتون متحيرين وآيسين يقال ناظرته فابلس
اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس للتى لا ترغو وقرئ بفتح
اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم
بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضى لتحققه
وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حين يئسوا منهم وقيل
كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب فى المصحف وشفعوا وعلموا بنى اسرائيل
بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها ويوم
تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اى المؤمنون والكافرون
لقوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة
فى ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت
له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة
فاولئك فى العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عند

فسبحان

فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى
السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار فى معنى
الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الاوقات التى يظهر فيها قدرته
ويتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه
واستحقاق الحمد ممن له تميز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح
بالمساء والصباح لان اثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد
بالعشى الذى هو اخر النهار من عشى العين اذا نقص نورها والظهيرة التى
هى وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا
على حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراضا وعن
ابن عباس رضى الله عنهما ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوتا المغرب
والعشاء وتصبحون صلوة الفجر والعشاء صلوة العصر وتظهرون
صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب
بمكة ركعتين فى اى وقت اتفقت وانما فرض الخمس بالمدينة والاكثر على
انها فرضت بمكة وعنه عليه السلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان
الله حين تمسون الاية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين
تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته فى ليلته ومن قال حين
يمسى ادرك ما فاته فى يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اى
تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحى من الميت كالانسان من
النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحى النطفة والبيضة
من الحى او يعقب الحيوة بالموت وبالعكس ويحيى الارض بالنبات
والمطر بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج
تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة بالموت وقرئ حمزة
والكسائى بفتح التاء ومن اياته ان خلقكم من تراب اى فى
اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون
ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض ومن اياته ان
خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع ادم وساير
النساء خلقن من نطفة الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس اخر لتسكنوا
اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب
للتنافر وجعل بينكم بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس

مودة ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوان
نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون
المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله
ورحمة منا ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون
ما فى ذلك من الحكم ومن اياته خلق السموت والارض
واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها
واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين
فى الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها
والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوامين مع توافق
موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شئ من ذلك
لا محالة ان فى ذلك لايات للعالمين لا يكاد يخفى على عاقل من ملك
او انس او جن وقرئ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا
العالمون ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من
فضله منامكم فى الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى
الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف
وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين
وان اختص باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة ويؤيده سائر الايات
الواردة فيه ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تفهم
واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن اياته يريكم البرق
مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى وان اشهد اللذات
هل انت مخلدى او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقوله تسمع بالمعيدى
خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره اية يريكم بها البرق كقوله وما
الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى العيش اكدح خوفا
من الصاعقة او للمسافر وطمعا فى الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة
لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف
نحو ارادة خوف وطمع او تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع
كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل
من السماء ماء وقرئ بالتشديد فيحيى به الارض بالنبات
بعد موتها يبسها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون

يستعملون

يستعملون عقولهم فى استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال
قدرة الصانع وحكمته ومن اياته ان تقوم السماء والارض
بامره قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيزهما المعينين من غير
مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال القدرة والغنى عن الالة
ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف
على ان تقوم على تاويل مفرد كانه قيل ومن اياته قيام السموت والارض
بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى
اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا
توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعى المطاع على
دعائه وثم اما للتراخى زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا
كقوله دعوته من اسفل الوادى فطلع الى اى لا بتخرجون لان ما بعد
اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجاة ولذلك ناب مناب الفاء
فى جواب الاولى وله من فى السموت والارض كل له
قانتون منقادون لفعله فهم لا يمتنعون عليه وهو الذى
يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه
والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على
اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى
هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل
الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول
لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الاعلى الذى ليس لغيره
ما يساويه او يدانيه فى السموت والارض يصف به ما فيهما
دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذى لا يعجز عن ابداء ممكن
واعادته الحكيم الذى يجرى الافعال على مقتضى حكمته
ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التى هى اقرب
الامور اليكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء
فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون
انتم وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها
معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد
الاستفهام الجارى مجرى النفى تخافونهم ان تستبدوا بتصرف فيه

كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك
التفصيل نفصل الايات نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني
ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال
بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين
لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي
من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين
يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن افاتها فاقم وجهك للدين
حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة
عليه والاهتمام به فطرة الله اي خلقته نصب على الاغراء او المصدر
لما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهي
قبولهم الحق وتمكنهم من ادراكه او الملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا
عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من ادم وذريته لا تبديل لخلق
الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة الى الدين
المأمور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم
المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه من اناب
اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير
في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الاية خطاب للرسول والامة
لقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين
غير انها صدرت بخطاب الرسول تعظيما له من الذين فرقوا
دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على
اختلاف اهوائهم وقرئ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي
امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها
كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانهم على الحق
ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا
مس الانسان ضر اصابهم شدة دعوا ربهم منيبين اليه
راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا
من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجأ فريق
منهم الاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه

للعاقبة

للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة
وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على
ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا وقيل ذا سلطان
اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم
بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذي
بسببه يشركون به في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة
وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة
شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤا
القنوط من رحمته اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين
ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال
القدرة والحكمة فات ذا القربى حقه كصلة ذي الرحم واحتج به
الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن
السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي عم او لمن بسط
له الرزق ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون
وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة
التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا
بما بسط لهم النعيم المقيم وما اتيتم من ربوا زيادة محرمة في المعاملة
او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرئ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به
من اعطاء ربوا ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم
فلا يربوا عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرئ نافع ويعقوب
لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربوا وما اتيتم من زكوة
تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم
المضعفون ذو الاضعاف من الثواب ونظيره المضعف والمقوي
والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة
الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما
للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا
لحالهم او للتعميم كانه قال ومن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع

منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك
هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يحييكم هل من
شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية
ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على
ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه
عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون
ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم
لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء
والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد لتعجيز
الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة
الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة
او الظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى البحور بما كسبت
ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر
بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم
بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه في الاخرة واللام للعلة
او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون
عما هم عليه من الفساد قل سيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا
صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان سوء
عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه
من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ
الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده
احد وقوله من الله متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر
على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون
يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من
كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل
صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم
الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين امنوا

وعملوا

وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار
على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله
انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين
وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له
ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل محض من الله تعالى وتاويله بالعطاء
او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن اياته ان يرسل
الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح
العذاب ومنه قوله عم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرا ابن كثير
وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم
من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر
المسبب عنها والروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة
دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم او على
يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا
من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا
نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم
بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا
علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم
حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عم ما من امرئ مسلم يرد
عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد
يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها
كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون
جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرا
ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به
فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا
اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم
اذا هم يستبشرون بمجيء الخصب وان كانوا من قبل
ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة
على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب

او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى آثار رحمة الله
اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة
والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ
بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء
الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل
ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان
فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من
مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على
كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء ولئن
ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه
بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم
دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون جواب
سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار
بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان
النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس
القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة
اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب
زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم
لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام
يفطن منه بواسطة الحركات شيئا وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم ان
تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر
المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون
لما تأمرهم به الله الذي خلقكم من ضعف اي ابتدأكم ضعفاء وجعل
الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان من عجل او خلقكم من اصل ضعيف
وهو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم
الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول

ابن

ابن عمر قرأتها على رسول الله عم من ضعف بالفتح فاقرأني من ضعف بالضم
وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم
يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وهو العليم القدير
فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة
ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة
من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها
بالغلبة كالكوكب للزهرة والنجم للثريا يقسم المجرمون ما لبثوا
في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم
وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات
والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم بالاضافة الى
مدة عذابهم في الآخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق
والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال الذين
اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس والجن لقد لبثتم
في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح المحفوظ
او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا
بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه
ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر والفاء جواب
شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين
بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ
الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تأنيثها غير حقيقي وقد
فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم
اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني
فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في
هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات
التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة وما يقولون
وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب
او بينا لهم من كل مثل ينبئهم على التوحيد والبعث وصدق الرسول ولئن
جئتهم بآية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من
فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين

الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم او يصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر يا محمد على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك بالحاء المهملة والقاف اى لا يزيغونك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان مكية اربع وثلثون اية وقيل الا اية وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام

سورة لقمان مكية اياتها اربع وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان عن الايات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد خبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين غيره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشترى لهو الحديث ما يلهى عما يعنى به كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القينات ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام

ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قرأة كتابه وقرئ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقرأة القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا عرض متكبرا لا يعبأ بها كان لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كان في اذنيه وقرا مشابها من في اذنه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافيين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرئ نافع في اذنيه وذكر البشارة على التهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اى لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذى لا يغلبه شئ فيمنعه عن انجاز وعده الحكيم الذى لا يفعل الا ما يستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها استيناف وقد سبق في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فان تشابه اجزائها يقتضى تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج بهيج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذى ذكر مخلوقه فما ذا خلق الهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لا يخفى

على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم
ولقد اتينا لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعورا من اولاد ازر
ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود عم واخذ منه العلم وكان
يفتي قبل مبعثه وجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف
العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب
الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود
شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسئال عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس
الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت
فقال اصبحت في يد غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره بان
يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد
ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك
فقال هما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا خبثا ان اشكر لله
لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن شكر
فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق
مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد
حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان
الحال واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه
يا بني تصغير اشفاق وقرئ ابن كثير هنا وفي يا بني اقم الصلوة باسكان
الياء وحفص فيهما وفي يا بني انها ان تك بفتح الياء والبزي مثله في الاخير
وقرئ الباقون في الثلاثة بكسر الياء لا تشرك بالله قيل كان
كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان
الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه
ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن
او تهن وهنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها
لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال
وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين
وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله
وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوا
لديك تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال

وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للوصية في حقها خصوصا ومن
ثم قال عم لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك
الى المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك
على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك
تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك
وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع
ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب الى
رجع بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الى مرجعكم مرجعك
ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك
واجازيهما على كفرهما والايتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان
تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به
وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلوا الباري في استحقاق
التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما
ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم
فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر رض فانه اسلم بدعوته يا بني
انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاحسان
او الاساءة ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على
ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم ولان المراد به الحسنة والسيئة فتكن
في صخرة او في السموت او في الارض في اخفى مكان واحرزه
كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ
بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يأت بها الله
يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي
خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر
بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما
اصابك من الشدائد سيما في ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر
او الى كل ما امر من عزم الامور مما عزمه الله من الامور اي قطعه
قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله
فاذا عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم

ولا تمل صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري
البعير فيلوي عنقه وقرئ ولا تصاعر
وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ولا تمش
في الارض مرحا اى فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او
لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة
للنهي وتاخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده عن المختال وهو مقابل للماشي مرحا
لتوافق رؤس الاى واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب
والاسراع وعنه عم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رض
كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة
من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك
وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت
الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل
الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة
مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكر دون
الاحاد او لانه مصدر في الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما في
السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض
بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه
وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار
في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرئ نافع
وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل
في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى
راجع الى الرسول ولا كتاب منير انزل الله بل بالتقليد كما قال
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان
يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولابائهم الى عذاب السعير
الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه
والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله
بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون وقرئ

القراءة

القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو
محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق
باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان
يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه والى الله
عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك
كفره فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن
وليس بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم
بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور
فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان
ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب
غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه
قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم
بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات
والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني
عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمدوه ولو ان
ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما و
توحيد شجرة لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة
ابحر والبحر المحيط بسعته مداد ممدود بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد
بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها ويمده
حال او الابتداء على الاستيناف او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف
على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده ويمده وتمده بالياء من امده ما نفدت
كلمات الله بكتبتها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار
بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء
حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود حيث سألوا
رسول الله صلعم او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم
الا قليلا وقد انزل التوراة وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا
كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان لانه يكفي

لوجود الكل نعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا الشئ
اذا اردنا ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع
بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق
الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل و
سخر الشمس والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه الى
اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر وقيل
وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل هنا منتهى
الجري وثم غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وان الله
بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة ذكره من سعة العلم وشمول
القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري تعالى بها بان الله هو الحق
بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الالهية وان ما
تدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف
الا بجعله او الباطل الالهية وقرا البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء و
ان الله هو العلي الكبير مترفع على كل شئ ومتسلط عليه الم تر
ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو
استشهاد اخر على باهر قدرته وكمال الحكمة وشمول انعامه والباء للصلة
او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمة الله بسكون العين وقد جوز في
مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من اياته دلايله ان في ذلك
لايات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الافاق والانفس
شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف
صبر ونصف شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل
كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا
الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد
بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم
على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض
الانزجار وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد
الفطري او لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها
الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
لا يقضي عنه وقرئ لا يجزي من اجزاء اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف

اى لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدا خبره هو جاز
عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي
وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الاخرة ان وعد الله
بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة
فيجركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما
روى ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله عم فقال متى قيام الساعة واني
قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امراتي اذكر ام انثى وما اعمل
غدا واين اموت فنزلت وعنه عم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية و
ينزل الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرئ نافع
وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى
اتام ام ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر
وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض
تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روى ان ملك الموت مر على
سليمان عم فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك
الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان يحملني ويلقيني في الهند ففعل فقال
الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند
وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة
فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل عليه انه ان اعمل حيلة وانفذ فيها وسعه
لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل
عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلهن انه
عليم يعلم الاشياء كلها كما هو خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها
وعنه عليه السلام من قرئ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم
القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية ثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة او القران
فمبتدا خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل
تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدا خبره لا ريب فيه

فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل
فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض
والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتريه فانه
انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له
ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب
العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه
على خلاف ذلك انكارا له وتعجبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات
انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتيهم
من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون
بانذارك اياهم الله الذي خلق السموت والارض وما
بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد مر بيانه في
الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم
رضاء الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي
يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به
للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ
الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب
سماوية كالملائكة وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه
ثم يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة
مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما
بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح المحفوظ فينزل به
الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه
مسيرة الف سنة فان ما بين السماء الدنيا والارض مسيرة خمسمائة سنة
وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف
اخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيمة وقيل
يدبر المامور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج
اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص
وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر
امرها على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره لا يعجزه شيء الرحيم
على العباد في تدبيره وفيما يليه باثر يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي

احسن

احسن كل شيء خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق
الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل شيء بدل الاشتمال وقيل علم كيف
يخلقه من قوله عم قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول
ثان وقرئ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول
مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدا خلق الانسان
يعني ادم عم من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها
تنسل منه اي تنفصل عنه من سلالة من ماء مهين
ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من
روحه اضافه الى نفسه تشريفا واظهارا بانه خلق عجيب وان له
شانا مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله قال عم من عرف نفسه فقد
عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا
وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا
ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا
فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرئ ابن عامر
اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد
خلقنا وقرا نافع والكسائي انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به
بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون
جاحدون قل يتوفيكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا ولا يبقي منكم احدا
والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا واستقصيته وتقصيته وتعجلته واستعجلته ملك
الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم ثم الى ربكم
ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا
وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا
انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرايت
امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع
ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل
عليه صلة اذ والخطاب للرسول او لكل احد ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها
ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني
ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لاملان جهنم من الجنة والناس

اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم
من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم
فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسايط والاسباب
المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي
استينافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب
الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله
وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر
فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا
بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه
عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام
واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر
مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش
ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه و
طمعا في رحمته وعن النبي عليه السلام في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه
عليه اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم
اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء
والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب ساير الناس وقيل
كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم
ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب
ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه السلام يقول الله اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم
عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرا حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع
اخفيت وقرئ نخفي واخفى والفاعل في الكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف
انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما
كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه للعلو شانه وقيل هذا
لقوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح والجمع
للحمل على المعنى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى
فانها الماوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل الماوى جنة من الجنان نزلا

سبق

سبق في ال عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين
فسقوا فماويهم النار مكان جنة الماوى للمؤمنين كلما ارادوا ان
يخرجوا منها اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم
من العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين
والقتل والاسر دون العذاب الاكبر عذاب الاخرة لعلهم لعل من بقي
منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان وليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر
فنزلت هذه الايات ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها فلم
يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة
بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى ثم يزورها انا من
المجرمين منتقمون فكيف ممن كان اظلم من كل ظالم ولقد اتينا موسى الكتاب
كما اتيناك فلا تكن في مرية شك من لقائه من لقائك الكتاب لقوله
وانك لتلقى القران فانا القيناك من الكتاب مثل ما القيناه منه وليس ذلك ببدع مما لم يكن
قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه السلام رايت
ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه
اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ايمة يهدون
الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به وبتوفيقنا له لما صبروا
وقرئ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا
وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم
يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا
فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي
من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من
القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدلالة القراءة
بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم
وقرئ يمشون بالتشديد ان في ذلك لايات افلا يسمعون
سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز
التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل
اسم موضع باليمن تاكل منه من الزرع انعامهم كالتبن والورق
وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته

وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا
افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع
الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر
المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين
كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا
على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال
تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم
وقيل منسوخ باية السيف وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون
الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة
ينتظرون عن النبي عم من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما
احيا ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره
بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون
مانعا له عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي فيما يعود
بوهن في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا
عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير والجد بن
قيس فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت
ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة
واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان بما
تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحك ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرئ
ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها
عنك وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا
موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي
ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس
الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل ازواجكم
اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم
ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة في امراة ولا الدعوة والبنوة في رجل

والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان وقيل قيل
لابي معمر وقيل لجميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام
ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله
عم ابن محمد والمراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين
لتمهيد اصل يحملون عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه الى التناقض
وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي اللذين
لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرئ ابو عمرو اللاي بالياء
وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب
بالهمز وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرئ
ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون
من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون
من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر
باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان
طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق والحرمة الى اداء الكفارة
كما عدي الى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده
فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان
المراة وظهرها الى السماء وادعياء جمع دعي على الشذوذ وكانه شبه بفعيل
بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم
لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي والله يقول الحق
ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق
ادعوهم لابائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة
وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط
افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ
في الصدق فان لم تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم
في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا
هذا اخي ومولاي بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطاتم
به ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان
او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما
تعمدت او ولكن فيما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما

لعفوه عن المخطي واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي ح رض يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب للمجهول الذي يمكن لحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه عم اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس فنستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذلك قالت عايشة رض لسنا امهات النساء واولوا الارحام وذو القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الايتين ثابتا في اللوح او القران وقيل في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر ميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرايع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسئل الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسئل الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسئل كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا

فارسلنا

فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها الملئكة روي انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلثة الاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفات نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملئكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرئ بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى راس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون على ما حكي عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح وان يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرا حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة

واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئت بها وماهي بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم و دخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لاتوها لاعطوها وقرا الحجازيان بالقصر بمعنى جاؤها او فعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها الا يسيرا ريثما للسؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله عم يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسئولا مسئولا عن الوفاء مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انفه او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى به القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا رمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله عم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا ياتون البأس الا قليلا الا اتيانا قليلا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا لقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا ياتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل ياتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة

سكرات

سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر اليد او باللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا خلوصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل بصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة فان يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسئلون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد وهو في نفسه قدوة يحسن التاسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اي ثواب الله او لقاءه او نعيم الاخرة او ايام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الاخرة داخل فيها والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول من كان كذلك ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقول الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية في قوله عم سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم لما راوا الخطب والبلاء الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر

استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة
كعثمن وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روي
ان طلحة ثبت مع رسول الله عليه السلام يوم احد حتى اصيب يده فقال عم اوجب طلحة
وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الذين
صدقوا بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل
للمنطوق والمعرض به وكان المنافقون قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد
المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم والمراد
بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله
الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا
غير ظافرين وهما حالان بتداخل او بتعاقب وكفى الله المؤمنين القتال
بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا
على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل
الكتاب يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي
ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف
في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون
فريقا وقرئ بضم السين روي ان جبرئيل اتى رسول الله صم صبيحة الليلة التي
انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك
بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني
قريظة فحاصروهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال
لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد
بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي عم وقال حكمت بحكم الله
فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر سبعمائة واورثكم
ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم
ومواشيهم واثاثهم روي انه عم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال
انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت لي هذه طعمة
وارضا لم تطؤها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم
القيمة وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبي
قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها
وزينتها زخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن

سراحا

سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار بدعة روي انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة
النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات
اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح
بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت
زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن علي ويؤيده
قول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا
وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة
كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند ابي ح
واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن
بالرفع على الاستيناف وان كنتن تردن الله ورسوله والدار
الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يستحقر دونه
الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات يا نساء النبي من
يأت منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن
كثير وابي بكر بكسر الياء يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي
عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب
والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به
غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل
وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي
وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله
ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين
مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضاء النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة
وحسن المعاشرة وقرئ حمزة والكسائي ويعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها
على ان فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على
اجرها يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد
بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير
والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل ان اتقيتن
مخالفة حكم الله ورضى رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجبن
بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض
فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع

عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا
عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى
من راى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى عن همزة الوصل ويؤيده قراءة
نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا
اجتمع ولا تبرجن ولا تبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى
تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين ادم ونوح
وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم كانت المراة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي
وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام
وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية
الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك
جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلوة و
اتين الزكوة واطعن الله ورسوله في ساير ما امركن به ونهاكن
عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم
وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت
على النداء او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة
الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت
بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روي انه عم خرج ذات غدوة وعليه مرط
مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه
ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان
التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل
البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله
والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن حيث
جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما
يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والايتمار فيما كلفن به
ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك
خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوة ومن يصلح ان يكون اهل بيته
ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله
والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق والقانتين

والقانتات

والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات في القول
والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين
والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين
والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات
الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله
لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغاير لانهن مكفرات واجرا عظيما على
طاعتهم والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتورع بهذه الخصال روي
ان ازواج النبي قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير فما فينا خير نذكر به
فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف
الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين
لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات
فايدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن
ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله اي قضى رسول الله
وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت
جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله عم لزيد بن حارثة فابت
هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي عم فزوجها
من زيد امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا
بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير
وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني
للتعظيم وقرا الكوفيون وهشام يكون بالياء ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول
للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه
وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك
عليك زوجك زينب وذلك انه عم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقع في
نفسه فقال سبحان مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد
ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي عم فقال اريد ان افارق
صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها
تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا

وتعلقه بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها
او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك والله احق ان
تخشيه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء فانه
وحده حسن على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى
في امثال ذلك ان يصمت ويفوض الامر الى الله فلما قضى زيد منها وطرا
حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها
وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى
انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت
تقول لسائر نساء النبي ان الله تعالى تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل
كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكيلا
يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن
وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه
الدليل وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما
كان تزويج زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم
سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء
وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء
مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين
خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا
يخشون احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا
كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من
رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة
وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ
الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول
ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد
منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه مبتدأ محذوف
الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتموه وقرئ ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن
رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين واخرهم الذي
ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا

يعني زيد بن حارثة اي ليس ابا احد من رجالكم الذي لم يلده فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه اياها فان قيل اليس كان له ابناء القسم والطيب والطاهر وابراهيم وكذلك الحسن والحسين فان النبي صلى الله عليه وسلم قال للحسن ان ابني هذا سيد قيل هؤلاء كانوا صغارا لم يكونوا رجالا والصحيح انه اراد ابا احد من رجالكم الذي لم يلده ولكن رسول الله وخاتم النبيين ختم الله به النبوة وقرأ عاصم وخاتم بفتح التاء على الاسم اي اخرهم وقرأ الاخرون بكسر التاء على الفاعل لانه ختم به النبيين فهو خاتمهم قال ابن عباس يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وروي عن عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى لما حكم ان لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا معالم التنزيل

يعني سنة الله في الذين يبلغون رسالات الله معالم

كما قال عليه السلام في ابراهيم حين توفي لو عاش كان نبيا ولا يقدح فيه نزول
عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه اخر من نبئ وكان الله
بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها
الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع
ما هو اهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة
واصيلا اول النهار واخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما
على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه
العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو
الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام
بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم
مستعار من الصلوة وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة
المشتملة للانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود والاستغفار
الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم
مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية
الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح
امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة
المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم القيامة عند الموت او الخروج
من القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وافة واعد لهم
اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم
وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره
اطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة
من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره
انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك
ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم
ودع اذيهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة او مؤاخذة
على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله

وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه محذوف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مقابلة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله تعالى برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفي به عن غيره يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهي سنة ويجوز ان يؤول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك يحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتذرت اليه فاعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل

اي اعلمناك حل امراة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا يوجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان يقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرا حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل

لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرئ البصريان بالتاء من
بعد من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت
واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق
واحدة وتنكح اخرى مكانها ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك
حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله
وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان
الاية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى
الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء
من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من
اجناس أخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج
والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شئ رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا
ما حد لكم يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن
لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه
متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان
اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير ناظرين وقته او ادراكه حال من فاعل
لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا
ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر
انى الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا
تفرقوا ولا تمكثوا والاية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد
ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستانسين
لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر
بفعل اي ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي
النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي
منكم من اخراجكم والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق
فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي
بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا سالتموهن متاعا شيئا
ينتفع به فاسئلوهن المتاع من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضي
قال رسول الله عم يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب

فنزلت

فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة
فكره النبي عليه ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر
الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان
تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته
او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة
في ايام عمر رضي فهم برجمهما فاخبر انه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير
ان ذلكم يعني ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما
وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد
فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم
فان الله كان بكل شئ عليما فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان
على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في ابائهن
ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخوانهن
استيناف لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء
والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما
لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله اباءك
ابراهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما
ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد
والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به
ان الله كان على كل شئ شهيدا لا يخفى عليه خافية ان الله وملائكته
يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد
وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره
والاية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل يجب الصلوة كلما جرى
ذكره لقوله عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل
علي فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا ويكره استقلالا لانه
في العرف صار شعار الذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا
جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من
الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو
ذلك وذكر الله للتعظيم ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على المعنيين فسره بالمعنيين

باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم الله من رحمته في الدنيا والاخرة
واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين
والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا
بهتانا واثما مبينا ظاهرا روي انها نزلت في منافقين يؤذون عليا
رضو وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات
يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن
من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن
للتبعيض فان المراة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن
يميزن من الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن
وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى
الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم
مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم
والمرجفون في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها
من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا
غير ثابت لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء
ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة
جوار الرسول اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا
قليلا ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك
الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل
مصدر مؤكد اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء
وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا
لانه لا يبدلها او لا يقدر احد ان يبدلها يسئلك الناس عن الساعة عن
وقت قيامها استهزاء او تعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه
ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون
الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى
اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين
واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون
وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم

في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ
تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ابن عامر ويعقوب
ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا
ربنا اتهم ضعفين من العذاب مثلي ما اتيتنا منه لانهم ضلوا
واضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرئ عاصم بالباء اي لعنا هو
اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
اذوا موسى فبراه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه و
مضمونه وذلك ان قارون حرض امراة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في
القصص او اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته
الملائكة ومروا بهم حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه
بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه برئ منه
وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي
رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا
والمراد النهي عن ضده لحديث زينب من غير قصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم
للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم
ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله
في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي
الاخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على السموت والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء
والمعنى انها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات
شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف
بنيته ورخاوة قوته لا جرم فان الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين
انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا
وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية
وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيرها

وبحملها الخيانة والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها
فتبرأ ذمته فيكون الاباء عن اتيانا بما يمكن ان يتاتى منه والظلم والجهالة للخيانة و
التقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى قد فرضت
فريضة وخلقت جنة لمن اطاعنى ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات على
ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغى ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل
ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل
المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى
استعدادهن وباباهن الاباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة والاستعداد
وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه
من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان
من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة
الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله
على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتاديب فى الضرب
فى ضربته تاديبا وذكر التوبة فى الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم
لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم
واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت
يمينه اعطى الامان من عذاب القبر سورة سبا مكية وقيل الا قوله ويرى الذين اوتوا العلم

سورة سبا مكية وايها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى له ما فى السموات
وما فى الارض خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته
وله الحمد فى الاخرة لان ما فى الاخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف
المقيد على المطلق فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها
وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد يكون بوساطة من يستحق
الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة وهو الحكيم الذى احكم امور الدارين
الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج فى الارض كالغيث ينفذ فى موضع
وينبع فى اخر وكالكنوز والدفاين والاموات وما يخرج منها كالحيوان
والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب

والمقادير والارزاق والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال
العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين فى شكر نعمته
مع كثرتها او فى الاخرة مع ماله من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين
كفروا لا تاتينا الساعة انكارا لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد
قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربى لتاتينكم عالم الغيب تكرير
لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفى استبعاده
على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائى علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس
عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يعزب عنه مثقال
ذرة فى السموات ولا فى الارض وقرئ الكسائى لا يعزب (لا يفوت) بالكسر ولا
اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين جملة مؤكدة لنفى العزوب
ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفى الجنس ولا يجوز عطف المرفوع
على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء
يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لظهوره
على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شئ الا مسطورا فى اللوح ليجزى
الذين امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتاتينكم وبيان لما
يقتضى اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه
والذين سعوا فى اياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين
مسابقين كى يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اى مثبطين عن الايمان
من ارادة اولئك لهم عذاب من رجز من سيئ العذاب اليم مؤلم
ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم
اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمى اهل الكتاب الذى انزل
اليك من ربك القران هو الحق ومن رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدأ
والحق خبره والجملة ثانى مفعولى يرى وهو مرفوع مستانف للاستشهاد
باولى العلم على الجهلة الساعين فى الايات وقيل منصوب معطوف على ليجزى
اى وليعلم اولوا العلم عند مجئ الساعة انه الحق عيانا كما علموه الان برهانا و
يهدى الى صراط العزيز الحميد الذى هو التوحيد والتدرع
بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل
ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه السلام ينبئكم يحدثكم باعجب
الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد انكم تنشاون

حلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث يصير ترابا وتقديم
الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان
ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل
ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح
وجديد بمعنى فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب
اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه
على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين
الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه
بين لان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في
العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو
افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه
وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ
للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على
الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا
من السماء تذكير بما عاينوه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة
لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا
الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشا
نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالايات بعد ظهور البينات وقرأ
حمزة والكسائي يشا ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص
كسفا بالتحريك ان في ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لاية
لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه يكون كثير التامل في امره ولقد
اتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر
الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال
اوبي معه رجعي معه التسبيح على الذنب او النوحة اما بخلق صوت مثل صوته
فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تامل ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ
اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من
اتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة
بالرفع على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب او على فضلا

او مفعول

او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان
اصل النظم ولقد اتينا داود منا فضلا تاويب الجبال والطير فبدل به هذا
النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شانه وكبرياء سلطانه حيث جعل
الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيته فيها والنا له
الحديد وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق
بالالات او بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية
سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها
وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها
فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة
ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود واهله
اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمن الريح اي وسخرنا له
الريح وقرا ابو بكر الريح بالرفع اي ولسليمن الريح مسخرة وقرئ الرياح
غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك
وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسال له
من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن
الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة
من مبتدا وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن
يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمن وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب
السعير عذاب الاخرة يعملون له ما يشاء من محاريب قصورا
حصينة ومساكن شريفة سميت به لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل
وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس
فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا اسدين
في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما
واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض
الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات
ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا ال داود شكرا حكاية لما
قيل لهم وشكرا نصب على العلة اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل
ان اعملوا اعملا شكرا
له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به وقليل من عبادي الشكور
المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي

حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا اخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور
من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اى على سليمن ما دلهم
على موته مادل الجن وقيل الا دابة الارض اى الارضة اضيفت
الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة
الخشبة ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا تاكل منسأته
عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها تطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة
قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساءة على مفعالة كميضاة
في ميضأة ومن سأته اى طرف عصاه مشتقة من سأة القوس وفيه لغتان
كما في قحة وقرأ نافع وابن عمرو منساته بالالف ساكنة بدلا من الهمزة وابن ذكوان
بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين فلما خر تبينت الجن
علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
في العذاب المهين في تسخيره اى انه خر وظهرت الجن وان بما في حيزه بدل
منه اى ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب وذلك ان داود اسس بيت المقدس
في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمن فاستعمل الجن
فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله فاعلم به فاراد ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا
عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو
متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا
وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا
على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وملك
وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه
لقد كان لسبأ لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف
عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه
بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب في مسكنهم في مواضع سكناهم وهي
باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث وقرأ حمزة وحفص
بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع اية
علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على الامور العجيبة مجاز للمحسن
والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمن عليهما السلام
جنتان بدل من اية او خبر محذوف تقديره الاية جنتان وقرئ بالنصب
على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين

بلدهم وجماعة من شماله كل واحدة منها في تقاربها وتضايقها كانها جنة واحدة او بستانا
كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا
له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال
لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استيناف للدلالة على موجب
الشكر اى هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب
شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت
اخصب البلاد واطيبها لم تكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن الشكر
فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل
الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف
اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت
فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة
وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى
ومحمد عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط
من بشيع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له
والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا
او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل
لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئ بالنصب عطفا على جنتين
ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس
في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك جزيناهم بما
كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلثة عشر نبيا
فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي الا
الكفور وهل يجازي بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على
اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض
او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير
بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا
فيها على ارادة القول بلسان المقال او الحال ليالي واياما متى شئتم
من ليل ونهار امنين لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا

امنين وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها
الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية كبني
اسرائيل فسألوا الله ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء
بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرئ
ابن كثير وابو عمرو وهشام بعّد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى
منهم لبعد سفرهم لفرط الترفه وعدم الاعتداد بما انعم عليهم فيه ومثله قراءة من
قرأ ربنا بعداً وبُعد على النداء واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم
حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم
تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق
ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة
والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لايات لكل صبار عن المعاصي
شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في
ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه
كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه
او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى
وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم
وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك ماظنه بسبأ حين راى انهماكهم في
الشهوات او ببني ادم حين راى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب فيهم من
الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم
فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم
بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم
المخلصون وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة
والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك
الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن
من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة
وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شئ حفيظ محافظ والزنتان
متاخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما
مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته مقامه
ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم

لا يزعمونه من دون الله والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم
يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة
فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في
الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة
والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية
وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة
لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع
الشفاعة عنده فلا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة
عند الله الا لمن اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه
ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني
كاللام في جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة حتى
اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا
للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين
والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن
عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فزع اي نفي الوجل من فرغ الزاد
اذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا
الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون
وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء
ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات
والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه
وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين
والموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد
النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين
وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال
ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان
اتهجوه ولست له بكفوء فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر
لاختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا ينظر الاشياء او محبوس في
مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون عما اجرمنا

ولا نسئل عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند
الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم
يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو
الفتاح الحاكم الفاصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به
قل اروني الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق
العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم
كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم
الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمون بالذلة
متأبية عن قبول العلم والقدرة راسا والضمير لله او للشان وما ارسلناك
الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم
ان يخرج منها احد او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة
ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط
جهالتهم متى هذا الوعد المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله
يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون رسول الله والمؤمنون
قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين
ويؤيده انه قرئ على البدل وقرئ يوما باضمار اعني لا تستاخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجاكم وهو جواب تهديد جاء
مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين
كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين يديه ولا
بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب
عن الرسول فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك
وقيل الذي بين يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض
القول يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا
يقول الاتباع للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم
لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صدد
ناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا

انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا
عن الهدى واثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب
عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا
اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم
الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر
ومكر بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة
لما راوا العذاب واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل
عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات
وللسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا
اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون
الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم الا جزاء على اعمالهم وتعدية يجزى اما لتضمين
معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال
مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما مني به من قومه
وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف
الدنيا الانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة
الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون على مقابلة الجمع بالجمع
وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن
وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا
بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان
ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج
كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى
قربة والتي اما لان المراد بها جماعة من اموالكم واولادكم او لانها صفة محذوفة كالتقوى
والخصلة وقرئ باللذي اي بالشيء الذي يقربكم الا من امن وعمل صالحا
استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي
ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم
على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف بان يجازوا الضعف

انتم

اى عشر ما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل
وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله
الذى دل عليه لهم بما عملوا وهم فى الغرفات امنون من المكاره وقرئ
بفتح الراء وسكونها وقرئ حمزة فى الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون
فى اياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم
يفوتوننا اولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى
فهذا فى شخص واحد باعتبار الوقتين وما سبق فى شخصين فلا تكرير وما انفقتم
من شئ فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين
فان غيره وسط فى ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم نحشرهم جميعا
المستكبرين والمستضعفين ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم
وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ
الشرك واصله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذى نواليه
من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك برائتهم عن الرضى بعبادتهم ثم اضربوا
عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن
اى الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويتخيلون
اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس
او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض
نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده و
نقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون
عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
قالوا ما هذا يعنى محمد عليه الصلوة والسلام الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا
يعنون القران الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باسناده
الى الله سبحانه وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام
او للقران والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه او اعجازه ان هذا
الا سحر مبين ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما فى
اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وفى لما من المبادهة الى البت تمهيدا للقول

انكار

انكار عظيم له وتعجب بليغ منه وما اتيناهم من كتب يدرسونها وفيها
دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم
اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين لهم هذه الشبهة وهذا
فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرايهم ثم هددهم فقال وكذب الذين
من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما اتيناهم وما بلغ هؤلاء
عشر ما اتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما
اتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلى فكيف كان نكير
فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء
من مثله ولا تكرير فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب او الاول مطلق
والثانى مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم
وانصح لكم بخصلة واحدة وهى ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام
من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله
معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا
واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا فى امر
محمد وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب
باضمار هو واعنى ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على
ذلك او استيناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه
فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان
فيفتضح على رؤس الاشهاد ويسلم ويلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات
كثيرة وقيل ان ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اى شئ به من اثار الجنون ان هو
الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة
قل ما سألتكم من اجر اى شئ سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد
نفى السؤال فانه جعل التنبى مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوى
عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل
ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا ولا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم
ان اجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد مطلع يعلم صدقى وخلوص
نيتى قل ان ربى يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او
يرمى به الباطل فيدمغه او يرمى به الى اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه

علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف
او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني والغيوب بالكسر
كالبيوت وبالضم كالعشور وبالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب قل جاء
الحق اي الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل
اي الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق ابداء ولا اعادة
قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى
لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدي خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة
بما بعده قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي فان وباله
ضلالي عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل
الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فان الاهتداء
بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله
وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب
لو محذوف مثل لرايت فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن
واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار
او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا
على محله اي فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا امنا به بمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم
ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف
وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال
من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرا ابو عمرو والكوفيون
غير حفص بالهمزة على قلب الواو لضمتها او انه من نأشت الشيء اذا طلبته قال روبة اقحمني
جار ابي الجاموش اليك ناش القدر النئوش او من نأشت اذا تاخرت ومنه قوله تمنى نئيشا
ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول من بعد
وقد كفروا به بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم او بالعذاب من قبل من قبل
ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون
بما لم يظهر لهم في الرسول من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد
من جانب بعيد عن امره وهو الشبه التي تمحلوها في امر الرسول عليه السلام وحال الآخرة
كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال
للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف

على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف
في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون
من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء كما
فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا
في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك
نعت به الشك للمبالغة قال الرسول صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض
مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى
الماضي جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين
من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين
خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع
ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون
او يسرعون فيها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد
خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روي انه عليه السلام راى جبرئيل ليلة
المعراج وله ستمائة جناح يزيد في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة
على ان تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم
لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة
لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعاني
كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس ان الله على
كل شيء قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة
الارادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب
للمسبب من رحمة كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها
يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول
الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته
سبقت غضبه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء
ليس لاحد ان ينازعه فيه الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد
للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال يا ايها

الناس اذكروا نعمت الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة
موليها ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل
من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى
يؤفكون فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير
للحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل
خالق وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم
صفة لخالق او استيناف مفسر له او كلام مبتداء وعلى الاخير يكون اطلاق
هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت رسل
من قبلك اى فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء
بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة
والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها الناس
ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
فيذهلكم التمتع فيها عن طلب الاخرة والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور
الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب
بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع
كقعود ان الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا
في عقايدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعوا حزبه ليكونوا
من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع
الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه
ووعد لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح
وقوله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا تقرير له اى افمن زين له سوء عمله
بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فراى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن
لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف
الجواب لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل
تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك نفسك
عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاءات الثلث للسببية غير ان الاوليين
دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع حسرات للدلالة على تضاعف

اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوى افعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليس صلة
لها لان صلة المصدر لا يتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله
عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذى ارسل الرياح
وقرئ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية
استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها
بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة
على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بالمطر
النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر
مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص
لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور اى مثل احياء الموات نشور الاموات
في صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك
لا مدخل فيها وقيل في كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه
اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة
جميعا اى فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به
العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود
الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد
ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص
العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والمصعد هو
الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة
القران وعنه عم هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها
العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل
والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعنى مكرات قريش للنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم في دار الندوة وتداريهم الرأي في احدى ثلث حبسه
وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر
اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا يغير به كما دل عليه
بقوله والله خلقكم من تراب بخلق ادم منه ثم من نطفة بخلق
ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى
ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمره

من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له
عمر ناقص او لا ينقص من عمر المنقوص من عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر
لدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله
عبدا ولا يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب
مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة
والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب
في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل الا في
كتاب هو علم الله تعالى او اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله
يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص وما يستوي
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج
ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل
انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف
وملح على فعل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام
التمثيل والمعنى كما انهما اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما
لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده
وغيره عن كمال فطرته لا يساوي المؤمن الكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض
الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصة العظمى وبقاء احدهما
على الفطرة دون الاخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع
والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت وترى الفلك فيه مواخر
تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها
واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة
ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر
الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه
او يوم القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه
الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل
ان يكون له الملك كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير

لفافة

لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا
على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم
منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم
لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل
خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه فانه الخبير به
على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم
يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف
الفقراء للمبالغة في فقرهم فانهم لشدة فقرهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان
افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان
ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق المنعم على سائر
الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد بقوم اخرين اطوع منكم او بعالم اخر غير ما تعرفونه وما ذلك
على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى
ولا تحمل نفس اثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك
اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة نفس اثقلها
الاوزار الى حملها لحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم يجب
لحمل شيء منه نفي ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان
ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ
ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان تامة فانها لا تلائم نظم الكلام
انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او عن
الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون
بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس
المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى
وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانها من جملة التزكي والى الله
المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي الاعمى والبصير الكافر
والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور
ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا
لتاكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب

على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي
الأحياء ولا الأموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول
ولذلك كرر الفصل وقيل للعلماء والجهلاء إن الله يسمع من يشاء
هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما أنت بمسمع من في القبور
ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات ومبالغة في إقناطه عنهم إن أنت
إلا نذير فما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع فلا إليك ولا حيلة لك إليه
في المطبوع على قلوبهم إنا أرسلناك بالحق محقين أو محقا أو إرسالا
مصحوبا بالحق ويجوز أن يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا أي بشيرا
بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وإن من أمة أهل عصر إلا خلا
مضى فيها نذير من نبي أو عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة
قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل ولأن الإنذار هو المقصود الأهم من
البعثة وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر كصحف إبراهيم
وبالكتاب المنير كالتوراة والإنجيل على إرادة التفصيل دون
الجمع ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم أخذت
الذين كفروا فكيف كان نكير أي إنكاري بالعقوبة ألم تر أن
الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها
أجناسها وأصنافها على أن كلا منها ذو أصناف مختلفة أو هيئاتها من الصفرة والخضرة
ونحوها ومن الجبال جدد بيض أي ذو جدد أي خطط وطرائق
يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى
الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح وحمر مختلف ألوانها
بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض أو جدد كأنه
قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد
مضمر يفسره فإن الغربيب تأكيد للأسود ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظير
ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه
من التكرير باعتبار الإضمار والإظهار ومن الناس والدواب والأنعام
مختلف ألوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال إنما يخشى الله
من عباده العلماء إذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله
فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال عليه السلام إني أخشاكم لله وأتقاكم له

ولهذا

ولهذا أتبعه ذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية
ولو أخر انعكس الأمر وقرئ برفع الله ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فإن
المعظم يكون مهيبا إن الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على
أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه إن الذين يتلون كتاب
الله يداومون قراءته أو متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله
القرآن أو جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الأمم بعد اقتصاص حال المكذبين
وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق
من غير قصد إليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة
تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر إن لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران
صفة للتجارة وقوله ليوفيهم أجورهم علة لمدلوله أي ينتفي عنها الكساد
وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها أجور أعمالهم أو لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا
أي تنفق عنده
ذلك ليوفيهم أو عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل أعمالهم إنه
غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم أي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية
والزيادة أو خبر إن ويرجون حال من واو وأنفقوا والذي أوحينا إليك
من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض هو الحق
مصدقا لما بين يديه أحقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة
لأن حقيقته تستلزم موافقته في العقائد وأصول الأحكام إن الله بعباده
لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح
إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على أن
العمدة في ذلك الأمور الروحانية ثم أورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه
منك أو نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه أو أورثناه من الأمم السالفة والعطف
على إن الذين يتلون والذي أوحينا إليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين
اصطفينا من عبادنا يعني علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرهم
فإن الله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير
في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به في أغلب الأوقات ومنهم سابق
بالخيرات بإذن الله بضم التعليم والإرشاد إلى العمل وقيل الظالم الجاهل
والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح
بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عم
أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصد

فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون
في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه
لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد
والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او
الاصطفاء والسبق جنات عدن يدخلونها مبتداء وخبر والضمير
للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن
وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرا ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول
يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المراة فهي حالية
من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا
عطف على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه
نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة من اجل المعاش
وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا لغفور
للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار
الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا
فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف
فيها ولا كد اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم نار
جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا فيستريحوا
ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم
فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها
كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران
وقرئ ابو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم
يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل
في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي
كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على
ما عملوه من غير الصالح او الاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا
يحسبون انه صالح والان تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر
فيه متناول كل عمر يمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين

الى ستين وعنه عليه السلام العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة والعطف
على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب
وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير
يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه
خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه
اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيره هو الذي
جعلكم خلائف في الارض ملقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا
بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره
جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد
الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له [illegible] على ان اقتضاء
الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد
بالمقت وهو اشد البغض مقت الله عز وجل وبالخسار خسار الاخرة قل ارايتم
شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني الهتهم والاضافة اليهم
لانهم جعلوهم شركاء لله او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا
من الارض بدل من ارايتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كانه قال اخبروني
عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك
في السموات ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة
في الالوهية ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم
على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان
يكون هم للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرئ نافع وابن عامر ويعقوب
وابو بكر والكسائي على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من
تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا
لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تقرير الاسلاف
الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب
اليهم ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة
ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك
منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من
بعده من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن
الاولى زائدة والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث امسكهما

وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن
أهدى من إحدى الأمم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب
كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال
فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم
نذير يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ما زادهم اي النذير او مجيئه
على التسبب إلا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الأرض
بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيئ اصله وان مكروا المكر
السيئ فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر
ثم اضيف وقرئ [illegible] وحمزة بسكون الهمزة في الوصل ولا يحيق
ولا يحيط المكر السيئ إلا بأهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر
وقرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله فهل ينظرون ينتظرون
إلا سنت الأولين سنة الله تعالى فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن
تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا
اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم
وقوله أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن
والعراق من آثار الماضين وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه
من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الأرض
إنه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله
الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها ظهر الارض
من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس
وحده لقوله ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيمة
فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على
اعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب
الجنة ان ادخل من اي باب شئت سورة يس مكية وعنه عليه السلام يس
تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة

سورة يس مكية وآيها ثلث وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه
يا انسان بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل
م الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب على اتل يس
او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس
وامال الياء حمزة والكسائي وابو بكر وروح وادغم النون في واو والقرآن
الحكيم ابن عامر والكسائي وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف
ان جعل يس مقسما به إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم
وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا
من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل
عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر
بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب على اضمار اعني
او فعله على انه على المصدر وقرئ بالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما
متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما أنذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم
يعني آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم
الى ارساله او الذي انذر به او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا
ثانيا لتنذر او انذارا آباءهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول
اي لم ينذروا فبقوا غافلين وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي
ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم
يعني قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم
ممن علم انهم لا يؤمنون إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا تقرير لتصميمهم
على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا يغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلها بالذين
غلت اعناقهم فهي إلى الأذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم
يطأطؤن رؤسهم له فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم
في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطؤن رؤسهم له
وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم
فهم لا يبصرون وبمن احاطهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون
قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر
في الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه
وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم

بالحكم او لانه دليل ناطق بالحكمة او متصف بها

نوره وبمن احاطهم سدان عطف على قوله بالذين غلت اعناقهم

من الغشى وقيل الآيات في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبي صلى الله عليه وسلم
فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى
فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب
فاعماه الله تعالى وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
سبق في البقرة تفسيره انما تنذر انذارا نترتب عليه البغية المرومة من
اتبع الذكر اى القرآن بالتأمل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب
وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما
هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى
الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من
الاعمال الصالحة والطالحة واثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه
والسيئة كاشاعة باطل وتاسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين
يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على
ضرب واحد اى مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما
مثلا اصحاب القرية على حذف المضاف اى اجعل لهم مثل اصحاب القرية
مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له
والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون
رسل عيسى الى اهلها واضافه الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين
لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما
فعززنا فقوينا وقرى ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة
ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا
انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى
اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسالهما فاخبراه فقال امعكما
آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ
فآمن حبيب وفشى الخبر وشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى
آلهتنا فقالا نعم من اوجدك والهتك فقال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى
شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استانسوا به واوصلوه الى
الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه
قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله تعالى الذي خلق كل شيء وليس له
شريك فقال صفاه واوجزا فقالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال وما آيتكما

[margin:] وقيل يونس وبولس سعد الجلبي

[margin:] فان قلت لم ترك ذكر المفعول به قلت لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كان ما سواه مرفوضا مطرحا ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت المحكوم له والمحكوم عليه كشاف

قالا ما تمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له جفنا
بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون
رايت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال
ليس لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما
على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني
ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت
ابواب السماء فرايت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاث قال الملك ومن هم قال
شمعون وهذان فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن في جمع ومن لم يؤمن
صاح عليهم جبرئيل فهلكوا. قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا
تقتضي اختصاصكم بما تدعون ودفع بشرالة تقاض النفي المقتضى اعمال ما بالة
وما انزل الرحمن من شيء وحى ورسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى
رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري
مجرى القسم وزاد واللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا
البلاغ المبين الظاهر البين بالايات الشاهدة بصحته وهو المحسن للاستشهاد
فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم
ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه
لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم
معكم وهو سوء عقيدتكم وقرى طيركم ائن ذكرتم وعظتم وجواب الشرط
محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد الف بين الهمزتين وفتح
أن والمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان وان بغير استفهام وانْ ذكرتم بمعنى طائركم
معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف
في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب
ان يكرم ويتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان
ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في
غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسئلكم اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى
خير الدارين وما لي لا اعبد الذي فطرني على قراءة حمزة فانه يسكن الياء
في الوصل تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد
لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى غيره ولذلك قال

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا لا تنفعني شفاعتهم وَلَا يُنْقِذُونِ بالنصر والمظاهرة إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ الذي خلقكم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء فَاسْمَعُونِ فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوه يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قيل له ذلك لما قتلوه بشرى له بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء ولما هموا بقتله فرفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استيناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه ولذلك يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ من بعد اهلاكه او رفعه مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة إِنْ كَانَتْ ما كانت الاخذة او العقوبة إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً صاح بها جبريل وقرئت بالرفع على كان التامة فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ تعالى فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فان المستهزئين بالناصحين

المخلصين

المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقا بان يتحسروا او يتحسر عليهم وقد تلهف على احوالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسره بالهاء على العباد باجراء مجرى الوقف أَلَمْ يَرَوْا الم يعلموا وهو متعلق من قوله كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ بدل من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ يوم القيامة للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا خبر للارض والجملة خبر آية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهي الخبر والمبتدأ والآية خبرها او استيناف لبيان كونها آية وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا جنس الحب فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب لان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمر ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وَفَجَّرْنَا فِيهَا وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى مِنَ الْعُيُونِ اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريق الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها أَفَلَا يَشْكُرُونَ امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا الانواع والاصناف مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ من النبات والشجر وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ الذكر والانثى وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وازواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ نزيله ونكشف عن مكانه

مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون داخلون
في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه
بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن
ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على وجه
نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة
وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام
القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون فانها متحركة
دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي
يكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم
المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل اي مسيره
في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع
النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة
النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرع الدلو المقدم
فرع الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاه ولا
يتقاصر عنه فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس
وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء حتى عاد كالعرجون كالشمراخ
المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعِرجون وهما لغتان كالبريون
والبِريون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس
ينبغي لها يصح ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة مسيره فان ذلك يخل
بتكون النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او
سلطانه فتطمس نوره ولا حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا
ما اريد ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد
بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول
وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض
عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما
في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه
بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى
تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها
وتخصيصها لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع و

ابن عامر ذرياتهم في الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه السلام
وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم
وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز و
خلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر
او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم
يحرسهم عن الغرق او فلا اغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون
ينجون من الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتع بالحياة الى
حين زمان قدر لاجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما
خلفكم الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الاخرة او نوازل السماء ونوائب
الارض كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب
الدنيا وعذاب الاخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم
ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه قيل
واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل
لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني
معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته
انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم
فقراء المؤمنين ايهاما بان الله تعالى لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق
بذلك وهذا من فرط جهلهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء اطعام الفقراء
او توفيقهم له ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله
ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين يعنون بعد البعث ما ينظرون ما ينتظرون
الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون
يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فاخذتهم الساعة
بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء
الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون
توصية في شيء من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون
حيث تبغتهم ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين
فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون

يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ ويلتنا من بعثنا من مرقدنا
وقرئ من أهبّنا من هبّ من نومه اذا انتبه ومن هبّنا بمعنى اهبّنا وفيه ترشيح
ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومَن بعثنا ومن
هبّنا على من الجارة والمصدر وسكت حفص وحده عليها سكتة لطيفة والوقف
عليها في سائر القرآن حسن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
مبتداء وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا
وما وعد خبر محذوف او مبتداء خبره محذوف اى ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة او المؤمنين عن سؤالهم
معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذى
يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذى
وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنون فانه ليس
بعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال.
إن كانت ما كانت الفعلة إلا صيحة واحدة هى النفخة الاخيرة
وقرئت بالرفع على كان التامة فإذا هم جميع لدينا محضرون
بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن
الاسباب التى ينوطان بهما فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس
شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا
للموعود وتمكينا له فى النفوس وكذا قوله إن أصحاب الجنة اليوم فى
شغل فاكهون متلذذون فى النعمة من الفاكهة وفى تنكير شغل وابهامه
تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ تنبيه على انه اعلى ما تحيط به الافهام و
يعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو فى شغل بالسكون
ويعقوب فى رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون فى شغل
صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين
على الحال من المستكن فى الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات
هم وأزواجهم فى ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة
حمزة والكسائى فى ظلل على الأرائك على السرر المزينة متكئون
وهم مبتداء خبره فى ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون
والجاران صلتان له او تاكيد للضمير فى شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون
خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة فى الاحكام الثلاثة وفى ظلال

500

حال من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون
ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل
لنفسه او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع
على ما شئت بمعنى تمنه علىّ او على ما يدعونه فى الدنيا من الجنة ودرجاتها
وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام
بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف
الخبر اى ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اى لهم مرادهم خالصا
قولا من رب رحيم اى يقوله الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته
والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك
مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم
أيها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير وتفرقوا فى النار
فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يُرى ألم أعهد إليكم يا بنى آدم
أن لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده
اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة
غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف
المضارعة واحهد واحد على لغة بنى تميم إنه لكم عدو مبين تعليل للمنع
من عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وأن اعبدونى عطف على ان لا تعبدوا
هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته والجملة استئناف
لبيان المقتضى للعهد بشقيه او بالشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او
للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد أضل منكم
جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون رجوع الى معاداة الشيطان مع ظهور
عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأى والجبل الخلق وقرأ يعقوب
بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائى بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو
بضم وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا
واحد الاجيال هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما
كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم فى الدنيا اليوم نختم على أفواههم
نمنعها من الكلام وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون
بظهور آثار المعاصى عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله اياها وفى الحديث

انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلمهما يدهم وارجلهم ولو نشاء
لطمسنا على اعينهم لمسخنا اعينهم حتى تصير ممسوخة فاستبقوا الصراط
فاستبقوا الى الطريق الذى اعتاد واسلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين
الاستباق معنى الابتدار او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف
فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء
لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث
يجمدون فيه وقراء ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا
يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن
تكذيبهم وقرئ مُضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعِتى والعَتى
ومضيا كصبى والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم ننكسه فى الخلق
نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما عليه بدأ امره
وابن كثير على هذه يشبع ضمة الهاء على اصله وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس
وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ
فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدريج وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان
ويعقوب بالتاء لجرى الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان
محمدا شاعر اى ما علمناه الشعر بتعليم القران فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه
ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغى له
وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما خبرتم طبعه نحوا من اربعين
سنة وقوله عليه السلام • انا النبى لا كذب • انا ابن عبد المطلب • وقوله هل
انت الا اصبع دميت • وفى سبيل الله ما لقيت • اتفاقى من غير تكلف وقصد
منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا فى تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عدّ
المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روى انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع
وسكن الثانية وقيل الضمير للقران اى وما يصح للقران ان يكون شعرا ان هو الا
ذكر عظة وارشاد من الله تعالى وقران مبين وكتاب سماوى يتلى
فى المعابد ظاهر انه ليس كلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القران او الرسول
ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما
فان الجاهل كالميت او مؤمنا فى علم الله فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص
الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين
المصرين على الكفر وجعلهم فى مقابلة من كان حيا اشعار بانهم لكفرهم وسقوط

حجتهم

احقا بان نفعل بهم ذلك
لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم
واقتضاء الحكمة امهالهم
ومن نعمره
ومن نطل عمره
صح

حجتهم وعدم تأملهم اموات بالحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم مما
عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدى
واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد
بالاحداث انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع
فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها
والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس
البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم
مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم
اى ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اى ما يأكلون
لحمه ولهم فيها منافع اى من الجلود والاصواف والاوبار
ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر واماله الشيخ
ابن عامر وحده برواية هشام افلا يشكرون نعم الله فى ذلك اذ لولا
خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة
واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها به فى العبادة بعدما راوا منه تلك
القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون
رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه لا يستطيعون
نصرهم وهم لهم لالهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب
عنهم او محضرون اثرهم فى النار فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ بضم الياء
من احزن قولهم فى الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين
انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم عليه وكفى ذلك ان يتسلى به وهو
تعليل للنهى على الاستيناف ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين
تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ
لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا فى الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة
على ما هو اهون مما عمله فى بدء خلقه ومقابلة النعمة التى لا مزيد عليها وهى
خلقه من اخس شئ وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روى ان ابى
ابن خلف اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده فقال أترى الله
يحيى هذا بعد ما رمّ فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت
وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا كان هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق

قادر على الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي
القدرة على احياء الموتى او تشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي
خلقه خلقنا اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه مستبعدا
له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة
ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر
فيه كسائر الاعضاء قل يحييها الذي انشاها اول مرة
فان قدرته لما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة
لذاتها وهو بكل خلق عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها
فيعلم اجزاء الاشخاص المفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق
تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التي
كانت فيها واحداث مثلها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ و
العفار نارا بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان ويقطر منهما الماء الاخضر
فتنقدح النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار تخرج منه
فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها
بكيفيتها كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر
الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون اوليس الذي خلق السموات
والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم
في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد
وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه
وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات انما امره انما شانه
اذا اراد شيئا ان يقول له كن اي تكون فيكون يحدث وهو تمثيل لتاثير
قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المامور من غير امتناع وتوقف وافتقار
الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله على قدرة
الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا على يقول فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا
للامر كله قادرا على كل شيء واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين
وقرا يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت لا اعلم ما روي في فضل
يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الاية وعنه عليه السلام ان لكل شيء قلبا وقلب
القرآن يس من قراها يريد بها وجه الله غفر له واعطي من الاجر كانما قرا القرآن اثنين

وعشرين

وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل
حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون
له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه
وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى
يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه
وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء
حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وآيها مائة واحد وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا
فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة الصافين في مقام
العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم انوار الالوهية منتظرين لامر الله
الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها او الناس عن المعاصي
بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه
على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة
والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون
الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين
عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة
الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه
مباراة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتيب
الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث فالصابح فالغانم فالآيب فان الصف
كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاشاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضة
او الرتبة كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم
على المتاخر وهذا للعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها
فانها من طرف اللسان واصول الثنايا ان الهكم لواحد جواب للقسم
والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد المقسم عليه على ما هو المالوف من كلامهم
واما تحقيقه فبقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب
المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل
وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر

ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة و ستون مشرقا تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا السماء الدنيا منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منها او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركون الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملإ الاعلى كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو تطلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده دحورا علة للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب اي عذاب اخر واصب دائم او شديد وهو عذاب الاخرة الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه فاتبعه

شهاب

شهاب والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف واتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثيرة فيشتعل ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك ليسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني ادم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة ادم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فيلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل ومن قدر على خلق هذه الاشيا قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدأهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي اني تعجبت منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن

بجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له
فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اى قل
يا محمد بل عجبت وَاِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ وان وعظوا بشيء لا يتعظون به او
اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم وَاِذَا
رَاَوْا آيَةً معجزة تدل على صدق القائل به يَسْتَسْخِرُونَ يبالغون في السخرية
ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وَقَالُوا اِنْ هَذَا
يعنون ما يرونه وقيل المعجزة الرسول اِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ظاهر سحريته ءَاِذَا
مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ءَاِنَّا لَمَبْعُوثُونَ اصله انبعث اذا متنا فبدلوا
الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار و
استشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحال اشد استنكارا فهو
ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب
بطرح الثانية اَوَ آبَاؤُنَا الْاَوَّلُونَ عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون
فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن
نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد قُلْ نَعَمْ وَاَنْتُمْ دَاخِرُونَ
صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق
المخبر عن وقوعه وقرئ قال اى الله او الرسول وقرأ الكسائي وحده نَعِم بالكسر
وهو لغة فيه فَاِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ جواب شرط مقدر اى اذا كان ذلك
فانما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح
عليها وامرها في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها فَاِذَا
هُمْ يَنْظُرُونَ فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل
بهم وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ اليوم الذي نجازى باعمالنا
وقد تم به كلامهم وقوله هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ
جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق
بين المحسن والمسيء اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض
بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وَاَزْوَاجَهُمْ واشباههم
عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكواكب مع عبدتها كقوله وكنتم ازواجا
ثلاثة او نساؤهم اللاتي على دينهم او قرناؤهم من الشياطين وَمَا كَانُوا
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم
وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وفيه دليل

على

على ان الذين ظلموا هم المشركون فَاهْدُوهُمْ اِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ فعرفوهم
طريقها ليسلكوها وَقِفُوهُمْ احبسوهم في الموقف اِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ
عن عقائدهم واعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز موقفهم بعد الهدى
والتعريف للسؤال مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص
وهو توبيخ وتقريع بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ منقادون لعجزهم وانسداد
الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم
بعضا ويخذله وَاَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يعني الرؤسا والاتباع او
الكفرة والقرنا يَتَسَاءَلُونَ يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر
بيتخاصمون قَالُوا اِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَاْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ عن اقوى الوجوه و
ايمنه او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا
مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي
يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او على الحلف
فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا
كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ اجابهم الرؤساء اولا
بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر
اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان
فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا اِنَّا لَذَائِقُونَ فَاَغْوَيْنَاكُمْ اِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ثم بينوا
ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه
وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايما
بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم
فَاِنَّهُمْ فان الاتباع والمتبوعين يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ كما
كانوا مشتركين في الغواية اِنَّا كَذَلِكَ مثل ذلك الفعل نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ
بالمشركين لقوله اِنَّهُمْ كَانُوا اِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا اِلَهَ اِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ
اى عن كلمة التوحيد او عن من يدعوهم اليه وَيَقُولُونَ اَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ
الْمُرْسَلِينَ رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه
المرسلون اِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْاَلِيمِ بالاشراك وتكذيب الرسول
وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف
في غير المحلى باللام وعلى الاصل وَمَا تُجْزَوْنَ اِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الا مثل ما عملتم

وما كنتم

الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير فى تجزون لجميع
المكلفين فيكون استثنآؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا
بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام و
تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون
التغذى والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة
عن التحلل كانت ارزاقهم فاكهة خالصة وهم مكرمون فى نيله يصل اليهم
من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا فى جنات النعيم فى جنات
ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن فى مكرمون او خبر ثان
لاولئك وكذلك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا
من المستكن فيه او فى مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون
يطاف عليهم بكأس باناء فيه خمر او بخمر كقوله وكأس شربت على لذة
من معين من شراب معين او نهر معين اى ظاهر للعيون او خارج من العيون
وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجرى كالماء او
للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة
لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان
لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه
فعل قال ولذ كطعم الصرخدى تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها
غول غائلة كما فى خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنها الغول
ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف
اذا ذهب عقله افرده بالنفى وعطف على ما يعمه لانه من عظم فساده كانه جنس
برأسه وقرأ حمزة والكسائى بكسر الزاى وتابعهما عاصم فى الواقعة من انزف
الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج
دمه كله ونزحت الركية حتى نفدتها وعندهم قاصرات الطرف
قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض
مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط
بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون
معطوف على يطاف عليهم اى يشربون فيتحادثون على الشراب قال وما بقيت من
اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضى للتأكيد فيه فانه الذ
تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم

فى الدنيا قال قائل منهم فى مكالمتهم انى كان لى قرين جليس فى
الدنيا يقول أئنك لمن المصدقين يوبخنى على التصديق بالبعث وقرئ
بتشديد الصاد من التصدق أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا
لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اى ذلك القائل هل
انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض
الملائكة يقولون لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا
اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابى عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون
وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة
يمنع الاستبداد به او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله
هم الآمرون الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم
فرآه اى قرينه فى سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت
لتردين لتهلكنى بالاغواء وقرئ لتغوين وان هى المخففة واللام هى الفارقة
ولولا نعمة ربى بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها افما
نحن بميتين عطف على محذوف اى انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى
بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التى كانت فى
الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم
الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك
تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا
وتعجبا منها وتقريعا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان
يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة
والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اى لنيل
مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة
الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم
شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفى ذكره دلالة
على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء
ذلك ما تقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة
الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها
فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم فى الآخرة وابتلاء فى الدنيا
فانهم لما سمعوا انها فى النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان

من قدر على خلق يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه
من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم
واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته
اياه في الشكل او الطلوع من الشجر كأنه رؤس الشياطين في تناهي القبح
والهول وهي تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين
حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك فانهم
لاكلون منها من الشجرة او من طلعها فمالئون منها البطون من غلبة
الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اى بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش
وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة
لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم
وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم
مصيرهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل
يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها
المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما تورد الابل الى الماء ثم
يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا اباءهم
ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد
الاباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على اثرهم
وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد
ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين
انبياء ينذرونهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
من الشدة والفظاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم
فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اى الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول
والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم ولقد
نادانا نوح شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اى ولقد دعانا حين ايس
من قومه فلنعم المجيبون اى فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن
فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب
العظيم من الغرق او اذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ
هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة اذ روى انه مات كل من كان
معه في السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه في الاخرين

من الامم سلام على نوح هذا الكلام جئ به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه
تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في
العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في
الملائكة والثقلين جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل
بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين
تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثم اغرقنا
الاخرين يعني كفار قومه وان من شيعته ممن تابعه في الايمان و
اصول الشريعة لابرهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان
بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح اذ
جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى المتابعة او بمحذوف هو اذكر
بقلب سليم من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل
حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجئ به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا
اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف
لجاء او سليم ائفكا آلهة دون الله تريدون اى تريدون آلهة دون الله
افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى
امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك
في نفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين
فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه رب العالمين حتى
تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا
فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن من عقابه
على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فرأى مواقعها
واتصالاتها او في علمها او في كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك
حين سألوه ان يعبد معهم فقال اني سقيم اراهم انه استدل بها
لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب
اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد اني سقيم القلب لكفركم او
خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل
كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني
فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى
فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة

فقال للاصنام استهزاء الا تأكلون يعني الطعام الذي كان عندهم
ما لكم لا تنطقون بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية
بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم
لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة
على قوته فان قوة الالة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف
وهو قوله تعالى تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابرهيم
بعد ما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسورة وبحثوا عن كاسرها وظنوا انه هو
كما شرحه في قوله من فعل هذا بالهتنا الاية يزفون يسرعون من زفيف
النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف وقرئ
يزفون اي يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه
اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما
تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون وما تعملونه
فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره
اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد وعملكم بمعنى
معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان
مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك اصحابنا على خلق
الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا
له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التاجج
واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانه لما
قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم
الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل
النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي
وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح ديني
او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته تعالى
معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني
على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله
فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم
ويكون حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني

ان

[ان] شاء الله من الصابرين وقل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه
عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعي
فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي
لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كانه قال
فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق و
الاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه ولانه استوهبه لذلك وكان له
يومئذ ثلاث عشرة سنة قال يا بني وقرأ حفص وحده بفتح الياء اني
ارى في المنام اني اذبحك يحتمل انه راى ذلك وانه راى ما هو تعبيره و
قيل انه راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح
روى انه من الله او من الشيطان فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله
ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام
الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب
له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه
السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان جده
عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا
فلما سهل اقرع فخرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت
الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا
معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة
بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عليه السلام
سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق
ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من
الراي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه
ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد
له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائي ماذا تري بضم التاء وكسر الراء خالصة
والباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص
فتحها قال يا ابت وقرأ ابن عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر اي ما تؤمر
به فحذف دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المأمور به والاضافة الى

ثمامور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مامورا به او علم ان
رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل
الامر به في المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على
كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا
ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله و
قرأ نافع بفتح الياء فلما اسلما استسلما لامر الله او سلما الذبيح نفسه
وابرهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه
سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه
على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا
يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع
المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم
قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين
بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان مما كان مما
تنطق به الحال ولا تحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما الله تعالى على
ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله
واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا
كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما
واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح
لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء
البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب
منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم الجثة
سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد
المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروي
انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة
والفادي على الحقيقة ابرهيم وانما قال وفديناه لانه المعطي له والامر به
على التجوز في الفدا او الاسناد واستدل به الحنفية على من نذر ذبح ولده
لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الآخرين
سلام على ابرهيم سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفا بذكره

مرة في هذه القصة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا
نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى
وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة
تعلق الفعل به لاعتبار المعنى به بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل
عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين
ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون
خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحه حيث
يوجد ومن فسر الذبيح باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح
بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل
بالفعل على وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا
من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات
الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه
بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه
وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما
لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهرون
انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما
وقومهما من الكرب العظيم من تغذيب فرعون او الغرق ونصرناهم
الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه و
اتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما
الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا
عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي
المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثله وان الياس لمن
المرسلين هو الياس بن يس سبط هارون اخي موسى عليه السلام بعث بعده
وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ايليس وقراء
ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه الا تتقون
عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو اسم
صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال له الان بعلبك وقيل البعل
الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين
وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله

الله ربكم ورب آبائكم الأولين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فإنهم لمحضرون أي في العذاب
وإنما أطلقه اكتفاء منه بالقرينة أو لأن الإحضار المطلق مخصوص بالشر
عرفا إلا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد
المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على إلياسين كسينا
وسينين وقيل جمع له مراد به هو وأتباعه كالمهلبين لكن فيه أن العلم إذا جمع
يجب تعريفه باللام أو للمنسوب إليه بحذف ياء النسب كالأعجمين وهو قليل
ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على إضافة آل إلى يس لأنهما في المصحف
مفصولان فيكون ياسين أبا إلياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم أو القرآن
أو غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله إنا كذلك نجزي
المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين إذ الظاهر أن الضمير لإلياس وإن
لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين
ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وإنكم يا أهل مكة لتمرون عليهم
على منازلهم في متاجركم إلى الشام فإن سدوم في طريقه مصبحين داخلين
في الصباح وبالليل أي ومساء أو نهارا أو ليلا ولعلها وقعت قرب منزل
يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء أفلا تعقلون أفليس فيكم
عقل تعتبرون به وإن يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون إذ أبق
هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه
عليه إلى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع أهله فكان من المدحضين
فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روي أنه لما وعد قومه بالعذاب
خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا هنا عبد
آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه
الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة أو آت بما يلام عليه
أو مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا أنه كان
من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وهو قوله
لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في
بطنه إلى يوم يبعثون حياء وقيل ميتا وفيه حث على إكثار الذكر وتعظيم
لشأنه ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء فنبذناه بأن حملنا الحوت
على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت روي أن الحوت

سار

سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا إلى البر
فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة أيام وقيل
سبعة وقيل عشرون وقيل أربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار
بدنه كبدن الطفل حين يولد وأنبتنا عليه أي فوقه مظلة عليه
شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الأرض ولا يقوم على ساقه
يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به والأكثر على أنها كانت الدباء غطته
بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم إنك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس وقيل التين وقيل
الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره وأرسلناه
إلى مائة ألف هم قومه الذين هرب عنهم وهم أهل نينوى والمراد به ما
سبق من إرساله أو إرسال ثان إليهم أو إلى غيرهم أو يزيدون في مرأى
الناظر أي إذا نظر إليهم قال هم مائة ألف أو يزيدون والمراد الوصف بالكثرة
وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه أو جددوا الإيمان بمحضره فمتعناهم
إلى حين إلى أجلهم المسمى ولعله إنما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به
سائر القصص تفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع الكبر وأولي العزم من الرسل
أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم
ألربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في أول السورة أمر رسوله
أولا باستفتاء قريش عن وجه إنكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا
لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه
القسمة حيث جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله
وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات أخر التجسيم وتجويز البنات على الله
تعالى فإن الولادة مخصوصة بالأجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل أنفسهم
عليه حيث جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة
حيث أنثوهم ولذلك كرر الله تعالى إنكار ذلك وإبطاله في كتابه مرارا وجعله
مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا والإنكار
ههنا مقصور على الأخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولأن فسادهما
مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث المعادل للاستفهام عن التقسيم
أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون وإنما خص علم المشاهدة
لأن أمثال ذلك لا يعلم إلا به فإن الأنوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته

بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم
يبثون به كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون
ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما
يتدينون به وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين
استفهام انكاري واستبعاد والاصطفا اخذ صفوة الشئ وعن نافع
كسر الهمزة على حذف همزة الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او
على الاثبات باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من
ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا يقتضيه عقل افلا تذكرون
انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم
من السماء بان الملائكة بناته فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان
كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة و
قيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان
اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس والجن ان
فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله
عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثنا
من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من
يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه
على الله بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم
الا من سبق في علمه انه من اهل النار فيصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم و
لالهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما
فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم والهتكم قرناء لا تزالون
تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريقة الاضلال مستوجبا
للنار مثلكم وقرئ صالُ بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه
لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاك في شائك او المحذوف
منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت به بالة فان اصلها بالية كعافية وما
منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على
عبدتهم والمعنى ما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء

[ا]مر الله في تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحانه
من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كأنه قال ولقد علمت الملائكة
ان المشركين يعذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا
المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة
المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها
فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون
في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله
عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعات وهذا في المعارف
وما في ان واللام وتوسط الفصل من التاكيد والاختصار لانهم المواظبون
على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او
بين يدي الله في القيامة وانا لنحن الصافون له في الصلاة والمنزهون له
عن السوء وان كانوا ليقولون اي مشركوا قريش لو ان عندنا
ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله
المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به
اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون
عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا
لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا
لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة
وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى
حين هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم
على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كأنه
قدامه فسوف يبصرون ما قضيناه لك من التاييد والنصرة والثواب
في الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون
روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم
فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة و
قيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار ونزل اي العذاب فساء
صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح
مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت فيهم الهجوم

والغارة فى الصباح سموا الغارة وان وقعت وقتا اخر وتول عنهم
حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد
تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف
المسرة وانواع المساة او الاول لعذاب الدنيا والثانى لعذاب الاخرة
سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما
حكى فى السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او
لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد
وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم
والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم
وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المومنين كيف يحمدونه
ويسلمون على رسله وعن على رضى الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى
من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة الى
اخر السورة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطى من الاجر
عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين
وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

بسم الله الرحمن الرحيم ص

وقرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصادة بمعنى المعارضة ومنه
الصدى فانه يعارض الصوت الاول اى عارض القران بعملك وبالفتح لذلك او
لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح فى موضع الجر فانها غير
مصروفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين على تاويل الكتاب والقران ذى
الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدى او للرمز بكلام مثل
صدق محمد او للسورة خبر المحذوف او لفظ الامر او للعطف ان جعل مقسما به و
الجواب محذوف دل عليه ما فى ص من الدلالة على التحدى والامر بالمعادلة اى
انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا الصادق او قوله بل الذين كفروا اى
ما كفروا به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به فى عزة اى استكبار عن
الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب
ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة

او

او الشرف والشهرة او ذكر ما يحتاج اليه فى الدين من العقائد والشرائع والمواعيد
والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ فى غرة اى غفلة عما يجب
عليهم النظر فيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به
استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين
مناص اى ليس الحين حين مناص ولا هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث
للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين
وقيل هى النافية للجنس اى ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره
اى ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم او مبتدا محذوف الخبر اى
ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا
صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان
كما ان لولا تجر الضمائر فى نحو قوله لولاك فى ذا العام لم احجج او لان اوان شبيهة
باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله وان صح ثم حمل عليه مناص تنزيلا
لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله مناصهم ثم بنى الحين
لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء
والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الامام
ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل
اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون
زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان
جاءهم منذر منهم بشر مثلهم وامى من عدادهم وقال الكافرون
وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم
جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقول
على الله اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية التى كانت لهم
لواحد ان هذا لشئ عجاب بليغ فى العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا
وما نشاهده من ان الواحد لا يفى علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا
وهو ابلغ ككرام وكرام روى انه لما اسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش
فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء
وانما جئناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال له هؤلاء قومك يسالونك السوء فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه
السلام ماذا يسالوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك

قال ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا
ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب
بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قائلين بعضهم لبعض
امشوا واصبروا واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا تنفعكم مكالمته
وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق
الاندفاع بالقول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية
اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد
ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه
من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده
كل احد او ان دينكم لشيء يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه ما سمعنا
بهذا بالذي يقوله في الملة الآخرة في الملة التي ادركنا عليها آباءنا
او في ملة عيسى التي هي آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا
من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة
ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر من بيننا
انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم وادون منهم في الشرف والرياسة
كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك
دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي
وقرأ قالون بمد الاولى وتليين الثانية شبه واو وكذلك ابن كثير وابو عمرو
واسمعيل الا انهم يقصرها بل هم في شك من ذكري من القرآن
او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون
به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب
بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به
حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك
بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها
عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله
يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي
لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك
فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما كأنه لما انكر

علم

علمهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها اردف
ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من
خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب
شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج يتوصل بها الى العرش
حتى يستووا عليه فيدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو
غاية التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات
لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب
اي هم جند ما من الكفار والمتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن
اين لهم تدابير الالهية والتصرف في الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون
وما مزيدة للتوكيد كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم
ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل
هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد
ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • في ظل
ملك ثابت الاوتاد • مأخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع
الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب
اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا
ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيضة
وهم قوم شعيب وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة اولئك الاحزاب
يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب
الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد
ليكون تسجيلا على استحقاقهم العذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب
وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم
وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم
بالذات وحضورهم في علم الله الا صيحة واحدة هي النفخة ما لها من
فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد فانه
فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به او الجنة
التي تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها
قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل

يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر
عبدنا داود اى واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية فى اعينهم فانه مع
علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته
ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما
الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك
ما لقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة
يقال فلان ايد وذو ايد وآد واياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضاة الله
وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة فى الدين وكان يصوم يوما ويفطر
يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره
ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة
على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشى والاشراق ووقت الاشراق
وهو حين تشرق الشمس اى تضئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها
فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه عليه السلام صلى
صلاة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلاة الضحى
الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة
بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة
بالابتداء والخبر كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع
الى التسبيح فالفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة فى التسبيح وهذا
على المداومة عليها او كل منها ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا
ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة
وقيل ان رجلا ادعى بقرة على اخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه
فاعلمه فقال صدقت انى قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت لذلك هيبته
وآتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب
وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المقصود
من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار
والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه يفصل المقصود
عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه
اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول صلى الله عليه وسلم
فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبؤا الخصم استفهام معناه التعجب

والتشويق

والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع اذ
تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام
واذ متعلق بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا المحراب او بالنبأ على ان المراد به
الواقع فى عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم
او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ اذ دخلوا
على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه
من فوق فى يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان
عليه السلام جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما
للاشتغال بحاجته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان فى يوم الخلوة
قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما
بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور
فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر فى الحكومة وقرئ ولا تشطط اى ولا تبعد
عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا
الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخى بالدين او بالصحبة
له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى الانثى من الضأن وقد يكنى بها
عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون
بفتح التاء ونعجة بالكسر وقرأ حفص بفتح ياء لى نعجة فقال اكفلنيها ملكنيها
وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى نصيبى وعزنى
فى الخطاب وغلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده
او فى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا
حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى اى غالبنى وعزنى على تخفيف عزنى قال
لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف اريد به المبالغة
فى انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق
المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول اخر بالى لتضمنه
معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط
ليبغى ليتعدى بعضهم على بعض وقرئ بفتح الياء على تقدير نون التوكيد الخفيفة
وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اى هم قليل وما مزيدة للابهام و
التعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة

هل تنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود
ركوعا لانه مبدأه او خر للسجود راكعا اى مصليا كانه احرم بركعتى الاستغفار
وأناب ورجع الى الله تعالى بالتوبة واقصى ما فى القصة الاشعار بانه عليه
السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القضية فاستغفر
واناب عنه وما روى ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت
منها سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك
معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل
اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل وتزوجها هزوا وافتراء ولذلك
قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته
مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا
عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان
ينتقم منهم وظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب
فغفرنا له ذلك اى ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة
بعد المغفرة وحسن مآب مرجع فى الجنة يا داود انا جعلناك
خليفة فى الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من
الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى
ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتظليم
الاخر قبل مسائلته فيضلك عن سبيل الله دلائله التى نصبها على الحق
ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة
الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين اى للباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو
مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة
الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب
هذا الظن ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض
ام منقطعة والاستفهام فيه للانكار والتسوية بين الحزبين التى هى من لوازم خلقها
باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر

التسوية

التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم
ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية
من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما
ان يكون فى الدنيا والغالب فيها عكس ما تقتضى الحكمة فيه او فى غيرها وذلك
يستدعى ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك
مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا
ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ لتدبروا
على الاصل ولتدبروا اى انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب
وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم
من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان
لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما يستقل به العقل ولعل التدبر للاول
والتذكر للثانى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اى نعم العبد سليمان
اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح
مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور
بالعشى بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذى يقوم على طرف
سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يكون الا فى العراب الخلص
الجياد جمع جواد او جود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود فى الركض
وقيل جمع جيد روى انه عليه السلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس
وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى
غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته واستردها
فعقرها تقربا لله فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى اصل
احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدى تعديته وقيل
هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اى برك وحب الخير مفعول له
والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير
بها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو بفتح الياء حتى توارت بالحجاب اى غربت الشمس
شبه غروبها بتوارى المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليه
ردوها على الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف مسحا
بالسوق والاعناق اى بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته

اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير السؤوق
على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو بالسؤوق كما في موسى وقرئ
بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمن
والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا
انه قال لاطوفن على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله و
لم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فو الذي
نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت
الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغدوه في السحاب فما شعر الا ان القي على
كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من
الجزائر فقتل ملكها واصاب بنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا
عظيما على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدوا اليها
وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة
وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة
اذا دخل للطهارة اعطى خاتمه وكان ملكه فيها فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته
شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق
ونفذ حكمه في كل شيء الا فيه وفي نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها
لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت
يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان
وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم
فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم
لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله
لان التماثيل كانت جائزة حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب
اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون
ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او
لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال
على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة و
تقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما
يجعل الدعاء بصدد الاجابة وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء انك انت الوهاب
المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته

وقرئ

وقرئ الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة ولا تزعزع او لا تخالف
ارادته كالمامور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ
الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه وآخرين
مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في
الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا
عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب
ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران بالصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط
بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد
واوعد وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك
والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا فامنن او امسك فاعط
من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب
على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض
والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن
والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وان له عندنا لزلفى
في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة
واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص بن اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب
اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني باني مسني
وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها في الوصل الشيطان بنصب
اي بتعب وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولاها لقال
انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته
كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه
في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون
اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه و
اخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في
مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح
النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين
للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض
هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل
اي ما تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة

وباردة فاغتسل من الحارة واشرب من الاخرى ووهبنا له اهله بان
جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا لهم مثلهم و
مثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى
لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر والجا الى الله فيما يحيق
به وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من
الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روى ان زوجته ليا بنت يعقوب
وقيل رحمة بنت افرايم بن يوسف ذهبت لحاجة وابطات فحلف ان برئ
ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود انا
وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله
من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء انه قال ذلك خيفة
ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره
على الله واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب وقرا ابن كثير عبدنا
وضع الجنس موضع الجمع على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق
ويعقوب عطف عليه اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة
والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال
لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض
بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين
لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم للاخرة دائما فان
خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما ياتون ويذرون جوار الله
والفوز بلقائه وذلك في الاخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية
والدنيا معبر واضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى
الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن
المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير
او خير على تخفيفه كاموات جمع ميت او ميت واذكر اسمعيل واليسع هو
ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله رايت
الوليد بن اليزيد مباركا وقرا حمزة والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول
من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته
ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فاواهم وكفلهم وقيل كفل
بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة وكل اي وكلهم من الاخيار

هذا

هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف او نوع من الذكر وهو
القران ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين
لحسن ماب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن ماب وهو من
الاعلام الغالبة كقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب وانتصب
عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى
الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين
فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او متداخلان
من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استيناف لبيان حالهم
فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم
لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثم وعندهم قاصرات الطرف
لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن
لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب لانه يمسهم في وقت واحد هذا
ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرا
ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد
انقطاع هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر
ماب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد
المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم
لقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش هذا فليذوقوه اي ليذوقوا
هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدا خبره حميم
وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من
صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرا حمزة وحفص والكسائي غساق
بتشديد السين واخر اي مذوق او عذاب اخر وقرا البصريان واخرى ومذوقات
وانواع عذاب اخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد
الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر
وهي لغة ازواج اجناس خبر لاخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر
محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤسا الطاغين
اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة
والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج
او حال اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا رحبا وسعة انهم صالوا النار

دخلونا النار باعمالهم مثلنا قالوا اى الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا
بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه
لنا قدمتم العذاب او الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتم من العقائد
الزايغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اى
الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار
مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله
ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اى الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا
نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم
اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة
الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها فى الاستسخار منهم وقرأ
نافع وحمزة والكسائى سخريا بالضم وقد سبق مثله فى المؤمنين ام
زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان
المراد نفى رؤيتهم لغيبتهم وكانهم ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم
على القراءة الثانية بمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم
فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم ومنقطعة والمراد
الدلالة على استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم
على رثاثة حالهم ان ذلك الذى حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به
ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف
وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر
انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذى لا يقبل الشركة والكثرة
فى ذاته القهار لكل شئ رب السموات والارض وما بينهما
منه خلقها واليه امرها العزيز الذى لا يغلب اذا عاقب الغفار الذى
يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد
ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه ولان المدعو
هو الانذار قل هو اى ما انبأتكم به من انى نذير من عقوبة من هذه صفته وانه
واحد فى الوهيته وقيل ما بعده من نبأ ادم نبأ عظيم انتم عنه معرضون
لتمادى غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة
اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لى من علم بالملاء الاعلى
اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد

فى

فى الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحى واذ متعلق
بعلم او محذوف اذ التقدير من علم بكلام الملاء الاعلى ان يوحى الى الا انما
انا نذير مبين اى لانما كانه لما جوز ان الوحى ياتيه بين بذلك ما هو المقصود به
تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر
على الحكاية اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين بدل من اذ
يختصمون مبين له فان القصة التى دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة
وابليس فى خلق ادم واستحقاقه الخلافة والسجود على ما مر فى البقرة غير انها اختصرت
اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم
على النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ما حاق بابليس على استكباره على ادم وهذا
ومن الجائز ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملاء الاعلى
بما يعم الله والملائكة فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحى
واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له
فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه فى البقرة فسجد
الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين
باستكباره عن امر الله واستكباره عن المطاوعة او كان منهم فى علم الله قال يا
ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى خلقته بنفسى من غير توسط كاب
وام والتثنية لما فى خلقته من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد
وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعى للتعظيم او بانه الذى تشبث به
فى تركه وهو لا يصلح للمانع اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد
اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق او
كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الان ام لم تزل كنت من المستكبرين
وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها ام بمعنى الاخبار قال انا خير
منه ابدا المانع وقوله خلقتنى من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد
سبق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او السماء او من الصورة الملكية
فانك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتى الى يوم
الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى
يوم الوقت المعلوم مر بيانه فى الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته
وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين قال فالحق

والحق اقول اى فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف
حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملأن جهنم منك
وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف
والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اى الحق
يمينى وقسمى او الخبر اى انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله
كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم فى الاول وحكاية لفظ المقسم به
فى الثانى للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره بنصب
الثانى وتخريجه على ما ذكرنا والضمير فى منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك
من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تأكيد له او للضميرين
قل ما اسألكم عليه من اجر اى على القران او تبليغ الوحى وما انا من
المتكلفين المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالى فانتحل النبوة واتقول
القران ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه
من الوعد والوعيد او صدقه باتيان ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيمة
او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص
كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب
خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول صلة
التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على
الاول السورة وعلى الثانى القران وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره
وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ
برفع الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد
من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه
الا لله الدين الخالص اى الا هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة
فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر والذين اتخذوا
من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى و
الاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ

خبره

خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول و
ان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثانى وعلى هذا يكون القول المضمر بما فى
حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبد
الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم
فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة
ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم
ان الله لا يهدى لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار
فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما
يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه الا هو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع
وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق
لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله
الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجود المستلزم للوحدة
الذاتية وهى تنافى المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب
من المشترك والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج الى
الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور
الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشى كل واحد منهما الاخر كانه
يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله
كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر
كل يجرى لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز
القادر على كل ممكن الغالب على كل شئ الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب
ما فى هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم
جعل منها زوجها استدلال آخر بما اوجده فى العالم السفلى مبدوا به من خلق
الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق
ادم اولا من غير اب وام ثم خلق حوا من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر
منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اى من
نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الايتين
فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر
ثم خلق منه حوا وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف
بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة

الكواكب والامطار مِنَ الانعامِ ثمانيةَ ازواجٍ ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير انه غلب اولى العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلقٍ حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلماتٍ ثلاثٍ ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله اللهُ ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه غيره في الخلق فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غنيٌّ عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرةٌ وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليمٌ بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضرٌّ دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدأ الكل منه ثم اذا خوّله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمةً منه من الله نسي ما كان يدعو اليه نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثله الذي في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبلُ من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشهٍّ لا سند له واقناط للكافر من التمتع في الاخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امّن هو قانتٌ قائم بوظائف الطاعات آناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت كمن هو بضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل له اندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت وقرأ بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه في موضع الحال او الاستيناف للتعليل قل هل يستوي الذين لا يعلمون والذين يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية

بعد

بعد نفيها باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادِ الذين امنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ اي للذين احسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الاخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه بيان لكل حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث ما يتمكن منه انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعات من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى لا يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبقة في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والريا عذاب يومٍ عظيمٍ لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم

وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك
هو الخسران المبين مبالغة فى خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير
بالا وتوسط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم
ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هى ظلل للاخرين
ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذى يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم
فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى والذين اجتنبوا
الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة
فى المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة فى النعت ولذلك اختص بالشيطان
ان يعبدوها بدل اشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما
سواه لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت
فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر
موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبداء اجتنابهم وانهم نقاد فى الدين يميزون
بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك الذين هديهم الله
لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة
وفى ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها افمن حق عليه
كلمة العذاب افانت تنقذ من فى النار جملة شرطية معطوفة على محذوف
دل عليه الكلام تقديره انت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه
فكررت الهمزة فى الجزاء لتاكيد الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير
لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه
وان اجتهاد الرسول فى دعائهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار ويجوز ان يكون
افانت تنقذ جملة مستانفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن
الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالى بعضها فوق بعض مبنية
بنيت بناء المنازل على الارض تجرى من تحتها الانهار اى من تحت تلك الغرف
وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد
لان الخلف نقص وهو على الله محال الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر
فسلكه فادخله ينابيع فى الارض هى عيون ومجارى كائنة فيها او مياه
نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر او الحال ثم يخرج
به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة
وغيرها ثم يهيج يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه

مصفرا

مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان فى ذلك لذكرى
لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل للحياة الدنيا فلا يغتر
بها لاولى الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله صدره
للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله
غير متابية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابل
للاسلام فهو على نور من ربه يعنى المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه صلى الله
عليه وسلم اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال
الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله وخبره
محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل
ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسى من اجل الشئ اشد تابيا
عن قبوله من القاسى عنه لسبب اخر وللمبالغة فى وصف اولئك بالقبول
وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب
واسنده اليه اولئك فى ضلال مبين يظهر للناظر بادى نظر والاية نزلت
فى حمزة وعلى وابى لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعنى القران روى
ان اصحاب رسول الله ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفى الابتداء باسم الله
وبناء نزل عليه تاكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا
متشابها بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه فى الاعجاز وتجاوب
النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثانى جمع مثنى او مثنى او
مثن على ما مر فى الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القران سور وايات
والانسان عظام وعروق واعصاب او جعل تمييزا من متشابها كقولك رايت
رجلا حسنا شمائله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا
مما فيه من الوعيد وهو مثل فى شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من
حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر
من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة
وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه
والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمينان وذكر القلوب لتقدم الخشية التى
هى من عوارضها ذلك اى الكتاب هدى الله يهدى به من يشاء هدايته
ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلال افمن يتقى
بوجهه يجعله درقة تقى به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقى

الا بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في
نظائره وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا
بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال
وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في
الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الآخرة
المعد لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر
لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه
الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد
فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال
فيه بوجه ما وهو ابلغ من المستقيم واختص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله
وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقوله غير مكذوب وهو تخصيص له ببعض مدلوله
لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد
رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه
مذهبه بان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك
فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد
بمن خلص لواحد ليس لغيره سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس
والتشاخس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح
السين وكسرها مع سكون العين وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذا او رجل
سالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان
مثلا صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف
النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل
مثل رجل الحمد لله كل الحمد لله لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك
على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم انك ميت
وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون
لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيمة عند ربكم
تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك
واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل
مثل اطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم

بعضا

بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد
والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ
جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك
يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة
فانهم مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء الرسول به
بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين
لقوله اولئك هم المتقون وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن
تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول
والمصدق ابو بكر وذلك يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف
اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه
وصدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم في الجنة ذلك جزاء
المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوء الذي عملوا خص الاسوء
للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب
يحسبون مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر اسوء ذنوبهم ويجوز
ان يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسواء جمع سوء
ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم
محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله
بكاف عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبياء
صلوات الله عليهم وسلامه ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا
فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا لعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا ليكسر
العزى فقال له سادنها احذركها ان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف
خالد منزلة تخويفه لانه الآمر له بما خوف عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن
كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه الى الرشاد
ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب منيع
ذي انتقام ينتقم من اعدائه ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل افرايتم ما تدعون
من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارايتم بعد ما
تحققتم ان خالق العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبني ضر هل يكشفنه

او ارادنى برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكها عنى وقرأ ابو عمرو
كاشفات ضره ممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبى الله
كافيا فى اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقدير انه القادر الذى لا مانع لما يريده
من خير او شر روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما
قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها
عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرأ ابو بكر
مكاناتكم انى عامل اى على مكانتى فحذف للاختصار والمبالغة فى الوعيد والاشعار
بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على ممر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم
بكونه منصورا عليهم فى الدارين فقال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه فان خزى اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب
مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم
فانه مناط مصالحهم فى معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه
اى نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما
انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد
بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها اى يقبضها
عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك عند
الموت او ظاهرا لا باطنا وهو فى النوم فيمسك التى قضى عليها الموت
ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد والموت
بالرفع ويرسل الاخرى اى النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى
هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روى عن ابن عباس ان فى
ابن ادم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتميز والروح
التى بها النفس والحيوة فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم
قريب مما ذكرنا ان فى ذلك من التوفى والامساك والارسال لايات
على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون فى كيفية تعلقها
بالابدان وتوفيها عنها بالكلية عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما
يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة فى توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا
بعد حين الى ان توفى اجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله
شفعاء تشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون

ايشفعون

ايشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم
قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء
اشخاص مقربون هى تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد
شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات
والارض فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم فى امره دون اذنه ورضاه
ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر الله
وحده دون الهتهم اشمأزت انقبضت ونفرت قلوب الذين لا يؤمنون
بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه يعنى الاوثان اذا هم يستبشرون
لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله وقد بالغ فى الامرين حتى ذكر الغاية فيهما
فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز
ان يمتلئ غيظا وغما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل فى اذا المفاجاة قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة التجا الى الله بالدعاء لما
تحيرت فى امرهم وعجزت فى عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشيا
والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
فانت وحدك تقدر ان تحكم بينى وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وعيد
شديد واقناط كلى لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفى لهم فى الوعد وبدا
لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم وكسبهم حين تعرض صحائفهم
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان
ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده
بالفاء لبيان مناقضتهم فى تعكيسهم فى التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله
وحده ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره
دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم
اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به قال
انما اوتيته على علم منى بوجوه كسبه او بانى سأعطاه لما لى من استحقاقه
او من الله بى واستحقاقى والهاء ما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير
لان المراد شئ منها بل هى فتنة امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله
وتأنيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم

لا يعلمون ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله بسطا او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا من الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما روي انه عليه السلام قال ما احب ان تكون لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم القرآن او المأمور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى ‹ ورب بقيع لو هتفت بجوّه

اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا يا حسرتا وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت ما قصرت في جنب الله في جانبه اي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق ‹ له كبد حرى عليك تقطع › وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروءة والندى ‹ في قبة ضربت على ابن الحشرج › وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين باهله ومحل وان كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص لها باهم اقسامه وبالسعادة وبالعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استئناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد ومقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال

تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول
ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي
مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه ﴿والذين كفروا بآيات الله
اولئك هم الخاسرون﴾ متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض
للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار
بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم
وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد بآيات الله
دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده و
تخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب ﴿قل افغير الله تأمروني
اعبد ايها الجاهلون﴾ اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتأمروني
اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا ونؤمن
بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمرونني اعبد لانه بمعنى
تعبدونني على ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله احضر الوغى ويؤيده قراءة اعبد
بالنصب وقرأ ابن عامر تأمرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية
فانها تحذف كثيرا ﴿ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك﴾ اي من الرسل
﴿لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ كلام على سبيل الفرض
والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب
باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط
يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به
في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف
الخسران عليه من عطف المسبب على السبب ﴿بل الله فاعبد﴾ رد لما امروه به ولولا
دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك ﴿وكن من الشاكرين﴾ انعامه عليك
وفيه اشارة الى موجب الاختصاص ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ما قدروا
عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد
﴿والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه﴾ تنبيه
على عظمته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة
على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة
واليمين حقيقة ولا مجازا لقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت

بمعنى

بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة
وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان
المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات
على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها ﴿سبحانه
وتعالى عما يشركون﴾ ما ابعد واعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم
او ما يضيفون اليه من الشركاء ﴿ونفخ في الصور﴾ يعني المرة الاولى ﴿فصعق
من في السموات ومن في الارض﴾ خر ميتا او مغشيا عليه ﴿الا من شاء الله﴾
قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ﴿ثم نفخ فيه
اخرى﴾ نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاولى ونفخ في الصور نفخة واحدة
كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل النصب والرفع ﴿فاذا هم قيام﴾ قائمون من
قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ﴿ينظرون﴾ وهو حال من ضميره
والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم ﴿واشرقت
الارض بنور ربها﴾ بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق
كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض
او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه ﴿ووضع
الكتاب﴾ الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف
الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ تقابل به
الصحائف ﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين
وقيل المستشهدون ﴿وقضي بينهم﴾ بين العباد ﴿بالحق وهم لا يظلمون﴾
بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾
جزاءه ﴿وهو اعلم بما يفعلون﴾ فلا يفوته شيء من افعالهم ثم فصل التوفية وقال
﴿وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا﴾ افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت
اقدامهم في الضلالة والشرارة جمع زمرة وهي الجمع القليل واشتقاقها من الزمر وهو
الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر
قليل المروة ﴿حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها﴾ ليدخلوها وحتى هي التي يحكى
بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء ﴿وقال لهم خزنتها﴾ تقريعا
وتوبيخا ﴿الم يأتكم رسل منكم﴾ من جنسكم ﴿يتلون عليكم آيات ربكم و
ينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل
على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب

والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا لقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل لانه قطع الحيوة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار نشورا اي ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس بشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرئ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود والسجود والفطور لما يتوضأ به ويوقد به ويتسحر به ويفطر به قال عم التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احديهن بالتراب وقيل بليغا كاملا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب في توصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فيهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله

اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب السماوية او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما امطر عام اقل من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الاية او في الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا اي الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا امطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط او امارات بجعل الله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة والرسالة والتبليغ لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق وتبليغ ما ارسلت به الرسل اليهم فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن او بترك اطاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها مسترجة هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذاب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت

لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ليزيلوه به فَأَخَذْتُهُمْ بالاهلاك جزاء لهم فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ فانهم يمرون على ديارهم ويرون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وَكَذَلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ وعيده وقضاؤه بالعذاب عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا لكفرهم أَنَّهُمْ
أَصْحَابُ النَّارِ بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى
الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا
وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له او كناية عن قربهم من ذي
العرش ومكانتهم عنده وتوسيطهم في نفاذ امره يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ يذكرون
الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان
الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح وَيُؤْمِنُونَ بِهِ اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله
وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم
شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان
المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانه اقوى المناسبات
كما قال انما المؤمنون اخوة رَبَّنَا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال
وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا اي وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق
في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومها وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات
ههنا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق
وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على
شدة العذاب رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وعدتهم اياها
وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ عطف على هم الاول اي ادخلهم ومعهم
ليتم سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الذي لا يمتنع عليه مقدور الْحَكِيمُ الذي لا يفعل الا ما تقتضيه
حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ العقوبات او جزاء السيئات
وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله وَمَنْ تَقِ
السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الاخرة
كأنهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ يوم القيمة
فيقال لهم لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم
انفسكم الامارة بالسوء إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ظرف لفعل دل عليه
المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا

جزاء اعمالهم الخبيثة الا ان يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان
المقتين واحد قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ اماتتين بان خلقتنا اولا امواتا
ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة
ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر
الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقبوليه تصيير وصرف له
عن الاخر وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ الاحياء الاولى واحياء البعث وقيل الاماتة
الاولى عند انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء
ان ما في القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه
ولم يكترثوا به ولذلك تسبب لقوله فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فان اقترافهم لها
من اغترارهم بالدنيا وانكارهم البعث فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ نوع خروج من
النار مِنْ سَبِيلٍ طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا
وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذَلِكُمْ الذي انتم فيه بِأَنَّهُ بسبب انه
إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه في
الحالية كَفَرْتُمْ بالتوحيد وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا بالاشراك فَالْحُكْمُ
لِلَّهِ المستحق للعبادة الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ من ان يشرك به ويسوى بغيره
حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة بالعذاب
السرمد هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم
تكميلا لنفوسكم وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا اسباب رزق كالمطر مراعاة
لمعاشكم وَمَا يَتَذَكَّرُ بالايات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المعقول
عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى إِلَّا مَنْ يُنِيبُ يرجع عن الانكار
بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فَادْعُوا
اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ من الشرك وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ اخلاصكم وشق
عليهم رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ خبران اخران للدلالة على علو صمديته
من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية وان من ارتفعت درجات
كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني في قبضة
قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة
الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيعا بالنصب على المدح يُلْقِي
الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره
باظهار اثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن

امره بيانه لانه امر بالخير او مبدأه والامر هو الملك المبلغ على من يشاء من عباده
يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن
فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب تؤيد الثانى يوم التلاق يوم
القيمة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السموات واهل الارض و
المعبودون والعباد او الاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون من
قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شئ او ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشى الابدان
او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شئ من اعيانهم واعمالهم واحوالهم
وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم فى الدنيا لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل
عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائل واما حقيقة الحال
فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق
وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها والمها
لكنها لا تشعر بها فى الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق
وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله
سريع الحساب اذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا
وانذرهم يوم الآزفة اى القيمة سميت بها لازوفها اى قربها او الخطة الآزفة
وهى مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر لانها ترتفع
عن اماكنها فتلتصق بحناجرهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين
على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها
فى لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها
خاضعين او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من حميم
قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر
كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم
خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه
او خيانة الاعين وما تخفى الصدور من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على ان
ما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضى بالحق لانه المالك الحاكم
على الاطلاق فلا يقضى بشئ الا وهو حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشئ تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضى او لا يقضى وقرأ نافع وهشام بالتاء
على الالتفات واضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين

وقضائه

وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من
دونه اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا
من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم
قوة قدرة وتمكنا وانما جئ بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل
من المعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وآثارا فى الارض مثل القلاع والمدائن
الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله
بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ
بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والاحكام الواضحة
فكفروا فاخذهم الله انه قوى متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب
لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعنى المعجزات
وسلطان مبين وحجة قاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات
كالعصا تفخيما لشأنه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر
كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة
من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق
من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم
اى اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كى يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد
الكافرين الا فى ضلال فى ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم
والدلالة على العلة وقال فرعون ذرونى اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله
ويقولون انه ليس الذى تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته
بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا فى اهون شئ دليل على انه تيقن انه نبى فخاف
من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد
وعدم مبالاة بدعائه انى اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما
انتم عليه من عبادتى وعبادة الاصنام لقوله ويذرك والهتك او ان يظهر فى
الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم
بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن
عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى
اى لقومه لما سمع كلامه انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب صدر الكلام بان تأكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد فى دفع الشر
هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه اليه واليهم

حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون
وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له
على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت فيه وفي الدخان بالادغام
وعن نافع مثله ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ من اقاربه وقيل من متعلق
بقوله ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ والرجل اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم ﴿أَتَقْتُلُونَ
رَجُلًا﴾ اتقصدون قتله ﴿أَنْ يَقُولَ﴾ لان يقول او وقت ان يقول من غير روية
وتأمل في امره ﴿رَبِّيَ اللَّهُ﴾ وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد
﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات
﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى
الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا
يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في
التحذير واظهار الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصيبكم
ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم
وتفسير البعض بالكل كقول لبيد • تراك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط بعض النفوس
حمامها • مردود لانه اراد بالبعض نفسه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
كَذَّابٌ﴾ احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى
البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة
لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به
لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وسبيل النجاة ﴿يَا قَوْمِ
لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ غالبين عالين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ارض مصر ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا
مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان
منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ﴾
ما اشير عليكم ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾ واستصوبه من قتله او ما اعلمكم الا ما علمت من الصواب
وقلبي ولساني متواطئان عليه ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ طريق الصواب
وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من
ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات
﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ في تكذيبه والتعرض له ﴿مِثْلَ يَوْمِ
الْأَحْزَابِ﴾ مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى

عن

عن جمع اليوم ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ مثل جزاء ما كانوا عليه
دائبا من الكفر وايذاء الرسل ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ كقوم لوط ﴿وَمَا اللَّهُ
يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو
ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته
بالظلم ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ يوم القيمة ينادي فيه بعضهم
بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب
النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يفر بعضهم من بعض كقوله
يوم يفر المرء من اخيه ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ﴾ عن الموقف ﴿مُدْبِرِينَ﴾ منصرفين عنه الى
النار وقيل فارين عنها ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ يعصمكم من عذابه ﴿وَمَنْ
يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾ يوسف بن يعقوب على
ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد او سبطه يوسف
ابن ابرهيم بن يوسف ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل موسى ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَمَا
زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ من الدين ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾ مات ﴿قُلْتُمْ لَنْ
يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من
بعده او جزما بانه لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله
على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الاضلال ﴿يُضِلُّ اللَّهُ﴾
في العصيان ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم
والانهماك في التقليد ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ بدل من الموصول
الاول لانه بمعنى الجمع ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان
يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر
مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر ﴿كَذَلِكَ﴾ اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله
﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم
وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما
كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا
ظهر ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ الطرق ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ بيان لها وفي
ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾
عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا

في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية يدل على الحوادث
الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى
بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود
الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان لجهله بالله وكيفية استنبائه وَاِنِّي
لَاَظُنُّهُ كَاذِبًا في دعوى الرسالة وَكَذٰلِكَ ومثل ذلك التزيين زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ
سُوٓءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله ويدل على
هذا انه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو
وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات
ويؤيده وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ اِلَّا فِي تَبَابٍ في خسار وَقَالَ الَّذِيٓ اٰمَنَ
يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ اَهْدِكُمْ بالدلالة سَبِيلَ
الرَّشَادِ سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه
سبيل الغي يَا قَوْمِ اِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ تمتع يسير لسرعة زوالها
وَاِنَّ الْاٰخِرَةَ هِيَ لخلودها دَارُ الْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزٰىٓ اِلَّا مِثْلَهَا
عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ
اَوْ اُنْثٰى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَاُولٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ
بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال
وجعل الجزاء اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل
العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك
وَيَا قَوْمِ مَا لِيٓ اَدْعُوكُمْ اِلَى النَّجٰوةِ وَتَدْعُونَنِيٓ اِلَى النَّارِ كرر نداءهم ايقاظا لهم
عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه
وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول
فان ما قبله ايضا تفسير لما احمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تَدْعُونَنِي لِاَكْفُرَ
بِاللّٰهِ بدلا وبيان فيه تعليل والدعوة كالهداية في التعدية بالى واللام وَاُشْرِكَ
بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان
فاعتقادها لا يصح الا عن ايقان وَاَنَا اَدْعُوكُمْ اِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ المستجمع
لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة و
التمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لَا جَرَمَ لا رد لما دعوه اليه وجرم
فعل بمعنى حق وفاعله اَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ اِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْاٰخِرَةِ
اي حق عدم دعوة آلهتكم اي عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها

وعدم

وعدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن
فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان
دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق
والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا
ويؤيده قولهم لا جُرْم انه يفعل لغة فيه كالرُّشد والرَّشَد وَاَنَّ مَرَدَّنَآ اِلَى اللّٰهِ
بالموت وَاَنَّ الْمُسْرِفِينَ في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هُمْ
اَصْحٰبُ النَّارِ ملازموها فَسَتَذْكُرُونَ فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة
العذاب مَآ اَقُولُ لَكُمْ من النصيحة وَاُفَوِّضُ اَمْرِيٓ اِلَى اللّٰهِ ليعصمني من كل سوء
اِنَّ اللّٰهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فيحرسهم وكانه جواب توعدهم المفهوم من قوله فَوَقٰىهُ
اللّٰهُ سَيِّاٰتِ مَا مَكَرُوا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى عليه السلام وَحَاقَ
بِاٰلِ فِرْعَوْنَ بفرعون وقومه فاستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل
بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش
صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سُوٓءُ الْعَذَابِ الغرق او القتل او النار
اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا جملة مستانفة او النار خبر محذوف ويعرضون
استيناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص
او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها
من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن
ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم
القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد وفيه دليل على ابقاء النفس وعذاب
القبر وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ اي هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل
لهم اَدْخِلُوٓا اٰلَ فِرْعَوْنَ يا آل فرعون اَشَدَّ الْعَذَابِ عذاب جهنم فانه اشد
مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص
ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار وَاِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي النَّارِ واذكر وقت
تخاصمهم فيها ويحتمل العطف على غدوا فَيَقُولُ الضُّعَفٰٓؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوٓا
تفصيل لهم اِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع بمعنى اتباع على
الاضمار او التجوز فَهَلْ اَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ بالدفع او الحمل
ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قَالَ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوٓا اِنَّا كُلٌّ فِيهَآ نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا

وقرئ كلا على التأكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا
من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك
كل يوم لك ثوب إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ بان ادخل اهل الجنة الجنة و
اهل النار النار ولا معقب لحكمه وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ اى
لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل اولبيان محلهم ويحتمل ان تكون جهنم
ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا
يَوْمًا قدر يوم مِنَ الْعَذَابِ شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول بحذف
المضاف ومن العذاب بيانه قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
اراد وابه الزامهم الحجة وهو بيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة
قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن في الدعاء لامثالكم وَمَا
دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ضياع لا يجاب وفيه اقناطهم عن الاجابة
إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ اى في الدارين ولا ينتقض ذلك
بما كان لهم من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد
كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة
والانبياء والمؤمنين يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ بدل من الاول وعدم
نفع المعذرة لانها باطلة اولانه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقد قرأ غير الكوفيين ونافع
بالتاء وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ البعد من الرحمة وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ جهنم وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْهُدَى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع وَأَوْرَثْنَا
بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وتركنا عليهم بعده من التوراة هُدًى وَذِكْرَى هداية وتذكرة
اوهاديا ومذكرا لِأُولِي الْأَلْبَابِ لذوى العقول السليمة فَاصْبِرْ على اذى
المشركين إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بالنصر حَقٌّ لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون
وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام
بامر العدا بالاستغفار فانه تعالى كافيك في النصر واظهار الامر وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ
كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ
اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركى مكة او اليهود
حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح ابن داود يبلغ سلطانه البر والبحر ويسير معه
الانهار إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ الا تكبر عن الحق وتعظيم عن التفكر والتعلم

او

او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكونان الا لهم مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ
ببالغى دفع الايات او المراد فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ فالتجئ اليه إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ لاقوالكم وافعالكم لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ
النَّاسِ فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان
ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه امر التوحيد وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم هواهم
وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ الغافل والمستبصر فينبغى ان يكون لهم حال يظهر
فيها التفاوت وهى ما بعد البعث وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ
لَا الْمُسِيءُ والمحسن والمسئ وزيادة لا في المسئ لان المقصود نفى مساواته للمحسن
وفيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على
الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل
قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ اى تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار
وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب اوالالتفات اوامر الناس للرسول
بالمخاطبة إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا في مجيئها لوضوح الدلالة
على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ
لا يصدقونها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي
اعبدونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ اثيبكم لقوله إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار
الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ
ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
لِتَسْكُنُوا فِيهِ لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف الحركات
وهدو الحواس وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة
ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ لا يوازيه
فضل ولا يشاربه لم يقل المفضل وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ
لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذَلِكُمُ
المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق
بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة
فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فكيف ومن اى وجه تصرفون من عبادته الى عبادة غيره كَذَلِكَ

يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد
بآيات الله ولم يتأملها الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء
استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم
منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة
الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم
الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب مفتقر
بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية لا اله الا هو
اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه
مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين
قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني
البينات من ربي من الحجج والآيات او من الآيات فانها مقررة لادلة العقل منبهة
عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين اي لان انقاد له واخلص له ديني
هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا
اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تأويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم
اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا
شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام
شيوخا بضم الشين وقرئ شيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل
من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى
هو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر
هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن
فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على
ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد
الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير
ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب
بالقرآن او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او الوحي
والشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم ظرف
ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه والسلاسل عطف
على الاغلال او مبتدأ خبره يسحبون في الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها
وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول

وعطف

وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم
بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار
يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه
سجر بالحب اي ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى
بعض ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا
غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع
منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا
بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك
مثل ذلك الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة
او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم
تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان
وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ
ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها
مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس
مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثوى عبر بالمثوى
فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان
نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها
بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا
يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك
محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او
لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر
الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا
عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة
وعشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان يأتي
بآية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته
كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها
فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق
وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات
بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها

تاكلون فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب كالابل والبقر ولكم
فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك
ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد
به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون لاغراض دينية واجبة
او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال
قدرته وفرط رحمته فاي آيات الله اي اية من تلك الايات تنكرون
فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان
الاولى رفعه والتفرقة بالفاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا
اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع
ونحوهما وقيل آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون الاولى نافية والثانية استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة
او مصدرية مرفوعة فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات
الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم
عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادرك علمهم في الاخرة
وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما
على زعمهم تهكما بهم او من علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم
الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار وسوء
عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم و
استهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما
كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى
لان قوله فما اغنى عنهم والباقيتان لان رؤية الباس مسببة عن مجيء الرسل
وامتناع نفع الايمان مسببة عن الرؤية سنة الله التي قد خلت في عباده
اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر
هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس اسم مكان استعير للزمان عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد

ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

بسم الله الرحمن الرحيم حم
ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديد الحروف
فتنزيل خبر محذوف او مبتدا لتخصيصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين
بدل منه او خبر اخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم و
تسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة
التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية
فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها
من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرآنا عربيا
نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم
يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل
او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به
والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض
اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة وقالوا
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم
واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل
ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدئ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة
ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم
ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول فاعمل على دينك
او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال امرك قل انما انا
بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم
التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد
والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا
اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص
في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هدد على
ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين
لا يؤتون الزكاة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل

وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم
وهو الايمان والطاعة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ حال مشعرة بان امتناعهم
عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للاخرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لا يمن عليهم من المن واصله الثقل
او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا
عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ
بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل
نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام
البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت
انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ ولا يصح
ان يكون له ند ﴿ذَلِكَ﴾ الذي خلق الارض في يومين ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ خالق
جميع ما وجد من الممكنات ومربيها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ استئناف غير معطوف
على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ مرتفعة عليها ليظهر للناظر
ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾
واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النباتات والحيوان ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾
اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص
حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾
في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمسة عشر
ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين والتصريح
على الفذلكة ﴿سَوَاءً﴾ اى استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل
عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع
على هي سواء ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن
مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اى قدر فيها الاقوات للطالبين لها ﴿ثُمَّ
اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه
توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة
لقوله والارض بعد ذلك دحيها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها
﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت
منها ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا﴾ بما خلقت فيكما من التاثير والتاثر وابرزا
ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على

ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها
واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليات كل منكما الاخرى
في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة وآتيا من المواتاة اى لتوافق
كل واحدة اختها فيما اردت منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ شئتما ذلك او ابيتما
والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما
وهما مصدران وقعا موقع الحال ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ منقادين بالذات
والاظهر ان المراد تصوير تاثير قدرته فيهما وتاثرهما بالذات عنها وتمثيلهما
بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما و
اقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على
المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾
فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع
سموات حال على الاول وتمييز على الثاني ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ قيل خلق السموات
يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾
شانها وما يتاتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها
باوامره ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ فان الكواكب كلها ترى كانها
تتلألأ عليها ﴿وَحِفْظًا﴾ اى وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا و
قيل مفعول له كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ﴿ذَلِكَ
تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ البالغ في القدرة والعلم ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الايمان
بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع
كانه صاعقة ﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي
المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا ﴿إِذْ
جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ﴾ حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا
لانذرتكم لفساد المعنى ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من جميع جوانبهم
واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار
ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعدلهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او
من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن
المتاخرين داعيين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله
ياتيها رزقها رغدا من كل مكان ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ بان لا تعبدوا اى
لا تعبدوا ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾ ارسال الرسل ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ برسالته

فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما
عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق
وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل
منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم
قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه
غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على
فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من
الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في
ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد وقرا الحجازيان والبصريان
بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن اخر شوال من الاربعا
الى الاربعا وما عذب قوم الا في يوم الاربعا لنذيقهم عذاب الخزي في
الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله
ولعذاب الاخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب
على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم . واما
ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب
بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على
الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون
صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما
كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل
وهو الله تعالى وقرا نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعدا فهم
يوزعون يحبس اولهم على اخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار
حتى اذا ما جاؤها اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور
شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله
او يظهر عليها اثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا
الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء
او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب والنطق بدلالة
الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون

يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استينافا وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون
من الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضيحة وما ظننتم ان اعضاكم
تشهد عليكم فيما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق
انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم ان الله لا يعلم
كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم
هذا وهو مبتداء وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم خبران له ويجوز
ان يكون ظنكم بدلا وارديكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا
للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى
لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسالوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبون
فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسالوا ان يرضوا
ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء
اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر
وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين
ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الاخرة وانكاره
وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله ان تك عن
احسن الصنيعة مافوكا ففي اخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت
من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين
تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه وعارضوه بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا
على القارى وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغي ولغا يلغو اذا هذى
لعلكم تغلبون اي يغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا
المراد بهم هولاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوء الذي كانوا
يعملون سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ذلك اشارة الى الاسوأ جزاء
اعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها في النار
دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار
عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق
ويلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا

الذين اضلانا من الجن والانس يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة
والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرا ابن كثير وابن
عامر ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ وفخذ وقرا الدوري
باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندسهما انتقاما منهما وقيل
نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين
قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في
العمل وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدا الاستقامة او لانها
عسرة قل ما يتبع الاقرار وما روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من
الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم
الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند
الموت او الخروج من القبر الا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على
ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحيوة
الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة
وفي الاخرة بالشفاعة والكرامة حيث ما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم
فيها في الاخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون
ما تتمنون بالنسبة لما يعطون مما لا يخطر ببالهم نزلا للضيف ومن احسن
قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال
انني من المسلمين تفاخرا به او اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول
فلان لمذهبه والاية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء
وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع
السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد
مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستئناف على
انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع الاحسن موضع الحسنة
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك
صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها وما يلقى هذه السجية
وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن
الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال اليقين وقيل

الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به
وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوء وجعل النزغ نازغا
على طريقة جد جده واريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله
من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك
ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
لانهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة
المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار
ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا
لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة اخر الاية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا
عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار
اي دائما لقوله وهم لا يسأمون اي لا يملون ومن اياته انك ترى الارض
خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت اي زادت
ان الذي احياها بعد موتها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير من الاحياء
والاماتة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في اياتنا بالطعن
والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الالحاد
افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيمة قابل الالقاء بالنار بالاتيان
امنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه
بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
بدل من قوله ان الذين يلحدون في اياتنا او مستانف وخبر ان محذوف مثل معاندون
او هالكون او اولئك ينادون والذكر القران وانه لكتاب عزيز كثير النفع
عديم النظير او منيع لا يتاتى ابطاله وتحريفه لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية
تنزيل من حكيم اي حكيم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال
لك اي ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم
لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك
واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرانا اعجميا
جواب لقولهم هلا نزل القران بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت

اياته بينت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي كلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر
للتخصيص والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه وهذا قراءة ابي بكر وحمزة والكسائي
وقرأ قالون وابو عمرو بالمد والتسهيل وورش بالمد وابدال الثانية الفا
وابن كثير وابن ذكوان وحفص بغير المد وبتسهيل الثانية وقرئ اعجمي وهو منسوب
الى العجم وهشام اعجمي على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت اياته
فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال
مقترحهم باستلزامه المحذور او للدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت في الايات
كيف جاءت قل هو للذين امنوا هدى الى الحق وشفاء لما في الصدور
من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في اذانهم وقر على
تقدير هو في اذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه
وتعاميهم عما يريهم من الايات ومن جواز العطف على عاملين عطف ذلك على
للذين امنوا هدى اولئك ينادون من مكان بعيد اي هم تمثيل لهم
في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد اتينا
موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القران
ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ
او تقدير الاجال لقضي بينهم باستيصال المكذبين وانهم وان اليهود
او الذين لا يؤمنون لفي شك منه من التوراة او القران مريب موجب
للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها ضره وما
ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم الساعة
اي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها
جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع
وقرئ بجمع الضمير ايضا وما فيه نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان
تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى
ولا تضع بمكانه الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم
يناديهم اين شركائي بزعمكم قالوا اذناك اعلمناك ما منا من شهيد
من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ
او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من يشهد لهم
بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم
او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف

التمني

التمني لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة من النعمة
وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله
ورحمته وهذا هو صفة الكافر لقوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور اليأس
ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا
لي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول وما اظن الساعة
قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي ولئن قامت على
التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من
نعم الدنيا لاستحقاقه لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا
بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب
غليظ لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر
ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب
مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض
كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ
الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل ارأيتم
اخبروني ان كان القران من عند الله ثم كفرتم من غير نظر واتباع دليل من اضل
ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة شرحا
لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم اياتنا في الافاق يعني ما اخبرهم
النبي عليه السلام به من الحوادث الاتية واثار النوازل الماضية وما يسر الله له و
للخلفاء من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة
وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من عجائب
الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقران او الرسول
او التوحيد او الله اولم يكف بربك اي اولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد
كانه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى انه على كل شيء
شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك
باظهار الايات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك
وحالهم او ولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى
عليه خافية الا انهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية
من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء

وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق
لعلهما اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان كانا اسما واحدا فالفصل
ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي اليك والى الذين من
قبلك الله العزيز الحكيم اي مثل ما في هذه السورة من المعاني او ايحاء مثل ايحائها
اوحى الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية
للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان
كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك
والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى
كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده
اخبارا والعزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما في الارض وهو
العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه الاخر استيناف مقرر لعزته وحكمته
تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله
وقيل من دعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر بالنون والاول ابلغ لانه مطاوع
فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تنفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من
فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان
اعظم الآيات وادلها على علو شانه من تلك الجهات وعلى الثاني ليدل على الانفطار
من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي
مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في
الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان
بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم
اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى
الثاني دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة
الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من
دونه اولياء شركاء واندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم

فجازيهم

فمجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليك
امرهم وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا الاشارة الى مصدر يوحي
او الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر في القرآن في مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا
وقرآنا عربيا حالا منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهي مكة شرفها الله
ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيمة يجمع الخلائق فيه
او الارواح والاشباح او العمال والاعمال وحذف ثاني مفعولي الاول واول
مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب
فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم
في الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة
الجمع عليه وقرأ منصوبين على الحال منهم اي وتنذرهم جميعهم متفرقين بمعنى مشارفين
للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة
واحدة مهتدين او ضالين ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل
على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير اي ويدعهم من غير ولي و
لا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في الانذار
ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولي جواب
شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق وهو يحيي الموتى
وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقيا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار
فيه من شيء فامر من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز
المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه
فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الامور
واليه انيب ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم
او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله من
انفسكم من جنسكم ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اي وخلق للانعام
من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم
من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو والذر فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس
والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء
اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا
على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه
اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته

ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطى معنى ليس كمثله غير انه اكد لما ذكرناه
وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع
ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته انه بكل شىء عليم فيفعله على ما
ينبغى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما
وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن
بينهما من ارباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا
الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى احكام الله ومحله النصب على البدل
من هابه ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا فى هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة
كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم
اليه من التوحيد الله يجتبى اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين
ويهدى اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعنى الامم
السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما
جاءهم العلم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول او اسباب
العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا
ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى هو يوم القيمة او
اخر اعمارهم المقدرة لقضى بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا
وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعنى اهل الكتاب الذين كانوا فى عهد الرسول
او المشركين الذين اورثوا القران من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا لفى شك
منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القران مريب مقلق
او مدخل فى الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذى اوتيته فادع
الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان تكون اللام فى موضع
الى لافادة الصلة والتعليل واستقم كما امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله
ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب يعنى جميع الكتب
المنزلة لا كالكفار الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم فى تبليغ
الحكومات والشرائع والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة
العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولى امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل
مجاز بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق
للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه

المصير

المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس فى الاية ما يدل على متاركة الكفار رأسا
حتى تكون منسوخة باية القتال والذين يحاجون فى الله فى دينه من بعد
ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب
الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب
بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة
وعليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذى
انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله
من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذى يوازن به الحقوق ويسوى به
بين الناس او العدل بان انزل الامر به او الة الوزن اوحى باعدادها وما يدريك
لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل
قبل ان يفاجئك اليوم الذى توزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب
لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها استهزاء والذين امنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع
الثواب ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون فى
الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب
لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفى ضلال بعيد
عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد
عن الاهتداء الى ما وراءه الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف من البر لا تبلغها
الاوهام يرزق من يشاء اى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على
ما اقتضته حكمته وهو القوى الباهر القدرة العزيز المنيع الذى لا يغلب
من كان يريد حرث الاخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل
بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الاخرة والحرث فى الاصل القاء البذر فى
الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له فى حرثه فنعطه بالواحد عشرا الى سبعمائة
فما فوقها ومن كان يريد ثواب الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له
وما له فى الاخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ام لهم
شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا
بالتزيين لهم من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا
وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع
اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا كلمة

فى احد الشيئين يصدق انه فيهما فى الجملة وهو على جمعهم اذا يشاء فى اى
وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما تدخل على الماضى تدخل على المضارع
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء لان ما
شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما فى الباء من معنى
السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة
بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه
وما انتم بمعجزين فى الارض فائتين ما قضى عليكم من المصائب وما لكم من
دون الله من ولى يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته الجوار
السفن الجارية فى البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتاتم الهداة به كانه
علم فى راسه نار ان يشا يسكن الريح وقرا نافع وحده الرياح فيظللن
رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان فى ذلك لايات لكل صبار
شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر فى ايات الله والتفكر فى الائه
او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن
او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا
واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما فى قوله و
يعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا
على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون فى اياتنا
عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء
الستة لانه ايضا غير واجب وقرا نافع وابن عامر بالرفع على الاستيناف وقرئ
بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير اخرين
ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من
شئ فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون به مدة حياتكم وما عند الله خير وابقى
للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة
تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها فى الحيوة الدنيا فجاءت الفاء
فى جوابها بخلاف الثانية وعن على رضى الله عنه تصدق ابو بكر رضى الله عنه بماله كله
فلامه جمع فنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما
غضبوا هم يغفرون بما بعده عطف على الذين امنوا او مدح منصوب او مرفوع
وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرا
حمزة والكسائى كبير الاثم والذين استجابوا لربهم نزلت فى الانصار

دعاهم

دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له واقاموا
الصلوة وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون برايهم حتى يتشاوروا
ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم فى الامور وهو مصدر كالفتيا
بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون فى سبيل الخير والذين اذا اصابهم
البغى هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة
بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ
عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن
المتغلب مذموم لانه اغراء على البغى فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها
وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح
بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب
الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين فى الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه
بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة
انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويطلبون ما لا يستحقونه
تجبرا عليهم ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على
ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم
الامور اى ان ذلك منه فحذف كما حذف فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به
ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده من ناصر يتولاه بعد خذلان الله اياه
وترى الظالمين لما راوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا يقولون
هل الى مرد من سبيل اى الى رجعة الى الدنيا وتريهم يعرضون عليها
على النار ويدل عليه العذاب خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل
ينظرون من طرف خفى اى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف
كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول فى الدنيا
او لقال اى يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين فى عذاب مقيم
تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون
الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم
من قبل ان ياتى يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد
وقيل صلة ياتى اى من قبل ان ياتى يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجا يومئذ
مفر وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون فى صحائف اعمالكم تشهد عليه

السنتكم وجوارحكم فَاِنْ اَعْرَضُوا فَمَا اَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا رقيبا ومحاسبا
اِنْ عَلَيْكَ اِلَّا الْبَلَاغُ وقد بلغت وَاِنَّا اِذَا اَذَقْنَا الْاِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً
فَرِحَ بِهَا اراد بالانسان الجنس لقوله وَاِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ
فَاِنَّ الْاِنْسَانَ كَفُورٌ بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها و
لم يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم
فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث
انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع
الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة
لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء يَخْلُقُ مَا
يَشَاءُ من غير لزوم ومجال الاعتراض يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ اِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
الذُّكُورَ اَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَاِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا بدل من يخلق
بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض
اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم اخرين ولعل تقديم الاناث
لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما تعلق به مشيئة الله لا مشيئة
الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب
قلوب اباءهن او المحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير
العاطف في الثاني لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه
قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة اِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ فيفعل ما يفعل بحكمة و
اختيار وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ وما صح له اَنْ يُكَلِّمَهُ اللّٰهُ اِلَّا وَحْيًا كلاما خفيا يدرك
بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو
ما يعم المشافه به كما روى في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به
كما اتفق لموسى عليه السلام في طوى والطور لكن عطف قوله اَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
عليه يخصه بالاولى فالاية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام
والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله اَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِيَ بِاِذْنِهِ مَا يَشَاءُ او يرسل اليه نبيا فيبلغ اليه وحيه كما امره وعلى
الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر
لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون
وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت احوالا وقرا نافع او يرسل برفع
اللام اِنَّهُ عَلِيٌّ عن صفات المخلوقين حَكِيمٌ يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم

تارة بوسطة وتارة بغير وسط اما عيانا او من وراء حجاب وَكَذٰلِكَ
اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ رُوحًا مِنْ اَمْرِنَا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى
به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْاِيمَانُ اي قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل
المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا اي الروح او
الكتاب او الايمان نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا بالتوفيق للقبول والنظر فيه
وَاِنَّكَ لَتَهْدِي اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هو الاسلام وقرئ لتهدى اي ليهديك
الله صِرَاطِ اللّٰهِ بدل من الاولى الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ
خلقا وملكا اَلَا اِلَى اللّٰهِ تَصِيرُ الْاُمُورُ بارتفاع الوسائط والتعلقات
وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحمون له

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ حم

وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ اِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا اقسم بالقران على انه جعله قرانا
عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه والقران كقول ابي تمام
وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشيا استشهاد بما فيها من الدلالة
على المقسم عليه والقران من حيث انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة
او بين للعرب يدل على انه تعالى صيره كذلك لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لكي تفهموا معانيه
وَاِنَّهُ عطف على انا فِي اُمِّ الْكِتَابِ في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية
وقرا حمزة والكسائي امّ الكتاب بالكسر لَدَيْنَا محفوظا عندنا عن التغيير
لَعَلِيٌّ رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حَكِيمٌ ذو حكمة بالغة او
محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه
او حال منه ولدينا بدل منه او حال من ام الكتاب اَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا
افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة
اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف
اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض
او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء صفحة عنقك وقيل انه بمعنى
الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح

جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب
على لغتهم ليفهموه ﴿إِن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ اى لان كنتم وهو فى الحقيقة علة
مقتضية لترك الاعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائى ان بالكسر على ان الجملة شرطية
مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء ﴿وَكَمْ
أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم
بَطْشًا﴾ اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم
﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ وسلف فى القران قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول
ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ
الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا
اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم فى مواضع اخر
وهو الذى من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده
استيناف ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فتستقرون فيها وقرأ الكوفيون
مهدا ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ تسلكونها ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكى تهتدوا
الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
بِقَدَرٍ﴾ بمقدار ينفع ولا يضر ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ مال عنه النما
وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الانشار ﴿تُخْرَجُونَ﴾
تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح التاء وضم الراء
﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ اصناف المخلوقات ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ
وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى بغيره
اذ يقال ركبت الدابة وركبت فى السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب
على النادر ولذلك قال ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ اى ظهور ما تركبون وجمعه
للمعنى ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ تذكرونها بقلوبكم معترفين
بها حامدين عليها ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾
مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة
الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه السلام انه كان اذا وضع
رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان
الذى سخر لنا هذا الى قوله ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ اى راجعون واتصاله بذلك
لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغى للراكب

ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ متصل بقوله
ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة
بنات الله ولعله سماه جزءا كما سماه بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته
على الواحد الحق فى ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر
الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشانه
﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ﴾ معنى الهمزة فى ام الانكار و
التعجيب من شانهم حيث لم يقتنعوا بان جعلوا لله جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته جزءا
اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه به
كما قال ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ بالجنس الذى جعله له مثلا
اذ الولد لا بد وان يماثل الوالد ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ صار وجهه اسود فى الغاية
لما يعتريه من الكآبة ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملو قلبه من الكرب وفى ذلك دلالات على
فساد ما قالوا وتعريف البنين لما مر فى الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان فى
ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾
اى او جعلوا له او اتخذ من يتربى فى الزينة يعنى البنات ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾ فى
المجادلة ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأى ويجوز ان
يكون من مبتداء محذوف الخبر اى ومن هذه حاله ولده وفى الخصام متعلق
بمبين واضافة غير اليه لا تمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ
اى يربى وقرئ ينشأ ويناشأ بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى
﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ كفر اخر تضمنه مقالهم
شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا واخسهم
صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم
وقرئ أُنُثا وهو جمع الجمع ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ احضروا خلق الله اياهم
فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ
نافع ااشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآشهدوا بمد
بينهما برواية قالون ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ التى شهدوا بها على الملائكة ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾
اى عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم
وهى ان لله جزءا وانه بنات وهن الملائكة ويسألون من المسائلة ﴿وَقَالُوا لَوْ
شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾ اى لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم
فاستدلوا بنفى مشيئة عدم العبادة على امتناع النهى عنها او على حسنها وذلك

باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مامورا كان او منهيا حسنا كان او
غيره ولذلك جهلهم وقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون
تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدا وجوه فسادها
وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى
انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل
القران او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب
متمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون
اى لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد ابائهم الجهلة
والامة الطريقة التى تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى تكون
عليها الآم اى القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية
من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو
ذلك ضلال قديم وان متقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين
اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم
باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اى تتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى
من دين ابائكم وهو حكاية امر ماض وحى الى النذير او خطاب لرسول الله ويؤيد
الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون
اى وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا او يتفكروا فيه فانتقمنا منهم
بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ
قال ابرهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل
او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف ابائهم لابيه وقومه
انى براء مما تعبدون برئ من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى
فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء ككريم وكرام الا
الذى فطرنى استثناء او متصل على ان ما يعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا
يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اى اننى براء من آلهة تعبدونها
غير الذى فطرنى فانه سيهدين سيثبتنى على الهداية او سيهدين الى ما وراء ما
هدانى اليه وجعلها وجعل ابرهيم عليه السلام او الله تعالى كلمة التوحيد كلمة
باقية فى عقبه فى ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده و
قرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه اى فيمن عقبه لعلهم يرجعون

يرجع

يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحد بل متعت هؤلاء المعاصرين للرسول
صلى الله عليه وسلم من قريش وآباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا
بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على
ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم حتى جاءهم الحق
لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة فضموا
الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القران سحرا وكفروا به واستحقروا
الرسول وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين من احدى
القريتين عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى
فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعى
عظيم النفس بالتحلى بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف
الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم
والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا اى
وهم عاجزون عن تدبيرها وهى خويصة امرهم فى دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا
امر النبوة التى هى اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضى ان يكون حلالها
وحرامها من الله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم
التفاوت فى الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا
فى حوائجهم فيحصل بينهم تألف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال
فى الموسع ولا لنقص فى المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا فى ذلك ولا تصرف
فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك هذه يعنى النبوة وتبعها خير
مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا ان يكون
الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا فى الكفر اذا رأوا الكفار فى سعة وتنعم
لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من
فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها
يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال
او علة كقوله وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء
بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف ومسقوفا وسقفا وهو لغة فى سقف
ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون اى ابوابا وسررا من فضة وزخرفا
وزينة عطفا على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة وان كل ذلك لما
متاع الحيوة الدنيا ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرأ عاصم وحمزة

وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما والآخرة
عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الآخرة
لا في الدنيا واشعار بها لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان
وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الآخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الآفات
قل من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه
لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعمى يقال
عشي اذا كان في بصره آفة وعشي اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ نعشو على
ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرأ
يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفعه فهو له
قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع
الضمير للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له ويحسبون انهم مهتدون
الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي
وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاآنا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي
للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب
واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه
من التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب
مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في
سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين
في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسيمهم لكآبته عنائه اذ لكل منكم ما لا تسعه
طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول افانت تسمع الصم او تهدي العمي
انكار وتعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم
في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان في ضلال
مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم
في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم
وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة فانا منهم منتقمون
بعذاب في الدنيا والآخرة او نرينك الذي وعدناهم او ان اردنا ان نريك ما
وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذي
اوحي اليك من الآيات والشرائع وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله تعالى انك

على

على صراط مستقيم لا عوج له وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف
تسألون اي عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه واسأل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا اي اسأل اممهم وعلماء دينهم وقرأ ابن كثير والكسائي بتخفيف الهمزة اجعلنا
من دون الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في
ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على
انه ليس ببدع ابتدعته فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب
والمخالفة ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني
رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام
الى التوحيد ليتأملوا فيها فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون فاجأوا
وقت ضحكهم منها اي استهزأوا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من
آية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر
فيها انها اكبر مما يقاس عليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت
رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم
التي يسري بها الساري او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها
بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم
يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايه الساحر نادوه بذلك في
تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا
ادع لنا ربك اي تدعو لنا فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده
عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن اهتدى او
بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون فلما كشفنا
عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجأوا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون
بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان
يؤمن بعضهم قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل
ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي
تحت قصري او امري او بين يدي في جناني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك
وتجري حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبرها
افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي
هو مهين ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين

الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير
اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا
تبصرون ام تبصرون فتعلمون انى خير منه فلولا القى عليه اساورة من ذهب
اى فهلا القى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سوروا رجلا سوروه
وطوقوه بطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء
من يا اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهى جمع سوار وقرئ
اساور جمع اسورة والقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى
او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن
او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منهم الخفة فى مطاوعته
او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك
اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط فى العناد والعصيان منقول
من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فى اليم فجعلناهم
سلفا اى قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم
مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وخادم وقرأ حمزة والكسائى بضم السين واللام
جمع سليف كرغيف او سالف كصابر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام
فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة سلفت ومثلا للآخرين اى عظة لهم او قصة
عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن
مريم مثلا اى ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل
كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله فالملائكة اولى بذلك وعلى قوله
واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح
اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يضحكون فرحا لظنهم ان
الرسول صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالضم من الصدود اى يصدون
عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا آلهتنا خير
ام هو اى آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان فى النار فلتكن آلهتنا معه ام آلهتنا
الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك
او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون آالهتنا بتحقيق الهمزتين
والف بعدهما ويعقوب برواية روح ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا
المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون

شداد الخصومة حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة
وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل امرا عجيبا كالمثل السائر لبنى اسرائيل وهو كالجواب
المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا
عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة فى الارض يخلفون يخلفونكم
فى الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو
اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها
توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله
سبحانه وتعالى وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من
اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان احياء الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ
لعلم اى لعلامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفى الحديث ينزل عيسى على
ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتى
بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى
خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب
البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام
بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون
واتبعوا هداى وشرعى او رسولى وقيل الرسول امر ان يقوله هو هذا الذى
ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان
عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة وعرضكم
للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع
الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة ولابين لكم
بعض الذى تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا
فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم اعلم بامر دنياكم
فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغكم عنه ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه
بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا
صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى او استيناف
من الله يدل على ما هو المقتضى للطاعة فى ذلك فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة
من بينهم من بين النصارى او اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم
فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم هو القيامة هل ينظرون
الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تأتيهم بغتة فجاءة وهم

لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء
الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو اى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور
ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت فى الله تبقى
نافعة ابد الاباد يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية
لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص
بغير الياء الذين امنوا باياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو
اى الذين امنوا مخلصين غير ان هذه العبارة اوكد وابلغ ادخلوا الجنة انتم وازواجكم
نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حبارة اى اثره على وجوهكم
او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة
فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب الصحاف جمع
صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفى الجنة ما تشتهى
الانفس وقرا نافع وابن عامر وحفص ما تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين
وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال
ومستعقب للتحسر فى ثانى حال وتلك الجنة التى اورثتموها وقرئ
ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وذلك اشارة الى الجنة
المذكورة وقعت مبتدا والجنة خبرها والتى اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك
والتى خبرها او صفتها والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون لكثرتها ودوام نعيمها ولعل
تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره فى القران وهو حقير بالاضافة الى سائر
نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين فى الاجرام وهم
الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالايات وحكى عنهم ما يخص بالكفار فى عذاب
جهنم خالدون خبران او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف
عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه مبلسون
آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم
فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار
بانهم لضعفهم لا يستطيعون تادية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض
علينا ربك والمعنى سل ربك ان يقضى علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافى
ابلاسهم فانه جوار وتمنى للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص
لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب

ان

ان كان فى قال ضمير الله والا فجواب منه ولعله تعالى تولى جوابهم بعد جواب
مالك ولكن اكثركم للحق كارهون لما فى اتباعه من اتعاب النفس وادآب
الجوارح ام ابرموا امرا فى تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا
مبرمون امرا فى مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من
كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده
قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجويهم
وتناجيهم بلى نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمهم
يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان
النبى اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن يعظم
الوالد يعظم الولد ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال
قد يستلزم المحال بل المراد بيانهما على ابلغ الوجوه كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان هنا لا تشعر به
ولا تقتضيه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على
انتفاء ملزومه والدلالة على انكاره للولد ليس لعباد وهم ابل لو كان لكان اولى
الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد فى زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين
له او الانفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان
له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرا حمزة والكسائى ولد بالضم
سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه
ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرات عما يتصف به سائر
الاجسام من التولد فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا فى باطلهم
ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون اى القيمة وهو
دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى فانهم مطبوع على قلوبهم معذبون فى
الاخرة وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله مستحق لان يعبد فيهما و
الظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم فى البلد وكذا فيمن
قرا الله والراجع مبتداء محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز
جعله خبرا له لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر له مبتدا محذوف يكون به
جملة مبينة للصلة دالة على كونه فى السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه
نفى الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالهية وهو الحكيم
العليم كالدليل عليه وتبارك الذى له ملك السموات والارض

وما بينهما كالهوا وعنده علم الساعة العلم بالساعة التى تقوم القيمة فيها
واليه ترجعون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتآء
على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما
زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد
والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة
والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سأل
العابدين او المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى
يؤفكون يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه
للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اى وقال قيله وجره عاصم
وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره يا رب ان هؤلاء
قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب
بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمى وان هؤلاء
جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم
منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن
عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

بسم الله الرحمن الرحيم حم
والكتاب المبين القران والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم
والجواب قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة فى ليلة القدر او البراءة ابتدئ
فيها انزاله او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل الى الرسول صلى
الله عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القران سبب للمنافع الدينية و
الدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل
الاقضية انا كنا منذرين استيناف يبين المقتضى للانزال وكذلك
قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة
بالحكمة يستدعى ان ينزل فيها القران الذى هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة
لليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها
لقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق

بالتشديد

بالتشديد ويفرق كل اى ويفرق الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اى
اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم
للامر ويجوز ان يكون حالا من كل امر او ضميره المستكن فى حكيم لانه موصوف
وان يكون المراد به مقابل النهى وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان
الفرق به او حالا من احدى ضميرى انزلنا بمعنى آمرين او مأمورا انا كنا مرسلين
رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اى انا انزلنا القران لان من عادتنا ارسال
الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار
بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة
مفعول به اى يفصل فيها كل امر او تصدير الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ
رحمة اى تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم
احوالهم وهو وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته
رب السموات والارض وما بينهما خبر اخر او استيناف وقرأ الكوفيون
بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اى ان كنتم من اهل الايقان فى العلوم او ان
كنتم موقنين فى اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان
كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيى
ويميت كما تشاهدون ربكم ورب آبائكم الاولين وقرئا بالجر بدلا
بل هم فى شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم
يوم تأتى السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه
وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهوا يظلم عام القحط لقلة الامطار
وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا
جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار
او يوم ظهور الدخان المعدود فى اشراط الساعة لما روى انه عليه السلام لما
قال اول الايات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق
الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية و
قال تملاء ما بين المشرق والمغرب تمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه
كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخره واذنيه ودبره
او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان
وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون
مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم

انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحال وقد جاءهم
رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها فى ايجاب الادكار من الايات والمعجزات
ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف
وقال الاخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبى صلى الله عليه
وسلم دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقى من اعمارهم
انكم عائدون الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط
قال اذا جاء الدخان صوت الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين
فريثما يكشفه عنهم فيرتدون ومن فسره بما فى القيمة اوله بالشرط والتقدير
يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا
منتقمون لا لمنتقمون فان ان تحجزه عنه او بدل من يوم ثانى وقرئ نبطش اى
نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم
فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد او لكثرة
القوم وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين او فى نفسه لاشرف
نسبه وفضل حسبه ان ادوا الى عباد الله بان ادوهم الى وارسلوهم
معى او بان ادوا الى حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان
تكون ان مخففة ومفسرة لان مجئ الرسول يكون برسالة ودعوة انى لكم رسول
امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة
الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله
وان كان الاولى فى وجوهها انى آتيكم بسلطان مبين علة للنهى ولذكر
الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لا تخفى وانى عذت بربى
وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون اى تؤذونى ضربا او
شتما او ان تقتلون وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى عذت بالادغام وان
لم تؤمنوا لى فاعتزلون فكونوا بمعزل منى لا على ولا لى ولا تتعرضوا الى بسوء
فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعد ما كذبوه ان
هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو التعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه
به وذلك سماه دعا وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادى ليلا
اى فقال الله اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرأ ابن كثير ونافع بوصل الهمزة
من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك

البحر

البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه
بعصاك ولا تغيّر منه شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ
بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها
فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم
منها او الامر كذلك واورثناها عطف على الفعل المقدر او على تركوا
قوما آخرين ليسوا منهم فى شئ وهم بنو اسرائل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا
الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث
بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليه السماء وكسفت لمهلكه الشمس
فى نقيض ذلك ومنه ما روى فى الاخبار ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه و
محل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السما
والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت اخر ولقد نجينا بنى اسرائل
من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم من فرعون
بدل من العذاب على حذف المضاف وجعله عذابا لافراطه فى التعذيب
او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام
تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من
المسرفين فى العتو والشرارة وهو خبر ثان اى كان متكبرا مسرفا او حال
من الضمير فى عاليا اى كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا
بنى اسرائل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون
فى بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمى زمانهم
وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
ما فيه بلاء مبين نعمة جليلة او اختبار ظاهر ان هؤلاء ليقولون ان
هى الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة
للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى
ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة
كذلك قالوا ان هى الا موتتنا الاولى اى ما الموتة التى من شانها كذلك الا
الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب
لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين فى وعدكم
ليدل عليه اهم خير فى القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميرى كذى

ساد بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه
كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه السلام ما ادرى اكان تبع نبيا
او غير نبي وقيل لملوك اليمن التابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون
والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استيناف بمآل قوم تبع
والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول
او استونف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما
بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها
ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة
او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم
الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه
واحبابه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على
انه الاسم اي ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل
او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل مولى من قرابة
او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون
الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه
وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء
انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان
شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام
الاثيم الكثير الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل
وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت تغلي في البطون
وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل
اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليانا مثل غليه خذوه
على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع
الشيء وجره بعنف وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى
سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان
اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم
للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب
بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاءً

ودوما

وتقريعا على ما كان يزعمه وقراءة الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او عذاب انك
ان هذا ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه
ان المتقين في مقام في موضع اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم امين
يأمن صاحبه من الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام
جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما تلذ به من المآكل والمشارب يلبسون
من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار والمجرور او استئناف
والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معربا ومشتق من البراقة
متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او
آتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء
والحور البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها
يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه
ولا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من الضرر لا يذوقون فيها
الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل
والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها
عنده فكأنه فيها او الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت وكأنه
لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم
عذاب الجحيم وقرئ ووقيهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل
ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز
العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك
سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون
لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون
منتظرون ما يحل بك عن النبي عليه السلام من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

بسم الله الرحمن الرحيم حم
تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتداء خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار
مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتداء خبره من الله العزيز
الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات
والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى

ان فی خلق السموات لقوله وَفِی خَلْقِکُمْ وَمَا یَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ولا یحسن عطف
ما علی الضمیر المجرور بل عطفه علی المضاف الیه باحد الاحتمالین فان بثه وتنوعه
واستجماعه لما یتم به معاشه الی غیر ذلک دلیل علی وجود الصانع المختار آیَاتٌ
لِقَوْمٍ یُوقِنُونَ محمول علی محل ان واسمها وقرأ حمزة والکسائی ویعقوب بالنصب
حملا علی الاسم وَاخْتِلَافِ اللَّیْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
رِزْقٍ من مطر وسماه رزقا لانه سببه فَأَحْیَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
یبسها وَتَصْرِیفِ الرِّیَاحِ باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والکسائی
وتصریف الریح آیَاتٌ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ فیه القراءتان ویلزمهما العطف علی
عاملین فی والابتداء وان الا ان یضمر فی او ینصب آیات علی الاختصاص او
ترفع باضمار هی ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآیات الثلاث
فی الدقة والظهور تِلْکَ آیَاتُ اللَّهِ تلک الآیات دلائله نَتْلُوهَا
عَلَیْکَ حال عاملها الاشارة بِالْحَقِّ ملتبسین به او ملتبسة به فَبِأَیِّ
حَدِیثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآیَاتِهِ یُؤْمِنُونَ ای بعد آیات الله وتقدیم اسم الله
للمبالغة او للتعظیم کما فی قولک اعجبنی زید وکرمه او بعد حدیث الله وهو القرآن
لقوله تعالی نزل احسن الحدیث وآیاته دلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغایر الوصفین
وقرأ الحجازیان وحفص وابو عمرو وروح یؤمنون بالیاء لیوافق ما قبله
وَیْلٌ لِکُلِّ أَفَّاکٍ کذاب أَثِیمٍ کثیر الآثام یَسْمَعُ آیَاتِ اللَّهِ تُتْلَی عَلَیْهِ ثُمَّ یُصِرُّ
یقیم علی کفره مُسْتَکْبِرًا عن الایمان بالآیات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع
الآیات کقوله یری غمرات الموت ثم یزورها کَأَنْ لَمْ یَسْمَعْهَا ای کأنه فخفف
وحذف ضمیر الشان والجملة فی موضع الحال ای یصیر مثل غیر السامع فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ
أَلِیمٍ علی اصراره والبشارة علی الاصل او التهکم وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آیَاتِنَا شَیْئًا
واذا بلغه شیء وعلم انه منها اتَّخَذَهَا هُزُوًا لذلک من غیر ان یری فیها ما ینافی
الهزو والضمیر لآیاتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع کلاما وعلم انه من الآیات
بادر الی الاستهزاء بالآیات کلها ولم یقتصر علی ما سمعه او للشیء لانه بمعنی الآیة
أُولَئِکَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِینٌ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ من قدامهم لانهم متوجهون
الیها او من خلفهم لانه بعد آجالهم وَلَا یُغْنِی عَنْهُمْ ولا یدفع مَا کَسَبُوا
من الاموال والاولاد شَیْئًا من عذاب الله وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ
اللَّهِ أَوْلِیَاءَ ای الاصنام وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِیمٌ لا یتحملونه هَذَا هُدًی
الاشارة الی القرآن ویدل علیه قوله وَالَّذِینَ کَفَرُوا بِآیَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ

عذاب

550

عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِیمٌ وقرأ ابن کثیر ویعقوب وحفص برفع المیم والرجز اشد
العذاب اللَّهُ الَّذِی سَخَّرَ لَکُمُ الْبَحْرَ بان جعله املس السطح یطفو علیه ما یتخلخل
کالاخشاب ولا یمنع الغوص فیه لِتَجْرِیَ الْفُلْکُ فِیهِ بِأَمْرِهِ بتسخیره وانتم
راکبوها وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ بالتجارة والغوص والصید وغیرها وَلَعَلَّکُمْ
تَشْکُرُونَ هذه النعم وَسَخَّرَ لَکُمْ مَا فِی السَّمَاوَاتِ وَمَا فِی الْأَرْضِ جَمِیعًا
بان خلقها نافعة لکم مِنْهُ حال مما ای سخر هذه الاشیاء کائنة منه او خبر لمحذوف
ای هی جمیعا منه او لما فی السموات وسخر لکم تکریر للتأکید او لما فی الارض وقرئ
منةً علی المفعول به ومنهُ علی انه فاعل سخر علی الاسناد المجازی او خبر محذوف
إِنَّ فِی ذَلِکَ لَآیَاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ فی صنائعه قُلْ لِلَّذِینَ آمَنُوا
یَغْفِرُوا حذف المفعول لدلالة الجواب علیه والمعنی قل لهم اغفروا یغفروا ای یعفوا
ویصفحوا لِلَّذِینَ لَا یَرْجُونَ أَیَّامَ اللَّهِ لا یتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم
ایام العرب لوقائعهم او لا یأملون الاوقات التی وقتها الله لنصر المؤمنین وثوابهم
ووعدهم بها والآیة نزلت فی عمر شتمه غفاری فهم ان یبطش به وقیل انها
منسوخة بآیة القتال لِیَجْزِیَ قَوْمًا بِمَا کَانُوا یَکْسِبُونَ علة للامر والقوم
هم المؤمنون او الکافرون او کلاهما فیکون التنکیر للتعظیم او التحقیر او الشیوع
والکسب المغفرة او الاساءة او ما یعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والکسائی لنجزی
بالنون وقرئ لِیُجْزَی قوم ولیجزی قوما ای لیجزی الخیر والشر او الجزاء اعنی ما
یجزی به لا المصدر فان الاسناد الیه سیما مع المفعول به ضعیف مَنْ عَمِلَ
صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَیْهَا اذ لها ثواب العمل وعلیها عقابه
ثُمَّ إِلَی رَبِّکُمْ تُرْجَعُونَ فیجازیکم علی اعمالکم وَلَقَدْ آتَیْنَا بَنِی إِسْرَائِیلَ
الْکِتَابَ التوراة وَالْحُکْمَ والحکمة النظریة والعملیة او فصل الخصومات
وَالنُّبُوَّةَ اذ کثر فیهم الانبیاء ما لم یکثر فی غیرهم وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّیِّبَاتِ
مما احل الله من اللذائذ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَی الْعَالَمِینَ حیث آتیناهم ما لم نؤت
غیرهم وَآتَیْنَاهُمْ بَیِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ ادلة فی امر الدین ویندرج فیها
المعجزات وقیل آیات من امر النبی صلی الله علیه وسلم مبینة لصدقه فَمَا اخْتَلَفُوا
فی ذلک الامر إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بحقیقة الحال بَغْیًا بَیْنَهُمْ
عداوة وحسدا إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیَامَةِ فِیمَا کَانُوا فِیهِ
یَخْتَلِفُونَ بالمؤاخذة والمجازاة ثُمَّ جَعَلْنَاکَ عَلَی شَرِیعَةٍ علی طریقة مِنَ
الْأَمْرِ امر الدین فَاتَّبِعْهَا فاتبع شریعتک الثابتة بالحجج وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ

الذين لا يعلمون آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا
ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم
باتباع اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا
اى القران او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح
وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون
اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان
نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل و
قوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة
فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين
ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من
الضمير في الكاف او المفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استيناف يبين
المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان
يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة
في الحيوة او استيناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال
وقرئ ومماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما
يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات
والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي
للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن
في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في
معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل وليجزى وهم
لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسميته ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن
منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرأيت من اتخذ
الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده وقرئ الهة هواه
لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده واذا راى احسن منه رفضه اليه
واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم
على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات وجعل على
بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي

غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون
وقرئ افلا تتذكرون وقالوا ما هي ما الحيوة او الحال الا حياتنا
الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيى اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى
بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى
بعض او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا
به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر
الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما
لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق
بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ
لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم
او مبينات لهم ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به
الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على
حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم
من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم
على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان
من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما
قرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن
الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن
اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسبونه
ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم
تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اى ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل
منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة
مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم
كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل بالنصب على
انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون
محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر
الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة
ونقصان انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم

فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي
من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب
واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم تكن رسلي
فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغنا
بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين قوما
عادتكم الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق
كائن هو متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرا
حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة
استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفي والاستثناء
لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى
ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل
ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من اباءهم وما تليت عليهم من الايات
في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت
عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها وحاق بهم
ما كانوا به يستهزءون وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم
في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا
به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه وماويكم النار وما
لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا
استهزاتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة
سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرا حمزة والكسائي بفتح الياء وضم
الراء ولا هم يستعتبون يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات
اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض
اذ ظهر فيها اثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى
فاحمدوه وكبروه واطيعوا له عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم الجاثية
ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

بسم الله الرحمن الرحيم حم

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة و
المعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه
مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة
او كل واحد وهو اخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا
من هول ذلك الوقت ويجوز ان تكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون
فيه ولا يستعدون لحلوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني
ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن
الهتكم بعد تامل فيها هل يعقل ان يكون لها في نفسها مدخل في خلق شيء من
اجزاء العالم فيستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم
ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من
قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القران فانه ناطق بالتوحيد او
اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما
يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر بها ان كنتم صادقين في دعواكم
وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما
يقتضيها عقلا وقرئ اثرة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني
واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون
الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة
والمضمومة اسم ما يؤثر ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من
لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع
المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم ولو سمع دعاءهم فضلا ان
يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا
وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون
باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم
وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير
للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شانه
والمراد به الايات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير
المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة

لما جاءهم حين جاءهم من غير نظر وتأمل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه
أم يقولون افتراه إضراب عن ذكر تسميتهم إياه سحرا إلى ذكر ما هو أشنع منه
وإنكار له وتعجيب قل إن افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله
شيئا أي إن عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف
أجترئ عليه وأعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم
هو أعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في آياته كفى به شهيدا
بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والإنكار وهو
وعيد بجزاء إفاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة
لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله عليهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا
من الرسل بديعا منهم أدعوكم إلى ما لا يدعون إليه أو أقدر على ما لم يقدروا
عليه وهو الإتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح
الدال على أنه كقيم أو مقدر بمضاف أي ذا بدع وما أدري ما يفعل بي
ولا بكم في الدارين على التفصيل إذ لا علم لي بالغيب ولا لتأكيد النفي المشتمل
على ما يفعل بي وما إما موصولة منصوبة أو استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل
أي يفعل الله إن أتبع إلا ما يوحى إلي لا أتجاوزه وهو جواب عن
اقتراحهم الإخبار عما لم يوح إلي من الغيوب واستعجال المسلمين أن يتخلصوا
من أذى المشركين وما أنا إلا نذير عن عقاب الله مبين بين الإنذار
بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل أرأيتم إن كان من عند الله
أي القرآن وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز أن تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا
الواو في قوله وشهد شاهد من بني إسرائيل إلا أنها تعطف بما عطف عليه
على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته
ما في التوراة من نعت الرسول صلى الله عليه وسلم على مثله مثل القرآن وهو
ما في التوراة من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة له أو مثل ذلك وهو كونه من
عند الله فآمن أي بالقرآن لما رآه من الوحي مطابقا للحق واستكبرتم
عن الإيمان إن الله لا يهدي القوم الظالمين استئناف مشعر بأن
كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين
وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان الإيمان وما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم خيرا
ما سبقونا إليه وهم سقاط إذ عامتهم فقراء وموال ورعاة وإنما قاله قريش
وقيل بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار

للذين آمنوا صح

او

أو اليهود حين أسلم ابن سلام وأصحابه وإذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف
مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا إفك قديم مسبب عنه
وهو كقولهم أساطير الأولين ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله
كتاب موسى ناصب لقوله إماما ورحمة على الحال وهذا كتاب
مصدق لكتاب موسى أو لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال
من ضمير كتاب في مصدق أو منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الإشارة و
فائدتها الإشعار بالدلالة على أن كونه مصدقا للتوراة كما دل على أنه حق دل
على أنه وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق أي يصدق
ذا لسان عربي بإعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير
الكتاب أو الله أو الرسول ويؤيد الأخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلف
عنه وبشرى للمحسنين عطف على محله إن الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة
في الأمور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره
على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون
على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط أولئك أصحاب الجنة
خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية
وخالدين حال من المستكن في أصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أي
جوزوا جزاء ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وقرأ الكوفيون
إحسانا وقرئ حسنا أي إيصاء حسنا حملته أمه كرها ووضعته كرها
ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وأبو عمرو وهشام
بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله
وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب
وفصله أو وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر
بالأمد عن المدة قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود إذا انتهى أمده ثلاثون
شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الأم في تربية الولد مبالغة في التوصية بها
وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه إذا حط منه للفصال حولان
لقوله تعالى حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الأطباء ولعل
تخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع
بهما حتى إذا بلغ أشده إذا اكتهل واستكمل قوته وعقله وبلغ

اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين قال رب اوزعني
الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا وقرا البزي بفتح الياء ان اشكر نعمتك
التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك
يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه
من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضيه نكره للتعظيم او
لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضى الله عنه واصلح لي في ذريتي
واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي
اني تبت اليك عما لا ترضيه او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين
لك اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعتهم فان المباح
حسن ولا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرا حمزة والكسائي
وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثابين معدودين
فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه لان نتقبل ونتجاوز وعد الذي
كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما مبتداء
وخبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه
فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراات ذكرت في سورة بني
اسرائيل اتعدانني ان اخرج ابعث وقرا هشام اتعداني بنون واحدة مشددة
وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع احد منهم وهما يستغيثان الله
يقولان الغياث بالله منك او يسالانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك
آمن اي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه ان
وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها
اولئك الذين حق عليهم القول في امم بانهم اهل النار وهو يرد النزول في
عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها وقد جب عنه ان كان لاسلامه في امم
قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم
انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستيناف ولكل من الفريقين
درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا او
الدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم
جزاءها وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار
يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض

ادهم

اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقروه بهمزة ممدودة وهما يقرانها
بهمزتين محققتين طيباتكم لذاتكم في حياتكم الدنيا باستيفائها
واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون
الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما
كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ
تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هود اذ انذر قومه بالاحقاف
جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج و
كانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر
الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض
الا تعبدوا الا الله او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا
لتافكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من العذاب
على الشرك ان كنت من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله
لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فياتيكم
في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ
ولكني اراكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين
مقترحين فلما راوه عارضا سحابا عرض في افق من السماء مستقبل
اوديتهم متوجها اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض
ممطرنا اي ياتينا بالمطر بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل
بل ريح هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله
تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا يوجد نابضة
حركة ولا قابضة سكون الا بمشيته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح
فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون
العائد محذوفا او الهاء في ربها ويحتمل ان يكون استينافا للدلالة على ان لكل
ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتاخر وتكون الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث
لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرا حمزة والكسائي لا يرى الا مساكنهم
بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين

روى ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين فى الحظيرة وجاءت الريح
فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت
عنهم واحتملتهم وقذفتهم فى البحر وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ
ان نافية وهى احسن مما هنا لانها لم توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت
الفها هاء فى مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم فى الذى
او فى شىء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما فى قوله. يرجى المرء ما ان لا يراه
ويعرض دون ادناه الخطوب. والاول اظهر واوفق لقوله هم احسن
اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا
وَأَفْئِدَةً ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها
فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ من الاغناء
وهو القليل إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ صلة لما اغنى وهو ظرف جرى
مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وَ
حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ من العذاب وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ
يا اهل مكة مِنَ الْقُرَى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ
بتكريرها لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عن كفرهم فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً فهلا منعتهم من الهلاك الهتهم الذين يتقربون
بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولى اتخذوا الراجع
الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا والهة بدل او عطف بيان او الهة وقربانا
حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ
غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال
وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وذلك الاتخاذ الذى هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ
أفكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اى جعلهم آفكين وافكهم اى قولهم الافك
اى ذو الافك وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ
املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ
حال محمولة على المعنى فَلَمَّا حَضَرُوهُ اى القران او الرسول قَالُوا أَنْصِتُوا
قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فَلَمَّا قُضِيَ اتم وفرغ من قراءته وقرئ على
بناء الفاعل وهو ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ
مُنْذِرِينَ اى منذرين اياهم بما سمعوا روى انهم وافوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بوادى النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ فى تهجده

قالو

قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى قيل انما قالوا ذلك
لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عليه السلام مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ من العقائد وَإِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ من الشرائع
يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ بعض ذنوبكم
وهو ما يكون فى خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ
أَلِيمٍ هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة رضى الله عنه باقتصارهم على المغفرة
والاجارة على ان لا ثواب والاظهر انهم فى توابع التكليف كبنى ادم وَمَنْ لَا يُجِبْ
دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ اذ لا ينجى منه مهرب فَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءُ يمنعونه منه أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ حيث اعرضوا عن اجابة من
هذا شانه أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ
بِخَلْقِهِنَّ ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد
بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى اى قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر و
الباء مزيدة لتاكيد النفى فانه مشتمل على ان وما فى حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله
بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود
كانه لما صدر السورة بتحقيق المبداء اراد ختمها باثبات المعاد وَيَوْمَ
يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ منصوب بقول مضمر مقوله أَلَيْسَ هَذَا
بِالْحَقِّ والاشارة الى العذاب قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بكفركم فى الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ اولوا الثبات والجد منهم فانك
من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا فى
تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعادات الطاعنين فيها ومشاهيرهم
نوح وابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح
صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم على النار وذبح ولده
والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن
وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين
وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وَلَا تَسْتَعْجِلْ
لَهُمْ لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم فى وقته لا محالة كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ
مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ استقصروا من هوله مدة
لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة بَلَاغٌ هذا الذى وعظتم به او هذه السورة

بلاغ اى كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل مبتداء خبره لهم وما بينهما اعتراض اى لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اى بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش او المصرين من اهل الكتاب او عام فى جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسر وحفظ الجوار ضالة اى ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء فى اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات نعم المهاجرين والانصار والذين امنوا من اهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقه وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البناءين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتداء خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك سمى تفسيرا كذلك اى مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا فى المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب

ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغى ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اى فاما تمنون منا او تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفدا وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء او الاسترقاق منسوخ عند ابى حنيفة او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها الاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اى تنقضى الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل اثامها والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او للمن والفدا او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى ذلك اى الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم بالاستيصال ولكن ليبلوا بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا فى سبيل الله اى جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اى استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ تضل من ضل ويضل للبناء على المفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدى اليه كانه كان ساكنه مذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا ومفسرة لناصبه

وَاَضَلَّ اَعْمَالَهُمْ عطف عليه ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ القران
لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وتخفيض
وتصريح بسببية الكفر بالقران للتعس والاضلال فَاَحْبَطَ اَعْمَالَهُمْ كرره
اشعارا بانه يلزم الكفار بالقران ولا ينفك عنه بحال اَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْاَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ
استأصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وَلِلْكَافِرِينَ
من وضع الظاهر موضع الضمير اَمْثَالُهَا امثال تلك العاقبة او العقوبة
او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت
من قبل ذٰلِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ مَوْلَى الَّذِينَ اٰمَنُوا ناصرهم على اعدائهم وَاَنَّ
الْكَافِرِينَ لَا مَوْلٰى لَهُمْ فيدافع العذاب عنهم وهؤلاء يخالفوا قوله وردّوا
الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك اِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ اٰمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يَتَمَتَّعُونَ ينتفعون بمتاع الدنيا وَيَاْكُلُونَ كَمَا تَاْكُلُ الْاَنْعَامُ
حريصين غافلين عن العاقبة وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ منزل ومقام وَكَاَيِّنْ
مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ اَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي اَخْرَجَتْكَ على حذف المضاف
واجرا احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب اَهْلَكْنَاهُمْ
بانواع العذاب فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ يدفع عنهم وهو كالحال المحكية اَفَمَنْ كَانَ
عَلٰى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ حجة من عنده وهو القران او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ كالشرك والمعاصي وَاتَّبَعُوا
اَهْوَاءَهُمْ في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن الحجة مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وُعِدَ الْمُتَّقُونَ اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتداء خبره كمن هو
خالد في النار وتقدير الكلام امثل الجنة كمثل من هو خالدا وامثل الجنة كمثل جزاء
من هو خالد فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء يجري مثله تصوير
المكابرة من يسوي بين التمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من سوى بين
الجنة والنار وهو على الاول خبره محذوف تقديره افمن هو في هذه الجنة كمن
هو خالد في النار او بدل من قوله زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على
بينة في الاخرة تقريرا لانكار المساواة فِيهَا اَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ اٰسِنٍ
استيناف بشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء
بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرا ابن كثير اسن بقصر الهمزة

وَاَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ لم يصر قارصا ولا حازرا وَاَنْهَارٌ مِنْ
خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لذيذة لا يكون فيها كراهة غائلة وريح ولا غائلة
سكر وخمار تانيث لذ او مصدر نعت به باضمار ذات او تجوز وقرئت بالرفع
على صفة الانهار والنصب على العلة وَاَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى لم يخالطه
الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في
الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف
بما يوجب غزارتها واستمرارها وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ صنف
على هذا القياس وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ عطف على الصنف المحذوف او
مبتداء خبره محذوف اي لهم مغفرة كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا
مَاءً حَمِيمًا مكان تلك الاشربة فَقَطَّعَ اَمْعَاءَهُمْ من فرط الحرارة
وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ اِلَيْكَ حَتّٰى اِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ يعني المنافقين كانوا
يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا
قَالُوا لِلَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ اي لعلماء الصحابة مَاذَا قَالَ اٰنِفًا ما الذي
قال الساعة استهزاء واستعلاما اذ لم يلقوا له اذانهم تهاونا به وانفا من قولهم
انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استانف وائتنف وهو
ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرا ابن كثير انفا
اُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا اَهْوَاءَهُمْ فلذلك استهزؤا
بها وتهاونوا بكلامه وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى اي زادهم الله
بالتوفيق والالهام او قول الرسول وَاٰتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ بين لهم ما يتقون
او اعانهم على تقويهم او اعطاهم جزاها فَهَلْ يَنْظُرُونَ اِلَّا السَّاعَةَ فهل
ينتظرون غيرها اَنْ تَاْتِيَهُمْ بَغْتَةً بدل اشتمال من الساعة وقوله
فَقَدْ جَاءَ اَشْرَاطُهَا كالعلة له وقرئ ان تاتهم على انه شرط مستانف جزاؤه
فَاَنّٰى لَهُمْ اِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ والمعنى ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر
اماراتها كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر فكيف لهم ذكريهم
اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فَاعْلَمْ اَنَّهُ لَا اِلٰهَ
اِلَّا اللّٰهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ اي اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين
فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها
وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار

وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم فانها جنس اخر فان
الذنب ماله تبعة ما بترك الاولى وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ في الدنيا فانها
مراحل لا بد من قطعها وَمَثْوَيكُمْ في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله
واستغفروه واعدوا لمعادكم وَيَقُولُ الذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ
اى هلا انزلت سورة في امر الجهاد فَاِذَا اُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ
مبينة لا تشابه فيها وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ الامر به رَأَيْتَ الذِينَ في
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ضعف في الدين وقيل نفاق يَنْظُرُونَ اِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ
عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ جبنا ومخافة فَاَوْلَى لَهُمْ فويل لهم افعل من الولى
وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول
اليه امرهم طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ استيناف اى امرهم طاعة او طاعة و
قول معروف خير لهم وحكاية قولهم لقراءة ابى يقولون طاعة فَاِذَا عَزَمَ
الْاَمْرُ اى جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف
وقيل فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ فيما زعموا من الحرص على الجهاد او الايمان لَكَانَ
الصدق خَيْرًا لَهُمْ فَهَلْ عَسَيْتُمْ وقراء نافع بكسر السين فهل يتوقع منكم
اِنْ تَوَلَّيْتُمْ امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام
اَنْ تُفْسِدُوا فِي الْاَرْضِ وَتُقَطِّعُوا اَرْحَامَكُمْ تفاخرا على الولاية وتجاذبا
لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب
والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احق بان يتوقع ذلك منهم
من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بنى تميم لا
يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب تُوُلِّيتُمْ
اى ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم
وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع اُولَئِكَ اشارة الى المذكورين
الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ لافسادهم وقطعهم الارحام فَاَصَمَّهُمْ عن استماع الحق
وَاَعْمَى اَبْصَارَهُمْ فلا يهتدون سبيله اَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ يتصفحونه
وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصى اَمْ عَلَى قُلُوبٍ اَقْفَالُهَا
لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير
وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها
في القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال
اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ

اقفالها على المصدر اِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى اَدْبَارِهِمْ اى ما كانوا عليه
من الكفر مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى بالدلائل الواضحة والمعجزات
الظاهرة اَلشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو
الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمني وفيه ان السول
مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم
هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اى كيد الشيطان سول
لهم وَاَمْلَى لَهُمْ ومد لهم في الآمال والاماني وامهلهم الله ولم يعاجلهم
بالعقوبة لقراءة يعقوب وَاُمْلِي لَهُمْ اى وانا املي لهم فتكون الواو للحال
او الاستيناف وقرأ ابو عمرو واُمْلِيَ على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان
او لهم ذَلِكَ بِاَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ اى قال اليهود الذين
كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد
الفريقين للمشركين سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْاَمْرِ في بعض اموركم او في
بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم ان اخرجوا
والتظافر على الرسول وَاللهُ يَعْلَمُ اِسْرَارَهُمْ ومنها قولهم هذا الذي
افشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص واسرارهم على المصدر
فَكَيْفَ اِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ
توفيهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تائيه يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَاَدْبَارَهُمْ تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن
القتال ذَلِكَ اشارة الى التوفي الموصوف بِاَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا اَسْخَطَ
اللهَ من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ
ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره من الطاعات فَاَحْبَطَ اَعْمَالَهُمْ
لذلك اَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ اَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ اَضْغَانَهُمْ
احقادهم وَلَوْ نَشَاءُ لَاَرَيْنَاكَهُمْ لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم
فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت
في المعطوف وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ جواب قسم محذوف ولحن
اسلوبه وامالته الى جهة تعريض ومنه قيل للمخطى لاحن لانه يعدل بالكلام
عن الصواب وَاللهُ يَعْلَمُ اَعْمَالَكُمْ فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال
بالنيات وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة
حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ على مشاقها وَنَبْلُوَ اَخْبَارَكُمْ

اى لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين

ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين فى صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء لتوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكائدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام فى كل من مات على كفره وان صح نزوله فى اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خوارا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر والعشر ان يسألكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير فى يخرج لله ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ يخرج بالياء والتاء ورفع اضغانكم

ها انتم هؤلاء اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا فى سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الاية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق

وضرر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق والله الغنى وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقوم مقامكم قوما اخرين ثم لا يكونوا امثالكم فى التولى والزهد فى الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه السلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد عليه السلام كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضى لتحققه او بما اتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل فى الاسلام خلقا عظيما وظهر له فى الحديبية اية عظيمة وهى انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس فى تلك السنة وقد عرفوا كونه فتحا للرسول صلى الله عليه وسلم فى سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اى قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا او تخليص الضعفة عن ايدى الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك مما يصح ان تعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف به صفة مبالغة هو الذى انزل السكينة الثبات والطمانينة فى قلوب المؤمنين حتى تثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم بالله واليوم الاخر ولله جنود السموات

والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم
اخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر
ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات
والارض من معنى التدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله
فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من
ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل
الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك
اى الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من
جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين و
المنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا
فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو
ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه و
يتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم
وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم
جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم
واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه في
الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب الاعداد و
الغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت
مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما
انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية
لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي والامة او لهم على ان خطابه منزل
منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه
وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا غدوا
وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه
بسكون العين وتعززوه بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وتوقروه من اوقره
بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته
يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن
نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه

ومن

ومن اوفى بما عاهد عليه الله في مبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما
هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر
وروح فسنؤتيه بالنون والاية نزلت في بيعة الرضوان سيقول
لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم
النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم
واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش
ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم
وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم بالاعتذار والاستغفار قل
فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد
بكم ضرا كقتل وهزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرأ
حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض
للرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم
ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين
يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله
اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها
وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء
الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله
من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم
وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله
فهو كافر فانه مستوجب للتسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار
مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله
غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت
قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول
المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها
يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست
واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها

وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام
الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضوهم من مغانم مكة
مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام
اسم للتكلم غلب في الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع
كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من قبل
تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم
في المغانم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون الا قليلا الا فهما قليلا
وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله
ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم
بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة
واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد
بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين
فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او
الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي
الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره
الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس و
الروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا
يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا
كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما
اوعد التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على
سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا
انفع من الترغيب وقرا نافع وابن عامر ندخله ونعذبه لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية
بعث خراش بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث
عثمان بن عفان فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا

قريشا

قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم
من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع
او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر
ومغانم كثيرة ياخذونها يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما
غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها
وهي ما يفي على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر
وكف ايدي الناس عنكم ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان
او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين
امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر
في حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف
على محذوف هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا او العلة لمحذوف
مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل
عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره
قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها
باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط
الله بها استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله
على كل شيء قديرا لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم
الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم
لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي
قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم
كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا
وهو الذي كف ايديهم عنكم اي ايدي كفار مكة وايديكم عنهم
ببطن مكة في داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم
وذلك ان عكرمة ابن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة
ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان مكة فتحت
عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما يعملون من مقاتلتهم
او لا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء بصيرا
فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي

معكوفا ان يبلغ محله بدل على انه ذلك كان عام الحديبية والهدى ما يهدى
الى مكة وقرئ الهدى وهو فعيل بمعنى مفعول ومحل مكانه الذى يحل فيه نحره
والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذى لا يجوز ان ينحر فى غيره والا لما
نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان
مذبح هدى المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم
ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا وطأ على حنق وطأ المقيد نابت
الهرم وقال عليه الصلاة والسلام ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد
بالطائف كان آخر وقعة النبى بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال
ونساء او من ضميرهم فى تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة
مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار
بذلك والاثم فى التقصير فى البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه
بغير علم متعلق بان تطؤهم اى تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف
لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر
الكافرين جاهلين فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديهم عنهم ليدخل
الله فى رحمته علة لما دل عليه كف الايدى من اهل مكة صونا لما فيها من
المؤمنين اى كان ذلك ليدخل الله فى رحمته اى فى توفيقه لزيادة الخير او
للاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز
بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما
بالقتل والسبى اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم
فى قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التى تمنع اذعان الحق
فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم الوقار والثبات
وذلك ما روى انه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب
ابن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان تخلى له قريش
مكة من القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام
لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب
باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة قالوا لو كنا
نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا
ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون

فهم

فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة فتوقروا
وتحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم
محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفا بالعهد واضافة الكلمة الى
التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرهم واهلها
والمتأهل لها وكان الله بكل شىء عليما فيعلم اهل كل شىء وتيسره له
لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى عليه السلام انه واصحابه دخلوا
مكة امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا
ان ذلك يكون فى عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا و
لا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه فى رؤياه بالحق ملتبسا به فان
ما اراه كائن لا محالة فى وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون
بالحق صفة مصدر محذوف اى صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز
بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى
او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاول جواب
قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد
او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا
او النبى لاصحابه آمنين حال والشرط معترض محلقين رؤسكم
ومقصرين اى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة
او استيناف اى لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة فى
تأخير ذلك فجعل من دون ذلك من دخولكم المسجد او فتح مكة فتحا
قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود
هو الذى ارسل رسوله بالهدى ملتبسا او بسببه او لاجله و
دين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس
الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين
على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده
من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار
المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله
صفة ومحمد خبر محذوف او مبتداء والذين معه معطوف عليه وخبرهما
اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم
والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة

على المؤمنين اعزة على الكافرين تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا لانهم مشتغلون
بالصلاة فى اكثر اوقاتهم يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا الثواب
والرضا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ فعلى من سامه اذا
اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن فى الجار
ذَٰلِكَ اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مَثَلُهُمْ
فِى التَّوْرَىٰةِ صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنجِيلِ
عطف عليها اى ذلك مثلهم فى الكتابين وقوله كَزَرْعٍ تمثيل مستانف
او تفسير او مبتداء وكزرع خبره أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فراخه يقال اشطا الزرع
اذا فرخ وقرا ابن كثير وابن عامر من رواية ابن ذكوان شطاءه بفتحات وهو
لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاه بالمد وشطه بنقل حركة
الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فَـَٔازَرَهُۥ فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة
او الايزار وهى الاعانة وقرا ابن عامر من رواية ابن ذكوان فازره كاجره فى
اجر فَاسْتَغْلَظَ فصار من الدقة الى الغلظ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ
فاستقام على قصبه جمع ساق وقرا ابن كثير سؤقه بالهمزة يُعْجِبُ
الزُّرَّاعَ بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة
قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس
لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ علة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه او لقوله
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا
عَظِيمًا فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنه للبيان عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا امر الحذف المفعول ليذهب الوهم
الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفى التقديم رأسا او لا تتقدموا ومنه
مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا
من القدوم بَيْنَ يَدَىِ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ مستعار مما بين الجهتين المسامتين
ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل
المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان

يوجب

يوجب اجلاله وَاتَّقُوا اللَّهَ فى التقديم او مخالفة الحكم إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
لاقوالكم عَلِيمٌ بافعالكم يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَٰتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ اى اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته
وَلَا تَجْهَرُوا لَهُۥ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم
بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب
وقيل معناه لا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه
بالنبى والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة فى
الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به أَن
تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ كراهة ان تحبط فيكون علة للنهى او لان تحبط على النهى
عن الفعل المعلل باعتبار التادية لان فى الجهر والرفع استخفافا قد يؤدى
الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد
روى ان ثابت بن قيس كان فى اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله
لقد انزلت عليك هذه الاية وانى رجل جهير الصوت واخاف ان يكون
قد حبط عملى فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت
بخير وانك من اهل الجنة وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ انها محبطة إِنَّ الَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ يخفضونها عِندَ رَسُولِ اللَّهِ مراعاة للادب او مخافة
عن مخالفة النهى قيل كان ابو بكر وعمر بعد ذلك يسرانه حتى يستفهمها
أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ جربها للتقوى ومرنها عليها
او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام
صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن
والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او
اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لَهُم
مَّغْفِرَةٌ لذنوبهم وَأَجْرٌ عَظِيمٌ لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير
للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استيناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا
لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتداء اسم الاشارة المتضمن
لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة
فى الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال
المرتكب لهما على خلاف ذلك إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَٰتِ

من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة
الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادي داخل الحجرة اذ لا بد وان يختلف
المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة
وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة
فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي صلى الله
عليه وسلم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم
اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له
فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن
والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله في سبعين رجلا من بني تميم وقت
الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم
رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم **اكثرهم لا يعقلون**
اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى
تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت
ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه
فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها
ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم
ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم **لكان خيرا لهم** من
الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب
والاسعاف بالمسئول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق
النصف وفادى النصف **والله غفور رحيم** حيث اقتصر على النصح والتقريع
لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول **يا ايها الذين امنوا ان
جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا** فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام بعث
الوليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به
استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكاة
فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم بعده خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة
متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبإ للتعميم وفي تعليق
الامر بالتبين على فسق المخبر جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شيء
بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك

لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ
حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال **ان تصيبوا**
كراهة اصابتكم **قوما بجهالة** جاهلين حالهم **فتصبحوا** فتصيروا
على ما فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف
الثلاثة دائرة مع الدوام **واعلموا ان فيكم رسول الله** ان بما في حيزها
ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله **لو يطيعكم
في كثير من الامر لعنتم** فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استئنافا
لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم
تريدون ان يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد
من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله
**ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان** استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط
حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة
من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله
اولئك هم الراشدون اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق
وكره معدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له اخر لكنه لما تضمن
معنى التبغيض نزل كره منزلة بغض فعدي الى اخر بالى والكفر تغطية نعم الله
بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد.
فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدون
فان الفضل فعل الله والرشد فضل من الله وانعامه **والله عليم** باحوال
المؤمنين وما بينهم من التفاضل **حكيم** حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان
كل طائفة جمع **فاصلحوا بينهما** بالنصح والدعاء الى حكم الله **فان بغت
احداهما على الاخرى** تعدت عليها **فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى
امر الله** ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ
الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين **فان فاءت فاصلحوا بينهما
بالعدل** بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه
مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة **واقسطوا** واعدلوا في كل الامور
ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت في قتال حدث

بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وهو يدل على ان
الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله
وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما
المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الموجب
للحياة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه
بالفاء فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى
المامورين للمبالغة في التقرير والتخصيص وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من
يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم
واخوانكم واتقوا الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون
على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا
منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض
المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر
والقوم مختص بالرجال كما قال الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلتين
كقوم عاد وثمود فاما على التغليب والاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن
توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استيناف
بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاستغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا
وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم ولا يعب بعضكم
بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق
به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم و
لا تنابزوا بالالقاب ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز
يختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس
الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم في الايمان واشتهارهم
والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي
ان الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هارون
وعمي موسى وزوجي محمد او للدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان
مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان
موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن كونوا على جانب منه وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتامل

حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع
فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات
وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور
المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر والاثم الذنب الذي
يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها
ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه
من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك
قيل للحواس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فانه من تتبع عوراتهم
تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا
ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل صلى الله عليه وسلم عن الغيبة
فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد
بهته ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب
من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد
الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب
باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه
تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه
ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده
نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط
منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب
او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال
ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما
راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما
فقالا ماتنا ولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى من ادم وحوا او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء
في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة
على الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون
الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون
والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش

عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل
بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء والقبائل
وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم
فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس
منها كما قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها
الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله
ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا نزلت
في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادتين وكانوا
يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك
كما قاتل بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق
مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام
وترك المقاتلة كما دل عليه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام
انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام
ان يقول لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل
منه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد
فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت
لقوله فانه حال من ضمير اي ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد
وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من
اعمالكم شيئا لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرا
البصريان لا يالتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط
من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين امنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه
في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار
بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل وفيما
يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات
المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء
الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم امنا والله يعلم
ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية

وهو

وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي لما نزلت الاية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم
مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان اسلموا يعدون
اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن
بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل
لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او بتضمين
الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم
من ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان
كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي
فلله المنة عليكم وفي سياق الاية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا
ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة
اسلام وليس بجدير ان يمن به عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة
عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض
ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف
يخفى عليه ما في ضمائركم وقرا ابن كثير بالياء في الاية من الغيبة عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقران المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقران ذي الذكر والمجيد
ذو المجد والشرف على سائر الكتب ولانه كلام المجيد او لان من علم معانيه و
امتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم
مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال
الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله
محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل
على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع
ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا
ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لان ادخل
في الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة
الله تعالى عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا

اى ترجع اذا متنا وصرنا ترابا او يدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد
اى بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا
ما تنقص الارض منهم ما تاكل من اجساد موتاهم وهو رد لاستبعادهم
بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام
وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن
التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ
يطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا
بالحق يعنى النبوة الثابتة بالمعجزات او النبى او القران لما جاءهم
وقرئ لما بالكسر فهم فى امر مريج مضطرب من مرج الخاتم فى اصبعه اذا
خرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن
افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم كيف بنيناها
رفعناها بلا عمد وزيناها وما لها من فروج فتوق بان خلقها
ملسا متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا
فيها رواسى جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف
بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر
فى بدايع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا على الفعل
الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به
جنات اشجارا واثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذى من شانه
ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او حوامل من ابسقت
الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها
وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود
بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد
علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء
بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة
يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب
الرس وثمود وعاد وفرعون اراد اياه وقومه ليلايم ما قبله وما بعده
واخوان لوط اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة و
قوم تبع سبق فى الحجر والدخان كل كذب الرسل اى كل واحد
او كل قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد

فوجب وحل عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول وتهديد لهم افعيينا
بالخلق الاول افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عى بالامر
اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم فى لبس من خلق
جديد اى هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة
فى خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم
شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر
بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت
موصولة والبا مثلها فى صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والبا
للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى ونحن اعلم بحاله ممن كان
اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل
الوريد مثل فى القرب قال والموت ادنى لى من الوريد والحبل العرق
واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمها متصلان
بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى
المتلقيان مقدر باذكر ومتعلق باقرب اى هو اعلم بحاله من كل قريب حين
يتلقى اى يتلقى الحفيظان ما يلفظ به وفيه ايذان بانه غنى عن استحفاظ الملكين
فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهى ما فيه من
تشديد يثبط العبد عن المعصية وتاكيد فى اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء
والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد
اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كالجليس فحذف الاول
لدلالة الثانى عليه كقوله فانى وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد
والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمى
من فيه الا لديه رقيب ملك رقيب عليه عتيد معد حاضر ولعله
يكتب عليه ما فيه ثواب وعقاب وفى الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب
السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب
اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت
سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك
بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم ملاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام
الساعة ونبه على اقترانه بان عبر عنه بلفظ الماضى وسكرة الموت شدته الذاهبة

بالعقل والباء للتعدية كما فى قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة
الموت حقيقة الامر او الموعود الحق والحق الذى ينبغى ان يكون من الموت او الجزاء
فان الانسان خلق له او مثل الباء فى تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على
انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت به او على ان الباء
بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات
الموت ذلك اى الموت ما كنت منه تحيد تميل وتنفر عنه والخطاب
للانسان ونفخ فى الصور يعنى نفخة البعث ذلك يوم الوعيد
اى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه والاخر يشهد بعمله او ملك
جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد جوارحه او اعماله
ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة لقد
كنت فى غفلة من هذا على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد
الا وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء
الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها
وقصور النظر فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار
وقيل الخطاب للنبى والمعنى كنت فى غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك الغفلة
وتعليم القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد
الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه
قال الملك الموكل عليه هذا ما لدى عتيد هذا ما هو مكتوب عندى
حاضر لدى او الشيطان الذى قيض له هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم
هيأته لها باغوائى له واضلالى وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها
وان جعلت موصوفة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا فى
جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار
او لواحد وتثنية الفاعل منزلة منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجرانى
يا ابن عفان انزجر وان تدعانى احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون
التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة
عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال من حقوقه المفروضة
وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه
عنه معتد متعد مريب شاك فى الله وفى دينه الذى جعل مع الله

الها اخر مبتدا متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه فى العذاب
الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول
لمضمر يفسره قال قرينه اى الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما
تستانف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه
ربنا ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغانى فقال قرينه ربنا ما اطغيته
بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما
فى الحصول اعنى مجئ كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان فى ضلال
بعيد فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراى
مائلا الى الفجور كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لى قال اى الله لا تختصموا لدى اى موقف الحساب
فانه لا فائدة فيه وهو استيناف مثل الاول وقد قدمت اليكم بالوعيد
على الطغيان فى كتبى وعلى السنة رسلى فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه للنهى
اى لا تختصموا عالمين بانى اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم
بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله
ما يبدل القول لدى اى بوقوع الفعل فيه فلا تطمعوا ان ابدل
وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان
دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد
فاعذب من ليس لى تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول
هل من مزيد سؤال وجواب جئ بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع
اتساعها يطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملان
او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من
شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب
لزيادتهم وقرا نافع وابو بكر بالياء والمزيد مصدر كالمحيد او مفعول
كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر
الى تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد
مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اى شيئا
غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون
على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرا ابن كثير
بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ

حافظ لحدوده من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل
بعد بدل او بدل من موصوف اواب فلا يجوز ان يكون في حكمه لان من
لا يوصف به او مبتداء خبره ادخلوها على تاويل يقال لهم ادخلوها
فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اى
خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او العقاب بعد غيب
او هو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا
رحمته وخافوا عذابه او بانهم يخشون خشية مع علمهم بسعة رحمته
ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام سالمين
من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم
الخلود يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن
فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك
من قرن هم اشد بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد
فخرقوا في البلاد وتصرفوا او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفا
على الاول للتسبب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير
عن الشيء والبحث عنه هل من محيص اى هل لهم من الله او الموت وقيل
الضمير في نقبوا لاهل مكة اى ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل
راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على
الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اى اكثروا
السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه
السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اى قلب واع يتفكر في
حقائقه او القى السمع او اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه
ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير
القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد
خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره
مرارا وما مسنا من لغوب من تعب واعيا وهو رد لما زعمت اليهود
من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة فاستراح يوم السبت
واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم
البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعيا قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما

يقول

يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز
عما يمكن والوصف عما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة
الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد
عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار
السجود واعقاب الصلوة جمع دبر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وقرأ
الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل
الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد
وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع
لما اخبرك به من احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادي المناد
اسرافيل او جبريل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة
ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه
الى الكل على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابدا ويوم نصب بما دل عليه
يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية
بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج
من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت
في الدنيا والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق الارض
تتشقق وقرئ تنشق وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف وابو عمرو بتخفيف
الشين عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير
هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر
لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله وتهديد لهم وما انت عليهم
بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولود
يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ

ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة
للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ
وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في
البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا
صفة مصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي
تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب
القسمة او الرياح يقسمن الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة
فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينهما من التفاوت في الدلالة على كمال
القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى
تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما
توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره
على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود
وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات
الحبك ذات الطرائق فالمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب
او المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها
طرائق او انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرائق
او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك
والحبك كالجليل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف
في امر الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه مجنون وتارة انه ساحر
او في القران او القيامة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم
في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف
غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه الضمير للرسول او القران او الايمان
من صرف اذ لا صرف اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف
في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك
عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يصدر تناهيهم
عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون
الناس عن الايمان قتل الخراصون اي الكذابون من اصحاب القول المختلف
واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل
يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين

اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم على
النار يفتنون يحرقون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون
او هم يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه
انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول هذا الذي
كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز
ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في جنات
وعيون آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان
كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين
قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من الليل
او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم
او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها
وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو
وقت السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار
هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا
في الاستغفار كانهم سلفوا في ليلتهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير
اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم
حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس
للسائل والمحروم المستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة
وفي الارض آيات للموقنين اذ فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان
او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها من الماء واختلاف
اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه
وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم اي وفي انفسكم
آيات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به
من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من
الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا
تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم اسباب رزقكم
او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات
وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال

ونوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره فورب السماء
والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر
من امر الايات والرزق والوعد مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم
كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي لكم ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه
على الحال من المستكن في لحق او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل
نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء
وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة
حمزة والكسائي وابي بكر بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابرهيم
فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر
ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلاثة
جبرائل وميكائل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف
المكرمين اي مكرمين عند الله او عند ابرهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته
اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما
اي نسلم عليك سلاما قال سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتدا
لقصد الثبات حتى يكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرا حمزة و
الكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اي انتم
قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو ادم ولم يعرفهم او لان السلام
لم يكن تحيتهم فانه علم السلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب
اليهم في خفية من ضيفه فان من اداب المضيف ان يبادره بالقرى حذرا من
ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر
فقربه اليهم بان وضعه بين يديهم قال الا تاكلون اي منه وهو مشعر
بكونه حنيذا والهمزة للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول
ما وضعه وللانكار ان قاله حيث راى اعراضهم فاوجس منهم خيفة
فاضمر منهم خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع
في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل ربك
قيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن بهم
وبشروه بغلام هو اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امراته
سارة الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرة ومحله
النصب على الحال او المفعول ان اول اقبلت باخذت فصكت وجهها

فلطمت

فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض
فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف
الد قالوا كذلك مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك وانما نخبرك
به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما
خطبكم ايها المرسلون لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين
الا لامر عظيم سال عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون
قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر
مسومة عند ربك مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة
وهي العلامة للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور فاخرجنا من
كان فيها في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة
من المؤمنين ممن امن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو
ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك
لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحد
وتركنا فيها اية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم
المعتبرون بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن
وفي موسى عطف على وفي الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى
كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين
هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله وناى
بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى
وقرئ بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه جعل
ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره
وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم
في البحر وهو مليم ات بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من
الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها
عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او
الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه مرت عليه الا جعلته
كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم
تمتعوا حتى حين يفسره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا

عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اى العذاب
بعد الثلاث وقرا الكسائى الصعقة وهى المرة من الصعق وهم ينظرون
اليها فانها جاءت معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا
فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا
منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله
يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل فى عاد ويؤيده قراءة ابى عمرو
وحمزة والكسائى بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا
قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء
بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة
والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق
والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون
اى نحن ومن كل شىء من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم
تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل
التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة
الطاعة انى لكم منه اى من عذابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين
بين كونه منذرا من الله بالمعجزات ومبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا
مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه انى لكم منه نذير مبين
تكرير للتاكيد والاول مترتب على ترك الايمان والطاعة والثانى على الاشراك
كذلك اى الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه
ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا
ساحر او مجنون كالتفسير له فلا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعدما
النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به اى كان الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم
بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصى
جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل
عليه فتول عنهم اى فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا
الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك فى
البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين
من قدر الله ايمانه او من آمن فانه يزداد بصيرة وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم

مغيا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله
ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لنامرهم بالعبادة او
ليكونوا عبادا لى ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اى
ما اريد ان اصرفكم فى تحصيل رزقى فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين
به والمراد ان يبين ان شانه مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم
انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معائشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون
بمعنى قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذى يرزق
كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ انى انا الرزاق
ذو القوة المتين وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا
اى الذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم
مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء
بالدلاء فان الذنوب الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب لقولهم
متى هذا الوعد ان كنتم فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون
من يوم القيمة او يوم بدر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا الذاريات اعطاه
الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله والطور
الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد من عالم الغيب الى
عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة
والمراد به القران او ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ او الواح موسى او فى قلوب
اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة فى رق منشور الرق الجلد
الذى يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما
ليسا من المتعارف بين الناس والبيت المعمور يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج
والمجاورين او الضراح وهو فى السماء السابعة وعمارته كثرة غاشيته من الملائكة
او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعنى السماء
والبحر المسجور اى المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت
روى ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيمة نارا تسجر بها نار جهنم او المختلط من

البيتيير وهو الخليط إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ لنازل مَا لَهُ مِن دَافِعٍ اي
يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرته
وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
تضطرب مَوْرًا والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج و
يوم ظرف وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء
فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اي اذا وقع ذلك فويل لهم الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ
يَلْعَبُونَ اي في الخوض في الباطل يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا
يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم
فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعاء حالا بمعنى مدعوين
ويوم بدل من يوم تمورا وظرف لقول مقدر محكيه هَذِهِ النَّارُ الَّتِي
كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ اي يقال لهم ذلك أَفَسِحْرٌ هَذَا اي كنتم تقولون
للوحي هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار
والتوبيخ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا
ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم
حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا اي
ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم منها سَوَاءٌ
عَلَيْكُمْ اي الامران الصبر وعدمه إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ تعليل للاستواء
فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ في اية جنات واي نعيم او في جنات ونعيم
مخصوصة بهم فَاكِهِينَ ناعمين متلذذين بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وقرئ فكهين
وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ عطف
على اتيهم ان جعل ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من المستكن في الظرف
او الحال او من فاعل اتى او مفعوله او منهما كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا اي اكلا
وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون
اي جزاؤه مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ مصطفة وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ
عِينٍ الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى
صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك
وَالَّذِينَ آمَنُوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقا مؤمنين وقيل

انه مبتداء خبره الحقنا بهم وقوله وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ اعتراض
للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة في كثرتهم
والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم
اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما
وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان
أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ في دخول الجنة او الدرجة لما روي انه عليه السلام
قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا
هذه الاية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وَمَا أَلَتْنَاهُم وما انقصناهم
مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الاباء
او باعطاء بعض الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضيل عليهم وهو
اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من
لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت ولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل
واحد كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ بعمله مرهون عند الله تعالى فان عمل
صالحا فكه والا اهلكه وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ
اي وزودناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم يَتَنَازَعُونَ
فِيهَا يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كَأْسًا خمرا سماها باسم محلها ولذلك
انث الضمير في قوله لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ اي لا يتكلمون بلغو الحديث
في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا
وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح وَيَطُوفُ
عَلَيْهِمْ بالكاس غِلْمَانٌ لَّهُمْ اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم
اولادهم الذين سبقوهم كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ مصون في الصدف
من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم
على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله قَالُوا إِنَّا كُنَّا
قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين
من العاقبة فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بالرحمة او التوفيق وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ
عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد إِنَّا
كُنَّا مِن قَبْلُ من قبل ذلك في الدنيا نَدْعُوهُ نعبده او نسأله الوقاية إِنَّهُ
هُوَ الْبَرُّ المحسن وقرأ نافع والكسائي انه بالفتح الرَّحِيمُ الكثير الرحمة

فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه
بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه قل
تربصوا فانى معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى ام
تأمرهم احلامهم عقولهم بهذا بهذا التناقض فى القول فان الكاهن يكون ذا فطنة
ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى
ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون
مجاوزون الحد فى العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه
بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث
مثله مثل القران ان كانوا صادقين فى زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء
فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدى ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام
ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شئ ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر
فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شئ من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد
الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات
والارض وام فى هذه الايات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون
اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا
عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا
او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته الحكمة ام هم المسيطرون الغالبون
على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون
فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من عالم الغيب حتى يعلموا ما هو
كائن فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه
ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من
العقلاء فضلا ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب ام تسئلهم
اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام مغرم مثقلون محمولون الثقل
فلذلك زهدوا فى اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه
المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم فى دار الندوة
برسول الله فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير
للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم
الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون

فى

فى الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه
سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم وشركة ما يشركونه به وان يروا
كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم
سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط
علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون
وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على
المبنى للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا
اى شيئا من الاغناء فى رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب
الله وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك
اى دون عذاب الاخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة فى الدنيا كقتلهم يوم بدر
والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك
بامهالهم وابقائك فى عنائهم فانك باعيننا فى حفظنا بحيث نراك
ونكلأك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وسبح
بحمد ربك حين تقوم من اى مكان قمت او من منامك او الى الصلاة
ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الريا ولذلك
افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم
من اخر الليل وقرئ بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه عليه السلام
من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان يبعثه فى جنته

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر
يوم القيمة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب و
هويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا نزل او النبات اذا سقط
على الارض او اذا نمى وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم وما غوى وما
اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمراد نفى ما ينسبون اليه وما ينطق عن
الهوى وما يصدر نطقه بالقران عن الهوى ان هو ما القران او الذى ينطق
به الا وحى يوحى اى الا وحى يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له
واجيب عنه بانه اذا اوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا

وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحى لا الوحى عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى ملك
شديد قواه وهو جبريل فانه الواسطة فى ابداء الخوارق وروى انه قلع قوم لوط
ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذُو مِرَّةٍ حصافة
فى عقله ورأيه فَاسْتَوَى فاستقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها
وقيل ما راه احد من الانبياء فى صورته غير محمد مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض
وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى افق السماء
والضمير لجبريل ثُمَّ دَنَا من النبى فَتَدَلَّى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه
بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه
عرج به غير منفصل عن محله وتقرير لشدة قوته فان التدلى استرسال مع تعلق
كتدلى الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدوالى الثمر المعلق
فَكَانَ جبريل كقولك هو منى معقد الازار او المسافة بينهما قَابَ قَوْسَيْنِ
مقدارهما أَوْ أَدْنَى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة
الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس فَأَوْحَى جبريل
إِلَى عَبْدِهِ عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها مَا أَوْحَى
جبريل وفيه تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى
بشديد القوى كما فى قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته
وتدليه جذبه بشراسره الى جناب القدس مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى ما رأى
ببصره من صورة جبريل او الله تعالى اى ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور
القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه
لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه والمعنى انه لم يكن تخيلا كاذبا
او يدل عليه انه عليه السلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادى
وقرأ هشام ما كذب اى صدقه ولم يشك فيه أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى افتجادلونه
عليه من المرا وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين
يمرى ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائى وخلف ويعقوب افتمرونه بفتح التاء
وسكون الميم اى افتغلبونه فى المرا من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه
حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان الممارى والجاحد يقصدان
بفعلهما غلبة الخصم وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى مرة اخرى فعلة من النزول
اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية فى هذه المرة كانت ايضا
بنزول ودنو والكلام فى المرئى والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه

نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفى الريبة عن المرة الاخيرة
عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى التى ينتهى اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل
من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهى شجرة النبق لانهم
يجتمعون فى ظلها روى مرفوعا انها فى السماء السابعة عِنْدَهَا جَنَّةُ
المَأْوَى الجنة التى يأوى اليها المتقون او ارواح الشهداء إِذْ يَغْشَى
السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى تعظيم وتكثير لما يغشيها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها
عدد وقيل يغشيها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها مَا زَاغَ البَصَرُ
ما مال بصر رسول الله عما رآه وَمَا طَغَى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا
مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التى امر برؤيتها وما جاوزها لَقَدْ
رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى اى والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه
الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقيل انها المغيبة بما رأى ويجوز ان تكون الكبرى
صفة للآيات على ان المفعول محذوف اى شيئا من آيات ربه او من مزيدة
أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى هى اصنام كانت
لهم فاللات كان لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى لانهم
كانوا يلوون عليها اى يطوفون وقرأ هبة الله عن البزى ورويس عن يعقوب
اللات بالتشديد على انه سمى به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم
الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت
لهذيل وخزاعة او لثقيف وهى فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون
عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة وهى مفعلة من النوء كانهم
يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد
كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التأخر فى الرتبة أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ
الأُنْثَى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها
جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثانى لقوله افرأيتم
تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهو
فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى بيض فان فعلى
بالكسر لم يأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به
إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ الضمير للاصنام اى ما هى باعتبار الالوهية الا اسماء
تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شئ من معنى الالوهية والصفة

التى تصفونها بها من كونها الهة وبناتا وشفعا او للاسماء المذكورة فانهم كانوا
يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها
ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ
وَآبَاؤُكُمْ سميتم بها بهواكم مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ برهان يتعلقون
به إِنْ يَتَّبِعُونَ وقرئ بالتاء إِلَّا الظَّنَّ الا توهم ان ما هم عليه حق تقليد
او توهما باطلا وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وما تشتهيه انفسهم وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى الرسول والكتاب فتركوه أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد
نفى طمعهم فى شفاعة الالهة وقولهم لئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى
وقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ونحوها فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ
وَالْأُولَى يعطى منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه فى شئ منهما
وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وكثير من الملائكة
لا تغنى شفاعتهم شيئا ولا تنفع إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ فى الشفاعة
لِمَنْ يَشَاءُ من الملائكة ان يشفع او من الناس من يشفع له وَيَرْضَى ويراه
اهلا لذلك فكيف يشفع الاصنام لعبدتهم إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ اى كل واحد منهم تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى بان سموه بنتا
وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اى بما يقولون وقرئ بها اى بالملائكة او التسمية إِنْ
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا فان الحق الذى
هو حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له فى المعارف الحقيقية وانما
العبرة به فى العمليات وما يكون وصلة اليها فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا
وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من غفل
عن الله واعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه
لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذَلِكَ امر الدنيا او كونها
شهيته مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور همهم
بالدنيا وقوله إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى
تعليل بالامر للاعراض انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك فى دعوتهم
اذ ما علينا الا البلاغ وقد بلغت وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ خلقا وملكا لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا بعقاب ما عملوا
من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله

اى خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدى وحفظ احوالهم
لذلك وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى بالمثوبة الحسنى وهى الجنة
او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ
ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب
الحد وقرأ حمزة والكسائى وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك وَ
الْفَوَاحِشَ ما فحش من الكبائر خصوصا إِلَّا اللَّمَمَ الا ما قل وصغر
فانه مغفور من مجتنبين الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على
الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ
حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر وله ان يغفر ما شاء من الذنوب
صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس
صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ
اعلم باحوالكم منكم إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق
ادم وحيث ما صوركم فى الارحام فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ فلا تثنوا عليها
بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصى والرذائل هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ
اتَّقَى فانه يعلم التقى وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب ادم عليه السلام
أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى عن اتباع الحق والثبات عليه وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى
وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهى الصخرة الصلبة فترك
الحفر والاكثر انها نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعيره بعض المشركين وقال لم تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى
عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض
المشروط ثم بخل بالباقى أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى يعلم ان صاحبه
يتحمل عنه أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى وفر
واتم ما التزمه او امر به او بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله
ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين القى فى النار فقال الك
حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا
فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى عليه السلام لان صحفه
وهى التوراة كانت اشهر واكثر عندهم أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى
ان هى المخففة من الثقيلة وهى بما بعد فى محل الجر بدلا مما فى صحف موسى او الرفع

على هواه لو تزركانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب
احد غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا
بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام
من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان
ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وان ليس للانسان الا
ما سعى وان سعيه سوف يرى الا سعيه اى كما لا يؤاخذ احد بذنب
الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار ان الصدقة والحج ينفعان الميت
يوم القيمة فلكون الناوى له كالنايب عنه ثم يجزيه الجزاء الاوفى
اى يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون
مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله وان
الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع
عما في الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو
امات واحيا لا يقدر على الاماتة والاحيا غيره فان القاتل ينقض
البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة وانه خلق
الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق
او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشاة الاخرى
الاحيا بعد الموت وفا بوعده وقرا ابن كثير وابو عمرو والنشاءة بالمد
وهو ايضا مصدر نشاه وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية
وهو ما يتاثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى
وتحقيقه جعل الرضى له قنية وانه هو رب الشعرى يعنى العبور
وهى اشد ضياء من الغميصا عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول
صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون
الرسول ابن ابى كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان وافق
اباكبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها وانه اهلك عادا الاولى
القدما لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقيل عاد الاولى قوم هود
وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام
التعريف وقرا نافع وابو عمرو عادا لولى بضم اللام بحركة الهمزة وبادغام
التنوين في اللام وقالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو
وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرا عاصم وحمزة بغير

تنوين ويقفان بغير الف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف
فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا عطف عليه من قبل من
قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه
وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى التى
ائتفكت باهلها اى انقلبت وهى قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها
فقلبها فغشيها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباى آلاء
ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات
وان كانت نعما ونقما سماها الا من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين
والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر الاولى اى هذا
القران نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين
الاولين ازفت الازفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت
الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها
اذا وقعت الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس
لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعاقبة افمن هذا الحديث يعنى
القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا
على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير في
سيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو
الغنا فاسجدوا لله واعبدوا اى واعبدوه دون الالهة عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرا والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد

وجحد به بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيمة ويؤيد
الاول انه قرئ وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من ايات اقترابها
انشقاق القمر وقوله وان يروا اية يعرضوا عن تاملها والايمان بها
ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم راوا قبله ايات اخرى مترادفة
ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر
اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار

ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان
من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم
القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا
او شقاوة او سعادة في الاخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت و
استقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر
على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن
من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الاخرة ما فيه مزدجر
ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال و
الذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة
بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل مما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا
من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها
فما تغني النذر نفي او استفهام انكار اي فاي غنى تغني النذر وهو جمع
نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك
ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء
فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف
وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس
لانها لم تعهد مثله وهو هول القيمة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ
نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اي يخرجون
من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله
ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن
عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم
لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون
الجملة حالا كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة
مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون
هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك
فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معنى كذبوه تكذيبا على
عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذبا وكذبوه بعدما
كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ
بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن

وتخبطه

وتخبطه فدعا ربه اني باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب
غلبني قومي فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روي
منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة
وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا
بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض
كلها كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة
فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين
والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله
في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما
انزل الله من السماء على قدر ما اخرج من الارض او على امر قدره الله وهو
هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب
عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد
وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها
تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر
اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة
على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ
لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة اية
يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر
على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي
ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع
ولقد يسرنا القرآن سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها
للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ
بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت قبلهم
عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي بالعذاب قبل نزوله او لمن
بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت
في يوم نحس شؤم مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم
او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا او اشتد مرارته وكان
يوم الاربعاء اخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا في

فی الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم
كأنهم أعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض
وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير
منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فی قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف
كان عذابی ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم فی الدنيا والثانی
لما يحيق بهم فی الاخرة كما قال ايضا فی قصتهم لنذيقهم عذاب الخزی فی الحيوة
الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
كذبت ثمود بالنذر بالانذارات والمواعظ والرسل فقالوا أبشرا
منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده
وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له
او من آحادهم دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفی ضلال وسعر جمع سعير
كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر
الجنون ومنه ناقة مسعورة أألقی الذكر الكتاب والوحی عليه من بيننا
وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب أشر حمله بطره على الترفع علينا
بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب
الأشر الذی حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه
وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح
وقرئ الأشر كقولهم حذر فی حذِر والأشرّ الابلغ فی الشرارة وهو اصل مرفوض
كالاخير انا مرسلو الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا
لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم
ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء
كل شرب محتضر يحضره صاحبه فی نوبته او يحضره عنه غيره فنادوا
صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطی
قتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطی تناول الشیء بتكلف فكيف كان
عذابی ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا
كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذی يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او
كالحشيش اليابس الذی يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فی الشتاء وقرئ بفتح
الظاء ای كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا

حصبهم

تحصبهم بالحجارة ای ترميهم الا آل لوط نجيناهم بسحر فی سحر وهو
آخر الليل او مستحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك
نجزی من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا
اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين

فطمسنا أعينهم

ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فمسحناها وسويناها
بسائر الوجه روی انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فاعماهم
فذوقوا عذابی ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او
ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها
اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار
فذوقوا عذابی ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
كرر ذلك فی كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب
واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستينافا للتنبيه والايقاظ
لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأی آلاء ربكما تكذبان
وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون النذر
اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها يعنی
الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شیء
أكفاركم يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة
او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة فی الزبر ام نزل لكم فی الكتب

جماعة امرنا مجتمع

السماوية ان من كفر منكم فهو امان من العذاب ام يقولون نحن جميع منتصر
ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا
والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر ای الادبار و
افراده لارادة الجنس او لان كل واحد يولی دبره وقد وقع ذلك يوم بدر
وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضی الله عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ما هی
فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول
سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلی وما
يحيق بهم فی الدنيا فمن طلائعه والساعة ادهى اشد والداهية امر
فظيع لا يهتدى لدوائه وأمر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين
فی ضلال عن الحق فی الدنيا وسعر ونيران فی الآخرة يوم يسحبون
فی النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر ای يقال

لهم ذوق حر النار والمها فان مسها سبب للتألم بها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهي الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ نهر بضم الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذووا الافهام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان

بحساب

بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم والنبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض وما يعرف به مقادير الاشيا من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطي من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والثمرة والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اي ذا الريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله

وقراه ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اى وخلق الحب والريحان او
اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرا حمزة والكسائي
والريحان بالخفض وما عدا ذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت
الواو ياء وادغم وخفف وقيل روحان فقلبت واوه ياء للتخفيف فبأي
آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام
وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال
الطين اليابس الذى له صلصلة والفخارة الخزف وقد خلق الله ادم من تراب
جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب
ونحوه وخلق الجان الجن اوابا الجن من مارج من صاف من الدخان
من نار بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب
فبأي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما فى اطوار خلقتكما حتى صيركما
افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين
مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما فى
ذلك من الفوائد التى لا تحصر كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث
ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت الدابة
اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحرين الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران
او يتماس سطوحهما او بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان
يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان
لا يبغى احدهما على الاخر بالممازجة وابطال الخاصية ولا يتجاوزان احدهما
باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ و
المرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر
يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او
لانهما لما اجتمعا صارا كالشئ الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما
وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب تخرج وقرئ نخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان
فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ
بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان
المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين
اى الرافعات الشرع او اللاتى ينشئن الامواج او السير فى البحر كالاعلام
كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق

مواد

مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر
باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها من على الارض من
الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى وجه
ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها
وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها الا وجه الله اى الوجه الذى يلى جهته
ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأي
آلاء ربكما تكذبان مما ذكرنا قبل هذا بقاء ما لا يحصر مما هو على صدد
الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب على افناء الكل من الاعادة والحيوة الدائمة
والنعيم المقيم يسأله من فى السموات والارض فانهم مفتقرون اليه
فى ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد ما السؤال
ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشئ نطقا كان او غيره كل يوم هو فى شأن
كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفى الحديث
من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين وهو رد
لقول اليهود ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان
اى مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ
لكم ايه الثقلان اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه
تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سافرغ
لك فان المتجرد للشئ كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء
وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا
بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف
فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان
تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب
السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا
لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر
وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما فى السموات والارض
فانفذوا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها
بافكاركم فبأي آلاء ربكما تكذبان اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو
مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون
بها الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار

ونحاس ودخان قال يضئ كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا
او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرا ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس
بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب فى رواية وقرئ ونحس
وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فباى الاء ربكما تكذبان
فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفار
فى عداد الالاء فاذا انشقت السماء فكانت وردة اى حمراء كالوردة
وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن
بغزوة يحوى الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم
لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فباى الاء ربكما
تكذبان اى مما يكون بعد ذلك فيومئذ اى فيوم تنشق السماء
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون
من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما
قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع والهاء للانس باعتبار
اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة فباى الاء ربكما تكذبان
اى مما انعم على عباده المؤمنين فى هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم
وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصى والاقدام مجموعا
بينهما وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباى الاء ربكما
تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب
او قيامه على احوالهم من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب
باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة
كقوله ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف
الانسى والاخرى للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل
واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصى
او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء
مثنى بعد فباى الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من الاشجار
والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهى الغصنة التى تتشعب من فروع الشجر
وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر وتمد الظل فباى الاء ربكما
تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل قيل
احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل فباى الاء ربكما تكذبان

فيهما من كل فاكهة زوجان غريب ومعروف او رطب ويابس فباى
الاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق من
ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين
مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع وجنا الجنتين
دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى المجنى وقرئ بكسر
الجيم فباى الاء ربكما تكذبان فيهن فى الجنان فان جنتان تدل
على جنان هى للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او فى هذه الالاء المعدودة
من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء
قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرا
الكسائى بضم الميم فباى الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت
والمرجان اى فى حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائها فباى الاء
ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى
الثواب فباى الاء ربكما تكذبان ومن دونهما ومن دون تينك
الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب
اليمين فباى الاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان
يضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين
الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار
والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فباى الاء ربكما تكذبان
فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء والفواكه وهو ايضا اقل
مما وصف به الاولين وكذا ما بعده فباى الاء ربكما تكذبان
فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة
النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة على
ان من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فباى الاء ربكما
تكذبان فيهن خيرات خيرات فخفف لان خيرا الذى هو بمعنى اخير لا يجمع
وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق والخلق فباى الاء
ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام قصرن فى خدورهن
يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة او مقصورات الطرف
على ازواجهن فباى الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان

كور الاولين وهو لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم فبأي آلاء ربكما
تكذبان متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف
ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري
حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب
انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان
حملا على المعنى تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما
ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام
عليكما ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب
اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون
حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها
في قوله قدمت لحياتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدقا او
ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها
من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته وسولت له انه يطيقه
خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام
كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام
عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال
اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء
وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا
فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت
وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا
وكنتم ازواجا اصنافا ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج
فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب
المشأمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن
وتشاؤمهم بالشمائل او اصحاب اليمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم

في

بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء
ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان
استفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما
التعجيب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا
الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة
الفضائل والكمالات او الانبياء فهم مقدمون اهل الاديان هم الذين عرفت
حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا الى
الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم
في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين اي هم كثير من الاولين يعني
الامم السالفة من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقليل من
الآخرين يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ذلك قوله عليه
السلام ان امتي يكثرون سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا
هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة
من الآخرين لان كثرة الفريقين لا ينافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا
انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة
خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت
او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان
من الضمير في على يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون
ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره
والكوب اناء بلا عروة ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وكأس من
معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف
عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون اي لا يتفرقون وفاكهة
مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور
عين عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور
وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في
جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون
باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ
المكنون المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون
اي يفعل ذلك كله بهم جزاء لاعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا

الات الحرب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها
وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة فی مجاهدة الكفار
والعطف علی محذوف دل عليه قوله ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا واللام
صلة لمحذوف ای انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن فی ينصره ان الله
قوی علی اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الی نصرة وانما امرهم
بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا
وابرهيم وجعلنا فی ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا
اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم من الذرية او من المرسل
اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن
الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فی الذم والدلالة
علی ان الغلبة للضلال ثم قفينا علی آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى
ابن مريم ای ارسلنا رسولا بعد رسول حتی انتهی الی عيسی عليه السلام
والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية
فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة
وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمی وجعلنا فی قلوب الذين اتبعوه
رأفة وقرئ رآفة علی فعالة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ای
وابتدعوا رهبانية مبتدعة علی انها من المجعولات وهی المبالغة فی العبادة
والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الی الرهبان وهو المبالغ فی الخوف
من رهب كالخشيان من خشی وقرئت بالضم كانها منسوبة الی الرهبان وهو
جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا
ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع ای ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان
الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفی
الايجاب المقصود منه مجرد حصول مرضات الله وهو يخالف قوله ابتدعوها
ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لانهم اخترعوها
من تلقاء انفسهم فما رعوها ای فما راعوا جميعا حق رعايتها
بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد صلی الله عليه
وسلم ونحوها اليها فآتينا الذين آمنوا منهم اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا
حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد صلی الله عليه وسلم منهم من المتسمين
باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حق الاتباع

يا

يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا
برسوله محمد صلی الله عليه وسلم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته
لايمانكم بمحمد صلی الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا علی
دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصاری
الذين كانوا فی عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور فی
قوله يسعى نورهم او الهدی الذی يسلك به الی جنات القدس ويغفر لكم
والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب ای ليعلموا ولا مزيدة و
يؤيده انه قرئ ليعلم ولكی يعلم ولانه يعلم بادغام النون فی الياء ان لا يقدرون
علی شیء من فضل الله ان هی المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا مما ذكر
من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط
بالايمان به او لا يقدرون علی شیء من فضله فضلا ان يتصرفوا فی اعظمه
وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا ويؤيده قوله وان الفضل بيد
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة
والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبی والمؤمنون به علی شیء من
فضل الله ولا ينالونه فيكون ان الفضل عطفا علی ان لا يعلم وقرئ ليلا
ووجهه ان الهمزة حذفت وادغمت النون فی اللام ثم ابدلت ياء وقرئ
ليلا علی ان الاصل فی الحروف المفردة الفتح عن النبی صلی الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التی تجادلك فی زوجها
وتشتكی الی الله روی ان خولة بنت ثعلبة ظاهر منها زوجها اوس بن
الصامت فاستفتت رسول الله صلی الله عليه وسلم فقال حرمت عليه
فقالت ما طلقنی فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الی
الله فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول والمجادلة تتوقع
ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة دالها
فی السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو علی تغليب
الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظهرون
منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علی كظهر امی

مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تهجين لعادتهم
فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي تظاهرون من تظاهر وعاصم تظاهرون من ظاهر ما هن
أُمَّهَاتِهِمْ اى على الحقيقة إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ فلا يشبه
بهن في الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول وعن عاصم
امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب وَ
إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ اذ الشرع انكره وَزُورًا لمنحرفا عن الحق
فان الزوجة لا تشبه الام وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ لما سلف منه مطلقا
او اذا تيب عنه وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا
اى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض
ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر منها فى النكاح زمانا يمكنه
مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائه عنه وهو اقل ما
ينتقض به وعند ابى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعنده
مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار فى الاسلام على ان
قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون فى الجاهلية
وهو قول الثورى او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف
على ما قال وهو قول ابى مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة
استمتاعها او وطئها فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ اى فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة
والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار
والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا
ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالاخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه
او ان يجامعا وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذَلِكُمْ اى ذلكم الحكم
بالكفارة تُوعَظُونَ بِهِ لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة
ويردع عنه وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ لا يخفى عليه خافية فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
اى الرقبة والذى غاب ماله واجد فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَتَمَاسَّا فان افطر لغير عذر لزمه الاستيناف وان افطر لعذر ففيه
خلاف وان جامع المظاهر منها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة
ومالك فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ اى الصوم لمرض او هرم او شبق مفرط فانه عليه
السلام رخص للاعرابى المفطر ان يعدل لاجله فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا

ستين

ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ما
قيل فى الكفارات فى المخرج فى الفطرة وقال ابو حنيفة يعطى كل مسكين
نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء
بذكره مع الاخرين او لجوازه فى خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة رحمه الله
ذَلِكَ اى ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل
بقوله لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله
فى قبول شرائعه ونفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
لا يجوز تعديها وَلِلْكَافِرِينَ اى الذين لا يقبلونها عَذَابٌ أَلِيمٌ
وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ يعادونهما فان كلا من المتعاديين فى حد غير حد الاخر
او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما كُبِتُوا اخزوا او اهلكوا
واصل الكبت الكب كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يعنى كفار الامم الماضية
وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ تدل على صدق الرسول وما جاء به
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ يذهب عزهم وتكبرهم يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ
منصوب بمهين او باضمار اذكر جَمِيعًا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او
مجتمعين فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا اى على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا
لعذابهم أَحْصَاهُ اللَّهُ احاط به عددا لم يغب منه شئ وَنَسُوهُ
لكثرته او تهاونهم به وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ لا يغيب عنه شئ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ كليا وجزئيا
مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ما يقع من تناجى ثلاثة ويجوز ان يقدر
مضافا او يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقه
من النجوة وهى ما ارتفع من الارض فان السرار مدفوع الى الذهن لا يتيسر
لكل احد ان يطلع عليه إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ الا الله يجعلهم اربعة من حيث
انه يشاركهم فى الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال وَلَا خَمْسَةٍ
ولا نجوى خمسة إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وتخصيص العددين اما لخصوص
الواقعة فان الاية نزلت فى تناجى المنافقين او لان الله تعالى وتر يحب الوتر
والثلاثة اول الاوتار او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين
وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون
او تأويل نجوى بمتناجين وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ ولا اقل مما ذكر كالواحد

والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجرى
بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى
ان جعلت لا لنفى الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشيا ليس لقرب مكانى
حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة
تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ان الله بكل شئ عليم
لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن
النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا
يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون
بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول اى بما هو اثم وعدوان
للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وهو يفتعلون من
النجوى وروى عن يعقوب واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله
فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على
عباده الذين اصطفى ويقولون فى انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا
الله بما نقول هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم
عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها الذين امنوا
اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كما
يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى
بما يتضمن خيرا للمؤمنين والاتقاء عن معصيت الرسول واتقوا الله
الذى اليه تحشرون فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى
اى النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها
ليحزن الذين امنوا بتوهمهم انها فى نكبة اصابتهم وليس اى الشيطان
او التناجى بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله الا بمشيته
وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم يا ايها الذين امنوا اذا
قيل لكم تفسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه فى المجلس توسعوا
فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى اى تنح وقرئ تفاسحوا والمراد
بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع
كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق

والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به
كصلاة او جهاد او ارتفعوا عن المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن
الذكر فى الدنيا وايوائهم غرف الجنان فى الاخرة والذين اوتوا العلم
درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل
فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى
بالعالم فى افعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن
لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول
فقدموا بين يدى نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان
وفى هذا الامر تعظيم الرسول وانفاع الفقرا والنهى عن الافراط فى السؤال
والتميز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب
او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ااشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به
نزوله وعن على رضى الله عنه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها احد غيرى كان لى
دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب
لا يقدح فى غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى انه
لم يبق الا عشرا او قيل الا ساعة ذلك اى التصدق خير لكم واطهر
اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا
فان الله غفور رحيم اى لمن لم يجد حيث رخص له فى المناجاة بلا تصدق
ادل على الوجوب ااشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات
اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من
الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجى فاذ لم تفعلوا
وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب
تجاوز الله عنه لما راى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا
او ان فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلا تفرطوا فى ادائهما واطيعوا
الله ورسوله فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك
والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين تولوا قوما
والوا غضب الله عليهم يعنى اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم
منافقون فهم مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعا

الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفى
هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم
وروى انه عليه السلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن
رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبيل المنافق
وكان ازرق وقال عليه السلام علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله
ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا
نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل
واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اى حلفوا بها وقرئ بالكسر اى ايمانهم
الذى اظهروه جنة وقاية دون دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل
الله فصدوا الناس فى خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط فلهم
عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر
وهذا عذاب الآخرة لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم
الله جميعا فيحلفون له اى لله على انهم مسلمون كما يحلفون لكم
فى الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على شئ لان تمكن النفاق
فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب
على الله كما تروجه عليكم فى الدنيا الا انهم هم الكاذبون
البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة و
يحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حذوت
الابل وحذتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل فانسيهم
ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان
جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا
على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون
الله ورسوله اولئك فى الاذلين فى جملة من هو اذل خلق الله كتب الله
فى اللوح لاغلبن انا ورسلى اى بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلى
بفتح الياء ان الله قوى على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه فى مراده
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله اى لا ينبغى ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغى ان
يوادهم ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان

المحاورون اقرب الناس اليهم اولئك اى الذين لم يوادوهم كتب
فى قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم
الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت
فيه وايدهم بروح منه اى من عند الله وهو نور القلب او القرآن او
النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحيوة القلب ويدخلهم
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم بطاعتهم
ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله
جنده وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون
بخير الدارين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله

يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم روى
انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه
فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المبعوث فى التورية بالنصرة فلما هزم
المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا
الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا كعب
من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على
الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح
لله الى قوله والله على كل شئ قدير هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب من ديارهم لاول الحشر اى فى اول حشرهم من جزيرة العرب
اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او فى اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام
وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى الشام او فى اول
حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة
فيدركونهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر
اخراج جمع من مكان الى آخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اى ان حصونهم تمنعهم من باس
الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم
بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان تكون

حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اى عذابه وهو الرعب والاضطرار
الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فاتاهم نصر الله وقرئ فاتاهم العذاب
او النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف فى قلوبهم
الرعب واثبت فيها الخوف الذى يرعبها اى يملأها يخربون بيوتهم
بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها وايدى
المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال
وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم
استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرأ ابو عمرو يخربون
بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشئ
خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولى الابصار فاتعظوا بحالهم
فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث
انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة
المقتضية له على ما قررنا فى الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم
الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم فى الدنيا بالقتل والسبى كما فعل
ببنى قريظة ولهم فى الاخرة عذاب النار استيناف معناه انهم ان
نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله
ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة
الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير
ما قطعتم من لينة اى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان
وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها اليان او تركتموها الضمير
لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ اصلها اكتفاء
بالضمة عن الواو او على انه كرهن فباذن الله فبامره وليخزى الفاسقين
علة لمحذوف اى وفعلتم او واذن لكم فى القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم
منه روى انه عليه السلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى
عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز
هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله
وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى
خلق الانسان لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان
يكون للمطيعين منهم من بنى النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه

فما

فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب
ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فى
بنى النضير فلان قراهم كانت ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط
الانصار منه شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله
على من يشاء بقذف الرعب فى قلوبهم والله على كل شئ قدير
فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على
رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول
ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف فى قسم الفىء
فقيل يسدس بظاهر الاية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة والمساجد وقيل
يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول الى الامام على قول
والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه
كالغنيمة فانه عليه السلام كان يخمس الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة
كما يشاء والان على الخلاف المذكور كيلا يكون اى الفىء الذى حقه
ان يكون للفقراء وقرأ هشام فى رواية بالتاء دولة بين الاغنياء منكم
الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة
بمعنى كيلا يكون الفىء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة يكون بينهم ودولة بالرفع
على كان التامة اى كيلا تقع دولة جاهلية وما آتيكم الرسول وما
اعطاكم من الفىء او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب
الطاعة وما نهيكم عنه عن اخذه منه او عن اتيانه فانتهوا عنه
واتقوا الله فى مخالفة رسوله ان الله شديد العقاب لمن خالفه
للفقراء المهاجرين بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى
فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده او الفىء بفىء
بنى النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة
اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال
مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله
بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون فى ايمانهم والذين تبوؤا
الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار الذين ظهر صدقهم
فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيها وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة

ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه
اللام او تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل
سمي المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين
وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر
اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة
ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطي
المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على
انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان
بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه
حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم
المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل والذين جاؤا من
بعدهم هم الذين هاجروا بعد حين قوي الاسلام او التابعون باحسان
وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت
جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان اي لاخواننا في الدين ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا
حقدا لهم ربنا انك رؤف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر
الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد
الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم
لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم وخذلانكم احدا ابدا اي من رسول
الله والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون
لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم وكان ذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك
ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القران ولئن نصروهم على
الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم
ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود
او ان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل
المبني للمفعول في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين
من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله
ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته

ويعلمون

ويعلمون انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا
مجتمعين متفقين الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من
وراء جدر لفرط رهبتهم وقرأ ابو عمرو وابن كثير جدار وامال ابو عمرو
وفتح الدال بأسهم بينهم شديد اي وليس ذلك لضعفهم و
جبنهم فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب
في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله
تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق
عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون
ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم
اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او
المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ
التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا
ولهم عذاب اليم في الاخرة كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في
اغراء اليهود على القتال اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الآمر
للمامور فلما كفر قال اني بريء منك تبرأ عنه مخافة ان يشاركه في
العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين
فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين
والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم
اليوم من الناس واني جار لكم الاية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد
وقرئ عاقبتهما وخالدان على انهما الخبر وفي النار لغو يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة سماه به لدنوه
او لان الدنيا كيوم والاخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال
الانفس النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة في ذلك
واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل
والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو
كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه
فانسيهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى كانهم لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا
ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم
الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار و

اصحاب الجنة الذين استكملوا انفوسهم فاستأهلوا للجنة والذين استمهنوها فاستحقوها النار واحتج اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتخييل كما مر فى قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القران لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس البالغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وافة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذى جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحه المتكبر الذى تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصا سبحان الله عما يشركون اذ لا يشركه شئ من ذلك احد هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب فى شرح هذه الاسما واخواتها فعليه بكتابى المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعانى يسبح له ما فى السموات والارض لتنزهه عن النقايص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر

غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء نزلت فى حاطب ابن ابى بلتعة فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب

الیهم

اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب بن ابى بلتعة الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها وجحدت فسل على السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ صحبتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس فيهم من يحمى اهلى فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابى لا يغنى شيئا فصدقه رسول الله فعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم بالمودة بالمكاتبة والبا مزيدة او اخبار رسول الله بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاوليا جرت على غير من هى له فلا حاجة له فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط فى الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم اى من مكة وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استيناف معناه اى طائل لكم فى اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اى منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم اى يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطاه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوؤكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجئ وودوا بلفظ الماضى للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شئ وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق ما بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر

عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر
وابو عمرو يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم والله بما
تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة لما
يؤتسى به في ابرهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من
المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم
ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع برئ كظريف وظرفاء ومما تعبدون من
دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم و
الهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله
وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابرهيم لابيه
لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه
الكافر ليس مما ينبغي ان يأتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه
وما املك لك من الله من شئ من تمام قول المستثنى ولا يلزم من استثنا
المجموع استثناء جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك
المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما
لما اوصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا
ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان
يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد
الحث على التاسي بابرهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجوا
الله واليوم الاخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التاسي بهم
وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله
هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم
المشركين وتبرؤا عنهم وعد الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اوليا
والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من
قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهيكم عن مبرة هؤلاء لا نقول
ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط اي
العدل ان الله يحب المقسطين اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى

قدمت

قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها
بالدخول فنزلت انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم
من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في
اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل
الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير
موضعها يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن
فاختبروهن بما يغلب على ظنكم لموافقة قلوبهن لسانهن في الايمان الله اعلم
بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم
الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه
علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى
ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة
والمبالغة والاولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستيناف واتوهم
ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان
من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن
اذ روي انه عليه السلام كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث
الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر
ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن
الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا
بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر
بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام
على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد واسألوا
ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفر وليسألوا ما انفقوا
من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكروا في الاية
يحكم بينكم استيناف او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على
المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه حكمته وان فاتكم وان
سبقكم وانفلت منكم شئ من ازواجكم احد من ازواجكم وقد قرئ به
وايقاع شئ موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شئ من مهورهن الى الكفار
فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه باداء هؤلاء مهور

نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون
فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل
ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روي انه لما نزلت
الاية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه
ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهو الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة
واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به يقتضي التقوى
منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن
بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال
اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
ولا يعصينك في معروف في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف
مع ان الرسول لا يأمر الا به تنبيه على انه لا تجوز طاعة مخلوق في معصية
الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب والوفاء بهذه الاشياء
واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا
قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت
في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد
يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم
الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من
اصحاب القبور ان يبعثوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع
الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم من النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق
تفسيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان
المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا
فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون في فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة
من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر على حذف الفها مع حرف الجر لكثرة

استعمالها معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة
على ان قولهم هذا مقت خالص كبر عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع
عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين
مصدر وصف به كأنهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال
من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه
واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذونني
بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم
من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه و
يمنع اذاه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم
صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين
هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى ابن مريم يا بني
اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول
الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي
من بعدي في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري برسول يأتي
من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو
اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
والمعنى ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي
حكم بها النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين فلما جاءهم بالبينات
قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة
ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى ومن
اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي اي احد
اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيقته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع
اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسميته آياته سحرا فانه يعم اثبات
المنفي ونفي الثابت وقرئ يدّعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه
والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم
يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى
الارادة تأكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا اباك
او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله يعني دينه او كتابه او حجته بافواههم

بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي
ارسل رسوله بالهدى بالقران او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية
ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان ولو كره المشركون لما فيه
من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم وقرئ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله
ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف
مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به
الامر وجيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني
ماذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل
لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر
او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل
تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جواب هل ادلكم لان مجرد دلالته
لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن
طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من
المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة
اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل
وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطيكم او تحبون او مبتداء خبره نصر من الله
وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف
عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل
وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشر او على
تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قل امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم
يا رسول الله بما وعدتهم عليهما اجلا وعاجلا يا ايها الذين امنوا كونوا
انصار الله وقراء الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض
انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من
جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله
فالاضافة الاولى اضافة المتشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص والثانية
اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى
او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون

اصفياوه وهم اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحور وهو البياض
فآمنت طائفة من بني اسرائيل صح وكفرت طائفة اي بعيسى فايدنا الذين امنوا
على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى فاصبحوا ظاهرين
فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان
عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز
الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في
الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن رسولا
منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلوا عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم
لم تعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال
ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والشريعة او معالم الدين من المنقول
والمعقول ولو لم يكن سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم
وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل
عليها وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهو
الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع وان
كانوا لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز
في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه
ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه
من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر
دونه نعيم الدنيا او نعيم الاخرة او نعيمهما مثل الذين حملوا التورية
علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها
كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها
ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس
مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون
بآيات الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون الذين صفة

للقوم والمخصوص بالذم محذوفا والله لا يهدي القوم الظالمين قل
يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون
الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت
فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان
كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم
بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم
على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم
مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لا تفوتونه لاحق
بكم والفا لتضمين معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسوغ لحوقه
بهم وقد روي بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان
يجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة اعا اذن لها
بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة
قيل سماه كعب بن لوي لاجتماع الناس فيه واول جمعة جمعها رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قبا واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة
وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا
اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة
والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة
ذلكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الاخرة خير وابقى
ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت
الصلاة اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل
الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي
الحديث وابتغوا من فضل الله ليس لطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة
وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا
ذكره في الصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا رأوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها روي انه عليه السلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام
فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة
فان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة
على ان منهم من انفض بمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض

الى

الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض
الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا
رأوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما على المنبر قل ما عند الله
من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد
بخلاف ما يتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين فتوكلوا عليه
واطلبوا الرزق منه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار
عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم
في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون لانهم لا يعتقدون ذلك اتخذوا ايمانهم
حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف في التوكيد وقرئ
ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله
صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم
ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم
او الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستخفاف بالايمان بانهم
آمنوا بسبب انهم آمنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او آمنوا اذا رأوا آية
ثم كفروا حيث ما سمعوا من شيا طينهم شبهة فطبع على قلوبهم
حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان
ولا يعرفون صحته واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها
وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي
جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع مثله
فيعجب بهياكلهم ويصغي الى كلامهم كأنهم خشب مسندة حال
من الضمير المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة
مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع
خشباء وهي الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر

وقرأ ابو عمرو والكسائي وروى عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على
انه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم
لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان تكون صلته والمفعول
هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر ولكن ترتب قوله
فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم
وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى
يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم
رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك
ورايتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون
عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن
يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين
يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق
والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان اعرابيا
نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي رأسه بخشبة فشكى
الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا
الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن
بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراءات مصدرا وحال على تقدير مضاف
كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة
والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون
من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا
اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلاة
وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها
للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اي اللهو بها وهو الشغل فاولئك
هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم
بعض اموالكم ادخارا للاخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت اي يرى دلائله

فيقول

فيقول رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد
فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن
للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون منصوبا عطفا
على اصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن
يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها اخر عمرها والله
خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه
له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث
الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل
على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر
كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه
اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات
والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم
فصوركم من جملة ما خلق فيها باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف
الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج
جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب
ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون
والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او
جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على
العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من
الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم يا ايها الكفار نبؤا الذين
كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم
ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة
والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الاخرة ذلك

اي المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب انه الشان كانت تأتيهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا أبشر يهدوننا انكروا
وتعجبوا ان يكون الرسول بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا
بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن كل شيء
فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده
كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك
يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان بما في حيزه قل بلى اي بلى
تبعثون وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم
بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول
القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد والنور الذي انزلنا
يعني القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه
والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر
باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء
والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم
بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار
من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في
امور الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
اي عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك
الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع
للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كأنها والآية
المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله
الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه بالثبات والاسترجاع
عند حلولها وقرئ يهدى قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب
على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء عليم
حتى القلوب واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم
فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فان توليتم فلا بأس عليه اذ وظيفته

التبليغ

التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون
لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين
او الدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم
بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا
باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل
ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم
والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال و
الاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه
جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا
في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي افعلوا ما هو خير لكم
وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر
محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدر جوابا للامر ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله تصرفوا
المال فيما امره قرضا حسنا مقرونا باخلاص وطيب قلب يضاعفه
لكم يجعل لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور
يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة
لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام
امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم
تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن
اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتأقيت ومن عد
العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة
بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض

من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهى عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه
اذ النهى لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر لما طلق امرأته حائضا
امره صلى الله عليه وسلم بالرجعة وهو سبب نزوله وَاحْصُوا الْعِدَّةَ
واضبطوها واكملوها ثلاثة اقرا وَاتَّقُوا اللّٰهَ رَبَّكُمْ في تطويل العدة
والاضرار بهن لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ من مساكنهن من وقت الفراق
حتى تنقضى عدتهن وَلَا يَخْرُجْنَ باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال
جاز اذ الحق لا يعدوهما وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى
ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله اِلَّا اَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ
مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط
حقها او الا ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها قبل انقضاء العدة او من الثانى
للمبالغة فى النهى والدلالة على ان خروجها فاحشة وَتِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ
الاشارة الى الاحكام المذكورة وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ
بان عرضها للعقاب لَا تَدْرِى اى النفس او انت ايها النبى او المطلق
لَعَلَّ اللّٰهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ اَمْرًا وهو الرغبة فى المطلقة برجعة او
استيناف فَاِذَا بَلَغْنَ اَجَلَهُنَّ شارفن اخر عدتهن فَاَمْسِكُوهُنَّ
فراجعوهن بِمَعْرُوفٍ بحسن عشرة وانفاق مناسب اَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها
وَاَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا
للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعى وجوبه وَاَقِيمُوا
الشَّهَادَةَ ايها الشهود عند الحاجة لِلّٰهِ خالصا لوجهه ذٰلِكُمْ يُوعَظُ
بِهِ يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما فى الاية مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ
بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فانه المنتفع به والمقصود تذكيره وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ
يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق
بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار
بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل
على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما فى شان الازواج من المضائق والغموم
ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص
عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جئ به للاستطراد
عند ذكر المؤمنين وعنه عليه السلام انى لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم

ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها روى ان سالم بن عوف بن مالك
الاشجعى اسره العدو فشكى ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو فى بيته اذ قرع
ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها وفى رواية
رجع ومعه غنيمات ومتاع وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ كافيه
اِنَّ اللّٰهَ بَالِغُ اَمْرِهِ يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة
وقرئ بالغ امره اى نافذ وبالغا على انه حال والخبر قَدْ جَعَلَ اللّٰهُ لِكُلِّ
شَىْءٍ قَدْرًا تقديرا او مقدورا او اجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب
التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها
وتمهيد لما سيأتى من مقاديرها وَاللَّائِى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ
نِسَائِكُمْ لكبرهن اِنِ ارْتَبْتُمْ شككتم فى عدتهن اى جهلتم
فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ اَشْهُرٍ روى انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائى لا يحضن فنزلت وَاللَّائِى لَمْ يَحِضْنَ
اى واللائى لم يحضن بعد ذلك وَاُولَاتُ الْاَحْمَالِ اَجَلُهُنَّ منتهى
عدتهن اَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن
والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا لان عموم واولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا
بالعرض والحكم معلل هنا بخلاف ثمة ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث
وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال قد حللت فتزوجى ولانه متأخر النزول فتقديمه تخصيص
وتقديم الاخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه وَمَنْ يَتَّقِ
اللّٰهَ فى احكامه فيراعى حقوقها يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ فان الحسنات يذهبن
السيئات وَيُعْظِمْ لَهُ اَجْرًا بالمضاعفة اَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ
اى مكانا من مكان سكناكم مِنْ وُجْدِكُمْ من وسعكم اى مما تطيقون وهو عطف
بيان لقوله من حيث سكنتم وَلَا تُضَارُّوهُنَّ فى السكنى لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ
فتلجئوهن الى الخروج وَاِنْ كُنَّ اُولَاتِ حَمْلٍ فَاَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتّٰى يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل
من المعتدات والاحاديث تؤيده فَاِنْ اَرْضَعْنَ لَكُمْ بعد انقطاع علقة النكاح
فَاٰتُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ على الارضاع وَاْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وليأمر

بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع
له اخرى امراة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاشرة لينفق ذو سعة
من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتيه الله اى فلينفق
كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما اتيها
فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعده
باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اى عاجلا او اجلا وكاين
من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتى
المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبنا
ها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الاخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضى
للتحقيق فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة
امرها خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد
وبيان لما يوجب التقوى المامور به فى قوله فاتقوا الله يا اولى الالباب
ويجوز ان يكون المراد بالحسنات استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة
وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا
رسولا يعنى بالذكر جبريل لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القران او لانه
مذكور فى السموات او ذو ذكر اى شرف او محمدا صلى الله عليه وسلم لمواظبته
على تلاوة القران او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه
مسبب عن انزال الوحى وابدل منه رسولا للبيان او اراد به القران ورسولا
منصوب بمقدر مثل ارسل او اذكر ذكرا او الرسول مفعوله او بدله على انه بمعنى
الرسالة يتلوا عليكم ايات الله مبينات حال من اسم الله او صفة رسولا
والمراد بالذين امنوا به ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات الذين امنوا
بعد انزاله اى ليحصل لهم ما هو عليه الان من الايمان والعمل الصالح او ليخرج
من علم وقدر انه يومن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى
ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا
فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذى خلق سبع سموات
مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اى وخلق مثلهن فى العدد من الارض
وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اى يجرى امر الله وقضاؤه
بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير وان الله قد احاط

بكل

بكل شىء علما علما لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال
قدرته وعلمه عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك روى انه عليه السلام خلا بمارية
فى يوم عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية
فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة وسودة وصفية
فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغى مرضات
ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف لبيان الداعى
اليه والله غفور رحيم لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احل الله
رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد
فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته
بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم حلل فى يمينه
اذا استثنى فيها واحتج به من راى التحريم مطلقا او تحريم المراة يمينا وهو
ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه
السلام اتى بلفظ اليمين كما قيل والله موليكم متولى امركم وهو
العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن فى احكامه وافعاله واذ اسر النبى
الى بعض ازواجه يعنى حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة
بعده لابى بكر وعمر فلما نبأت به فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث
واظهره الله عليه واطلع النبى صلى الله عليه وسلم على الحديث اى على افشائه
عرف بعضه عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض
عن اعلام بعض تكرما او جازيها على بعض بتطليقه اياها وتجاوز عن بعضها
ويؤيده قراءة الكسائى بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب
اطلاق اسم المسبب للسبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول فلما نبأها به
قالت من انباك هذا قال نبأنى العليم الخبير فانه اوفق للاعلام
ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى
المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما
عن الواجب من مخالفة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا

بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف فان الله هو موليه وجبريل
وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين
فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه
واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبريل
لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وبقوله بعد ذلك
تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن
ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه
ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق
الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو
يبدله بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات
مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات
من الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول سائحات
صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات
ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة
اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
واهليكم بالنصح والتاديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون
انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس و
الحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي امرها
وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق
شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى
ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر و
التزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم
انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي
عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او لا ينفعهم العذر يا ايها الذين امنوا توبوا
الى الله توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه
بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة
كانها تنصح ما خرق الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح و
كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او
تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة

فقال

فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد
المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربي نفسك في طاعة الله
كما ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك
واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي له ان يكون بين خوف ورجا
يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف على النبي
احمادا لهم وتعريضا بمن ناواهم وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم اي على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم
لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل تتفاوت انوارهم بحسب
اعمالهم فيسالون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذ بلغ
الرفق مداه ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم او مأواهم ضرب
الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط مثل الله حالهم في
انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون فيما بينهم وبين النبي عليه السلام والمؤمنين
من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به
تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله فلم يغن
النبيان عنهما بحق الازواج شيئا اغناء ما وقيل ادخلا النار
اي لهما عند موتهما او يوم القيمة مع الداخلين مع سائر الداخلين من
الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين
امنوا امرأت فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم
بحال اسية ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدا اعداء الله اذ قالت
ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك
او في اعلى درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة
وعمله الشر ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم
ومريم ابنت عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل التي احصنت
فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي في مريم او في الجملة
من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها
بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتب في اللوح او جنس الكتب
المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه

اى بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة
والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر من طاعة الرجال الكاملين
حتى عدت من جملتهم او من نسائهم فتكون من ابتدائية عن النبى عليه السلام
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون
ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة
على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه السلام من قرأ سورة

التحريم اتاه الله توبة نصوحا

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذى بيده الملك بقبضة قدرته التصرف فى الامور كلها وهو
على كل شئ قدير الذى خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة (على كل ما يشاء قدير صح)
وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى
الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون
ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسن عقلا واورع
عن محارم الله واسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل
البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع
الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين
وهو العزيز الغالب الذى لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم
الذى خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر
طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او
ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى فى
خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائى من تفوت ومعناهما
واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت
فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما فى الاخر والجملة صفة ثانية للسبع
وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل
ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان فى ابداعها نعما جليلة لا تحصى
والخطاب فيها للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من
فطور متعلق به على معنى التسبب اى قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة
اخرى متأملا لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها

ما ينبغى لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع
البصر كرتين اى رجعتين اخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير
كما فى لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر
خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار وهو
حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء
الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بالكواكب المضيئة بالليل
اضاءة السرج فيها والتنكير للتعظيم ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب
مركوزة فى سموات فوقها اذ التزين باظهارها عليها وجعلناها رجوما
للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هى رجم اعدائكم بانقضاض الشهب
المسبب عنها وقيل معناه رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون
والرجوم جمع رجم وهو بالفتح مصدر سمى به ما يرجم به واعتدنا لهم
عذاب السعير فى الاخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا وللذين
كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير
وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير
اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهى تفور
تغلى بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غيظا عليهم
وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما
القى فيها فوج (جماعة من الكفرة صح) سألهم خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب
وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل
الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير اى فكذبنا الرسل وافرطنا
فى التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا فى نسبتهم الى
الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اى اهل
انذار ومنعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب
او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج
قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون
الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا
عليه فى الدنيا او عقابه الذى يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع او نعقل
كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم
بالمعجزات او نعقل فنتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين

ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم
حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر
او المراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم
من رحمة الله والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل
ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه
بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم
مغفرة لذنوبهم واجر كبير يصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا
قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها
سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء
حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه
وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال
يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما
بينهم باشيا فيخبر الله بها رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد
فنبه الله على جهلهم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم
السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط
التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل
الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شي لم يتذلل وكلوا من
رزقه والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر
ما انعم عليكم ءامنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا
العالم او الله تعالى على تاويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم
زعموا انه تعالى في السماء وعن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا
لانضمام ما قبلها وامنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابي عمرو ورويس
ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من بدل
الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب ام امنتم
من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي يمطر عليكم حصباء فستعلمون
كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد
كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب
وهو تسلية للرسول وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات
باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها

ويقبضن

ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار
على التحرك فلذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصيل في الطيران
والطارئ عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن
الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن للجري
في الهوى انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب
امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل
لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا في امثال هذه الصنائع فيعلموا قدرتنا
على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون
الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا
الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم
اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته
وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور
لا معتمد لهم امن هذا الذي يرزقكم ام من يشار اليه ويقال هذا
الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر وسائر الاسباب
المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور
شراد عن الحق لتفرط طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى
يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق
انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليس مطاوعي كب وقشع
بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر
على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله امن
يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوي
الاجزاء والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين
ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسالك للاشعار بان
ما عليه المشرك لا يستأهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد
وغير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير
وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي
يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ
والابصار لتنظروا صنائعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما
تشكرون باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذرأكم في الارض

لتفرط

واليه تحشرون للجزاء ويقولون متى هذا الوعد اى الحشر او ما وعدوا
من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنون النبى والمؤمنين
قل انما العلم اى علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير
مبين والانذار يكفى له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه فلما راوه اى
الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اى قربا منهم سيئت وجوه
الذين كفروا بان علت عليها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا
الذى كنتم به تدعون به تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء
او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارايتم ان اهلكنى الله
اماتنى ومن معى من المؤمنين او رحمنا بتاخير آجالنا فمن يجير
الكافرين من عذاب اليم اى لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا
وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذى
ادعوكم اليه مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا
للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص
والاشعار به فستعلمون من هو فى ضلال مبين منا ومنكم وقرا الكسائى
بالياء قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا فى الارض بحيث لا تناله
الدلاء مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل الماخذ
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم ن
من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الذى
عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شىء اشد سوادا
من النقش يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبه بصورة الحرف والقلم
هو الذى خط اللوح او الذى يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر
والكسائى ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون
الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت به وقد روى ذلك عن نافع وعاصم
وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم
بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثانى على ارادة الجنس واسناد الفعل الى
الالة واجراؤه مجرى اولى العلم لاقامته مقامهم او لاصحابه او للحفظة وما

مصدرية

مصدرية ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون
منعما عليك بالنبوة وحصافة الراى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل بمجنون
والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان
لك لاجرا على الاحتمال والابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به
عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم
اذ تحتمل من قومك ما لم يحتمله امثالك وسئلت عائشة عن خلقه فقالت
كان خلقه القران الست تقرا القران قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون
بايكم المفتون ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على
ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باى الفريقين منكم المجنون ابفريق
المؤمنين او بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان
ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو
اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج
للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن
الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن و
الموافقة والفاء للعطف اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم
حتى تدهن او للسببية اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا
ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على
انه جواب التمنى ولا تطع كل حلاف كثير الحلف فى الحق والباطل
مهين حقير الراى من المهانة وهى الحقارة هماز عياب مشاء
بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن
الخير من الايمان والايقان والعمل الصالح معتد متجاوز فى الظلم
اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة
بعد ذلك بعدما عد من مثالبه زنيم دعى ماخوذ من زنمتى الشاة
وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه
بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله فى ثقيف وعداده
فى زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير
الاولين قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره
لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز
ان يكون علة للا تطع اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرا

ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر أأن كان على الاستفهام غير ان ابن عامر
جعل الهمزة الثانية بين بين اى الان ذا مال كذبا وانطيعه لان كان ذا مال وقرئ
ان كان بالكسر على ان شرط الغنى فى النهى عن الاطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى
عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اى لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع
الغنى فكانه شرطه فى الاطاعة سنسمه بالكى على الخرطوم على الانف
وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقى اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله
غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف
شين ظاهر او يسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا اهل مكة
بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد البستان الذى كان دون صنعا
بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم
ما اخطاه المنجل والقته الريح او بعد من البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع
لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا فحلفوا
ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها
مصبحين ليقطعنها داخلين فى الصباح ولا يستثنون ولا يقولون
ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف
المذكور والمخرج فى الاستثناء عينه اولان معنى لا اخرج ان شاء الله و
لا اخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان
يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك
مبتداء منه وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذى صرم
ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها
او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن
صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم اى اخرجوا
او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه
الغدو للقهر بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ان كنتم صارمين
قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتساورون فيما بينهم وخفى
وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم
عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول عن الدخول
المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا وغدوا
على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا

لم يكن

لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا ان
يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد
او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع
وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض
لقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله
يحرد حرد الجنة المغلة اى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند
انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها اول ما راوها
قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هى بها بل نحن اى بعد ما تاملوا
وعرفوا انها هى محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا
قال اوسطهم رايا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون
لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على
ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين
او لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم او لانه
تنزيه عن ان يجرى فى ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون
يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم
من سكت راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين
متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة
التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ
يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير
والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب
مثل ذلك الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا و
لعذاب الاخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما
يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اى فى الاخرة او فى
جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل
المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا
نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن
عليه فى الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم
واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راى
ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤن ان لكم فيه لما

تخيرون ان لكم لما تخيرونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس
فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استينافا
وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة
بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل
فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم
علينا الى القيمة لا تخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة اي
ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم
ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم
يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول فليأتوا بشركائهم
ان كانوا صادقين في دعويهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في
هذه الايات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه
لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا
لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يعني الاصنام يجعلونهم مثل المؤمنين
في الاخرة كانه لما نفى ان تكون التسوية من الله نفى بهذا ان تكون مما يشركون الله
به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق
مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها • وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا • او يوم يكشف
عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق
الانسان وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ بالتاء على بناء الفاعل والمفعول
والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود
ان كان اليوم يوم القيمة او يدعون الى الصلوة لاوقاتها ان كان وقت
النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة يلحقهم ذل وقد كانوا يدعون الى السجود
في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون منه مزاحوا العلل فيه فذرني
ومن يكذب بهذا الحديث كله الي فاني اكفيكه سنستدرجهم
سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة
من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه
تفضيلا لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع
بشيء وانما سماه كيدا لانه في صورته ام تسألهم اجرا

على

على الارشاد فهم من مغرم غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام
عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون به و
يستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك
عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس اذ نادى وهو في بطن الحوت
وهو مكظوم مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه
نعمة من ربه يعني توفيق التوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل
وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا
ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار
وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب
لان المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه او استنباه
ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين
في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال
والاية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف
وقيل باحد حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى
انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك
او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره
الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد
عيانون فاريد بعضهم على ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون
من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته
فحزن وقرئ ليزهقونك اي يهلكونك لما سمعوا الذكر اي القران اي
ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة في امره
وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القران بين انه
ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن اخلاقهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اى الساعة او الحالة التى يحق وقوعها او التى يحق فيها الامور اى
تعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد
المجازى وهى مبتدأ خبرها ما الحاقة واصله ما هى اى اى شئ هى على
التعظيم لشانها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما
ادريك ما الحاقة واى شئ اعلمك ما هى اى انك لا تعلم كنهها فانه اعظم
من ان تبلغها دراية احد وما مبتدأ خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة
بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتشار وانما
وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة وهى الصيحة او الرجفة
لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر
كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اى شديد[ة]
الصوت او البرد من الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها
فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا ردها سخرها عليهم سلطها
عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جئ به لنفى ما يتوهم من انها كانت
من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال
وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت
بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم
ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر
حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز من
صبيحة اربعاء الى [غروب] الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان
عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى الثامن فاهلكتها فترى
القوم ان كنت حاضرهم فيها فى مهابها او فى الليالى والايام صرعى موتى
جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف
فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون
ومن قبله ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائى ومن قبله اى ومن عنده
من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى قوم لوط
والمراد اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ
فعصوا رسول ربهم اى فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية
زائدة فى الشدة زيادة اعمالهم فى القبح انا لما طغى الماء جاوز حده

المعتاد

المعتاد او طغى على خزانه وذلك فى الطوفان وهو يؤيده من قبله حملناكم
اى اباكم وانتم فى اصلابهم فى الجارية فى سفينة نوح لنجعلها لكم
لنجعل الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة و
دلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قدرته ورحمته وتعيها
وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعى ان
تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غيرك اذن واعية
من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل
بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب
لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ
فى الصور نفخة واحدة لما بالغ فى تهويل القيمة وذكر مآل المكذبين
بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل
الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد
الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم
وحملت الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة
او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان
بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة
فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك
قيل ناقة دكاء للتى لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية فيومئذ
فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيمة وانشقت السماء لنزول الملائكة
فهى يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك
على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان
وانضواء اهلها الى اطرافها وجوانبها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة
اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء
او فوق الثمانية لانها فى نية التقديم يومئذ ثمانية ثمانية املاك
لما روى مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرى
وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل
لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام
وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر
لتعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما

لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشر والحساب وادخال اهل
الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية
سريرة على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء
الحال والمبالغة فى العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة
والكسائى بالياء للفصل فاما من اوتى كتابه بيمينه تفصيل للعرض
فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها
ها يا رجل وها يا امرأة وهاؤما يا رجلان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة
ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان
مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى
حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل
واستحب الوقف لثباتها فى الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل انى
ظننت انى ملاق حسابيه اى علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا
بانه لا يقدح فى الاعتقادات ما يهجس فى النفس من الخطرات التى لا تنفك
عنها العلوم النظرية غالبا فهو فى عيشة راضية ذات رضى على
النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية
عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم فى جنة عالية مرتفعة المكان
لانها فى السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف
وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها القاعد
والقائم كلوا واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا
وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة
فى الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا واما من اوتى كتابه
بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتنى لم اوت كتابيه
ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التى متها هذه كانت القاضية
القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت
علىّ كانه صادفها امرّ من الموت فتمناه عندها او يا ليت حياة الدنيا كانت
الموتة ولم اخلق فيها حيا ما اغنى عنى ماليه مالى من المال والتبع وما نفى
والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عنى سلطانيه
ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا خذوه يقول
الله لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار

الغل

العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
اى طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها
مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص
والاهتمام بذكر انواع ما يعذبون به وثم لتفاوت ما بينهما فى الشدة انه
كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة الاستيناف للمبالغة وذكر
العظيم للاشعار بانه المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك
ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعام
فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض
بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع و
لعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل
البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا
طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل
لا يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب
لا من الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون
بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم
ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستأنف بما تبصرون
وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات
باسرها انه اى القرآن لقول رسول كريم يبلغه عن الله فان الرسول
لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبريل عليهما السلام وما هو
بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم
صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تدعون اخرى
قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر
الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن
للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف
على تذكر احوال الرسول ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم
وقرأ ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين
نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء
تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة
من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين

اى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين لليقين الذى لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

سال سائل بعذاب واقع اى دعى داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء ساله استهزاء او الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان سيل مصدر بمعنى السائل كالفوز والمعنى سال وادى بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو قتل بدر او فى الاخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سال بمعنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذى المعارج ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم او فى دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان يقدر بخمسين الف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة

من

من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم واعلى شرافات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلق بواقع او سال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبريل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اى يمكن يوم يكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن فى يوم ان علق به والمهل المذاب من كلفزات او دردى الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسئل حميم حميما ولا يسال قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسال على بناء المفعول اى لا يطلب من حميم حميم ولا يسال عن حاله يبصرونهم استيناف او حال تدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدى باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ لانه بمعنى تعذيب وقرأ نافع والكسائى بفتح ميم يومئذ وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم التى تؤويه تضمه فى النسب او عند الشدائد ومن فى الارض جميعا من الثقلين او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدى اى ثم ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير

للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدأ خبره
نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى
اللهب وقرئ نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة
على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس
تدعوا تجذب وتحضر مجاز عن جذبها واحضارها لمن فرعنها وقد تدعوا
زبانيتها وقيل تدعوا تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر
عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء
وكنزه حرصا وتاميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل
الصبر اذا مسه الشر جزوعا لكثرة الجزع واذا مسه الخير
السعة منوعا مبالغ في الامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او
محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى
لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من
المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات من حيث انها
دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء
والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة
من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الا الذين هم على صلاتهم
دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم
كالزكوة والصدقات الموظفة للسائل الذي يسال والمحروم الذي
لا يسال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا
باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك
ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم
ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يامن من
عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا
على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء
ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم يعني لا يخونون ولا ينكرون ولا يخفون ما علموا
من حقوق الله وحقوق العباد والذين هم بشهاداتهم قائمون وقرأ يعقوب
وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلاتهم يحافظون
فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا

واخرا

واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات
مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب الله فمال الذين
كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال
عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي
الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى
الله عليه وسلم حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ منهم
ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما تقول لنكون
فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا
خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة مذرة
لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق
الملكية لم يستعد لدخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل
النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يبوأ في منازل الكاملين او استدلال
بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها
فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق
والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي
بخلق جديد امثل منهم او نعطي محمدا بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار
وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ان نهلكهم فذرهم يخوضوا
ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون مر في آخر الطور يوم
يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب
منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرأ ابن كثير وعامر
وحفص نصب بضم النون والصاد والباقون بفتح النون وسكون الصاد
وقرئ نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة مر تفسيره ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر اي بان انذر او بالانذار او بان
قلنا له انذر ويجوز ان يكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ

بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب
الاخرة او الطوفان قال يا قوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله
واتقوه واطيعون مر فى الشعراء نظيره وان يحتمل الوجهين يغفر لكم
من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به
فى الاخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان
والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذى قدره اذا جاء على الوجه المقدر
اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا فى اوقات الامهال
والتاخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه
انهم لانهماكهم فى حب الدنيا كأنهم شاكون فى الموت قال رب انى دعوت
قومى ليلا ونهارا اى دائما فلم يزدهم دعائى الا فرارا عن الايمان و
الطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا
وانى كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم فى
اذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا
بها لئلا يرونى كراهة النظر الى من فرط كراهة دعوتى او لئلا اعرفهم فادعوهم
والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر والمعاصى مستعار
من اصر الحمار على العانة اذا اصر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعى
استكبارا عظيما ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت
لهم اسرارا اى دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اى وجه امكننى
وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد
او لتراخى بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعى الدعاء او
صفة مصدر محذوف بمعنى دعا جهارا اى مجاهرا به او الحال فيكون مجاهرا
فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين
وكأنهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف
يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح و
لذلك وعدهم عليه ما هو واقع فى قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى
اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك
على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم
باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا شرع الاستغفار
فى الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثرة الدرور

يسوى

ويستوى فى هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين
ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبده
واطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو
تأخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافون عصيانه وانما
عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا
حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اى تارات
اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذى الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم
علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأناهم خلقا اخر فانه يدل على
انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة
تام الحكمة ثم اتبع ذلك بما يؤيده من ايات الافاق فقال الم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اى فى السموات
وهو فى سماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس
سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج
عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشأكم منها فاستعير الانبات
للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم فنبتم
نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين
ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد الاول دلالة على ان الاعادة
محققة كالابداء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا
تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن
الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصونى فيما امرتهم به واتبعوا
من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساء البطرين باموالهم
المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الاخرة وفيه
انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالاموال والاولاد ادت بهم الى الخسار
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة
كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى
مكرا كبارا كبيرا فى الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم
فى الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن الهتكم اى عبادتها
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء
خصوصا قيل هى اسماء رجال صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا صوروا

نبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكليب
وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع وُدا بالضم
وقرأ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وَقَدْ اَضَلُّوا كَثِيرًا
الضمير للرؤسا او الاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ اِلَّا
ضَلَالًا عطف على ربنا انهم عصونى ولعل المطلوب هو الضلال فى ترويج مكرهم
ومصالح دنياهم لا فى امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين فى ضلال
وسعر مِمَّا خَطَايَاهُمْ من اجل طغيانهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقراء
ابو عمرو مما خطاياهم اُغْرِقُوا بالطوفان فَاُدْخِلُوا نَارًا المراد عذاب
القبر او عذاب الاخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال
او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع و
تنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ
اَنْصَارًا تعريض لهم باتخاذ الهة من دون الله لا تقدر على نصرهم وَقَالَ نُوحٌ
رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْاَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا اى احدا وهو مما يستعمل فى
النفى العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد
لا فعال والا لكان دوارا اِنَّكَ اِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا
اِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا
خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ لمك
ابن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ منزلى
او مسجدى او سفينتى مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الى يوم القيمة
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ اِلَّا تَبَارًا هلاكا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة نوح عليه السلام كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ اُوحِيَ اِلَيَّ اوحى واصله وحى من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها
ووحى على الاصل وبه قرئ اَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ والنفر ما بين الثلاثة
والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل
نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة
على انه عليه السلام ما راهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض

اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله فَقَالُوا اِنَّا سَمِعْنَا قُرْاٰنًا
عَجَبًا كتابا بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر
وصف به للمبالغة يَهْدِي اِلَى الرُّشْدِ الى الحق والصواب فَاٰمَنَّا بِهِ
بالقران وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا اَحَدًا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد
وَاَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا قراءة ابن كثير والبصريان بالكسر على انه جملة المحكى
بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه
لما قام فانه من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا فى قوله انه لما
قام على انه استينافا ومقول وفتح الباقون الكل الا ما تصدر بالفا على ان ما
كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور فى به كانه قال صدقناه و
صدقنا انه تعالى جد ربنا اى عظمته من جد فلان فى شئ اذا عظم
او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء
عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً
وَلَا وَلَدًا بيان لذلك وقرئ جدا على التميز وجد بالكسر اى صدق
ربوبيته كانهم سمعوا من القران ما نبههم على خطا ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ
الصاحبة والولد وَاَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ابليس او مردة الجن عَلَى اللّٰهِ
شَطَطًا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او الى الله تعالى او هو شطط
لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد وَاَنَّا ظَنَنَّا اَنْ لَنْ تَقُولَ
الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اعتذار عن اتباعهم السفيه فى ذلك بظنهم ان احدا
لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه من القول او الوصف لمحذوف اى
قولا مكذوبا فيه ومن قرأ ان لن تقول ليعقوب جعله مصدرا لان التقول
لا يكون الا كذبا وَاَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْاِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ
كان الرجل اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه
فَزَادُوهُمْ فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رَهَقًا كبرا وعتوا او فزاد الجن
الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان الشئ
وَاَنَّهُمْ وان الانس ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ ايها الجن او بالعكس والايتان
من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله تعالى ومن فتح ان فيهما جعلهما
من الموحى به اَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللّٰهُ اَحَدًا ساد مسد مفعولى ظنوا وَاَنَّا لَمَسْنَا
السَّمَاءَ طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ

حرسا حراسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم
عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع
وللسمع صلة لنقعد او صفة للمقاعد فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا
اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين على
انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر
اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا
منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك
فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب او مثل
طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع
قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين
في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض
ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القران
امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول
ادل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصهم بها بخسا ولا رهقا نقصا في
الجزاء ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق
المؤمن بالقران ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا
رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا يوقد بهم كما يوقد بكفار الانس وان لو استقاموا
اي ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم
ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو
الكثير بالذكر لانه اصل المعاش وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه
لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا
باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم
في كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه
ندخله عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان
المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن
جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض

كلها

كلها لانها جعلت للنبي مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع
السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله وارابه السبعة والسجدات على انه
جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي وانما ذكر بلفظ العبد للتواضع
فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه
يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه
تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه
مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد
وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد
ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا
فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم واطباقكم على مقتي وقرأ عاصم وحمزة
قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا
ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه والاخر باسم سببه او مسببه
اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوء
ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجأ الا بلاغا من الله استثناء
من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي
الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب
ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله عليه السلام
بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه
فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى
حتى اذا رأوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله
يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف له
وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو ام هم
قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها
كانه لما سمع المشركون حتى اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه
كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر
فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى
لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات
وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء
على المغيبات انما يكون ملقيا من الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبياء

فانه يسلك من بين يديه من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا
حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان
قد ابلغوا ليعلم النبي الموحى اليه ان ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي او
ليعلم الله ان ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم
كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى
كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن
كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي
وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه
سمي به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا
مما دهشه بدء الوحي متزملا فطيفة او تحسينا له اذ روي انه كان يصلي متلففا
بمرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن
بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة
قم الليل اي قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع
او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء
من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام
النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث فيكون التخيير بينه وبين
الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم
اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من
اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد
عليه ورتل القران ترتيلا اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث
يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا
سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القران فانه لما فيه من التكاليف الشاقة
ثقيل على المكلفين سيما على الرسول اذ كان عليه السلام يتحملها ويحملها امته
والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع
مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره

الى

الى مزيد تصفية للسر وتجريد النظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او
ثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد
البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر
والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستانف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج
ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة
من نشأ من مكانه اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات
القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ بالليل اي
تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من
نشأت اي ابتدأت هي اشد وطأ اي كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو
وابن عامر وطاء اي مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من
الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا واثبت قراءة لحضور
القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهماتك
واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي
تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر
اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر من تسبيح
وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قران ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا
وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذا الرمز ومراعاة الفواصل
وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدأ خبره
لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل
من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا
مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور واصبر
على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم
ولا تكافيهم وتكل امرهم الى الله كما قال وذرني والمكذبين دعني واياهم
وكل امرهم الي فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم
يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا
انكالا تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة
طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب
مولما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح
والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها

والمتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن لقاء الله تعالى يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما فى لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشئ اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعنى موسى ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرؤ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض او التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول السماء منفطر به منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمار شئ به بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للالة كان وعده مفعولا الضمير لله تعالى عز وجل او اليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الايات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء ان يتعظ اتخذ الى ربه سبيلا اى يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرا ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعتهما كما هى الا الله تعالى فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن تحصوه ان لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القران بعينه كيف ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة علم ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال واخرون يضربون فى الارض يبتغون

من

من فضل الله والضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم واخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخير او باداء الزكاة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله وما تقدموا لانفسكم من خير اى من اجر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تاكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء او الخبر واستغفروا الله فى مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والاخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اى المتدثر وهو لابس الدثار روى انه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيئا فنظرت فوقى فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هى اول سورة نزلت وقيل تاذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اى الذى دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحى وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن من شئ فكبر ربك او الدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد

العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ من النجاسات
فان التطهير واجب في الصلاة محبوب في غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن
النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات
المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنية فيكون امرا
باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او
فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ
واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يودى اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرا
يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ
ولا تعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر
نهى تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له
ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس
بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف
او الابدال من تمنن على انه من من بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على
اضمار ان وقرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى
احضر الوغى بالرفع وَلِرَبِّكَ ولوجهه او امره فَاصْبِرْ فاستعمل الصبر على مشاق
التكاليف واذى المشركين فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ في الصور فاعول من النقر
بمعنى التصويت واصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال
اصبر على اذيهم فبين ايديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك
عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر
وهو مبتداء خبره يوم عسير ويومئذ بدله او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك وقوع
يوم عسير غَيْرُ يَسِيرٍ تأكيد يمنع ان يكون عسيرا من وجه دون وجه ويشعر
بيسره على المؤمنين ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا نزل في الوليد بن المغيرة
ووحيدا حال من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه او من التاء اى ومن
خلقته وحدى لم يشركنى في خلقه احد او من العائد المحذوف اى من خلقته
فريدا لا مال له ولا ولدا او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما او ارادة
انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا
مَمْدُودًا مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنما وكان له الزرع والضرع والتجارة
وَبَنِينَ شُهُودًا حضورا معه بمكة يتمتع بلقاهم لا يحتاجون الى سفر لطلب

المعاش

المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج الى ان يرسلهم في مصالحهم لكثرة خدمه
او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او
اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام وَمَهَّدْتُ لَهُ
تَمْهِيدًا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش و
الوحيد اى باستحقاق الرياسة والتقدم ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ
على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتى او لانه لا يناسب
ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا
عَنِيدًا فانه ردع له عن الطمع وتعليل الردع على سبيل الاستيناف بمعاندة
ايات المنعم المناسبة لازالة النعم المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول
الاية في نقصان ماله حتى هلك سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا سأغشيه عقبة
شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه السلام الصعود جبل
من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ
تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القران وقدر
في نفسه ما يقول فيه فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ تعجيب من تقديره استهزاء او لانه
اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اى بلغ في
الشجاعة مبلغا يحق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك وروى انه مر
بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت
من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه
لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال
قريش صبأ الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا
وكلمه بما احماه فقام فناديهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق
وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى
شعرا وتزعمون انه كاذب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا لا فقال
ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا
بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ تكرير للمبالغة وثم للدلالة
على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثُمَّ نَظَرَ اى في امر القران
مرة بعد اخرى ثُمَّ عَبَسَ قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول
او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب وجهه وَبَسَرَ اتباع لعبس
ثُمَّ أَدْبَرَ عن الحق او الرسول وَاسْتَكْبَرَ عن اتباعه فَقَالَ إِنْ هَذَا

الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة
بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ان هذا الا قول البشر وقوله
كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها ساصليه سقر بدل من سارهقه
صعودا وما ادريك ما سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقي ولا تذر
بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء
تلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالي الجلد او لائحة
للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا او صنفا
من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية
في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع او ان
جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد
والاقرار والعمل انواعا من العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه
وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك
او صنف او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة في الصلوة فيبقى
تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية
وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد
وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم او
جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
ليخالفوا جنس المعذبين ولا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى
الخلق باسا واشدهم غضبا لله روي ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال
لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم
وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم به
واستقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل
تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وصدق القران لما راوا ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا
ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا
الكتاب والمؤمنون اي في ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان
ونفي لما يعرض للمتيقن حينما عراه شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض

شك

شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون
الجازمون في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي شيء اراد بهذا العدد
المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوه انه مثل مضروب
كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور من
الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود
ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات
والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من
كم وكيف واعتبار ونسبة وما هي وما سقر او عدة الخزنة او السورة
الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان
يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر اي ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرا
نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضي والصبح اذا اسفر
اضاء انها لاحدى الكبر اي لاحدى البلايا الكبر اي البلايا الكبر كثيرة
وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف
كالتاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم
او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا للبشر تمييزا اي لاحدى الكبر
انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا
او خبرا لمحذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر
اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر لان
يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل
نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلقت للمفعول
كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا
رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة والاطفال في جنات
لا يكتنه وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله يتساءلون
عن المجرمين اي يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن حالهم كقولك
تداعيناه اي دعوناه وقوله ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما جرى
بين المسؤولين والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلاة
الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما يجب اعطاؤه وفيه دليل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين
فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله مكذبين

بالقيمة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة
الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اى معرضين
عن التذكير يعنى القران او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة
شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من
قسورة اى اسد فعوله من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم
ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبى لن
نتبعك حتى تاتى كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله الى فلان اتبع محمدا
كلا ردع عن اقتراحهم الايات بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا
عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا انه ردع عن اعراضهم تذكرة
اى وتذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره وما يذكرون
الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيئتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله
وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله وقراء نافع تذكرون وقرئ بهما
مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق
بان يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شائع فى
كلامهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامرى لا تدعى القوم انى افر وقد مر
الكلام فيه فى قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا اقسم بالنفس اللوامة
بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة بالتقوى يوم القيمة على تقصيرها
او التى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة
للنفس الامارة او بالجنس لما روى انه عليه السلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة
الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا
قالت يا ليتنى ما كنت قصرت او نفس ادم فانها لم تزل تتلوم على ما اخرجت به
من الجنة وضمها الى يوم القيمة لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب
الانسان يعنى الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب او الذى نزل
فيه وهو عدى بن ربيعة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيمة

فاخبره به فقال لو عاينت ذلك لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام
ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى
نجمعها قادرين على ان نسوى بنانه نجمع سلامياته ونضم بعضها الى
بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوى بنانه
الذى هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ
بالرفع اى نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان
يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم او عن
الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان
يسئل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا واستهزاء فاذا برق
البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع
بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب
اى اذا انفتح وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول وجمع
الشمس والقمر فى ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف
فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب
ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب او بوصوله الى من
كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب
المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اى الفرار يقوله قول الايس
من وجدانه المتمنى وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع عن طلب المفر
لا وزر لا ملجا مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك
يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرارهم
او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة ومن شاء النار ينبؤا
الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله
او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سيئة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق
به وبما اخر فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة
حجة بينة على اعمالها لانه شاهدها وصفها بالبصارة على المجاز او عين
بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء بكل
ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير
فى المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك يا محمد به
لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتاخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك

ان علينا جمعه فى صدرك وقرآنه واثبات قرأته فى لسانك وهو تعليل للنهى
فاذا قرأناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ
فى ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على
جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة
لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها فى غيره
او تذكر ما اتفق فى اثناء نزول الايات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور
والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قرائته خوفا فيقال لا تحرك به لسانك
لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقرائته فاذا قرأناه
فاتبع قرآنه بالاقرار والتأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع
للرسول عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجلة بل تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بنى آدم مطبوعون على الاستعجال
وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة
ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة
بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل
عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها
الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره
بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى وقول الشاعر
واذا نظرت اليك من ملك . والبحر دونك زدتنى نعما بمعنى السؤال فان الانتظار
لا يستعقب العطا ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل
ابلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها
ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة
اذا بلغت التراقى اذا بلغت النفس اعالى الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة
الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من
الرقية او قال ملائكة العذاب من يرقى وظن انه الفراق وظن المحتضر
ان الذى نزل به فراق الدنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق
والتوت ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف
الآخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق
ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اى فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه
والضمير فيهما للانسان المذكور فى ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى

الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة

عن

عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان
المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلوى ظهره
اولى لك فاولى ويل لك من الولى واصله اولاك الله ما تكرهه واللام
مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب
كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك
فاولى اى يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك
سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو متضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة
عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف
لا يتحقق الا بمجازاة وهى قد لا تكون فى الدنيا فتكون فى الآخرة ألم يك
نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه
الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة
على ما قرر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله أليس ذلك بقادر على ان
يحيى الموتى وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك
بلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل

يوم القيمة انه كان مؤمنا به

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله
واصله أهل كقوله اهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم حين من الدهر طائفة
محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا
منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف
لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان
من نطفة او آدم بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط جمع
مشج او مشيج من مشجت الشىء اذا خلطته وجمع النطفة به لان المراد بها مجموع
منى الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك
يصير كل جزء منها مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان
ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة
تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه فى موقع الحال اى مبتلين له
بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء

فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الايات فهو
كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله
انا هديناه السبيل اى بنصب الدلائل والايات اما شاكرا واما كفورا
حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اى هديناه فى حاليه جميعا او مقسوما
اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من
السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله
لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو
عن كفران غالبا وانما المأخوذ به المتوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل
بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم
وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين
احسن وقرأ نافع والكسائى وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر
كارباب او بار كاشهاد يشربون من كأس من خمر وهى فى الاصل القدح تكون
فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل
اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فى رائحته وبياضه وقيل يخلق فيه كيفيات
الكافور فتكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل كأس
على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره
ما بعدها يشرب بها عباد الله اى ملتذا او ممزوجا وقيل الباء مزيدة
او بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث
شاؤا اجراء سهلا يوفون بالنذر استيناف ببيان ما رزقوه لاجله كانه
سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ من وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات
لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون
يوما كان شره شدائده مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من
استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم
عن المعاصى ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام او الاطعام
مسكينا ويتيما واسيرا يعنى اسراء الكفار فانه عليه الصلوة والسلام
كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن
ويدخل فيه المملوك والمسجون وفى الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك
انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم
المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت

بتعث

تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت
لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء و
لا شكورا اى شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب
المكافاة منكم يوما عذاب يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد
العبوس فى ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذى يجمع ما بين عينيه من
اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة
فوقيهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقيهم
نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا
بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة
بستانا يأكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس رضى الله عنه ان الحسن
والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس
فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة رضى الله عنهما
وفضة جارية لهما صوم ثلاث ان برئا فشفيا وما معهم شئ فاستقرض
على من شمعون الخيبرى ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت
خمسة اقراص فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه
وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام
وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة اسير ففعلوا مثل
ذلك فنزل جبريل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله فى اهل
بيتك متكئين فيها على الارائك حال من هم فى جزاهم او صفة لجنة
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان يكون حالا من المستكن
فى متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محمى ولا بارد مؤذى وقيل
الزمهرير القمر فى لغة طى قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر
والمعنى ان هواءها مضئ بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم
ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اى
وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان وقرئت بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة حال او صفة وذللت
قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف
ان تجعل سهل التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا ويطاف عليهم
بآنية من فضة واكواب واباريق بلا عروة كانت قواريرا قوارير

من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها
وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الاية وقرئ
قوارير من فضة على هي قوارير قدروها تقديرا اي قدروها في انفسهم
فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت
على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر
اشتهائهم وقرئ قدروها اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من
قدرت الشيء ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل
في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا
لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال
وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به ان ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها
بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا
من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون
دائمون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم
في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا رأيت ثم ليس له مفعول
ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع رأيت نعيما وملكا
كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام
يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكثر من ذلك وهو ان ينتقش نفسه
بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت عاليهم
ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما
غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي و
اهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر
خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على
ثياب وقرأهما حفص وحمزة والكسائي بالرفع وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح
على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور
من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالف قوله اساور من ذهب لامكان الجمع
والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض
عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة
او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك
للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين

المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله تعالى ووصفه بالطهورية فانه يطهر
شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة
جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك
ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول والاشارة
الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازا عليه غير مضيع انا
نحن نزلنا عليك القران تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير
مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على
كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي
اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه او الدلالة على انهما سيان في استحقاق
العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي
على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان تكون المطاوعة في الاثم والكفر
فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور واذكر اسم ربك بكرة
واصيلا وداوم على ذكره او دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل
يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به
صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص
وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل ان هؤلاء
يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما
ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى
عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب
واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا
امثالهم تبديلا في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الاولى ولذلك جيء باذا او بدلنا
غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة
الى السورة او الايات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه
بالطاعة وما يشاؤن الا ان يشاء الله وما تشاؤن ذلك الا وقت ان
يشاء الله مشيئتهم وقرأ ابن كثير وابن عامر يشاؤن بالياء ان الله كان
عليما بما يستاهل كل احد حكيما لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته يدخل من يشاء
في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين بفعل
يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره
متتابعة فعصفن عصف الرياح في الامتثال ونشرن الشرائع في الارض اونشرن
النفوس الموتى بالجهل او بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا
عذرا للمحققين ونذرا للمبطلين او بايات القران المرسلة بكل عرف الى محمد صلى
الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن اثار الهدى والحكم
في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين
اوبالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ماسوى الحق
ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه
فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لايكون في القلوب والالسنة الا
ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو
ففرقن فالقين ذكرا اى تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها واثارها ذكر الله
تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن
للاحسان والمعروف او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا
اونذرا مصدران لعذر اذا محى الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير
بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاول
بالعلية اى عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدل من ذكرا على ان المراد به الوحي
او ما تعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما
ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب
القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لامحالة فاذا النجوم
طمست محقت واذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت واذا
الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها
وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لايتعين لهم قبله او بلغت
ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل لاي يوم اجلت
اى يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله
ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت ليوم الفصل بيان

الى الانبياء صح

ليوم التاجيل وما ادريك ما يوم الفصل ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله
ويل يومئذ للمكذبين اى بذلك وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار
فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه
او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك
من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الاخرين اى ثم نحن نتبعهم نظراءهم
ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الاخرين المتاخرين من
المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليه السلام كذلك مثل ذلك
الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين بايات الله
وانبيائه فليس تكرارا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد
لان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد
حسن شائع في كلام العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة مذرة ذليلة
فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من
الوقت الذي قدره الله للولادة فقدرنا فقدرنا على ذلك او فقدرناه
ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد فنعم القادرون نحن
ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل
الارض كفاتا كافتة اسم لما يكفت اى يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم
ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى
على الارض باعتبار اقطارها احياء وامواتا منتصبان على المفعولية
وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحيا والاموات والحالية
من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بجعل على المفعولية وكفاتا حال
فيكون المعنى بالاحياء ماينبت وبالاموات مالا ينبت وجعلنا فيها
رواسي شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم او الاشعار بان فيها
مالم يعرف ولم ير واسقيناكم ماء فراتا عذبا بخلق الانهار والمنابع فيها
ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا اى يقال لهم انطلقوا
الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا
على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل دخان جهنم لقوله
وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم تتفرق
ذوائبه وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال
والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ

والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم من لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شرارة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل جمع قصرة كحاجة وحوج وهي اصل العنق ولها للشعب كأنه جمالات جمع جمال وجمالة جمع جمل صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبه بها في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اي بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن فاوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون في انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار ذلك المتاع القليل على النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا قيل لهم اركعوا اي اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا في الصلوة اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون

وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة صح

لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال عليه السلام من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبإ العظيم بيان للشأن المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اي انها لكم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا وقت معاش يتقلبون فيه لتحصيل ما يعيشون به او حياة تبعثون فيها عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقويا محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهر وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية

اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات
الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده
انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي
الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي
وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به
وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف
كجدع قال جنة لف وعيش مغدق او لفيف كشريف او لف جمع لفا كخضرا وخضر
واخضار او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان في علم الله او في حكمه
ميقاتا حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم
ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتأتون افواجا جماعات من القبور
الى المحشر روي انه عليه السلام سئل فقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم
على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق
وجوههم يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون
السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع
وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم
اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم
ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم
والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين والساعين بالناس الى السلطان
والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء
وشقت وقرأ الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق
كان الكل ابوابا او فصارت ذات ابواب وسيرت الجبال اي في الهوا كالهبا
فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت
اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة
النار الكفار او خزنة الجنة للمؤمنين ليحرسوهم فيحها في مجازهم عليها كالمضمار
فانه الموضع الذي يضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد
كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا
ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا
متتابعة وليس فيها ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون
الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا

مترادفة

مترادفة كلما مضى حقب تبعه اخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض
المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا
ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن في لابثين او نصب
احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا
ثم يبدلون جنسا اخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل
اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين
فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس
عنهم حر النار او النوم وبالغساق ما يغسق اي يسيل من صديدهم وقيل
الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليوافق رؤس الاي وقرأ حمزة
والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق
لاعمالهم اي موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه
كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا
بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شايع في كلام الفصحاء
وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه
كذابه وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة
فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم
مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المبالغين فيه وهو على المعنيين
يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع
كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة المصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه
وكل شيء احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان
الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا
في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة
الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار
ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها
انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب
نساء فلكت ثديهن اترابا لدات وكأسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض
ملأه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائي بالتخفيف اي كذبا
او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء

تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيون وابو عمرو على الابتداء الرحمن صفته في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع في قراءة ابي عمرو وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الاول ورفع الثاني خبر محذوف او مبتدا خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتاكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون والروح ملك موكل بالارواح او جنسها او جبرئيل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه الى ثوابه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الاخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبي عليه السلام من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينتزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو

مز

من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المومنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيؤها لادراك ما اعد لها من الالام واللذات والاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد ويسبحون في الفلك فيسبق بعضها بعضا في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمي الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فينشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون السهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام الساكنة عندها وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موقع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقه التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال

حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة ائذا كنا وقرأ نافع وابن عامر اذا
كنا على الخبر عظاما نخرة بالية وقرأ الحجازيان والشامى وابو عمرو وروح
نخرة وهى ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها
والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا وهو استهزاء منهم فانما
هى زجرة واحدة متعلق بمحذوف اى لا يستصعبوها فما هى الا صيحة واحدة
يعنى النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ان
كانوا امواتا فى بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان
السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة للتى يجرى ماؤها وفى ضدها نائمة
او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتيك حديث موسى اليس قد
اتاك حديثه فيسليك عن تكذيب قومك وتهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب
من هو اعظم منهم اذ ناديه ربه بالواد المقدس طوى قد مر بيانه فى سورة
طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما فى النداء
من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر
والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك
وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما
تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا فاريه الاية الكبرى
اى فذهب وبلغ فاريه المعجزة الكبرى وهى قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل
او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالاية الواحدة فكذب وعصى
فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الاية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة
يسعى ساعيا فى ابطال امره او ادبر بعد ما راى الثعبان مرعوبا مسرعا فى
مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى فى المجمع بنفسه او بمناد
فقال انا ربكم الاعلى اعلى كل من يلى امركم فاخذه الله نكال الاخرة
والاولى اخذا منكلا لمن رآه او سمعه فى الاخرة بالاحراق وفى الدنيا بالاغراق
او على كلمته الاخرة وهى هذه وكلمته الاولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى
او للتنكيل فيهما او بهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان فى
ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شأنه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب
خلقا ام السماء بنيها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اى جعل مقدار ارتفاعها
من الارض او ثخنها الذاهب فى العلو رفيعا فسويها فعدلها او فجعلها مستوية
او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان

ثم بين كيف خلقها فقال

امره

امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش اذا اظلم وانما اضاف
اليها لانها يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها لقوله والشمس
وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك دحيها بسطها ومهدها للسكنى
اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها ورعيها وهو فى الاصل لموضع
الرعى وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال
ارسيها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح
لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم
فاذا جاءت الطامة الكبرى الداهية التى تطم اى تعلو على سائر الدواهى الكبرى
التى هى اكبر الطامات وهى القيمة او النفخة الثانية او الساعة التى يساق فيها اهل
الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان
يراه مدونا فى صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل
من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى
لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير
الجحيم كقوله اذا راتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول اى لمن يراه من الكفار
وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر الانسان او ما بعده من التفصيل
فاما من طغى حتى كفر واثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للاخرة
بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هى الماوى هى ماويه واللام فيه
سادة مساد الاضافة للعلم بان صاحب الماوى هو الطاغى وهى فصل او مبتدا
واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدا والمعاد ونهى
النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة هى الماوى ليس له سواها
ماوى يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اى اقامتها
واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهى اليه و
تستقر فيه فيم انت من ذكريها فى اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم
اى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا
ووقتها مما استأثره الله بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها مستأنف
معناه انت ذكر من ذكريها اى علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء
امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهيها
اى منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها
وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابى عمرو

ومنذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها
لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها اى عشية يوم
او ضحاه لقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم
واحد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه
الله في القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن مكتوم
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام
فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني
فيه ربي واستخلفه على المدينة وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه
علة لتولى او عبس لاختلاف المذهبين وقرئ ءان بهمزتين وبالف بينهما
بمعنى ألان جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام
على قطع كلام الرسول بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة
الانكار كانه يقول تولى لكونه اعمى كالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى
اى واي شئ يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الاثام بما يتلقف منك وفيه
ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه
موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر اى انك طمعت في تزكيه كي بالاسلام
وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن
وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى
تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصّدى بالادغام
وقرئ تُصدّى اى تعرض وتدعى الى التصدى وما عليك الا يزكى وليس
عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض
عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير
وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له
فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدى
والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير

ومثله

ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله انها
تذكرة فمن شاء ذكره حفظه واتعظ به والضميران للقران او العتاب المذكور
وتانيث الاول لتانيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان
او خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي
الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة والانبياء ينسخون الكتب من
الالواح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله ورسله او الامة جمع سافر
من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المراة اذا كشفت وجهها
كرام اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين يكلؤهم ويستغفرون لهم بررة
اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه
في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اي شئ خلقه
بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب
عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح من الاعضاء والاشكال
او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن
امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب
السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة
للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد
غيرها ولذلك عقب بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة
والاقبار في النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة
والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور
غير متعين في نفسه موكول الى مشيته كلا ردع للانسان عما هو عليه
لما يقض ما امره اعلم يقض بعد من لدن ادم الى هذه الغاية ما امره الله باسره
اذ لا يخلو احد عن تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية
بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا استيناف مبين لكيفية احداث
الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض
شقا اى بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب
فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت
بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق
غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار
غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام

لانه يؤتم وينتجع او من اب لكنا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة
تؤب للشتا متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام
وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت بها مجازا لان الناس
يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم
وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته
وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ
يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفار الصبح ضاحكة
مستبشرة لما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار و
كدورة ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة
الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال عليه السلام
من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها
بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق
وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة
والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل
واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر
او اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض
او في الجو واذا العشار النوق اللواتي اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء
عطلت تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا
الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا
او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة الناس حشرتهم وقرئ بالتشديد
واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا
واحدا من سجر التنور اذا ملاءه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وروح بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها
بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين
واذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق

او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت باي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها
كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى أانت قلت للناس وقرئ سألت اي خاصمت
عن نفسها وسئلت عن الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف
نشرت يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب
وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقراء ابن كثير وحمزة وابو عمرو والكسائي
بالتشديد للمبالغة في النشر او كثرة الصحف او شدة التطاير واذا السماء
كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب
القاف والكاف كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقراء
نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد واذا الجنة ازلفت قربت
من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها
ثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست
بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس
في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب
الرواجع من خنس اذا تاخر وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك
وصفها بقوله الجوار الكنس اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس
من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل
اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد ويقال عسعس وسعسع
الليل اذا ادبر والصبح اذا تنفس اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم
انه ان القران لقول رسول كريم يعني جبريل فانه قاله عن الله ذي قوة
كقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع
في ملائكته ثم امين على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وبما بعده وقرئ
ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون
كما بهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم حيث
عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف
اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد
فضلهما والموازنة بينهما ولقد رآه بالافق المبين ولقد راى رسول الله
جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على الغيب
على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيب بظنين بمتهم من الظنة وهو التهمة
وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد

من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والطاء
من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم بقول
بعض المسترقة للسمع وهو نفي قولهم انه لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال
لهم فيما يسلكونه من امر الرسول والقران كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان
هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم بتحري
الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما
تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله
مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله
قال عليه السلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حتى تنشر صحيفته

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت
واذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها
الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها
وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت
نفس ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من سيئة او تركة ويجوز ان يراد
بالتاخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار
فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي
فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه
يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة
على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه
الذي خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مثبتة للكرم منبهة
على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة
مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او
معدلة بما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض
اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت
خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك جوابها
والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا

ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان
ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به
ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله
لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون
لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين
لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها
في القبور وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين
تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا يدركه دراية دار يوم
لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة
امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصري يوم على البدل من يوم الدين او الخبر المحذوف
قال عليه السلام من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن
لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت
فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم
عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا
الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا
الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة
على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم
او وزنوهم اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار
واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا
مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل
تأكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف
حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو
كما هو خط المصحف في نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن
ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب

من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب
بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين
لحكمه وفى هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام
الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات فى المنع عن التطفيف وتعظيم
اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب الفجار
ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفى سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين
كما قال وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم اى مسطور بين الكتابة او
معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه
مطروح كما قيل تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير
ما كتاب السجين ومحل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين
بالحق او بذلك الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة
او ذامة وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى
استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك فى الشهوات
المخدجة بحيث اشتغل بها عما وراها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى
عليه اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه
شواهد النقل كما لا تنفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول
بان غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى
عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه
السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سودا حتى يسود قلبه
والرين الصدا وقرأ حفص بل ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الراين
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الروية
جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا
مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار
ويصلون بها ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون يقول لهم الزبانية
كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف
فجور والايفاء بر وردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفى عليين وما
ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر فى نظيره يشهده المقربون
يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفى نعيم

على الارائك على الاسرة فى الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات
تعرف فى وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب
تعرف على البناء للمفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص
مختوم ختامه مسك اى مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل
لنفاسته او الذى له ختام اى مقطع هو رايحة المسك وقرأ الكسائى خاتمه بفتح
التاء اى ما يختم به ويقطع وفى ذلك يعنى الرحيق او النعيم فليتنافس
المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها
سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون
فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله وتمزج لساير اهل الجنة و
انتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عباد الله
ان الذين اجرموا يعنى رؤساء قريش كانوا من الذين امنوا يضحكون
كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم
بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين
ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء
لضالون واذا راوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم
على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم
فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين فى
فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوها
اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون
هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرأ حمزة والكسائى
بادغام اللام فى الثاء قال عليه السلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من رحيق المختوم

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء
بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له اى
انقادت لتاثير قدرته حتى ارادة انشقاقها انقياد المطواع الذى ياذن للامر
ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا
فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان تزال جبالها واكامها
والقت ما فيها ما فى جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت فى الخلو

اقصى جهدها حتى لم يبق شئ في باطنها وَاَذِنَتْ لِرَبِّهَا في الالقاء والتخلي
وَحُقَّتْ للاذن وتكريراذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه
محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء في سورتي التكوير والانفطار او بدلالة
قوله يَا اَيُّهَا الْاِنْسَانُ اِنَّكَ كَادِحٌ اِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ عليه وتقديره
لاقى الانسان كدحه اى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها
الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعى الى لقاء جزائه
فَاَمَّا مَنْ اُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا سهلا لا يناقش
فيه وَيَنْقَلِبُ اِلَى اَهْلِهِ مَسْرُورًا اى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين او اهله
في الجنة من الحور وَاَمَّا مَنْ اُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ اى يؤتى كتابه بشماله من
وراء ظهره وقيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه الى وراء ظهره فَسَوْفَ
يَدْعُوا ثُبُورًا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك وَيَصْلَى سَعِيرًا
وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلى لقوله وتصلية جحيم ونصلى لقوله ونصليه
جهنم اِنَّهُ كَانَ فِي اَهْلِهِ في الدنيا مَسْرُورًا بطرا بالمال والجاه فارغا عن
الاخرة اِنَّهُ ظَنَّ اَنْ لَنْ يَحُورَ لن يرجع الى الله بَلَى ايجاب لما بعد لن اِنَّ
رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فَلَا اُقْسِمُ
بِالشَّفَقِ الحمرة التي ترى في افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة رحمه الله
انه البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وما
جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال
مستوسقات لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة وَالْقَمَرِ
اِذَا اتَّسَقَ اجتمع وتم بدرا لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ حالا بعد حال مطابقة
لاختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابق او مراتب من الشدة
بعد المراتب هي الموت ومواطن القيمة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي
على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان
باعتبار اللفظ او الرسول على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال
ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب
النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا
الطبق او مجاوزين له فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بيوم القيمة وَاِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ
القرآن لَا يَسْجُدُونَ لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه عليه
السلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق

رؤسهم

روسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد
وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رايت النبي صلى الله
عليه وسلم يسجد فيها بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ اى بالقرآن وَاللَّهُ اَعْلَمُ
بِمَا يُوعُونَ يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
اَلِيمٍ استهزاء بهم اِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ استثناء منقطع
او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ مقطوع او ممنون
عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه

وراء ظهره صح

بسم الله الرحمن الرحيم وَالسَّمَاءِ ذَاتِ
الْبُرُوجِ يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون
فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب
السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ
يوم القيمة وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق
وما احضر من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اى وشاهد ومشهود
لا يكتنه وصفهما او المبالغة في الكثرة كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد و
مشهود او النبي وامته او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق
او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ
والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم
واهله قُتِلَ اَصْحَابُ الْاُخْدُودِ قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر
انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب
الاخدود فان السورة لتثبيت المؤمنين على اذيهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم
والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاخقوق
روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه
راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ
حجرا وقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها
وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فابرأه
فسأله الملك عمن ابرأه فقال ربي فغضب وعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على
الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فرجف فهلكوا

ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا
فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول
بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن الناس
فامر بالاخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت
امراءة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت
وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال ان الله احل
نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر
نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد النار
بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة
ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود
قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند
الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حتى تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وما نقموا وما انكروا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز
الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه و
قرر ذلك بقوله الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد
للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق
العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود و
بعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير
اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ان بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فان
البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش
بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة وهو الغفور لمن تاب الودود
المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة
لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجوب تام القدرة والحكمة
وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد
ما يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود
ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل

وما

وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم
بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم
اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا اثار هلاكهم وكذبوا اشد
من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط
بل هو قرآن مجيد بل هو الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى
وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف
وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق
السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل
وهو في الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالاتي ليلا ثم استعمل للبادي
فيه وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام
بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل
عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشانه ان كل نفس
لما عليها اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ رقيب فان هي المخففة واللام
الفاصلة وما زائدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما عليها على انها بمعنى الا وان
نافية والجملة على الوجهين جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق لما
ذكر ان كل نفس عليها حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة
اعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته خلق من ماء دافق
جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج
من المائين في الرحم يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل
وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم
الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء
ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلا شك ان الدماغ
اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويسرع الافراط في الجماع
بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة
الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب

بفتحتين والصّلب بضمّتين وفيه لغة رابعة وهى صالب إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ والضمير للخالق ويدل عليه خلق يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ تتعرف وتميّز
بين ماطاب من الضمائر وماخفى من الاعمال وماخبث منها وهو ظرف لرجعه
فَمَا لَهُ فما للانسان مِنْ قُوَّةٍ من منعة فى نفسه يمتنع به وَلَا نَاصِرٍ يمنعه
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ترجع فى كل دورة الى الموضع الذى تتحرّك عنه وقيل
الرجع المطر كما سمّى اوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا اولما قيل من ان السحاب
تحمل الماء من البحار ثم ترجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسما السحاب
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ما يتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات
والعيون إِنَّهُ ان القران لَقَوْلٌ فَصْلٌ فاصل بين الحق والباطل وَمَا
هُوَ بِالْهَزْلِ فانه جد كله إِنَّهُمْ يعنى اهل مكة يَكِيدُونَ كَيْدًا فى ابطاله و
اطفاء نوره وَأَكِيدُ كَيْدًا واقابلهم بكيدى فى استدراجى وانتقامى منهم
بحيث لا يحتسبون فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ فلا تستعجل بالانتقام منهم اولا
تستعجل باهلاكهم أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية
لزيادة التسكين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله

بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

سمّى به

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى نزّه اسمه عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة و
اطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرى سبحان
ربّى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبّح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها
فى ركوعكم فلما نزلت سبّح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا
يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت الَّذِي
خَلَقَ فَسَوَّى خلق كل شئ فسوّى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه
وَالَّذِي قَدَّرَ اى قدر اجناس الاشيا وانواعها واشخاصها ومقاديرها
وصفاتها وافعالها وآجالها فَهَدَى فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا
بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات وَالَّذِي أَخْرَجَ
الْمَرْعَى انبت ما ترعاه الدواب فَجَعَلَهُ بعد خضرته غُثَاءً أَحْوَى يابسا
اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة خضرته
سَنُقْرِئُكَ على لسان جبريل او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فَلَا تَنْسَى

اصلا مع انك امّى ليكون ذلك اية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقع
كذلك ايضا من الايات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله السبيلا إِلَّا
مَا شَاءَ اللَّهُ نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روى
انه عليه السلام اسقط اية فى قراءته فى الصلوة فحسب ابى انها نسخت فسأله
فقال نسيتها او نفى النسيان فان القلة تستعمل للنفى إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا
يَخْفَى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقران مع جبريل وما دعاك اليه
من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانسا وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَى ونعدك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى والتدين ونوفقك لها
ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض
فَذَكِّرْ بعد ما استتب لك الامر إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى لعل هذه الشرطية انما
جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف
عليهم لقوله وما انت عليهم بجبار او لذم المذكورين واستبعاد تأثير الذكرى
فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه وكذلك امر بالاعراض عمن
تولى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله فانه يتأمل فيها
فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد وَيَتَجَنَّبُهَا ويتجنب الذكرى
الْأَشْقَى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله فى الكفر
الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه
جزء من سبعين جزأ من نار جهنم او ما فى الدرك الاسفل منها ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا فيستريح وَلَا يَحْيَى حياة تنفعه قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى تطهر من الكفر
والمعصية او تكثر من التقوى من الزكا او تطهر للصلوات او ادى الزكوة وَذَكَرَ
اسْمَ رَبِّهِ بقلبه ولسانه فَصَلَّى كقوله اقم الصلوة لذكرى ويجوز ان يراد بالذكر
تكبيرة الاحرام وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فلا تفعلون ما يسعدكم فى الاخرة والخطاب
للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعى للدنيا اكثر فى الجملة
وقرأ ابو عمرو بالياء وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى فان نعيمها ملذذ بالذات خالص
عن الغوائل لا انقطاع له إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى الاشارة الى ما سبق
من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى بدل من الصحف الاولى قال عليه السلام من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله
عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم هل

أتاك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة
او النار من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة
عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل
في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها او عملت ونصبت في اعمال
لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرأ ابو عمرو وابو بكر تصلى من اصلاه
الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين
آنية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبس الشبرق
وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله
طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما يتحاماه الابل
وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع والمقصود
من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة
لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة عالية علية المحل
او القدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير
وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا
تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع
والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك والقدر واكواب
جمع كوب وهو انية لا عروة لها موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد
جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة
جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف
خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى
البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها
طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا
ليتأتى لها قطع البوادي والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت
بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها
صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة
والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت فهي راسخة

لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ
الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى
افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة
الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه
الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا
اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن الكسائي بالسين
على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه
الله العذاب الاكبر يعني عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم
تسلط وكأنه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وقيل هو استثناء
من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض
ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ
بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه
الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر
وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي عليه السلام من قرأ الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم
بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس او بصلاته وليال عشر عشر ذي الحجة
ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم
وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر
والاشياء كلها شفعها ووترها او بالخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق
فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات او شفع الصلوات
ووترها او بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر
من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة
لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر
والحبر والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والتقييد بذلك
لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من
قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو
بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين

المبدل من حرف الاطلاق هل فى ذلك القسم او المقسم به قسم حلف
او محلوف به لذى حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمى به
لانه يحجر عما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصا وهو الضبط والمقسم
عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعنى اولاد عاد
ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم
باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اى سبط ارم واهل ارم ان
صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع
صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البناء الرفيع او القدود الطوال
او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات
شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة
فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها
باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء
فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها التى لم يخلق
مثلها فى البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة
او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل لقوله
وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادى القرى وفرعون ذى الاوتاد
لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد
الذين طغوا فى البلاد صفة المذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب
او مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك
سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمى به الجلد
المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه
بالسوط ما احل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم فى الاخرة
من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذى
يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده
العصاة بالعقاب فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل
انه لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعى لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا
ولذاتها اذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه ونعمه بالجاه
والمال فيقول ربى اكرمن فضلنى بما اعطانى وهو خبر المبتدا الذى هو
الانسان والفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير التاخير كانه

قيل

قيل فاما الانسان فقائل ربى اكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله
واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان اذا ما
ابتلاه اى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربى اهانن لقصور نظره
وسوء فكره فان التقتير قد يودى الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى
الى قصد الاغراء والانهماك فى حب الدنيا ولذلك ذمه على قوله وردعه
عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه
كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ
ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء فى الوصل والوقف وعن ابى عمرو
مثله ووافقهم نافع فى الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا يكرمون
اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين اى بل فعلهم اسوء من قولهم
وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون
اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولا يحاضون
وتاكلون التراث الميراث واصله وراث اكلا لما ذا لم اى جمع بين
الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم
او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون
المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره كلا ردع لهم عن ذلك وانكار
وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى
صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اى ظهر
ايات قدرته واثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند ظهور السلطان من اثار هيبته
وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجىء يومئذ
بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون
الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت
الارض والعامل فيهما يتذكر الانسان اى يتذكر معاصيه او يتعظ لانه
يعلم قبحها فيندم عليها وانى له الذكرى اى منفعة الذكرى لئلا يناقض
ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة
يقول يا ليتنى قدمت لحياتى اى لحياتى هذه او وقت حياتى فى الدنيا
اعمالا صالحة وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور
عن شىء قد يتمنى ان كان متمكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا
يوثق وثاقه احد الهاء لله اى لا يتولى عذابه ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر

كلد له او للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائى
ويعقوب على بناء المفعول يا ايتها النفس المطمئنة على ارادة القول وهى
التى اطمانت بذكر الله فان النفس يترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات
الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغنى به عن غيره او الى الحق بحيث
لا يريبها شك او الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بهما
ارجعى الى ربك الى امره او الى موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال
كانت النفوس قبل الابدان موجودة فى عالم القدس وبالبعث راضية بما
اوتيت مرضية عند الله فادخلى فى عبادى فى جملة عبادى الصالحين
وادخلى جنتى معهم اى فى زمرة المقربين فتستضئ بنورهم فان الجواهر القدسية
كالمرايا المتقابلة او ادخلى فى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار
ثوابى التى اعدت لك عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى
العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كان له نورا يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم
بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده
بحلول الرسول فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله
وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد فى غيره او حلال لك ان تفعل
فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد ادم او
ابرهيم عليه السلام وما ولد ذريته او محمد صلى الله عليه وسلم والتنكير
للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كقوله والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا
الانسان فى كبد فى تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه
المكابدة والانسان لا يزال فى شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاه
الموت وما بعده وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم بما كان يكابده من قريش
والضمير فى ايحسب لبعضهم الذى كان يكابد منه او اكثرا وبقوته كابى الاسد
ابن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظى ويجذبه عشرة فيقطع ولا تزال
قدماه او لكل احد منهم او الانسان ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه
يقول اى الانسان فى ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد
الشئ اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول ايحسب

ان لم يره احد حين كان ينفق وبعد ذلك فيسأله عنه يعنى ان الله يراه
فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم بين ذلك بقوله الم نجعل له عينين
يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين
بهما على النطق والاكل وغيرهما وهديناه النجدين طريقى الخير والشر
او الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اى فلم يشكر تلك
الايادى باقتحام العقبة وهو الدخول فى امر شديد والعقبة الطريق فى الجبل
استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام فى قوله وما ادريك ما العقبة
فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا
ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها
لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة
والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب فى النسب وترب اذا افتقر
وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله
وما ادريك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدرك كنه صعوبتها وثوابها ثم
كان من الذين امنوا عطف على اقتحم او فك وجاء بثم لتباعد الايمان عن العتق
والاطعام فى الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا
واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة
بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك اصحاب الميمنة
اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا على حق من كتاب
وحجة او بالقران هم اصحاب المشئمة الشمال او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين
باسم الاشارة والكفار بالضمير شان لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة
من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمز
من اصده عن النبى عليه السلام من قرأ سورة لا اقسم اعطاه الله الامان من غضبه يوم

حقيقة

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس
وضحيها وضوءها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك
والضحا بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها
تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبها ليلة البدر او فى الاستدارة وكمال
النور والنهار اذا جليها جلى الشمس فانها تنجلى اذا انبسط النهار او الظلمة

او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا يغشاها يغشى الشمس
فيغطي ضوءها او الافاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى
القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحها معها
ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها
في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين
مختلفين والسماء وما بناها ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى
الوصفية كانه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها
ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما طحاها ونفس وما
سواها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها
فجورها وتقواها بقوله وما سواها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير
نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى
افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكاها انماها
بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل
النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال
صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظيم آلائه ليحملهم
على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد
بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة
لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دساها
نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض
كذبت ثمود بطغواها بسبب طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى
كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم
والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت او طغوى
اشقاها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن مالاه على قتل الناقة فان افعل
التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال
لهم رسول الله ناقة الله اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقياها
فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها
فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة
اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه فسواها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت
منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقباها اي عاقبة الدمدمة

او عاقبة

او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن
عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس
فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اي يغشى الشمس او النهار او كل ما
يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال الظلمة في الليل او تبين بطلوع
الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى
من كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى
ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة
واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد
فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول
الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل
بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى
بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول
النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى هلك تفعل
من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد
الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى
الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء
لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم
نارا تلظى تتلهب لا يصليها لا يلزمها مقاسيا شدتها الا الاشقى
الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله
الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها الاتقى
الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها
ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها
فلا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله
يتزكى فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى
فيقصد بايتائه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع

او متصل عن محذوف مثل لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة
ولسوف يرضى وعد بالثواب الذى يرضيه والايات نزلت فى ابى بكر
رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك
قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى

ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه
والقى السحرة سجدا والنهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا
والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت
امواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتباره الاصل وتقديم النهار
ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ
بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف
المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عنه
اياما لتركه الاستثناء كما مر فى الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا
ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت
ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب
وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحى والكرامة
فى الدنيا وعده ما هو اعلى واجل من ذلك فى الاخرة او لنهاية امرك خير من
بدايته فانه لا يزال يتصاعد فى الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك
فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين
ولما ادخره مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف
المبتداء والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع
الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء وان تأخر كائن
لا محالة لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على
انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل وان تأخر ويجدك من الوجود
بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا
عن علم الحكم فهدى فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك

صالا

ضالا فى الطريق حتى خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت
بك لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا
فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر
فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر فلا تعبس فى وجهه واما السائل
فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها
وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع وعشر حسنات يكتبها

الله له بعدد كل يتيم وسائل

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح

لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا
او لم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك
تلقى الوحى بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روى ان جبريل اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه
فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار
نفى الانشراح مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك
عبأك الثقيل الذى انقض ظهرك اى حمله على النقيض وهو صوت الرحل
عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله
بالحكم والاحكام او حيرته او تلقى الوحى او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز
عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان
ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واى رفع مثل ان قرن اسمه باسمه تعالى
فى كلمتى الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه فى ملائكته وامر المؤمنين
بالصلاة وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد
المبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم
وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من
روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما فى ان مع المصاحبة المبالغة
فى معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين ان مع العسر يسرا تكرير
للتأكيد او استيناف وعدة بان العسر متبوع بيسر اخر كثواب الاخرة كقولك
ان للصائم فرحتان اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله

عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد
او الجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت
من التبليغ فانصب فاتعب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السابقة
ووعدنا بالنعم الاتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة او فاذا فرغت
من الصلاة فانصب بالدعا والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسئل غيره
فانه القادر وحده على اسعافك وقرئ فرغب اى رغب الناس الى طلب ثوابه
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا الم نشرح فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

بسم الله الرحمن الرحيم والتين

والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف
سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين
ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه
يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن
لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما
جبلان من الارض المقدسة او مسجد دمشق وبيت المقدس او البلدان
وطور سينين يعنى الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه وسينين وسينا
اسمان للموضع الذى هو فيه وهذا البلد الامين الامن من امن الرجل امانة
فهو امين او المامون فيه يامن فيه من دخله والمراد مكة لقد خلقنا الانسان
يريد به الجنس فى احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن
الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه
اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار
وقيل هو ارذل العمر فيكون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات منقطعا
فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على
الاستثناء مقدر له فما يكذبك فاى شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد
بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان
على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك على الكذب اليس الله باحكم الحاكمين
تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذى فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا
وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزا على ما مر مرارا عن النبى

صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام
حيا فاذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرا باسم ربك اى اقرا القران مفتتحا باسمه او مستعينا به الذى خلق
الذى له الخلق او الذى خلق كل شئ ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا او ادل
على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان او الذى
خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق
جمعه لان الانسان فى معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل
اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرا تكرير للمبالغة او
الاول مطلق والثانى للتبليغ او فى الصلاة ولعله لما قيل له اقرا باسم ربك فقال
ما انا بقارئ فقيل له اقرا وربك الاكرم الزائد فى الكرم على كل كريم فانه
ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذى علم
بالقلم اى الخط بالقلم وقد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان
ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الايات فيعلمك القراءة وان لم تكن
قارئا وقد عدد سبحانه مبدا امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله
من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى
ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله
بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى الذاء نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون
فاعله ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على
الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارايت
الذى ينهى عبدا اذا صلى نزلت فى ابى جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت
عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار
وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى والدلالة
على كمال عبوديته المنهى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت
تكرير للاول وكذا الذى فى قوله ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى
والشرطية مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثانى

الواقع موقع القسم له والمعنى اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان
ذاك الناهى على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان
كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما نقول الم يعلم بان
الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت الذى ينهى
عبدا يصلى والمنهى عن الهدى امر بالتقوى والناهى مكذب متول فما اعجب
من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان
يخاطب هذا مرة والاخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرنى ان كان صلاته هدى
ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب
والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلوة والامر بالتقوى
فاختصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل او لان نهى العبد اذا صلى يحتمل
ان يكون لها ولغيرها وعامة احواله محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره
بالدعوة كلا ردع للناهى لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية
لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة
وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على
حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور
ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على
هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطا وهما لصاحبها على الاسناد
المجازى للمبالغة فليدع ناديه اى اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى
فيه القوم روى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال
الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددنى وانا اكثر
اهل الوادى ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو فى الاصل
الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبنى على النسب واصلها
زبانى والتاء معوضة عن الياء كلا ردع ايضا للناهى لا تطعه اى اثبت
على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفى
الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرأ المفصل كله

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه
فى ليلة القدر الضمير للقران فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية

عن

عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذى انزل فيه بقوله
وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها
بان ابتدأ فى انزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى سماء الدنيا على السفرة ثم كان
جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين
سنة وقيل المعنى انزلناه فى فضلها وهى فى اوتار العشر الاخير من رمضان
ولعلها السابعة منها والداعى الى اخفائها ان يحيى من يريدها ليالى كثيرة
وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم
وذكر الالف اما للتكثير او لما روى انه عليه السلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح
فى سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هى
خير من مدة ذلك الغازى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم
بيان لما له فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض او الى سماء الدنيا او تقربهم
الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر فى تلك السنة وقرئ من كل امرئ
اى من اجل كل انسان سلام هى ما هى الا سلامة اى لا يقدر الله فيها الا
السلامة ويقضى فى غيرها السلامة والبلاء او ما هى الا سلام لكثرة ما يسلمون
فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اى وقت مطلعه اى طلوعه وقرأ الكسائى بالكسر
على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد
فى صفات الله ومن للبيان والمشركين وعبدة الاوثان منفكين عما كانوا عليه
من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم البينة الرسول
او القران فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقران بافحامه من تحداه
رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف ومبتداء يتلو صحفا
مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما فى الصحف
كان كالتالى لها وقيل المراد جبريل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتى ما فيها
وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة
بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد

فى دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون
كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد
اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما
تفرقوا مع علمهم كان غيرهم اولى بذلك وما امروا اى فى كتبهم بما فيها الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد
الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوه وعصوا وذلك
دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
فى نار جهنم خالدين فيها اى يوم القيمة او فى الحال لملابستهم ما يوجب
ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب اشتراكهم فى نوعه
فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اى الخليقة وقرا نافع
البريئة بالهمز على الاصل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم
خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا
فى مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها
اضافة ووصف بما يزداد لها نعيما وتاكيد الخلود بالتابيد رضى الله عنهم
استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم
ذلك اى المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشى ربه فان الخشية ملاك
الامر والباعث على كل خير عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لم يكن
الذين كفروا كان يوم القيمة خير البرية مبيتا ومقيلا

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى والثانية
او الممكن لها واللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس الا فى
المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما فى جوفها من الدفائن او الاموات
جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما بهرهم من الامر الفظيع
وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها
تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها
الله سبحانه وتعالى فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث
او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اى تحدث بسبب

اخبار

ايحاء ربك بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون
بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها
اذ لها فى ذلك تشفى من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من
القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء
اعمالهم وقرى بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة
الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر يؤثران فى نقص الثواب والعقاب وقيل
الاية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء
والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرا اذا زلزلت الارض اربع مرات كان كمن قرا القران كله

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وصوت انفاسها
عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او العاديات فانها تدل بالالتزام على
الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتى تورى النار
والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات يغير اهلها على العدو
صبحا اى وقت فاثرن فهيجن به بذلك الوقت نقعا غبارا او
صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى ملتبسات
به جمعا من جموع الاعداء روى انه عليه السلام بعث خيلا فمضت شهرا
لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن
الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعاديات اذا ظهر لهن
مبدأ انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان
الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او
لبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده
لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله سبحانه وتعالى على كنوده لشهيد
وانه لحب الخير المال من قوله سبحانه وتعالى ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوى
مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما فى القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث
وحصل جمع محصلا فى الصحف او ميز ما فى الصدور من خير او شر وتخصيصه

لانه اصل ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا واسروا
فيجازيهم عليه وانما قال ربهم لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ أنّ
وخبير بلا لام عن النبي عليه السلام من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم
وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن الصوف
ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما
من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو في عيشة
في عيش راضية ذات رضى اي مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن
له حسنة يعبؤ بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فماويه
النار المحرقة والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادريك ما هيه نار
حامية ذات حمى عن النبي عليه السلام من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الهاكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل التكاثر التباهي
بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم
بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روي ان بني عبد مناف
وبني سهم تفاخروا بالكثرة فغلبهم بنو عبد مناف فقالوا بني سهم ان البغي اهلكنا
في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه
وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهيكم التكاثر بالاموال
والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم
وهو السعي لاخرتكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه
على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك
وبال وحسرة سوف تعلمون خطأ رأيكم اذا عاينتم ما وراكم وهو انذار ليخافوا
وينتبهوا عن غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة

على

على ان الثاني ابلغ من الاول والاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور
كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم
ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه
فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه
محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف فاكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم
منه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا رأتهم
من مكان بعيد والثانية اذا اوردوها والمراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار
عين اليقين الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين
ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم الذي الهيكم والخطاب مخصوص بكل من
الهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة
كقوله من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره
وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الهيكم التكاثر
لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم بصلاة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب
والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الانسان
لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا
بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي
لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الحق
او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص
العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران
اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عداه يؤدي الى خسران ونقص حظ
ومكرهما فان الابهام في جانب الخسر كرم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهمز واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبنا فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي يأتي بالمضاحك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوبا ومرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود وحب المال اغفله عن الموت وطول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للاخرة كلا ردع عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر ان يطفئه غيره تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لانها الطف ما في البدن واشده تألما او لانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة انها عليهم موصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي يقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد عليه السلام واصحابه رضي الله عنهم

غيظ

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم هو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شهد اثارها وسمع بتواتر اخبارها فكانه راها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصتها ان ابرهة بن الصباح بن الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة

بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف الحاج اليها فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبا جيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل واحد في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها الكيد في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع واسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف ماكول ورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل عافاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفا لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعراي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهي دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن فلا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر

لالاف بغير ياء بعد الهمزة فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم
من جوع اى بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف
والعظام وامنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف فى بلدهم و
مسائرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الكعبة واعتكف بها

بسم الله الرحمن الرحيم

ارأيت استفهام معناه التعجب وقرئ ارايت بلا همزة الحاقا بالمضارع
ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها واريتك بزيادة الكاف
الذى يكذب بالدين بالجزاء والاسلام والذى يحتمل الجنس والعهد
ويؤيد الثانى قوله فذلك الذى يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا
وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاء فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق
بخيل وقرئ يدع اى يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين
لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون اى غافلين غير مبالين بها الذين هم
يراءون يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون
الزكاة او ما يتعاور فى العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم
من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التى هى عماد الدين
والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام احق بذلك
ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع
الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة ارايت غفر له ان كان للزكاة مؤديا

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثرة مع العلم والعمل
وشرف الدارين وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه نهر فى الجنة وعدنيه
ربى فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من
الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظما من شرب منه وقيل حوض
فيها وقيل اولاده واتباعه وعلماء امته او القران العظيم فصل لربك فدم

على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهى عنها المرائى فيها شكرا لانعامه
فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التى هى خيار اموال
العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون فالسورة
كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية
ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذى لا عقب له
اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك واثار
فضلك الى يوم القيمة ولك فى الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له فى الجنة
ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روى
ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد الهنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت
لا اعبد ما تعبدون اى فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال لا اعبد ولا انا عابد
ما عبدتم اى فى الحال او فيما سلف ولا انتم عابدون ما اعبد
اى وما عبدتم فى وقت ما انا عابده ويجوز ان يكون تاكيدين على طريقة ابلغ
وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة
بعبادة وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان
المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل
انها مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذى والاخريان مصدريان لكم دينكم
الذى انتم عليه لا تتركونه ولى دين دينى الذى انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن
فى الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة
وتقرير كل من الفريقين الاخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء
والعبادة عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القران وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح وهو فتح مكة وقيل
المراد بالجنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد وانما عبر عن الحصول المجى

بجوز الاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها
فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده
مستعدا لشكره ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب
ويدخلون حال على ان رأيت بمعنى بصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت
فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله مالم يخطر ببال احد حامدا له عليه
او فصل له حامدا على نعمه روى انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة
وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على صدق
وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام
واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك
من الالتفات الى غيره وعنه عليه السلام اني استغفر الله في اليوم والليلة
مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على
طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله
انه كان توابا لمن استغفر منذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل
فتح مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأها بكى العباس فقال
عليه الصلاة والسلام ما يبكيك فقال نعيت اليك نفسك قال انها لكما
ولعل ذاك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهو كقوله اليوم اكملت
لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت
سورة التوديع وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ اذا جاء اعطي من الاجر
كمن شهد مع محمد عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة شرفها الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت هلكت وخسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك يدا ابي لهب
نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه السلام
لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب
الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخرته وانما كناه
والكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره
ولانه لما كان من اهل النار كانت الكنية اوفق او ليجانس قوله ذات لهب كما روي

على

علي بن ابي طالب رضي الله عنه وتب اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضي
لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
ويدل عليه انه قرئ وقد تب والاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن
عمل نفسه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال حين نزل به التباب
او استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه او مكسوبه
بماله من النتائج او الارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه
او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات
ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلاثا حتى انتن
ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه
سيصلى نارا ذات لهب اشتمال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على
انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها بالفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا
او مشددا وامرأته عطف على المستكن في سيصلى او مبتدأ وهي ام جميل
اخت ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار
بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه والنميمة
فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك فانها كانت تنثرها
بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم
في جيدها حبل من مسد اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود
الخلق مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصويرها بصورة الحطابة التي تحمل
الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث
يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع في جيدها
سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين

ابي لهب في دار
واحده

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد والضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء
وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سألتموني
عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه
فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على

جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزها بالذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله احد بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول وهو داعية لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعوا اليه اخرى ‌ الله الصمد السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها لم يلد لانه لا يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه الحاجة لامتناع الحاجة والفنا عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لا يفتقر الى شئ ولم يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اى ولم يكن احد يكافيه اى يماثله من صاحبة وولد وغيرهما وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد منها نفي المستلزم لاقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القران فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاعمال والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق ما انفلق عنه وتفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول

وهو

وهو اسم جميع الممكنات والله تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيمة والاشعار ان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصبابه ظلامه وغسق العين سيلان دمعه اذا وقب دخل ظلامه في كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه بان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت المعوذات واخبره جبريل عليه السلام بموضع السحر فارسل عليا رضي الله عنه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ اية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة فانه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها فافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شرير بخلاف كل غاسق وحاسد ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يختص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان وغيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات كان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

لقد انزلت علىّ سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احبّ ولا ارضى عند الله منهما يعنى المعوّذتين

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ وقرئ فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة فى السورة المتقدمة من المضار البدنية وهى تعم الانسان وغيره والاستعاذة فى هذه من الاضرار التى تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا كانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك الناس اله الناس عطف بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفى هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعادة قادر عليها غير ممنوع فيها واشعار على مراتب الناظر فى المعارف فانه يعرف اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل فى النظر حتى يتحقق انه غنى عن الكل وذات كل شئ ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل على انه المستحق للعبادة لا غير وتدرج فى وجوه الاستعاذة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات واشعارا بكل الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر الوسواس اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمى بفعله مبالغة الخناس عادته يخنس اى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذى يوسوس فى صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنس واخذ يوسوسه ويشككه ومحل الذى الجر على الصفة او الرفع على الذم من الجنة والناس بيان للوسواس او للذى او متعلق بيوسوس فى صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسى لقوله يدع الداعى فان نسيان حق الله يعم الثقلين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المعوذتين فكانما قرأ القرآن والكتب الذى انزل الله تعالى

تم

قد وقع الفراغ عن تكميل هذه النسخة الشريفة بعون الله وتوفيقه ومنه على يد افقر الورى واحوجهم الى لطف ربه الصمد حسن بن احمد حافظ كلام الله المجيد الحنفى مذهبا والماتريدى اعتقادا والاسلامبولى وطنا فى اواسط رمضان المبارك فى سنة خمس واربعين ومائة والف من هجرة من له العز والشرف فى الديار المصر المعزية غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات انه سميع قريب مجيب الدعوات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

م